كتاب

البدء والتاريخ

تأليف

أبي زيد أحمد بن سهل البلخي

المتوفى ٣٢٢ هـ سنة

وضع حواشيه

خليل عمران المنصور

الجزء الثاني

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث عشر

في صفةِ الأرضِ ومبلغِ عمرانِها وعددِ أقاليمِها وصفةِ البحارِ والأنهارِ وعجائبِ الأرضِ والخلقِ

اعلمُوا أنّ القدماءُ قسمُوا المعمورَ من الأرضِ على سبعةِ أقسامٍ يسمّونها الأقاليمَ، فالأقليمِ الأوّلُ: يبتدىءُ من المشرقِ من أقاصي بلادِ الصينِ، ويمرُّ على ما يلي الجنوبِ من الصّينِ وعلى سواحلِ البحرِ من جنوبِ بلادِ السندِ يقطعُ البحرَ إلى جزيرةِ العربِ وأرضِ اليمنِ، ويقطعُ بحرَ القلزمِ إلى بلادِ الحبشةِ، ويقطعُ نيلَ مصرَ، وينتهي إلى بحرِ المغرب، وفيه المُدُنُ من مدينةِ ملكِ الصينِ وبلادِ جنوب السندِ وجزيرةِ الكركِ وجنوبِ الهندِ من اليمنِ عمانٍ وحضرمَوتَ وعدنٍ وصنعاءَ وسبا وجرشَ وظِفارَ ومهرة، ومن الغربِ تُبالةُ ومدينةُ ملكِ الحبشةِ جرمى، ومدينةُ النوبةِ دمقلى وجنوبِ البربريّةِ إلى البحرِ الأخضرِ، ويكونُ أطولُ نهار هؤلاء ثلاثَ عشرةَ ساعة.

والأقليمُ الثاني: يبتدىء من المشرقِ فيمرُّ على بلادِ الصينِ وبلادِ الهندِ وبلادِ السندِ، ويمرُّ بملتقى البحرِ الأخضرِ وبحرِ البصرةِ، ويقطعُ جزيرةَ العربِ في أرضِ نجدٍ وتهامةٍ والبحرين، ثُمّ يقطعُ بحرَ القلزمِ ونيلَ مصرَ إلى أرضِ المغرب، وفيه من المدنِ مدنٌ من بلادِ الصينِ والهندِ ومن السندِ: المنصورةُ والبيرونُ والديبلُ، ومن أرضِ العربِ مكةُ والطائفُ وجُدّةُ والجارُ ويثربُ واليمامةُ وهجرُ، ومن النيلِ قوسٌ واخميمُ وانصنا واسوانُ، ومن المغربِ مُدنُ افريقيةَ وبربر إلى بحرِ المغربِ، ويكونُ أطولُ نهارِ هؤلاءِ عشرةُ ساعاتٍ ونصفٌ.

والأقليمُ الثالثُ: يبتدىء من المشرقِ فيمرُّ على شمالِ بلادِ الصينِ، ثم الهندِ ثم السندِ ثم كابلَ وكرمانَ وسجستانَ والبصرةِ وفارسِ والأهوازِ والعراقين والشامِ ومصرَ والاسكندريةِ والمغرب إلى البحرِ، وفيه من المدنِ بعضُ بلادِ الصيّن والهندِ والسّندِ؛ قندهارُ[1]

---

(١) قندهارُ: ولاية في افغانستان الجنوبية كثيرة الأنهار، قاعدتها مدينة قندهار «منجد الأعلام/ ٥٥٧».

وغزنةُ[1] وكابلُ والرخجُ وبستُ وزرنُج وكرمانُ وجيرفت[2]، ومن فارسَ اصطخرُ وجورُ وفسا وسابورُ وشيرازُ وسيرافُ وجنّابةُ وسينيزُ ومه رويان وكورَ الأهوازِ كلُّها، ومن العراقِ البصرةُ وواسطُ والكوفةُ وبغدادُ والأنبارُ وهيتُ، ومن الشام حمصُ ودمشقُ وصورُ وعكةُ وطبريّةُ وقيساريةُ ورسوفُ والرملةُ وبيتُ القدسِ وعسقلانُ وغزّةُ ومدينُ والقلزمُ، ومن أرضِ مصرَ الفرما وتنيسُ ودمياطُ والفُسطاطُ والاسكندريّةُ والفيُّومُ، ومن المغربِ برقةُ وافريقيةُ والقيروانُ، وأطولُ نهار هؤلاء أربعَ عشرةَ ساعةٍ.

والاقليمُ الرابعُ: يبتدىءُ من المشرقِ فيمرُّ ببلادِ تبتِ وخُراسانِ وجرجانِ وطبرستانِ والريّ واصبهانِ وهمدانِ وحلوان وشهرزور وسرَّ مَنْ رأى وأرضِ الجزيرةِ وشمالِ الشام إلى بحرِ المغربِ، وفيه من مُدن خُراسان فرغانةُ وخجندُ واشروسنةُ وسمرقندُ وبخارا وبلخُ وآملُ ومروُ الروذِ ومرو وهراةُ وسرخسُ وطوسُ ونيسابورُ وقومسُ ودومانلُ وقزوينُ والديلمُ وقمُّ ونهاوندُ والدينورُ والجزيرةُ والموصلُ وبلدُ نصيبين وآمدُ ورأسُ العينِ وقاليقلا وسميساطُ والرّقةُ وقرقيسيا، ومن شمالِ الشّامِ بالسُ والمصيصةُ واصيدانُ والكنيسةُ السوداءُ وآدنه وطرسوسُ وعمُّوريةُ ولاذيقيّةُ، ثمّ يمرُّ من بحرِ الشّامِ على جزيرةِ قبرسٍ، ثمّ يمرُّ في المغربِ على بلادِ طنجة إلى البحرِ، وأطولُ نهارِ هؤلاء أربعَ عشرة ساعةٍ ونصفٌ.

والإقليمُ الخامسُ: يبتدىءُ من المشرقِ على بلادِ ياجوج وماجوج ثمّ على شمالِ خُراسان واذربيجان والخزرِ والرومِ إلى المغربِ، وفيه من مُدنِ خُراسان الطرازُ ونويكث وخوارزمُ واسجبابُ والشاش وطاربندُ وبخارا ومن اذربيجان كورُ أرمينية وبرذعةُ ونشوى وسيسجانُ وارزنُ واخلاطُ، ومن الرّوم خرشنةُ وقُرّة والروميّةُ الكبرى ثمّ سواحلُ بحر الشامِ ممّا يلي الشمالِ ثمّ بلادِ اندلسِ حتّى ينتهي إلى بحرِ المغربِ.

والاقليمُ السادسُ: يبتدىء من المشرقِ فيمرُّ على بلادِ ياجوج وماجوج ثمّ على بلادِ الخزر ثمّ على وسطِ بحرِ جرجان إلى بلادِ الرومِ فيمرُّ على جُرْزان[3]

---

(١) غزنة: مدينة في شرق افغانستان، كانت مركزاً للسياسة والثقافة والآداب في آسيا الإسلامية «منجد الأعلام/ ٥٠٦».

(٢) جيرفت: مدينة بكرمان في الأقليم الثالث، بها خيرات ونخل كثير ولها نهر يتخللها ينسب إليها جماعة من العلماء، وفيها ناس من الأزد ثم المهالبة «معجم البلدان ٢/ ٢٣٠».

(٣) جُرزان: اسم لناحية بأرمينية قصبتها تفليس، حكى ابن الكلبي: أن جرزان وأرّان: هما مما يلي أبواب أرمينيّة. «معجم البلدان ٢/ ١٤٥».

وهرقلة[1] وقسطنطينيةَ وبلادِ برجان إلى بحرِ المغربِ، قالَ أهلُ هذا العلم: أمّا ما وراءَ هذه الأقاليمِ إلى تمامِ الموضعِ المسكونِ الذي عرفناهُ فإنّه يبتدىءُ من المشرقِ من بلادِ ياجوج وماجوج فيمرُّ على بلادِ التغزغز وأرضِ التركِ وعلى بلادِ الان ثمّ على بلادِ برجان ثمّ على شمالِ الثقالبةِ إلى أنْ ينتهي إلى بحرِ المغربِ، فهذا موضعُ عمرانِ الأرض والبحورِ ممّا يُعرفُ، وأمّا ما وراءَ ذلك فأرضون مجهولةٌ لا يعرفُ ما وراءَها أحدٌ إلاّ اللهُ عزَّ وجلَّ قالُوا: وأمّا الذين يسكنونَ خارجَ الأقاليمِ فإنّهم أناسٌ لا يفهمونَ قولاً ولا يعلمون شيئاً من الصناعاتِ والعلامات؛ وكانتِ الأرضُ مقسومةً في الدّهرِ الأوّلِ على خمسةِ أجزاءٍ فمنها الصينُ والتركُ وتُبتُ والهندُ، وجزءٌ منها الرومُ والصقالبةُ وسغدُ وخوارزمُ وأرمينيةُ، وجزءٌ منها القِبْطُ والبربرُ والشامُ، وجزءٌ منها الأرضُ المعروفةُ بإيران شهر وهي ما بينَ منتهى نهرِ بلخ إلى منتهى آذربيجان وأرمينية إلى الفراتِ والقادسيّةِ إلى بحرِ اليمنِ وفارسِ إلى مكرانَ وكابلَ إلى طخارستان، وهي صفوةُ الأرضِ وسُرّتُها وهي تُسمّى اقليمُ بابل.

ذكرُ المعروفِ من البحارِ والأوديةِ والأنهارِ:

قالَ القدماءُ: البحارُ المعروفةُ العظامُ خمسةٌ أحدُها: بحرُ الهندِ وفارسَ والصينِ، والثاني: بحرُ الرّوم وافريقية، والثالثُ: بحرُ الأقيانوسَ: وهو بحرُ المغربِ، والرابعُ: بحرُ بنطس، والخامسُ: بحرُ جرجان، وفي رسالةِ ارسطاطاليس إلى الاسكندرِ التي تُسمّى بيتَ الذهبِ أنّ بحرَ اوقيانوس بحرٌ محيطٌ بالأرضِ كاكليلٍ، وينفجرُ منه خُلْجان هي سائرُ البحارِ، وقدْ وصفُوا طولَ هذه البحارِ وعرضِها وجزائرِها وسواحلِها وما يخرجُ منها من الأرجُلِ والخُلجان، ويسمّون بحرَ فارسَ الخليجَ الفارسيّ طولهُ مائةُ وخمسون فرسخاً، وعرضُه مائةُ وخمسون فرسخاً، ويسمّون بحرَ اليمنِ خليجاً، وكذلك سائرُ البحارِ، وقالُوا: وفي البحرِ الهنديّ الفُ وثلاثمائة وسبعون جزيرةً وربّما بلغَ طولُ الجزيرةِ مائةَ فرسخٍ في مائةِ فرسخٍ ومائتين وثلاثمائة، وفيها من المُدنِ والقُرى والأنهارِ والعيونِ والجبالِ والمفاوزِ والممالكِ، قالُوا: وفي البحرِ الروميّ مائةُ ونيفٌ وستون جزيرةً عامرةً وبحرُ جرجان يُقالُ له عابسكنُ وبحرُ بابِ الأبوابِ: وهو أصغرُ البحارِ، طولُه من المشرقِ إلى المغربِ ثلاثمائة ميلٍ، وكانتْ فيه جزيرتان عامرتان فخربتا، وبحرُ بنطس يمتدُّ من اللاذقية إلى خلفِ

(١) هرقلة: هي اليوم ايرغلي، عاصمة بيتينيا (أسيا الصغرى) في القرون الوسطى فيها مناجم فحم «منجد الأعلام/ ٧٢٧».

قسطنطينيّة، وطولُه ألفُ وثلاثمائة ميلٍ، وعرضُه ثلاثمائة ميلٍ، ويخرجُ منه خليجُ القسطنطينيّة فيجري كهيأةِ النهرِ، وينصبُّ في بحرِ مصرَ، وعرضُ الخليجِ ثلاثةُ أميالٍ، وبحرُ الروّمِ طولُه من المشرقِ من صورٍ وصيدا إلى الخليجِ الذي يخرجُ من بحرِ المغربِ، وطولُه خمسُ مائة ميلٍ وعرضُه في بعضِ المواضعِ ثماني مائةِ ميلٍ، وفي بعضِها ستُّ مائةِ ميلٍ، وبحرُ الهندِ طولُه من المشرقِ من أقصى الهندِ إلى أقصى الحبشِ ثلاثةُ آلافِ ميلٍ، وعرضهُ ألفان وسبعُ مائةِ ميلٍ يخرجُ منه خليجٌ إلى ناحيةِ البربرِ يُسمّى الخليجُ الفارسيُّ طولُه ألفُ وأربعُ مائةِ ميلٍ، وعرضهُ خمسُ مائةِ ميلٍ، وفيما بين هذَيْن الخليجينِ خليجُ فارسَ وخليجُ أيلة أرضِ الحجازِ واليمنِ، وأمّا بحرُ اقيانوس فإنّه لا يُعرفُ منه إلاّ ما يلي شمالَ المغربِ من أقصى بلادِ الحبشِ إلى برطليّة[1]: وهو بحرٌ لا تجري فيه السُفنُ، ويبعدُ عن العُمرانِ، وفيه جزائرُ مقابلَ الأندلسِ وطنجة، وأمّا البُحيرتان الجاريتان اللتان بهما تتمّ سبعةُ أبحرٍ كما ذكر اللهُ عزَّ وجلَّ فإنّهم يزعمونَ خلفَ خطِّ الاستراءِ فوقَ النوبةِ وهما مادّتا النيلِ، وأمّا البحرُ الزنجيّ فإنّه لا يكونُ فيه شيءٌ من الحيوانِ لحرارةِ مائهِ وحرازتهِ، وليس يُوجدُ اللؤلؤُ والجوهرُ في عذابِ البحورِ إلاّ في بحرِ الصّينِ فإنّ ماءَهُ عذبٌ، ويوجدُ فيه اللؤلؤ قال اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿يخرجُ منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن: ٢٢] وأمّا البحارُ والصغارُ فلا تُعَدُّ لأنّها مستنقعاتُ المياهِ كما لا تُعدُّ العيونُ والأنهارُ فمنها بالشامِ بُحيرةُ زغر وبحيرةُ طبريه وباذربيجان بحر أرمينية وأسفلُ خوارزم بحيرةُ سياه كوه وبدماوند بحيرةٌ.

ذكرُ المعروفِ من الأنهارِ:

نهرُ الكنكِ بأرضِ الهندِ ينبعثُ من جبالِ قشمير، ويجري في أعالي الهندِ من ناحيةِ الجنوبِ حتّى ينصبُّ في البحرِ الهنديّ، ونهرُ مهرانَ بأرضِ السندِ ينبعثُ من جبالِ اشغنانَ وينصبُّ في البحرِ الهنديّ، وأمّا الأنهارُ التي تنصبُّ في بحرِ فارسَ فهي دِجلةُ: تخرجُ من جبالٍ فوقَ أرمينية، فأعظمُها تقعُ في دِجلة بالحديثةِ، وأصغرهما تقعُ في دجلةِ بالسنِّ، ومخرجُ النهروانِ من أرمينيّة فإذا مرَّ ببابِ صلوى يسمّى تامرّا[2]، ويستمدُّ من الهواطلِ،

---

(١) برطليّة: أوبرطلّي: قرية شرقي الموصل (العراق) سكانها يتكلمون الآرامية العاميّة، تشتهر بكثرة أديرتها «منجد الأعلام/ ١٢٥».

(٢) تامّرا: طسوج من سوار بغداد بالجانب الشرقي، وله نهر واسع يحمل السفن في أيام المدود. ومخرج هذا النهر من جبال سهرزور والجبال المجاورة لها. «معجم البلدان ٢/ ٨».

فإذا صارَ بباجِسْري[١] سمّي النهروان، وينصبُّ في دِجلة أسفلِ من جَبُّلٍ، ومخرجُ الفُراتِ من أرض الرّوم من جبالٍ بها من موضعٍ يُقالُ له إبريقُ صخرٍ، ويمرُّ بالجزيرةِ والرّقةِ وينحدرُ إلى الكوفةِ، ثمّ يمرُّ حتّى ينصبُّ في البطائح فيختلطُ بدجلة؛ ومخرجُ الخابورِ من رأسِ العينِ، ويستمدُّ من الهُرماسِ[٢]، وينصبُّ في الفُراتِ اسفلِ قرقيسيا[٣] وتجتمعُ هذه الأنهارُ كلُّها في دجلةٍ، ويمرُّ دجلةُ بالأبلّةِ إلى عبادان فينصبُّ في الخليجِ الفارسيّ، ومخرجُ نهرِ الأهوازِ ونهرِ جنديِ سابور من جبالِ اصبهان، ويجتمعان في دُجيل الأهوازِ، ثُمّ يفيضُ في بحرِ فارسَ؛ وأمّا الأنهارُ التي تفيضُ في بحرِ جرجانَ فنهرُ كُر ينبعثُ من بلادِ الان، ونهرُ تفليس وبرذعة وسبيذ روذ يمرُّ ببلادِ اذربيجان، ويدخلُ بلادَ الديلم، ثمّ يقعُ في بحرِ جرجانَ، وكذلك شاه روذ يخرجُ من طالقانِ الريّ فيفيضُ في بحرِ جرجانَ، وهذه أنهارٌ صغارٌ، وأمّا النيلُ فإنه يخرجُ من جبلِ القمرِ وينصبُّ في بُحيرتَيْن من خلفِ خطِّ الاستواءِ، ويُطيفُ بأرضِ النوبةِ، ويتشعبُ دونَ الفُسطاطِ فيصيرُ شعبةً إلى الاسكندريّةِ وشعبةً إلى دمياطَ فيفيضان إلى بحرِ الشّامِ، وتلتقي شعبةٌ منه بالماءِ الذي يحيطُ بجزيرةِ تِنّيس[٤] من البحرِ، فإذا هبّتْ جَنوبُ عذُب ماؤهم، وإذا هبّتْ الشّمالُ ملُح؛ ومخرجُ نهرِ المصيصةِ وسيحانَ وجَيْحانَ كلِّها من بلادِ الرّومِ، ومصبُّها في بحرِ الشّامِ، ومخرجُ نهرِ دمشقَ في جبالِ دمشقَ يسقي غوطة دمشقَ، وينصبُّ في بحيرةِ دمشقَ، ومخرجُ نهرِ حلبَ من حدودِ دابقَ دونَ حلبِ بثمانيةَ عشر ميلاً، ويفيضُ في أَجْمَةِ أسفلِ حلبَ؛ ومخرجُ جيحونَ من جبالِ بلادِ تُبتِ فيمرُّ بِوَخان[٥] ويسمّى وخان، ثمّ ينحدرُ إلى الترمِذِ[٦] ويُسمّى نهرُ بلخَ، ثمّ يمرُّ فيجاوزُ خوارزمَ، وتبسّطُ دونهَ فيصيرُ بطائحَ ومستنقعاتٍ يُصطادُ منها السمكُ، ثمّ يمرُّ مستسفلاً مقدارَ ثلاثين فِرسخاً حتّى ينصبُّ في بحيرةِ سياكوهُ، وفي ساحلِها الشرقيّ رياضٌ ومروجٌ ذاتُ أشجارٍ وشوكٍ لا يكادُ يمكنُ اخراقُها إلاّ في طُرُقٍ اتّخذَتْها الخنازيرُ، ويفيضُ في هذه البحيرةِ نهرُ فرغانةَ ونهرُ الشّاشِ، ومخرجُ نهر فرغانةَ من باميرَ فوقَ راشت وكميذ،

---

(١) باجِسْرى: بليدة في شرقي بغداد، على عشرة فراسخ من بغداد. «معجم البلدان ١/ ٣٧٢».

(٢) الهِرْماسُ: نهر نصيبين مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ، «معجم البلدان ٥/ ٤٥٩».

(٣) قرقيسيّة: مدينة في سوريا (محافظة الجزيرة) عند ملتقى الخابور بالفرات «منجد الأعلام/ ٥٤٨».

(٤) جزيرة تينّيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط. «معجم البلدان ٢/ ٦٠».

(٥) وردت في معجم البلدان ٥/ ٤١٩: باسم وخّاب: بلد وراء بلاد الخُتّن، وهي للترك وبين وخّاب والتبّت شيءٌ قريب.

(٦) ترمذ مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون شمالي إيران «منجد الأعلام/ ١٨٦».

ومخرجُ نهر الشّاشِ من بلادِ التّركِ، وأربعةُ أنهارٍ تنبعثُ من جبالِ باميان[1]: أحدُها يدخلُ بلادَ الهندِ من ناحيةِ لامغان[2]، والثّاني يسقى مرو الروذ، والثالثُ يسقي بلخَ، والرابعُ يسقى سجستان، وما فضُل منه يجتمعُ في بحيرةٍ تسمّى زَرَّة وهي التي سمّينا هي الأنهارُ العظامُ المذكورة في الكتبِ، وأمّا الصغارُ والعيونُ فلا يحيطُ بها إلاّ علمُ الله سبحانَه وتعالى.

وأهلُ الكتابِ يزعمون أنّ أربعةَ أنهارٍ تخرجُ من الجنّةِ سَيْحانَ وجيحانَ والفراتَ والنيلَ، وزعمُوا أنّ الفراتَ مدَّ فرمى بُرمّانة شِبْهَ البعيرِ البازلِ وذلك في زمنِ معاوية فسُئِلَ كعبُ الأحبارِ فقال: هي من الجنّةِ، وفي كتبِ العجمِ أنّ جُمْ شاذ حفَر سبعةَ أنهارٍ سيحون وجيحون والفرات ودجلة ونهر مهران بأرضِ السّندِ قالُوا: ونهرَيْن لم يسمّهما لنا، وهذا غيرُ جائزٍ ولا ممكنٌ اللهمَّ إلاّ أن يُقالَ: هو ساق ماءَ هذه الأنهارِ إلى أراضي البلادِ فاستعمَرها واستنزلهَا وحفَر الأنهارِ منها.

ذكرُ الممالك المعروفة:

قالَ أهلُ هذا العلمِ أنّ الصينَ على ساحلِ بحرِ الهندِ طولُه ألفُ وخمسِ مائةِ فرسخٍ فيها ثلاثُ مائةِ وستّون مدينةً يُحمَلُ كلُّ يومٍ إلى الملكِ خراجَ مدينةٍ وثيابَ بدنِهِ وجاريةٌ يرضاها، قالُوا: وعددُ جند الملكِ أربعُ مائة ألفِ مرتزقٍ من فارسَ وراجلٍ، واسمُ المدينةِ التي يسكنُها الملكُ خمدان[3]، والغالبُ عليهم استدارةُ الوجوهِ وفطسُ الأُنوفِ وشُقرةُ الألوانِ وصُهبةُ الشعورِ[4]، وعامّةُ لباسهِم الحريرُ والديباجُ والفرُو، ومن هيئتهم في اللباسِ توسيعُ الأكمامِ وتطويلُ الذيولِ ويُباهونَ بتزويقِ المنازلِ وكثرةِ الفرشِ والأواني، وأكثرُ أراضيهم الأعذاءُ يسقيهم المطرُ والأنداءُ، ودينهمُ السمنيّةُ والثنويّةُ وعبادةُ الأوثانِ قالُوا: وفي شمالِ الصيّنِ بلادُ ياجوج وماجوج، وفي مغاربِهِم التركُ وتبتُ والهندُ، وفي مشارقِهِم قومٌ يكنون في الأسرابِ لشدّةِ وقعِ الشّمسِ عليهم ولا يعلمُ ما في جنوبِهِم أحدٌ إلاّ اللهُ، وفي كتابِ المسالكِ والممالكِ أنّ في مشارقِ الصينِ مدينةً لا يدخلُها أحدٌ فيخرجُ منها لطيبِ

---

(١) باميان: ميدنة في افغانستان (جبال الهند كوش) تقع على الطريق التجاري بين الهند والغرب «منجد الأعلام/ ١١٥».

(٢) لامغان: من قرىٰ غزنة، وقيل هي كورة تشتمل على عدة قرىٰ في جبال غزنة. «معجم البلدان ٥/ ٩».

(٣) وردت في معجم البلدان ٢/ ٣٤٦ باسم حَمْدان: وهي مدينة حواليها مائة وعشرون قرية. وكذلك وردت باسم حُمْران: وهي البادية بين العقبة والقاع بقرب الجادّة. وحُمران: ماء في ديار بكر.

(٤) صُهبة الشعور: ما كان فيها حمرةٌ أو شقرةٌ.

هوائِها وفرطِ شعاعها وزكاءِ أرضِها وعذوبةِ مائِها وحُسنِ عِشْرةِ أهلها، فرشهم الحريرُ والديباجُ وأوانيهم الذهبُ وكيتَ وكيتَ واللهُ أعلمُ.

وأمّا الهندُ فصرودُ[1] وجرومٌ[2]، وأوّلها قشميرُ وهي خمسةٌ وأربعون مِصْراً ممصَّرةً كلُّ مصرٍ تشتملُ على حدودٍ ومُدنٍ، وكلُّ مدينةٍ لها سوادٌ وقُرىً، ومنها جبالٌ وشعابٌ ومفاوزٌ، وكلُّ ذلك للملكِ خاصّةً والناسِ حرّاثوه وأكْرَته[3]، قالُوا: وفي الملكِ للخمّارين ستّونَ ألفِ جاريةٍ حانيّةٍ وموظّفٍ عليهم أن يكنسُوا الميدانَ ويرشّوهُ إذا أرادَ الملكُ الضربَ بالصوالجة؛ ودينهُم البرهمّيةُ، وزيُّهم تطويلُ الشّعرِ الغالبُ عليهم البياضُ لبردِ هوائهم، وفيهم علمُ النجومِ والطبِّ والشعبذةِ والسِحْرِ قالُوا: وشرقُ قشميرَ خُتَنٌ وتبتٌ والصينُ، وجنوبُها مملكةُ كورٍ وشمالُها بلورلوب ووَخانُ، وغربُها كابلُ وغزنةُ، ولهُمْ الأنهارُ والعيونُ والقِنيُّ والأبارُ وعندَهم من أصنافِ الدوابِّ والطيرِ والألوانِ من الأطعمةِ والثمارِ، وأمّا جرومُ الهندِ فجزائرٌ وسواحلٌ حتّى تتّصلُ بأرضِ الصينِ فمن مدنِها الكبارُ: قنوجُ وقندهارُ وسرنديبُ وسندانُ ألفُ وثلاثمائة وسبعون جزيرةً عامرةً فيها المدنُ والقُرى غيرُ السواحلِ، قالُوا: وأوّلُ شرقيّ بحرِ الهندِ مكران[4] وآخِرُه بلادَ الصينِ، وأوّلُ غربيّه عدنٌ وآخرهُ بلادُ الزنجِ، وهمُ قومٌ خلافُ الزنجِ والهندِ يمطرونَ في الصيفِ ولا يمطرون في الشتاءِ، وعامّةُ طعامِهم الأرزُّ والذُرةُ، ومشاربُهم من مستنقعاتٍ يجتمعُ فيها ماءُ المطرِ يسمّونها تلاج، وليسَ عندَهم من الفواكهِ ما لأهلِ قشميرَ، والغالبُ عليهم السُمرةُ والصفرةُ، ودينهمُ البرهميّةُ والسمنيّةُ، وملكُهم الأعظمُ يُقالُ له بلهرا تفسيره: ملكُ الملوكِ، وإنّ في الجزائرِ ملوكاً لا يطيعُ بعضُهم بعضاً ومشارقُ الهندِ الصينُ وقشميرُ، وشمالهم السندُ، وجنوبُهم بلادٌ مُحرِقةٌ مجهولةٌ وبحارٌ، ومغاربُهم الزنجُ والرانجُ واليمنُ، وأمّا تبتُ فهم صنفٌ بين التّركِ والهندِ زيُّهم زيُّ أهلِ الصّينِ لهم فطسُ التركِ وسُمرةُ الهندِ، وفيهم الكتابةُ والحسابُ والنجومُ، وأرضُهم أرضٌ باردةٌ مشرقُها الصينُ، وشمالُها التركُ، ومغربُها وَخانُ وراشت، وهي أعالي خُراسان، وجنوبُها قشميرُ، وأعظمُ مُدنِها خُتَنٌ بلدتين غيرين، فيه من ألوانِ الثمارِ والفواكهِ، وعامّةُ لباسِهم وفرشِهم القزُّ، وهمُ عبدةُ الأصنامِ، وبختنُ جماعةٌ من ولدِ

---

(١) صرود: الأراضي الباردة.

(٢) جروم: الأراضي الحارّة.

(٣) أكْرَته: حفّاروه.

(٤) مكران: بلاد ساحلية في جنوب بلوجستان (باكستان الغربية) «منجد الأعلام/ ٦٨١».

الحسين بن علي عليهما السلام، ولهمُ بها مساجدُ، وفي كتابِ البلدانِ والبنيان مَن دَخلَ تُبتَ لم يزلْ مسروراً ضاحِكاً حتّى يخرجُ، وأمّا ياجوجٌ وماجوجٌ فصنفٌ بينَ الصّينِ والتّركِ الغالبِ عليهمْ خَفَشُ العيونِ وفطسُ الأنوفِ وقصرُ القامةِ جنوبُهم الصينُ، وشمالهم التركُ، ومغاربُهم مشارقُ قشميرَ وتبتَ فلا يُدْرَى ما في مشارقِهم وهَمْ أَسْوءُ النّاسِ عيشاً، وأخبثُهم طعماً، وأخرقهُم خُرقةً، وأقلُّهم تمييزاً وفطنةً كما يزعمون، وقَدْ ذكرَهم اللهُ عزَّ وجلَّ في القرآنِ المجيدِ والكتابِ الكريمِ، ووصفهم العلماءُ بصفاتٍ قد بيّنّاها في مواضعها؛ وأمّا التركُ فهم عددٌ كثيرٌ، وبلادهمْ واسعةٌ، وممالكهم متفرّقةٌ، وقبائلُهم لا تُحصى: منهم أهلُ وبرٍ وأهلُ مدرٍ، جنوبُهم تبتُ وبعضُ الصينِ، ومشرقُهم الصينُ وياجوجُ وماجوجُ، ومغربُهم ما وراءَ النّهرِ من مُنبعثِ جيحونَ إلى مَغيضهِ، وشمالهُم التغزغزُ، وهُمْ صنفٌ منهم، وأصنافٌ من النّاسِ من أخلاقِ البهائمِ والسباعِ متوحشةٌ زَعِرةٌ[1]، ثُمّ يلي شمالَ هؤلاء فيافٍ ومجاهيلٌ وأراضٍ باردةٌ لا يعلمُ ما فيها إلاّ اللهُ عزَّ وجلَّ، وحدُّ بلادِ التركِ ينتهي إلى أحدِ جوانبِ بحرِ الرّومِ، وينتهي إلى بحرِ جرجانَ، وسمعتُ أبا عبدِ الرحمن الأندلسيّ بمكةَ حرسَها الله يُحدّث أنّها ركضتْ راكضةٌ من التّركِ على بعضِ حدودِ الأندلسِ، وسبَوْا منه، واستاقوا السوائمَ، وأنّه تبعهم الطَلَبُ فظفروا بواحدٍ منهم فقالُوا فذاكَ أوّلُ ما رأينَا من التّركِ البياضُ والفطسُ، وفيهم الثنويّةُ والنّصارىَ وعبدةُ الأوثانِ والشمسِ، واكثرُ بلادِهم باردةٌ قالوا: وفي التغزغز ملكٌ له خيمةٌ من ذهبٍ مركبةٌ كالوطيسِ[2] يُرى تلك من فوقِ قصرهِ على خمسِ فراسخ يعبدُها قومٌ منهم، وبلادُهم سهليّةٌ قلَّ ما يقعُ الثلجُ ويشتدُّ الحرُّ في الصيفِ حتّى يسكن أهلُها في أسرابٍ، وربّما جاءتِ الحيّةُ هاربةً من الحرِّ فُتساكنهم، ولهُمْ أنواعُ الفواكهِ وألوانُ الثّمارِ قالُوا: وخِيرخيز أيضاً لهم المزارعُ والأشجارُ، وملكُ خرخيز خاقان قالُوا: ومن الطرازِ[3] إلى التغزغز مسيرةُ شهرٍ، من التغزغز إلى خرخيز مسيرةُ شهرٍ، وسائرُ التركِ قبائلٌ وأحياءُ كلُّهم يرون الطاعةَ لملكِ الصينِ بالاسمِ، قالُوا: ويجاورُ التركَ الخزرُ روس وصقلاب[4] وولجُ والانُ والرومُ وأصنافٌ كثيرةٌ من أشباههِم، والطريقُ إليهم في البّر

---

(١) زَعِرة: خاطفة ماردة.

(٢) الوطيس: التنُّور وما أشبهه لأنّه كالهزْم في الأرض.

(٣) طراز: بلد قريب من إسبيجاب من ثغور الترك وهو قريب من الذي قبله. «معجم البلدان ٤/ ٣٠».

(٤) صقلاب: قال ابن الأعرابي: الصقلاب: الرجل الأبيض، وقال أبو عمرو: الصقلاب: الرجل الأحمر، وقال أبو منصور: الصقالبة: جيل حمرُ الألوان صُهْب الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم «معجم البلدان ٣/ ٤٧٢».

من خوارزم إلى بلغارَ[1] ومن بابِ الأبوابِ وفي البحرِ من عابسكين، فأمّا الخزرُ فعامّتهُم يهودُ يشتونَ في المدنِ، ويصيفون في الخيامِ، وأمّا روسُ فإنّهم في جزيرةٍ وبيئةٍ تُحيطُ بها بحيرةٌ، وهي حصنٌ لهُمْ ممن أرادهمْ، وجملتُهم في التقديرِ زُهاءَ مائةِ ألفِ إنسانٍ، وليسَ لهم زرعٌ ولا ضرعٌ، يُتاخِمُ بلدهُم بلدُ الصقالبةِ فيغيرونَ عليهم، ويأكلونَ أموالهم، ويسبونهم قالُوا: وإذا وُلِدَ لأحدٍ منهم مولودُ أُلقي إليه سيفٌ، وقيلَ له: ليس لك إلاّ ما تكسبُه بسيفك، ولهُمْ ملكٌ إذا حكمَ بين الخصمَيْن بشيء فلم يرضيا به قالَ تحاكما بسيفكما فأيُّ السيفَيْن كانَ أحدُّ كانتِ الغلبةُ له، وهُمْ استولوا على برذعةَ سنةً فارتكبُوا من الإسلامِ، وانتهكُوا من محارمِهم ما لم يَسبُقْه إليه أحدٌ من أهلِ الشِرْك فقتلَهم الله عزَّ وجلَّ كلَّهم بالوباءِ والسيفِ، قالُوا: وبلادُ الخزرِ يُتاخمُ بلادَ ملكِ السريرِ[2]، وله قلعةٌ على رأسِ جبلٍ شاهقٍ يحيطُ به سورٌ من حجارةٍ لا طريقَ إليها إلاّ من بابٍ، وله سريرٌ من ذهبٍ وسريرٌ من فضّةٍ توارثَهما من آبائه يذكرون أنّهما فيهم من ألوفِ سنين، والملكُ وحاشيتُهُ نصارى، وسائر أهلِ مملكتهِ عبدةُ الأوثانِ، وصقلابُ أكبرُ من الروسِ وأوسعُ خيراً. وفيهم عبدةُ الشّمسِ والأوثانِ، وفيهم مَنْ لا يعبدُ شيئاً؛ وولجُ والانُ ليسا بالكثيرين في العددِ، وأمّا الرومُ فمشارقُهم وشمالهُم الترك والخزرُ والروسُ، وجنوبهُم الشامُ والاسكندريّةُ، ومغاربهم البحرُ والأندلسُ وطنجةُ وما يليها، وكانتِ الرقّةُ بعضاً من حدودِ الرّومِ أيّامَ الأكاسرةِ والشاماتُ ودارُ الملكِ انطاكيةُ إلى أن نفاهُم المسلمون إلى أقصى بلادِهم قالُوا: والرُوم أربعةٌ وعشرون عملاً على كلِّ عملٍ جندٌ وعاملٌ وديوانٌ جندهُم مائةُ ألفٍ وعشرون ألف مقاتلٍ على كلِّ عشرةِ آلافِ بطريق[3]، وعلى كلِّ خمسةِ آلافِ طرموخٌ، وتحتَ يدِ كلِّ بطريقٍ طرموخانُ: وهو اسمُ قائدِ الجيوشِ والمُدبِّر لها دُمستق، وأكثرُ اعطائهم مقاتلهم في السنةِ أربعون رطلاً ذهباً، وأقلُّها اثنا عشر مِثقالاً، ودينُهم النصرانيّةُ، ومذهبُهم النسطوريّةُ، وفيهم الحُسابُ والحكماءُ والمنّجمون والأطبّاءُ والحذّاقُ بعملِ الطلسماتِ[4] والمنجنيقاتِ وعجائبِ الصِيغةِ، ولهم صباحةٌ وشقرةٌ ونظافةٌ؛ وبلادُهم بّريّةٌ بحريّةٌ سهليّةٌ جبليّةٌ باردةٌ،

---

(١) بُلْغار: مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال، بينها وبين تل مدينة الخزر نحو شهر «معجم البلدان ١/ ٥٧٦».

(٢) السرير: موضع في بلاد كنانة، وملك السرير مملكة واسعة بين اللان وباب الأبواب، وليس لها إلا مسلكين مسلك إلى بلاد الخزر، ومسلك إلى بلاد أرمينية. «معجم البلدان ٣/ ٢٤٧».

(٣) البِطْرِيق: القائد من قوّاد الرّوم.

(٤) الطلسمات: خطوط أو كتابة يستعملها السّاحر ويزعم أنه يدفع بها كلَّ مؤذٍ (يونانية).

وفيهم يهودٌ ومجوسٌ يأخذون منهم الجزيةَ، ويأخذون من سائرِ النّاسِ سِوَى خراجِ الضّياعِ والأعشارِ والصدقاتِ من كلِّ بيتٍ توقدُ فيه النارُ درهماً واحداً، وأكثرُ غلمانِ الملكِ التركُ والخزرُ، ويسترقُّ من الرومِ ما شاءَ، قالُوا: وأعظمُ مُدنِهم الروميّةُ، وفيها أربعون ألفِ حمّامٍ ومنزلِ ملكِهم قسطنطينيّة، قالُوا: ومن وراءِ الرّومِ ممالكٌ لا يُعظمون الطاعةَ لملكِ الرومِ ولا ينقادونَ له، والحربُ بينهم طولُ الصّيفِ قائمةٌ فإذا هجمَ الشتاءُ سَدَّ مسالكَهم الثلجُ.

وأمّا البربرُ فإنّهم من العمالقةِ الذين كانوا نزولاً بأرضِ الشام وفلسطين فلّما قاتَلهم يوشعُ بن نون وقُتِلَ منهم مَنْ قُتِلَ انحازتْ بقيّتهم إلى أعالي المغربِ فهمُ اليومَ نزولٌ بينَ قصرِ ابن بايان إلى برقة[1] وقيروان في الرّمالِ والجبالِ والسواحلِ، اصحابُ قناطرٍ وأعمدةٍ، وفيهم جفاءٌ وجلادةٌ، ويُقالُ: إنَّ جالوتَ الذي قتلَه داودُ النبيّ عليه السلام كانَ منهمْ، وفيهمْ شِرْكٌ وإسلامٌ والسبي الذي يُجلبُ منهم مَن دارِ شركِهم، وفي حافاتِهم أصنافٌ من السودانِ يُقالُ زغلٌ وزغاوةٌ ومن ثمّ يُحملُ هؤلاء الخصيانُ السودُ.

وأمّا الحبشةُ فقومٌ سودٌ، وبلادُهم مُحرقةٌ سهولٌ وسواحلٌ، دينهمُ النصرانيّةُ طعامهُم العسلُ والذُرةُ، ومشارقهُم الحجازُ، ومغاربُهم البحرُ، وبأرضهم يُقنصُ هذه الزرافاتُ.

وأمّا البشريةُ فإنّهم قومٌ سودٌ بلادُهم حارّةٌ، وماءُهم من النيلِ، ودينُهم النصرانيّةُ، وهم أصحابُ الخيامِ منهم البجةُ[2]، وفوقُهم موضعُ يُقالُ له عبراتُ السلاحفِ قالوا لا نكاحَ بينَ أهلِها، ولا يعرفُ الولدُ أباه، ويأكلونَ النّاسَ والله أعلمُ.

وأمّا الزنجُ فقومٌ سودُ الألوانِ فُطسُ الأنوفِ جِعادُ الشعرِ قليلو الفهمِ والفطنةِ مشارقُهم مغاربُ الهندِ، ومغاربهم البحرُ، وأرضهم أرضٌ متخلخلةٌ منهارةٌ لا تحملُ نباً ولا تنبتُ شجراً، يُجلبُ إليهم الطعامُ والثيابُ، ويُحملُ من عندَهم الذهبُ والرقيقُ والنارجيلُ.

وأمّا بلادُ الإسلامِ فواسعةٌ بحمدِ اللهِ ومَنّهِ عريضةٌ واسعةٌ وهي ممالكٌ فأوّلها: الحجازُ دارُ النبيّ ﷺ ومبعثُ الإسلامِ، مشرقهمُ العراقُ، مغربهم بلادُ مصرَ، وشمالهمُ الشامُ، وجنوبهمُ اليمنُ والحبشةُ ونجدُ ما ارتفعَ منها وتهامةُ ما تطاءُ من نحو البحرِ، فمكّةُ حرسَها الله من تهامةَ، والمدينةُ من نجدٍ، وهي بدو وحضرُ فمن مُدنِ الحضرِ: مكّةُ والطائفُ والجُدّةُ

---

(١) برقة: هي المنطقة الشرقية من جمهورية ليبيا العربية من مدنها بنغازي ودرنة «منجد الأعلام/ ١٢٦».

(٢) البُجة: قبائل تعيش بين النيل والبحر الأحمر وبين القاهرة وحدود السودان معظمهم لا يتكلمون العربية «منجد الأعلام/ ١١٨».

والجُحفة[1] والمدينةُ ووادي القُرى وخيبرُ ومَدْين وأيلةُ[2] وتُبالةُ ومُدنٌ آخرُ صغارٌ مثلُ بدرٍ والفرعِ والمروةِ وفدكِ والرّحبةِ[3] والسيّالةِ والربذةِ، ومن المُدن بالحجازِ تيماءُ وحصنُها الأبلقُ ودُومةُ الجندلِ وحصنُها ماردُ وفيها تقولُ الزباءُ[4] تمرّد ماردُ وعزَّ الأبلقُ، وقُرى كثيرةٌ غيرُ ما ذكرنا، وأمّا البدو القبائلُ وأصحابُ الخيامِ وبدوهم أكثرُ من حضرهم.

اليمنُ قالُوا: وكانتْ أعمالُ اليمنِ مقوسمةً على ثلاثةِ ولاةٍ: والٍ على الحرمِ ومخاليفها، ووالٍ على حضرموتَ ومخاليفها وهي أوسطها، وأطيبُ بلادها وأبردُها وأكثرُ ما ارتفعَ من أموالِها ما جباهُ بعضُ عُمّال بني العبّاسِ ستّمائة ألفِ دينارٍ، وأهلُها قومٌ فيهم جهلٌ وغباوةٌ وسلامةُ الصدرِ وضعفُ الحالِ، واكثرُ فواكههم الموزُ، وعامّةُ لحومهم لحمُ البقرِ، وفي مشارقِ سواحلِهم صحار[5] ومسقطُ وسقوطرا وشحر[6] محلب، ومن عندهم اللبانُ والصَبِرُ، وهمْ قومٌ ضِعافُ الحالِ سَيّوءُ العيشِ قليلو الخيلِ والصناعاتِ، ولهم لغةٌ لا يفهمها غيرهم، وتليهم الاحسا وهي من أرضِ العربِ قد استوطنَها القرامطةُ اليومَ.

الشامُ وهي أربعةُ أجنادٍ: جُندٌ من حمصَ، وجندُ دمشقَ، وجندُ فلسطين، وجندُ الأردُنّ ولكلِّ جندٍ عَمَلٌ يشتملُ على عِدّةِ مُدنٍ وقُرى، وفيها العجائبُ والمساجدُ لأنّها أرضُ الأنبياءِ عليه السلام فشرقيُّ الشامِ غربيُّ الفراتِ وغربيُّ الشّامِ ساحلُ الرومِ، وشمالهُ جبالُ الرومِ، وجنوبهُ فلسطينُ والأُردنُّ، وبعض الباديةِ، فمدينةُ الأردنِّ الطبريّةُ والرملةُ وبيتُ المقدسِ من سوادِ رملةِ وكانَ دارُ ملكِ سليمان وداود.

عملُ مصرَ مسيرةُ شهرٍ في مسيرةِ شهرٍ طولها من رفح إلى أسوان من حدِّ النوبةِ[7]،

---

(١) الجحفة: قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، «معجم البلدان ٢/ ١٢٩».

(٢) أيلة: ميناء أردني في شمال العقبة على البحر الأحمر، يقوم على انقاض أيلة الرومانية. «منجد الأعلام/ ١٠٢».

(٣) الرّحبة: آثار مدينة على الفرات الأوسط، وتعرف أيضاً برحبة الملك. «منجد الأعلام/ ٣٠٥».

(٤) الزّباء: ملكة تدمر «زنوبيا» عرفت تدمر في عهدها أوج عزها، ماتت في روما بعد أن أسرها إمام انطاكية «منجد الأعلام».

(٥) صُحار: مدينة ومرفأ على ساحر عُمان، ازدهرت تجارتها مع اليمن والصين في أوائل العهد العباسي. «منجد الأعلام/ ٤٢٢».

(٦) شحر: بلاد ساحلية في حضرموت (اليمن الشعبي) فيها شجر اللبان. «منجد الأعلام/ ٣٨٥».

(٧) النّوبة: منطقة أفريقية تمتد على شاطىء النيل بين أسوان ودنقله (السودان) «منجد الأعلام/ ٧١٥».

وعرضُها من برقة إلى أيلةِ وهي من بلادِ مقدونية يونان، وماءُها من النيلِ، وكانتِ المدينةُ في القديمِ عينُ الشمسِ ثم صارت الفسطاطُ من مصرَ إلى اسكندرية ثلاثون فرسخاً وما وراءَ ذلك من حدِّ المغربِ وما فوقَ اسوانَ من حدّ النوبةِ وما فوقَ رفحٍ من حدِّ فلسطينَ، وكانَ خراجُ مصرَ زمنَ فرعونَ ثمانيةَ وعشرين ألفَ دينارٍ وجباه بنو أُميّة ألفي ألف وثمان مائة ألف دينارٍ.

المغربُ: من الاسكندريةِ إلى برقةِ مائتا فرسخ وبُرقةُ أوّلُ مدينة من مُدن المغربِ وهي حمراءُ شديدةُ حُمرةِ التربةِ موضوعةٌ في صحراء محفوفةٍ بالجبالِ، ومنها إلى الأفريقيةِ، وهي القيروانُ العَلَوِيُّ المهديُّ مائةُ وخمسون فرسخاً عماراتٌ متّصلةٌ: حضرُها المغاربةُ، وبدوها البرابرُ، ومن المهديّةِ إلى السوسِ مسافةُ أيّامٍ كلُّ هذا في يد العَلَويّ: وهو من أولاد ادريس بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلواتُ الله عليه؛ ثم ما وراءَ ذلك في يد ابن رستم الاباضيّ: وهو رجلٌ من الفُرس يرى رأي الخوارجَ، ويُسلّم عليه بالخلافةِ، ومن افريقيةَ إلى تاهرت[1] مسيرةُ شهرٍ، ثمّ ما وراءَ تاهرت في يدي الأموية عبد الرحمن بن معاوية بن ولدِ هشام بن عبد الملك بنِ مروان وهي طنجةُ ولنجة واندلسُ، وعملُ طنجة مثلُ عملِ مصرَ مسيرةُ شهرٍ في شهرٍ وهي متاخمةُ شمالَ الرومِ، ومجمعُ البحرينِ الذي يجري فيه السُفُنُ والذي لا تجري، وفي جنوبِ المغربِ السودانُ زغلُ وزغاوةُ إلى النوبةِ والحبشةِ ومغاربِ طنجة البحرُ الأخضرُ المُظْلمُ الذي لا يركبُه أحدٌ ولا يعلمُ أحدٌ ما وراءَه ويقابلُ طنجة واندلسُ وافريقية جزائرٌ من البحرِ فيها عماراتٌ ومُدُنٌ وأكثرها من عمل الروم.

العراقُ: شرقيُّ الحجازِ طوله مائةُ وعشرون فرسخاً من عقبةِ حُلوان[2] إلى العُذَيْبِ[3]، وكانتِ الأكاسرةُ ينزلون المدائنَ إلى أن جاءَ الإسلامُ وجباها سهلُ بن حُنَيْف[4] زمنَ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه مائةَ الفِ ألفٍ وثمانية وعشرين الفِ الفِ درهمٍ،

---

(١) تاهرت: أوتيارلت: مدينة قديمة في الجزائر عاصمة الرستميين. «منجد الأعلام/ ١٨٢».

(٢) حُلوان: مدينة قديمة في العراق العجمي (إيران) هي فالمانو القديمة. «منجد الأعلام/ ٢٥٧».

(٣) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً «معجم البلدان ٤/ ١٠٣».

(٤) انصاري أوسي يكنى أبا سعد وقيل أبا الوليد وأبا ثابت شهد بدراً والمشاهد كلها مع الرسول الكريم (ﷺ) صحب علي بن أبي طالب حين بويع، وشهد معه صفين، مات بالكوفة (٣٨ هـ) «أسد الغابة ٢/ ٣١٨».

وجباها الحجّاج[1] ثمانيةَ عشرَ الفِ الفِ درهمٍ، وليس فيها مائةُ الفِ الفِ درهمٍ تُراجع إلى هذا المقدارِ في مُدّةِ أربعين سنةٍ وزيادة، مُدْنُها الكبارُ أربعٌ: الكوفةُ والبصرةُ وواسطُ وبغدادُ، وليسَ بالعراق ماءٌ جارٍ إلاّ بالسواقي والدوالي غيرُ عينِ البصرةِ فإنّ المدَّ يسقيها، والبطائحُ دونَ واسطٍ[2] بعشرين فرسخاً، وهي ثلاثون فرسخاً في ثلاثين فرسخاً وكانتْ هذه البطائحُ في القديمِ قُرىً عامرةً ومزارعَ متصلةً، والماءُ يجري من دجلِة العوراء يمرُّ بين يدي المذارِ وعبدسي وفم الصلح حتّى يأتي المدائن، والسُفُن تجري فيها من أرضِ الهندِ إلى المدائنِ، ثمّ خدّت الأرض[3] حتّى مرّتْ بين يدي واسط قبلَ أن يكونَ واسطُ فجعلتْ بذلك الضياعَ بطائح قبلَها جوخَى بينَ المذارِ وعبدسي فصارتْ صحارَى، وسُميّتْ تلك دجلةُ العوراءُ لتحوّلِ الماءِ عنها، وأنفق كِسرى مالاً عظيماً على أن يحوّلَ الماءَ إلى دجلةَ العوراءِ فأعياه ذلك، ورام بعدهَ خالدُ بن عبد الله[4] فأعجزه.

الجزيرة ما بينَ دجلة والفرات فمنها سروجُ ورها وعينُ شمسٍ ودارا ونصيبين وآمِدُ وبرقعيدُ وبلد الموصلِ وبالسُ ورقّةُ وهيت والرحبةُ أعلاها أرمينيّةُ.

السوادُ سوادان سوادُ الكوفةِ وسوادُ البصرةِ، وسُمّي سورستان طولُها من حدِّ الموصلِ إلى آخرِ الكوفةِ المعروفةِ ببهمن اردشير على فراتِ البصرةِ مائةُ وخمسةُ وعشرون فرسخاً، وعرضُها ثمانون فِرسخاً من عقبةِ حُلوانِ إلى العُذَيْبِ ممّا يلي الباديةِ يكونُ ذلك مكسّراً عشرةَ آلافِ فرسخ، والفرسخُ اثنا عشرَ الفِ ذراعٍ، كلُّ ذلك مستعمرٌ مستنزلٌ، وكانَ مبلغُ خراجِ السوادِ مائةَ ألف ألفِ درهمٍ وخمسين ألفِ ألفِ درهمٍ، ولم يزلْ على المقاسمةِ في أيّامِ قُباذ بن فيروز الملك فإنّه مسحَها، ووضعَ الخِراجَ عليها وبعثَ عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه عثمانَ بن حنيفٍ[5] فمسحَ السوادَ فوجده ستّة وثلاثون ألف ألفِ

---

(١) الحجّاج: هو الحجّاج بن يوسف الثقفي: قائد عربي ولد في الطائف واشتهر بولائه للبيت الأموي أسس مدينة واسط في العراق وتوفي فيها سنة (٩٥ هـ). «منجد الأعلام/ ٢٢٩».

(٢) واسط: محافظة في العراق قاعدتها الكوت. لها خمسة أقضية: الكوت ـ الصويرة ـ النعمانية ـ الحي ـ بدرة. «منجد الأعلام/ ٧٣٩».

(٣) خدّت الأرض: جعلت فيها أخاديد.

(٤) يلقّب بالقسري، وهو أمير من قبيلة بجيلة، ولي مكة في عهد الوليد، اشتهر بحزمه واصلاحاته الاقتصادية عزله هشام وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي (ت ١٢٦ هـ). «منجد الأعلام/ ٢٦٥».

(٥) أنصاري أوسي، يكنى أبا عمرو وقيل أبا عبد الله، شهد أحداً وما بعدها، استعمله عمر بن الخطاب على سواد العراق وعليّ على البصرة، سكن الكوفة، روى عنه أخوه سهل وهانىء بن معاوية وغيرهما=

جُريب[1] فوضع على كلِّ جريبٍ درهماً وقفيزاً.

آذربيجان وأرمينيّة هي شمالُ الجبلِ والعراقِ، مشارقهُم جُرجانُ، ومغاربُهم الرومُ، شمالهم أصنافُ أهلِ الشّركِ لأنّه يُقالُ: إنّ وراءَ بابِ الأبوابِ اثنين وسبعين فرقةً من الكُفّارِ فمن مدنِها الكبارِ اردبيلُ ومراغةُ وموقانُ وبرذعةُ وتفليسُ، وثغورُها ثغورُ أهل الشّام وأهلِ الجزيرة وهي تسمّى العواصمُ فمنها قالى قلا وسُميساط[2] واخلاط وقِنّسرين[3] وكذلك طرسوس وعين زربة وآدنه والمصبصة.

الأهوازُ طولها من سفحِ جبالِ ايناان إلى شطِّ البصرةِ، وعرضها من حدِّ واسطَ إلى حدِّ فارسَ، ومدنُها الكبارُ ستٌّ: كورُ تستَر وجندي سابور والسوسُ والعسكرُ ورامُ هرمزٍ ونفسُ مدينةِ الأهوازِ، وكان يبلغُ خراجُها أيّامَ الأكاسرةِ مائةَ ألفِ ألفِ درهمٍ وخمسين ألفِ ألفِ درهم وافٍ، وحُكى أنّها جُبِيَتْ في بعضِ الأوقاتِ ألفَ حملِ فضّةٍ.

فارسُ: طولُها مائةُ وخمسون فرسخاً في مائة وخمسين فرسخاً منها صرودٌ وجرومٌ وجبالٌ وسهولٌ وسواحلٌ، وكورُها في الأصل أربعُ كُورٍ اصطخرُ وسابورُ ودارابجرد، واردشيرُ خرّه، فمدينةُ أردشير خرّه شيرازُ، ومدينةُ دارابجرد فسا، ومدينةُ سابور نوبندجان، ومدينةُ اصطخر البيضاءُ، وخراجهُا أربعةُ وستّون الفِ الفِ درهمٍ وافٍ ويتاخمها كرمانُ.

كرمان وسجستان ومكران وما فوقها؛ أمّا كرمانُ ففيها صرودٌ وجرومٌ وعيونٌ وأوديةٌ، وأعظمُ مدنها أربعُ بزماسير[4] وبمُّ وجِيرفتُ ودار الملكِ المعروف بالسيرجان، ويتاخمُها بلادُ مكرانَ وسجستانَ؛ فأمّا مكرانُ: فإنّها تمتدّ إلى قيقان من أرضِ السندِ، وفيه مدنٌ وكورٌ كثيرةٌ، ثُمّ إلى مولتان[5] تسمّى فرج بيتِ الذهبِ لأنّ محمّدُ بن يوسف لمّا افتتحها أصابَ بها أربعينَ بُهاراً من الذّهبِ، والبُهارُ: ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون منًّا ذهباً، ثمّ يتّصلُ حدودُ مولتان بحدودِ الهندِ؛ وأمّا سجستان فمشارقُها أرضُ كابلُ، ومغاربُها كرمانُ، وجنوبُها مكرانُ

= «أسد الغابة ٣/ ٤٧٣».

(١) الجُريب: مكيال قدر أربعة أقفزة «القاموس المحيط ج ١/ ٤٧».

(٢) سُميساط: مدينة سورية على الفرات، هي اليوم قرية سمراط في جنوب تركيا، «منجد الأعلام/ ٣٦٦».

(٣) قنّسرين: قرية في سورية تعرف باسكي حلب. «منجد الأعلام/ ٥٥٧».

(٤) بزماسير: مدينة مشهورة من أعيان مدن كرمان بينها وبين بمّ مرحلة. «معجم البلدان ٥/ ٣٥٥».

(٥) مولتان: بلد في بلاد الهند على سمت غزنة. «معجم البلدان ٥/ ٢٦٣».

وقيقانُ، وشمالها قهستانُ وخراسان وتتاخمُ سجستانُ بلدَي الرور والرّخج وبُست[1]، وهذه النواحي تتاخمُ أرضَ غزنة، وقدْ ظهرَ في نواحٍ يُقالُ لها خشابجي معدنُ الذهبِ يحفرون الآبار، ويُخرجون من الترابِ الذهبَ، وظهرَ هذا في سنةٍ تسعين وثلاثمائة، وزِيد هذا الفصلُ في هذا الكتابِ لأنّه من العجائب، ثمّ يرتفعُ إلى فنجهير وهي معادنُ الفضّةِ إلى اندراب وبذخشان[2] ووخان، ثمّ يتصاعدُ إلى تُبت ومن تبت إلى المشرقِ وفي شمالِ تبت والرُخّج الغُورُ: وهي جبالٌ شامخةٌ يخرقها نهرُ زرنج، وفي جنوبِها أرضُ السند.

الجبل: وهي من شرقيّ العراقِ وغربيّ خُراسان، أدناها إلى العراقِ حُلوانُ ثمّ قرماسين ثم الدينورُ ثم همذانُ ونهاوند يسمّى ماءُ البصرةِ، وفي شمال هذه النواحي اذربيجانُ، وفي جنوبها ماسبذانُ والسيروانُ ومدينةُ مهرجان قذق، وهذه المدنُ بين العراقِ والأهوازِ والجبلِ وما يلي أرضِ فارسَ من الجبلِ الكرَجُ واصبهانُ وما بينها آخرُ عملِ الجبلِ ممّا يلي خُراسانَ الريّ وقزوين ثمّ في شمالها متصاعداً جرجانُ وطبرستان والجيل والديلمُ، فالديلمُ لهم الجبالُ، وهُمْ أقلُّ عدداً من الجيلِ، والجيل لهم سواحلُ بحر عابسكين، وفي مشارقِ الريّ قومس[3]، ثمّ يمرُّ متصاعداً حتّى يدخلُ حدودَ خُراسان، قالُوا: وبني الحدّيْن تلٌّ لمّا أوفَى عبدُ الله بن طاهرٍ[4] خُراسانَ والياً عليها وقفَ على ذلك التلِّ ونادى: يا أهلَ خُراسان لا أجيبكم حتّى أحميكم.

خُراسانُ: طولهُ من حدِّ الدامغانِ إلى شطِّ نهر بلخ، وعرضه من حدِّ زرنج إلى حدِّ جرجان ومدنها الكبارُ أربعٌ، نيسابورُ ومرو وهراةُ وبلخُ، ثمّ فوقَ بلخَ إذا لم يعبرِ النهرُ ممالكٌ منها: طخارستانُ وختلُ وشغنان وبذَخشانُ إلى حدودِ الهندِ من نحو باميان، وإلى حدودِ تبت من نحو وخان، وإن عبرتَ النهرَ أدّاك إلى الصغانيين من الترمذِ إلى نخشبِ وكميد وراشت، تتاخم بلاد الترك الخرلخيّة ومن قِبَلهم يجيئهم الماءُ، وأمّا ما وراءَ النهرِ فممالكٌ واسعةٌ منها سمرقندُ وفرغانةُ والشاشُ واسبيجابُ ودارُ الملكِ بخارا، وأمّا المدنُ

---

(١) بُست: مدينة قديمة في أفغانستان على ملتقى الطّرق بين بلوجستان والهند. «منجد الأعلام/ ١٣١».

(٢) بذخشان: بلاد جبلية تقع على الضفة اليسرى من مجرى أموديا الأعلىٰ اصبحت جزءاً من جمهورية نادجكيستان «منجد الأعلام».

(٣) قومس: كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرىٰ ومزارع، قصبتها المشهورة دامغان، وهي بين الري ونيسابور، من مدنها المشهورة بسطام وبيار. «معجم البلدان ٤/ ٤٧٠».

(٤) من أبناء طاهر بن الحسين ومن أشهر الولاة في عهد المأمون العباسي، خلف أخاه طلحة في حكم خراسان «ت ٢٣٠ هـ» «منجد الأعلام».

الصغارُ فكثيرةٌ مثلُ كشٍّ[1] ونسفُ وكُور سغد وإيلاقُ وخجندة[2] وفربُ وعلى شطّي جيحون إذا انحدرتَ على آمُل بلادِ خوارزم، وهي تتاخمُ بلادَ التركِ بالغربيّةِ ومن خوارزمَ إلى بلغارَ يُفضى إلى الخزرِ والرومِ، ومن وراء بابِ الأبوابِ وفي مشارقِ خوارزم التركُ، وما وراءَ النهرِ وفي جنوبهم مرو الروذ وابيورد ونسا، وفي مغاربهمِ البحرُ، وفي شمالهِم التركُ، فسبحانَ مَنْ أحصى هؤلاء الخلقَ عدداً، وقدّر لهم الأراضي والنواحي مستقراً وموطناً، وخالَف بين أهوائهم وإرادتِهم وهممهِم ولغاتهِم ومعاملاتهِم ومعائشهِم، فهم كلُّهم بعينِهِ وعينِهِ وفي قبضتِهِ وتحتَ قدرتِهِ لا يخفي منهم خافيةٌ عليه، ولا تغيبُ غائبةٌ، فهم بينَ مرضيّ عنه ومسخوطٌ عليه ومقربُ إليه ومقصي عنه، فلا المرضَى المقرّبُ آمنٌ من عقوبته وسطوتِهِ، ولا المقصى المسخوطُ عليه يائسٌ من عفوهِ ورحمتِهِ تباركَ اللهُ وتعالى كيفَ لاتحارُ الأفهامُ في عجيبِ تدبيرهِ وبديعِ تقديرهِ ومحكمِ صنيعهِ وفاضلِ قسمتهِ تكفّلَ بارزاقهم، ولم يخفَ عليه عددُ أنفاسهم، وجعلَ بعضَهم لبعضٍ فتنةً يبلو بهم صبرَهم وشكرَهم في مُعافٍ ومبتلٍ وفقيرٍ وغنيٍّ وضعيفٍ وقويٍّ وحسَنٍ ورميمٍ وعالمٍ وجاهلٍ دلالةَ منه بما يصنعُ على وحدانيّتِهِ ودعوةً إلى معرفةِ ربوبيّتِهِ، فلهُ الحمدُ بالاستحقاقِ والاستغناءِ، ومَنْ أحقّ بحمدهِ ممّن دعاهُ فأجابه وهداهُ فاهتدى به اللهمّ فالهمْنا التوفيقَ لبلوغِ رضاك واداءِ حقّك في إشاعةِ شكرك والقيامِ بلوازمِ فرضك، وعرّفْنا بركتَك باعطاءِ القوّةِ وزيادةِ النشاطِ في طاعتك وعبادتِك، ولا تجمع بيننا سُوءَ اختيارِنا وكثرةَ تفريطنا وبينَ من عاديناه فيكَ وناصبناه لدينك يا ارحمَ الراحمينَ وكم للناظرِ في هذا الفصلِ من العِبر والتنبيهِ إن كان ذا عقلٍ ودينٍ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ **﴿وقدّر فيها أقواتها في أربعةِ أيّام سواءً للسائلين﴾** [فصلت: ١٠] ويقول: **﴿قُلْ سيروا في الأرضِ فانظروا كيفَ بدأ الخلقَ﴾** [العنكبوت: ٢٠] ويقول سبحانه **﴿هو الذي جعلَ لكم الأرضَ ذَلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾** [الملك: ١٥] ويقول **﴿أفلم يسيروا في الأرضِ فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها﴾** [الحج: ٤٦].

---

(١) كشّ: مدينة في جنوب شرقي الاتحاد السوفياتي، منها خرج تيمورلنك «منجد الأعلام/ ٥٨٩».

(٢) خجندة: بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرق «معجم البلدان ٢/ ٣٩٧».

ذكرُ المساجدِ والبقاعِ الفاضلةِ والثغورِ:

مكّةُ: جاء في أخبارِ أهلِ الإسلامِ أنّ أوّلَ ما خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ في الأرضِ مكانَ الكعبةِ، ثمّ دَحا الأرضَ من تحتها فهي سُرّةُ الأرضِ ووسطُ الدنيا وأُمُّ القُرى، أوّلها الكعبةُ وبكةُ، وحول بكةَ مكّةُ وحولَ مكّةَ الحَرَمُ، وحولَ الحرمِ الدنيا، قالُوا: ولمّا هبطَ آدمُ إلى الأرضِ حزنَ على ما فاته من نعيمِ الجنّةِ فعزّاهُ اللهُ عنه بخيمةٍ من خيامِ الجنّةِ دُرّة مُجوَّفة فوضَعها في موضعِ الكعبةِ اليومَ، وجعلَ يطوفُ بها مع الملائكةِ، قالُوا: فلمّا كانَ زمنَ الغرقِ رُفعتِ الخيمةُ إلى السماءِ، وزعم وهبٌ: أنّ أوّلَ من بنى الكعبةَ بالطّينِ والحجارةِ شيث بنُ آدم عليه السلام، فلما كانَ زمنَ إبراهيم عليه السلام أمرهَ اللهُ تعالى ببناءِ البيتِ، وأرسلَ إليه السكينةَ وهي في هيأةِ سحابةٍ لها وجهٌ ولسانٌ وعينان تتكلّمُ فوقفتْ فوقَ موضعِ الكعبةِ، وقالَتْ: يا إبراهيم خُذْ على قدرِ ظلّي فبنى البيتَ على قدرِ ذلك الظل بقولِ الله عزّ وجلّ ﴿**وإذْ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربَّنا تقبَّل منّا إنّك أنتَ السميعُ العليمُ**﴾ [البقرة: ١٢٧]. قالوا: وليستْ أُمّةٌ في الأرضِ إلاّ وهم يُعظّمونَ ذلك البيتَ، ويعترفون بِقدَمِهِ وفضلهِ وإنّه من بناءِ إبراهيم الخليلِ عليه السلام حتّى اليهودُ والنصارى والمجوسُ، وقدْ قِيلَ: أنّ زمزمَ سُمّيتْ بزمزمة المجوسِ عليها وأنشدوا بيتاً: [سريع].

زمزمتِ الفُرْسُ على زمزمِ ذلك في سالفها الأقدمِ

قال الله تعالى ﴿**وأذّن في الناسِ بالحجّ يَأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ**﴾ [الحج: ٢٧] قالُوا: فلمّا فرغَ إبراهيمُ من بناءِ البيتِ نادى: يا أيُّها الناسُ إنّ الله كتبَ علكيم الحجَّ إلى بيتِهِ تحجُّوه، وبلّغَ اللهُ عزَّ وجلَّ صوتَه مَنْ كانَ في أرحامِ الأُمّهاتِ وأصلابِ الأباءِ فَمَنْ أجابَه ولبّاهُ فلا بُدَّ من أن يحجَّ، ومَنْ لم يُجِبْهُ فلا سبيلَ إلى ذلك، قالُوا: وأوّلُ من كسَا الكعبةَ تُبَّعٌ لمّا أتى به مالكُ بنُ عجلان إلى يثرب، وقَتلَ اليهودَ، ومرَّ بمكّةَ، وقَدْ أُخبرَ بفضلِها وشرفها فكساها الخصف[١]، ثمّ رأى في المنامِ أَنْ اكْسِها أحسنَ من ذلك فكساها الانطاع[٢]، فرأى في المنامِ أن أكسها أحسنَ من ذلك فكساها المغافرَ[٣] والوصائل[٤]، وأوّلُ من حلّى البيتَ

---

(١) الخصفُ: قطعة مما يخصف به النعلُ.

(٢) الأنطاع: جمع مفرده النطْعُ: وهو بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب.

(٣) المغافر: جمع مفرده المغْفر: وهو زردٌ يلبسه المحارب تحت القلنسوة.

(٤) الوصائل: جمع مفرده الوصيلة: وهي ثوب مخطط يماني.

عبدُ المطلبِ لمّا حفَر بئَر زمزمِ أصابَ فيه من دفنِ جُرْهُم غزالتَيْن من ذهبٍ فضربهما في بابِ الكعبةِ، ثمّ لمّا قامَ الإسلامُ كساها عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه القباطيَّ[1]، ثمّ كساها الحجّاجُ بن يوسف الديباجَ، ويُقالُ: أنّ أوّل من كساهَا الديباجَ الخسرواني يزيدُ بن معاوية، وأوّلُ من خلّق جَوْفَ الكعبةِ بالخَلوقِ عبدُ الله بن الزبيرِ، وأوّل من بناها بعدَ بناء إبراهيم عليه السلام أهلُ الجاهليةِ قبلَ مبعثِ النبيّ ﷺ، وذلك أنّه جاءَ سَيْلٌ من أعلى مكّة فهدمَ جدارَ الكعبةِ، وساقَ مالها، فاجتمعتْ قريشٌ وتشاوروا في بنائها فبنوها، ورفعوا بابَها عن الأرضِ مخافةَ السيلِ وأن لا يدخلُ فيها إلاّ من أحبّوا، ثمّ اختلفُوا في الركنِ فوضعه رسولُ الله ﷺ بيدِهِ قبلَ الوحي، وكانَ المسجدُ في عهده غيرُ مُحاطٍ عليه فضاقَ بالناسِ أيّامَ عُمر فاشترى دوراً فهدمهَا وزادَ في المسجدِ، وأحاطَ عليها بحائطٍ دونَ قامةِ الرجلِ، ثمّ زادَ عثمانُ بعدَه، ثمّ هدم البيتَ عبدُ الله بن الزبير على حديثِ عائشة، وجعلَ له بابَيْنِ في الأرضِ، ونقَلَ إليه ثلاثَ أساطين من قُلَيْس صنعاء، ثمّ لمّا قتلَه الحجّاجُ هدمَ بناءَه وبناهُ على البناءِ الأوّلِ، ثمّ وسّعَ المسجدَ أبو جعفر المنصورُ، ثمّ زادَ فيه بقدرِ المهديُّ في سنة مائةٍ وستّين فهو اليومَ على ما بنوه.

مسجدُ المدينة: كان بالمدينةِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ تسعُ مساجدٍ يصلّون ولا يحضرونَ مسجدَ الرسولِ إلاّ يومَ الجمعةِ، وأوّلُ ما بني بها من المساجدِ مسجدُ قُباء، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لمّا قدمَ نزلَ في بني عمرو بن عوفٍ، وأسّسَ به مسجدَ قبا، ثمّ خرجَ من عندهم يومَ الجمعةِ فأدركتْه الصلاةُ في بني سالمِ بن عوف فصلّى الجمعةَ في بطنِ الوادي، وبنى فيه مسجداً، ثمّ جاء إلى المدينةِ ونزلَ على أبي أيّوبِ الأنصاريّ وكان المربَدُ[2] فيه قبورٌ جاهلّيةٌ وغرقد[3] وما يستحلُّ فسألَ النبيُّ ﷺ عنه فقالَ له مُعاذُ بن عفراء واسعد بن زُرارة إنّه لسهلُ وسُهَيْلٌ ابني عمرو ويتيمَيْن في حَجْري وسأرضيهما عنه فأبى الرسولُ ﷺ حتى ابتاعَهُ منهما، وأمرَ بالقبورِ فنُبشَتْ وبالغرقدِ فقُطعَ وباللَبن فضُربَ، ونُقلتِ الحجارةُ لأساسِهِ، وكان رسولُ الله ﷺ ينقلُ الحجرَ على بطنِهِ فلقِيه أسدُ بن حُضَين فقال أَعْطِنِيه يا رسولَ اللهِ فقالَ اذهب فاحملْ غيره فلستَ بأفقرَ إلى الله عزَّ وجلَّ منّي، وجعَلَ يقولُ فيما

(١) القباطيّ: جمع مفرده القبطيّة: ثياب من كتّان منسوبة إلى القبط.

(٢) المربَدُ: من أشهر أحياء البصرة والعراق، فيه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء «منجد الأعلام/ ٦٤٩».

(٣) الفرقد: مقبرة المدينة على ساكنها الصلاة والسلام لأنّه كان منبتها. «القاموس المحيط جـ ١/ ٣٣٢».

روى الزُهريّ لا عَيْشَ إلاّ عيشَ الآخرةِ فاغفْر للأنصار والمهاجرةِ وجعلَ المسلمون يرتجزون: [رجز].

لئــن قعــدْنــا والنبــيُّ يعمــلُ فــذاكَ منّــا العمــلُ المُضَلَّــلُ

قالُوا: وبنى المسجدَ في طولِ مائة ذراعٍ مربّعاً أساسُه الحجرُ، وجُدرانهُ اللبنُ، وسقفهُ الجريدُ، وعُمده خشبُ النخلِ ثلاثةُ أبوابٍ، فقِيلَ له: ألا تُسقّفه، فقال: لا عرشٌ كعرشِ موسى وتمامُ الشانِ أعجلُ من ذلك، فهذا ما كان من أمرِ المسجدِ في عهد رسولِ الله ﷺ، وأمر أن يحصَّبَ فماتَ قبلَ ذلك فحصّبَه عمرُ رضي الله عنه وزادَ فيه دارَ العبّاسِ، ثمّ زادَ فيه عثمانُ، وجعلَ سقفَه من الساجِ وحيطانه بالحجارةِ المنقوشةِ، ثمّ لمّا استعملَ الوليدُ بنُ عبدِ الملك عمرَ بن عبد العزيز على المدينةِ كتبَ إليه أن يوسّعَ المسجدَ، ويُدخل فيه بيوتَ أزواجِ النبيّ ﷺ، وبعثَ إليه بفَعَلَةٍ من الرومِ والقبطِ وأربعين ألفِ مثقالٍ من ذهبٍ فسّورهُ وبطّنهُ بالفُسَيْفساء وألوانِ الزجاج، ثم زادَ فيه المهديّ ثمّ المأمونُ بعده، فهو اليومَ على ما فعلهَ المأمونُ.

بيتُ المقدس: زعم وهبٌ أنّ يعقوبَ النبيّ عليه السلام كانَ يمرُّ في بعضِ حاجاتِهِ فأدركه النومُ في موضعِ المسجدِ فرأى في المنامِ كأنّ سُلّماً منصوباً إلى السماءِ، والملائكةُ تعرجُ فيه وتنزلُ، وأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إنّي قد ورّثتُك هذه الأرضَ المقدّسَة ولذرّيّتك من بعدكِ فأبنِ لي فيها مسجداً، فأختطَّ عليه يعقوبُ ثمّ بعدَه قبّة ايليا وهو الخضرُ، ثم بنى بعده داودُ وأتمّه سليمانُ، وخرّبَه بختُ نصرُ، فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى كوشك ملكٍ من ملوكِ فارسَ فعمرها، ثم خرّبها ططسُ الروميّ الملعون فلم يزلْ خراباً إلى أن قام الإسلامُ وعمرَهُ عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه، ثم معاوية ابن أبي سفيان، وبه بايعوه للخلافةِ، وليس ببيتِ المقدسِ ماءٌ جارٍ، وإنّما يشربون ماءَ الأمطارِ في الجِباب إلاّ عُيَيْنة تسمّى عين سلوان فيه مُلُوحةٌ يزعمون أنّ الله عزَّ وجلَّ أظهرَها لمريمَ حين أرادتْ أن تغتسلَ، وظَهْرَ المسجدُ مغطىً بصفائحَ من رصاصٍ، وأرضُ المسجدِ مفروشةٌ بالرخامِ لئلاّ يضيّع ماءُ المطرِ، وللمسجدِ أبوابٌ: بابُ داودَ وبابُ سليمانَ وبابُ الأسباطِ وبابُ البقر، والمسجدُ من أحدِ جوانبهِ يفضي إلى وادي جهنّم، وفيه مقابرُ ومزارعُ، وفي وسطِ المسجدِ قبّةُ الصخرةِ، وعلى بابِ المدينةِ بابُ داود يصعدُ إليه بدرجاتٍ، وفي المدينةِ مسجدُ لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وفيها كنائسُ اليهودِ والنصارى منها كنيسةٌ يقالُ لها جلجلةٌ فيها قبرُ آدن أبي زكريّا عليه السلام، ومنها كنيسةُ صَهيون التي كان يتعبّدُ فيها داودُ عليه السلام، وكنيسةُ القيامةِ في

الموضعِ الذي يزعمُ النصارى أنّ المسيحَ لما قُتِلَ دُفن فيه، ثم قامَ وصعِد إلى السماءِ، ومن رملة إلى بيتِ المقدسِ ثمانيةَ عشَر ميلاً، وفي نصفِ الطريقِ قريةُ شنا يقالُ لها قريةُ العِنَب، ومن بيتِ المقدسِ إلى بيتِ لحم فرسخٌ وبه كنيسةُ مولدِ المسيحِ عليه السلام، وبجنبها كنيسةُ الصبيان يزعمون أنّ الملكَ هيروذوس قتلَ بها صبياناً على اسمِ المسيح، ومن بيتِ لحمٍ إلى قبرِ الخليل عليه السلام فرسخان.

طورُ سينا: يخرجُ الرجلُ من مصرَ إلى قلزمَ في ثلاثةِ أيّامٍ، ومن قلزمَ إلى الطورِ طريقان أحدُهما في البحرِ، والآخرُ في البرِّ وهما جميعاً يؤدّيان إلى فاران: وهي مدينةُ العمالقةِ، ثم يسيرُ منها إلى الطورِ في يومين فإذا انتهى إليه صعِدَ ستَّ آلافٍ وستَّ مائة وستًّا وستّين مِرقاة[1]، وفي نصفِ الجبلِ كنيسةُ لايليّا النبيّ، وفي قُلّةِ الجبلِ كنيسةٌ مبنيّةٌ باسم موسى عليه السلام بأساطينَ من رخامٍ وأبوابٍ من صُفْرٍ: وهو الموضعُ الذي كلّم اللهُ عزَّ وجلَّ فيه موسى، وقطعَ منه الألواحَ للتوراةِ، ولا يكونُ فيها إلاّ راهبٌ واحدٌ للخدمةِ، ويزعمون أنّه لا يقدُر أحدٌ أن يبيتَ فيها فيُهَيَّءُ له بيتٌ صغيرٌ من خارجٍ ينامُ فيه.

مسجدُ الكوفة: بناه سعدُ بن أبي وقّاص[2] رضي الله عنه بأمرِ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بالآجُر، وزاد فيه المأمونُ ويقالُ من موضعه فار التنّورُ من الغرق.

مسجدِ البصرةِ: بناه عُتبةُ بن غزوان بالقَصَب، ثمّ بناه عبد الله بن عامر بالطينِ ثمّ بناه زيادُ بن أبيه بالآجرِ، وزادَ فيه المأمونُ، وفيه موضعُ الحكمِ الذي كان يقضي فيه علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

مسجدُ مصر: بناه عمرو بن العاصِ زمنَ إمارته بها.

مسجدُ دمشقَ: بناه الوليدُ بن عبد الملكِ، ويُقالُ أنّه أحدُ عجائبِ الدنيا.

مسجدُ الرملة: يُقالُ فيه قبرُ كذا نبيّ واللهُ أعلمُ وأحكمُ.

الطريقُ من العراقِ إلى مكّة حرسها الله:

يُقالُ: من الكوفةِ إلى مكةَ مائتان وثلاثةٌ وخمسون فرسخاً، والفرسخ ثلاثةُ أميالٍ يخرجُ من الكوفةِ إلى القادسيّةِ ثمّ إلى العُذَيْبِ وهي كانتْ مسلحةُ للفُرس، بينها وبينَ

---

(١) المرقاة: الدرجة.

(٢) قرشي، زهري، صحابي، خامس السابقين إلى الإسلام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، توفي في المدينة (٥٥ هـ) «منجد الأعلام/ ٣٥٥».

القادسيّةِ حائطان متّصلان بينهما نخلٌ، وهي ستّة أميالٍ فإذا خرجتَ منها دخلتَ الباديةَ ثم المغيثةَ ثم القرعاء[1] ثم واقصة ثم العقبة ثم القاعَ ثم زبالةَ[2]، وبها حِصْنٌ وجامعٌ ثم الشقوقَ ثم قبرَ العُباديَ ثم الثعلبيّة، وهي ثُلُث الطريقِ، ثم الخزيميّة ثم الأجفرَ ثم فيدَ: وهي نصفُ الطريقِ، وبها حصنٌ وجامعٌ والبلد لطيّيءٍ ثم سميرا ثم الحاجرَ ثم النقرةَ ومنها يتفرقُ الطريقُ إلى المدينةِ، فَمَن أرادَ مكّة أخذ المغيثةَ ثم الربذةَ ثم السليلةَ ثم العُمُق ثم معدنَ بني سُلَيم ثم أفيعيةُ ثم المسلَح ثم الغمرةَ ومنها يُحرمُ الناسُ إلاّ الجمّالين فإنّها يُحرمون من ذاتِ عِرْق ثم بُستانَ بني عامر، ومن البُستان إلى مكّةٍ ثمانيةُ فراسخ أربعةٌ وعشرون ميلاً، ومَنْ أرادَ المدينةَ من النقرةِ أخذ العُسَيْلة ثم بطنَ النَخْلِ عمرَها مُصْعَبُ بن الزبير ثم الطرفَ ثم المدينةَ، ومن المدينةِ إلى مكّة ثلاث طُرُق الجادّةُ والساحلُ وطريقُ المخالفِ ولكلِّ قومٍ طريقٌ ومنازلُ معدودةٌ فلا فائدةَ في حفظِها لغيرِ أهلها.

ذكرُ الثغورِ والرباطاتِ:

اعلمْ أنّ لكلِّ قومٍ عدوًّا يحاذرونهم فلأهلِ الشامِ واذربيجانَ والجزيرة عدوُّهم الرومُ وأرمينيّةُ، وثغورُهم السواحلُ وطرسوسُ والمصيصةُ وعينُ زربة وقاليقلا وسميساطُ وأخلاطُ، وكذلك عدوّ المغاربةِ الرومُ، وعدوُّ أهلِ الجبلِ وجرجانَ والجِيلَ والديلَم الغزّيّة التركُ، وكانتْ قزوينُ ثغرَ الديلمِ ودهستانُ ثغرَ التركِ، فأسلمت الديالمةُ، وتباعدتْ عنهم التركُ، وعدوُّ أهلِ كرمانَ البُلوص[3]، وعدوُّ أهلِ بلخَ وباميانَ وجوزجَان الهندُ، وأهلُ خراسانِ عدوُّهم التركُ، وعدوُّ أهلِ مكرانَ البارجُ وخاشت[4]، وثغرُهم تِيزُ، وأهلُ زرنج وبُست الغُورُ وكثيرُ من الثغورِ قد تباعدَ عنها العدوُّ، وأسلموا مثل قزوينَ أسلمت الديلمُ، ومثلَ ويسكردَ أسلمتْ راشتُ، والتحرُّز من المسلمين أوْلَى من غيرهم.

---

(١) القرعاء: منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة وقبل واقعة، فيها بركة ورطايا لبني غُدانة «معجم البلدان ٤/ ٣٧٠».

(٢) زبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة، وفيها حصن وجامع لبني غاضر ومن بني أسد. «معجم البلدان ٣/ ١٤٥».

(٣) البلوص: جيلٌ كالأكراد ولهم بلاد واسعة بين فارس وكرمان وهم أولو بأس وقوة وعدد وكثرة «معجم البلدان ١/ ٥٨٣».

(٤) خاشت: بليدة من نواحي بلخ، يقال لها خوشت أيضاً. «معجم البلدان ٢/ ٣٨٦».

ذكر ما يُحكى من عجائب الأرضِ وأهلها:

قد ذُكِرَ في الكتبِ أنّ عجائبَ الدنيا أربعٌ: شجرُ الزرزورِ ومنارةُ الاسكندريةِ وكنيسةُ الرُّها ومسجدُ دمشقَ، ومن العجائبِ الهرمانُ بمصرَ ارتفاعُهما في السماءِ أربعُ مائة وخمسون ذِراعاً في انخراطٍ مكتوبٍ عليهما: مَنْ ادّعى قوةً فليهدمهما، فإنَّ الهَدْم أسهل من البناءِ، ومنها قنطرةُ بُختَن معقودةٌ من رأسِ جبلٍ إلى جبلٍ عقدَها أهلُ الصينِ في الدّهرِ، ومنها جبلُ تُبت يُقالُ له جبل السمّ إذا مرّ به الناسُ أخذَ بأنفاسهم فمنهم مَنْ يموتُ، ومنهم مَنْ ينغل لسانه ومنها أنّ قتيبةَ بنَ مسلم[1] لمّا افتتّح ويكندَ أصابَ بها قُدُوراً عظاماً يصعدُ إليها بالسلاليم فتذاكروا أنّها ممّا عملته الشياطينُ لسليمانَ عليه السلام بقولِهِ تعالى **﴿يعملون له ما يشاءُ من محاريبَ وتماثيلَ وجِفانٍ كالجوابِ وقدورٍ راسياتٍ﴾** [سبأ: ١٣] ومنها ما يُحكى أنّ في مطلعِ الشّمسِ أرضاً ينبتُ الذهبُ قطعاً كالنباتِ يظهرُ عندَ انفجارِ الصُبحِ كالسُرُجِ، ثم يغوصُ إذا دنَا طلوعُ الشّمسِ، وفي تلك الأرض دابّةٌ على صورةِ النملِ تأكلُ النّاسَ قالوا: ولمّا أغزى كشتاسب بن لهراسب اسفنديارَ فسارَ في أرضِ التركِ حتّى خرجَ من وراءِ الرومِ في أقصى الغربِ، ووضَع ثَمَّ صنماً ونقشَ فيه: ليس وراءَ هذا أحدٌ يقاتَل، ولمّا فتحَ طارقُ بن زياد الأندلسَ في ولايةِ الوليدِ بن عبدِ الملك أصابَ بها مائدةَ بثلاثة أطواقٍ لؤلؤٍ وزبرجدٍ وياقوتٍ، فذكر أهلُ الكتابِ: أنّهمّا ممّا استخرجَه الشياطينُ من البحرِ لسليمانَ بن داودَ، ومنها أنّ مَنْ دخلَ تبّت لم يزلْ مسروراً ضاحِكاً حتّى يخرجُ، كما يزعمون من غير علّةٍ، ومنها أساطينُ انصنا مرأى الصعيدِ وغضائر السروجِ، ومنها البحرُ المغربيُ لا تجري فيه السُفُنُ لأنّ فيه جِبالاً من حجرِ المغناطيسِ إذا انتهتْ إليه السفُن جذبت ما فيها من المساميرِ فانتقضتْ، قالوا: وفي بحرِ الهندِ حيتان يبتلعونَ القاربَ، وفيه سمكٌ طيّارةٌ، وفي بحرِ المغربِ سمكٌ على صورةِ النّاس سواءٌ، وبأرضِ الهندِ شجرٌ تقودُ فروعُها إلى الأرضِ فتغوصُ فيها، ثمّ تخرجُ رؤوسها من موضعٍ آخَرٍ، فإذا صارتْ شجراً عادتْ رؤوسها إلى الأرضِ، ثمّ لا يزالُ كذلك حتى بلغتْ فراسخَ، ويغلبُ على بلدانٍ كثيرةٍ بعروقها وفروعها، وزعموا أنّ قصبَ الخيزرانِ يسيرُ تحتَ الأرضِ خمسةَ فراسخ أو ستّةً، وبها شجرٌ يُقالُ لها وقواقُ فيزعمون أنّ صورةَ ثمرهِ على صورةِ وجوهِ النّاسِ، وأمّا الحُماتُ والنيرانُ الظاهرةُ

---

(١) من كبار الفاتحين في العهد الرّوماني، ولآه عبد الملك الريّ، والوليد خُراسان «ت ٩٦ هـ». «منجد الأعلام/ ٥٤٥».

ومخارقُ الريح التي لا تسكنُ أبداً ومساقطُ الثلوجِ التي لا تخلو طولَ السنةِ ومستنقعاتُ المياهِ المختلفةُ الطعومِ والارائيح والتربُ المختلفةُ فلا تُحصَى ولا تُعدّ، وقَدْ ذكر محمّد بن زكريّا في كتابِ الخواصّ منه طرفاً صالحاً فممّا زعموا أن بأرضِ التركِ جبلاً إذا انتهوا إليه شدُّوا في حوافرِ دوابّهم اللبدَ والصوفَ لئلاّ يثيرَ عجاجاً فيُمطرَها، قالوا: ويحملون معهم من حجارةِ ذلك الجبلِ فإذا عطشُوا حرّكوها في الماءِ فيُمطَرون في الحالِ، وفي كتاب المسالكِ والممالكِ حكايةٌ: أنّ بأقصى التركِ ممّا يلي شمالهِم نهراً عظيماً يدخلُ في نقبِ جبلٍ عظيمٍ لا يدري أحدٌ أينَ مخرجُ ذلك الماءِ ومصبُّه، وأنّ رجلاً منهم اتّخذَ ضِغْثاً، ودخلَ في زقٍّ عظيمٍ، وأمر أن ينفخَ فيه، وأستُوثِق من رأسهِ، ثمّ شُدّ الزقُّ على الضِغْثِ، وطُرحَ في الماءَ قالُوا: وانّه غاصَ يومين أو ثلاثة ثمّ خرجَ ببسيطٍ من الأرضِ فلمّا أحسَّ بضوءِ النهارِ شقّ عنه الزقَّ فإذا هو بأرضٍ ذات شجرٍ وحيوانٍ لم يرَ مثلَها في طولِها وعرضِها وعظمِها، وناسُ طوالُ القاماتِ عِراضُ الأجسامِ على دوابٌ عظامٍ فلمّا بصروا به جعلُوا يضحكون تعجّباً منه ومن خِلْقتِه وجسمِهِ هكذا الحكايةُ فلا أدري من أيِّ طريقٍ عادَ إليهم هذا الرجلُ، وأخبرهمُ بالخبرِ، ومَنْ أرادَ معرفةَ هذه الأشياءِ فلينظرْ في طبائعِ الحيوانِ وطبائعِ الأحجارِ وطبائعِ النباتِ يزِدْه علماً ومعرفةً وعِبْرةً.

ومن عجائب أصناف الناس:

قَدْ جاءَ في الأخبارِ من صفةِ ياجوج وماجوجَ ما ذكرناه في موضعِهِ، وكذلك من صفةِ النسناسِ بأرضِ وبَارٍ وصنْفٍ منهم بناحيةَ باميرِ، وهي مفازةٌ بينَ قشميرَ وتبتَ ووخانَ والصينِ ناسٌ وحشيّةٌ مشعَّرةٌ جميعُ أبدانِهم إلاّ الوجهُ ينقزون نقز الظباء، وحّدثني غيرُ واحدٍ من أهلِ وخانَ أنّهم يصطادونَه ويأكلونَه، قالُوا: وفي غياضِ سرنديب ناسٌ وحشيّةٌ يصفرُ بعضُها لبعضٍ وينفرون من النّاسِ، وبالزّنجِ في أقاصيها قومٌ ليسَ لهمُ لباسٌ غيرَ ورقِ الشجرِ، ولا لهم بناءٌ إلاّ أكنانَ تحتَ الأرضِ، وهُمْ يأكلونَ بعضَهم بعضاً، ولا يعرفُ أحدٌ منهم أباه، ولا نكاحَ فيهم قالُوا: وفي ناحيةِ التركِ قومٌ إذا خرجُوا إلى عدوِّهم أخذوا الملحَ معهم فمَنْ قتلوهُ ملحوهُ وأكلوهُ، قالوا: وبنواحي خرخيز أُمّةٌ وحشيّةٌ لا يخالطون الناسَ، ولا يفهمون عنهم، لباسُهم وأوانيهم من جلودِ الوحشِ يتناكحون على أربعٍ كالوحشِ والبهائمِ، وإذا ماتَ منهم ميّتُ علّقوهُ على الشجرِ حتى يبلى، قالوا: وفي جهةِ الشمال أُمّةٌ في طباعِ السباعِ الزعِرة هُمْ سباعُ النّاسِ، وحدّثني غيرُ واحدٍ من الغّواصين بأنّهم يرون حيواناً في البحرِ على صورةِ النّاسِ يكلّم بعضُهم بعضاً، وفي كتابِ المسالك أنّ في جزيرةٍ من

جزائرِ الهندِ قوماً عظامَ الأجسامِ قدَمُ أحدِهم ذراعٌ يأكلونَ الناسَ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل: ٨] ورُوينا عن عبد الله بن عمر أنّه قال: رُبْعُ من لا يلبسُ الثيابَ من السودان أكثرُ من جميع الناسِ وقد قالَ رسولُ الله ﷺ «ما أنتمْ في النّاسِ إلاّ كالرقمةِ في ذراعِ البكرِ» ورُوي إلاّ كالشعرةِ البيضاءِ في جلدِ الثورِ الأسودِ، ورُوي أنّه قال لمّا ذُكرَ أهلُ النارِ: أما ترضون أن يكونَ من ياجوجَ وماجوجَ تسعُ مائة وتسعةٌ وتسعون ومنكم واحدٌ، قالُوا: وأعدلُ أقسامِ الأرضِ وأصفاها وأطيبُها إيرانُ شهر: وهو المعروفُ باقليم بابل ما بين نهرِ بلخ إلى نهر الفراتِ في الطولِ، وبينَ بحرِ عابسكين إلى بحرِ فارسَ واليمنِ في العرضِ، ثمّ إلى مكرانَ، وكابلَ وطخارستانَ ومنتهى اذربيجان صفوةُ الأرضِ وسُرَّتُها لاعتدال ألوانِ أهلِها واستواءِ أجسامِهم وسلامةِ عقولهِم، وذلك أنّهم سلمُوا من شُقْرةِ الرومِ وفظاظةِ التركِ ودمامةِ الصينِ وقِصَرِ ياجوج وماجوجَ وسوادِ الحُبْشانِ وخبَلِ الزنوجِ، ولذلك سُمّي ايرانُ شهرٌ يعنون قلبَ البلدانِ وايرانُ: هو القلبُ بلسانِ أهلِ بابلَ في القديمِ: وهي أرضُ الحكماءِ والعلماءِ وفيهم السخاءُ والرحمةُ والتمييزُ والفطنةُ وكلُّ خصلةٍ محمودةٍ التي عدِمها الناسُ من سُكّانِ الأرضِ، ويحسبُك معرفةُ هذه البلادِ أنّه لا يحملُ إليها أحدٌ من غيرها، ولا يقعُ إليها بنفسِهِ فيشتاقُ بعد ذلك إلى أرضِهِ أن يعودَ إليها، وليس كذلك حالُ هذه البلادِ واللهُ أعلمُ.

ذكرُ ما بلغنا من المدُنِ والقُرى ومنْ بناها:

ذُكِرَ في الأخبارِ أنّ أوّلَ قريةٍ بنيتْ على وجهِ الأرضِ بعدَ الطوفانِ بقرذى وسوق ثمانين وذلك أنّ نُوحاً عليه السلام لمّا خرجَ من السفينةِ وكانوا ثمانين إنساناً هذه الرواية اربعون رجلاً واربعون امرأةً بنى لهم تلكَ القريّة وسمّوها سوقَ ثمانين، وجاء أن أوّلَ بناءٍ بُني على وجهِ الأرضِ بيتُ اللهِ الكعبةُ بناهُ شيثُ بنُ آدم، وفي كتبِ العجمِ أنّ المدائنَ بناها هوشنك وسمّاه كردَ بنداذ معمولاً وُجِدَ فكأنّه كان بناءً قبله، ثمّ درسَ فبناهُ زابُ الملِك: وهو الذي حفرَ الزابين، ثمّ بناهُ الاسكندرُ ثمّ بناهُ شابورُ ذو الاكتافِ، قالوا: وبنى طهمورثُ بابلَ: وهي المدينةُ العتيقةُ وابريزُ بأرضِ اذربيجان وأواق على رأسِ جبلٍ شاهقٍ بأرضِ الهندِ وقهندزَ مرو بأرضِ خُراسانِ، قالُوا: بنى جم شاذ همذانَ بأرضِ الجبلِ واصطخرَ بأرضِ فارسَ والمذارَ بأرضِ بابلَ وطوسَ بأرضِ خُراسان، قالُوا: وبنى كيلهراسب الجبّارُ بلخَ الحسناء بأرضِ الهندِ وقهندزَ بأرضِ مكرانَ، قالُوا: وبنى بهمنُ حولَ اصطخر بناءً عجيباً وبنى دارا دارابجرد بأرضِ فارسَ، وبنى دارا بن دارا دارا بأرضِ الجزيرةِ، وبنى اوشهنجُ

مدينةَ بابلَ ومدينةَ السُوسِ بأرضِ الأهوازِ ومعناه: حسنٌ، ثمّ بنى بعدهَا تستر ومعناه أحسن، وبنى شابورُ بن اردشير جندي شابور بأرضِ الأهوازِ والانبارَ بأرضِ العراقِ، وبنى هرمزُ البَطَلُ دسكرةَ الملكِ، وبنى يزدجردُ الجشنُ بناءً ببابِ أرمينيّةَ وبناءً بأرضِ جرجانَ، وبنى شابورُ ذو الاكتافِ نيسابور بخُراسان، وبنى الاسكندرُ عشَر مدنٍ سرنديبَ بأرضِ الهندِ والاسكندريّةَ بأرضِ اليونانِ وجيَّ بأرضِ اصبهانَ وهراةَ ومرو وسمرقندَ بأرضِ خُراسانِ، ومَنْ يُحصي بُناة المُدنِ وواضعي القري، ومَنْ يعلمْ مبادي إنشائها إلاّ الله عزَّ وجلَّ، وهبنْا أُخبرنَا بمدنِ فارسَ على نحو ما نجدهُ في كتبِهم والمُدنِ التي أُحدثتْ في الإسلامِ بقربِ العهدِ وجدَّة التأريخِ فمنْ لنا بمُدنِ الهندِ والصينِ والرومِ والتركِ، وليسَ كلُّ مدينةٍ أو قريةٍ مبنيةٍ منسوبةً إلى بانيها لأنّه قد تُسمّى المدينةُ باسم الباني أو باسم لها قبلَ حدوثها أو باسمِ ماءٍ أو شجرٍ أو شيءٍ ما، وقد يجوزُ أن يجتمعَ قومٌ بموضعِ من المواضعِ فيصيرُ ذلك مدينةً فهذا يبيّنُ لك أنّ كلَّ مدينةٍ لا يُوجبُ بانياً لها قاصداً إليها، وقَدْ قِيلَ: أنّ قسطنطينيّة مدينةَ ملكِ الرومِ بناها قسطنطينُ فسُمّيت به، ونيسابورَ بناها سابورُ فسُمّيتْ به، وافريقيةَ بناها افريقيسُ فسُمّيتْ به، وحرّانَ نزلها هاران بن آزر اخو إبراهيم عليه السلام فسمّيتْ به، وسمرقندَ خربها شمرُ ملكُ من ملوكِ اليمنِ فقِيلَ شمر كند، ثمّ عُرّب، وغُمدان بناها غمدانُ الملكِ باليمنِ فسمّيت به، وصنعاء سمّيتْ بجودةِ الصنعةِ، وعدنَ سُمّيت بالمقامِ، قالُوا: وسمّيت مكّةُ لازدحام النّاسِ بها، وسمّيتِ المدينةُ لاجتماعِ النّاسِ فيها وهي تسمّى يثربُ، وسمّاها رسولُ الله ﷺ طيبَةُ، وسمّيت الجُحْفةُ بسيلٍ أتى فيها فجحفَ مَنْ فيها، والكوفةُ مصّرها سعدُ بن أبي وقّاص وكانَ بها رَمْلٌ فسُمّيت به، ويُقالُ لها الكوفان، والبصرةُ مصّرها عُتبةُ بن غزوان[1] وسمّاها بحجارةٍ بيضٍ كانتْ في موضعها، وواسطُ بناها الحَجاجُ ويُقالُ لذلك واسطُ القصَبِ، ويُقالُ بل توسّطتْ البصرةُ والكوفةَ وهي سهليّةٌ جيليةٌ برّيّةٌ بحريّةٌ يُوجَدُ بها الرُطَبُ والثلجُ والقمحُ والسمكُ، وبغداد سُمّيت باسمِ موضعٍ كان قبلَها، ويُقالُ لها الزوراء ويُقالُ بغ اسم صنم، وسمّتها الخلفاءُ مدينةَ السلامِ، وأوّلُ مَنْ بناها أبو جعفر المنصور بنى بها قصرَ الخُلدِ، وسُرّ من رأى بناها المعتصمُ وذلك أنّه تنحىَّ عن مدينةِ السلام ليُبْلِي في السراةِ الذين تجمّعوا بديارِ ربيعةَ ومُضر[2] فنزلها وهي ضاحيةٌ على جهةِ مُناخِ

---

(١) مازني أوسي، صحابي، سابع مَنْ أسلم، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، ولاه عمر أرض البصرة «ت ١٧ هـ». «منجد الأعلام/ ٤٥٥».

(٢) هو مضر بن نِزار: الجدُّ الأعلى لفريق من القبائل العربية العدنانية منها قيس عيلان. «منجد =

العسكرِ لا سُورَ عليها ولا خندقَ ولا ميرةَ ولا ماءَ ثمّ عطلت وكان أبو العبّاسِ[1] نزلَ الأنبارِ فبناها، وبنى المتوكّلُ المتوكّليّةَ وانتقلَ إليها فقُتلَ بها، وطرسوس بُنى في أيّام هارون الرشيدِ، والمصيصة بناها المنصورُ، وعسكرُ مُكرم نزلهَا مُكرم بن مُطرِّف اللخمّي فصارتْ مدينةً ونُسبت إليه، فاعلمْ أنّ المُدنَ تُبنى على ثلاثةِ أشياءَ على الماءِ والكلاءِ والحطبِ فإذا فُقدتْ واحدةٌ من هذه الثلاثةِ لم تَبْقَ.

ذكرُ ما جاء في خرابِ البلدان:

في كتابِ أبي حذيفة عن مُقاتل أنّه قالَ: قرأتُ في كتبِ الضحّاك بعدَ موتهِ وهي الكتبُ المخزونةُ عندهَ في قوله عزّ وجلّ **﴿وإن من قرية إلاّ نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذّبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾** [الإسراء: ٥٨] أمّا القرى مكّةُ فيخرّبها الحُبشانُ فذلك عذابُهم، وأمّا المدينةُ فالجوعُ يخرّبها، وأمّا البصرةُ فالغرقُ، وأمّا الكوفةُ فالتُركُ، وخرابُ الشامِ من قبلِ الملحمةِ بالكدى عندَ فتحِ القسطنطينيّةِ، وخرابُ الأندلسِ وطنجةَ من قِبلِ الريحِ، وخرابُ الافريقيةِ من قبلِ الأندلسِ، وخرابُ مصرَ من انقطاعِ النيلِ، وخرابُ اليمنِ من الجرادِ والحبشِ، وخرابُ أرمينيّة من الصواعقِ والرواجفِ، وخرابُ اذربيجان بسنابكِ الخيلِ، وخرابُ الجبلِ بالصواعقِ، وخرابُ الريّ واصفهانَ وهمذانَ على أيدي الديالمةِ والطبريّة، وهلاكُ حُلوانَ بهلاكِ الزوراءِ، قال: وهلاكُ الزوراءِ بريحٍ ساكنةٍ تمرُ بها فيُصبحُ أهلَها قِرَدةً وخنازير، وأمّا الكوفان فيخرّبها رجلٌ من آل عَنْبسة بن أبي سفيان يعني السفيانيّ، وخرابُ سجِستانَ برياحٍ ورمالٍ وحيّاتٍ، وأمّا خُراسان فانها تهلكُ بأصنافِ العذابِ، وبلخ يُصيبها رجّةٌ وهدّةٌ فيغلب عليها الماءُ فتهلكُ، وبذخشان يغلبُ عليها أقوامٌ عليهم الدواويج المشقوقةُ فيتركونها كجوفِ الحمارِ، والترمذُ يموتون بجارفٍ، والصغانيّة تهلكُ بقتلٍ صريعٍ لهمُ من عدوّ، وسمرقندُ والشاشُ وفرغانةُ واسبيجابُ وخوارزمُ يغلبُ عليها بنو قيطورا بن كركر، وأمّا بخارا فأرضُ الجبابرةِ يُصيبهمُ نحو ما يصيبُ خوارزمَ، ثم يموتون قحطاً وجوعاً، ومن الجملة خرابُ ما وراءَ النهرِ بالتركِ قالُوا: ويضيقُ بهمِ الأمرُ لو نبحَ كلبٌ على شاطىء آمُلٍ لتمنّى مَنْ على شطّ فراتٍ أنّه مكانَ ذلك الكلبِ، وخرابُ كرمان

= الأعلام/ ٦٦٨».

(١) هو عبد الله بن محمد السّفاح، أول الخلفاء العباسيين، ولد ونشأ بالشراة بين الشام والمدينة، اتّخذ الأنبار عاصمة له «ت ١٣٦ هـ». «منجد الأعلام/ ٣٥٧».

وفارسَ واصفهانَ من قِبَل عدوٍّ لهم، وخرابُ مرو بالرَمْلِ ونيسابور بالريحِ، وخرابُ هراةَ بالحيَّاتِ، قال: تمطرُ عليهم الحيّاتُ فتأكلهُم، قال مقاتل: وخرابُ السندِ من قِبَل الهندِ، وخرابُ خُراسان من قبلِ تُبُتَ، وخرابُ تبتَ من قبلِ الصينِ، كذا الروايُة واللهُ أعلمُ فقد رُوي من خراب البلدانِ عن الصحابةِ فمن ذلك ما روى أبو هريرة أنّ النبيّ ﷺ قال «للمدينة لتركها أهلها على حين ما كانت مُذلَّلة للعوافي» وما روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال ليخرب البصرةَ وليفرقنّ حتّى يصيرُ المسجدُ كأنه جؤجؤ سفينةٍ.

الفصل الرابع عشر

في ذكرِ أنسابِ العربِ وأيّامها المشهورةِ على غايةِ هذا الكتابِ من الإيجازِ والاختصارِ

اختلفَ النّاسُ في نسبِ العربِ فقالَ بعضهم: كلُّهم من ولدِ إسماعيلَ بن إبراهيمَ عليه السلام، وقالَ آخرون: ليستِ النمِرُ من ولدِ إسماعيلَ، ولكنها من ولدِ قحطان.بنِ عابرِ بنِ شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح فهم أنسبُ وأقدمُ من غيرهم، ولذلك تفتخرُ أعرابُ اليمنِ على غيرها من العربِ، وقالَ ابنُ إسحق: لم أجد أحداً من نُسّابِ اليمنِ له علمٌ إلاّ وهو يزعمُ أنّهم ليسوا من ولدِ إسماعيلَ، ويقولون: نحنُ العربُ العاربةُ كُنّا قبلَ إسماعيلَ، وإنّما تكلّم إسماعيلُ بلسانِنا لمّا جاورتْه جُرهمُ إلاّ هاذين الحيّيْن الأنصارِ وخزاعةِ فإنّهم يزعمونَ: أنّهم من ولدِ إسماعيل عليه السلام، قالُوا: وأخو قحطانَ يقطرُ بنُ عامر بنِ عابر فولدَ يقطرُ جُرهمَ وجزيلا فلم يبقَ في جزيلٍ بقيّةٌ فنزلتْ جرُهمُ مكّةَ، فنكحَ فيهم إسماعيلُ عـم، وقدْ قَالَ رجلٌ من قحطانَ بنِ هميسع بنِ نابت بنِ إسماعيل، والنُسّابُ على أنّه قحطانُ بنُ عابر بنِ شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح[1] واللهُ أعلم، وقحطانُ ونزارُ هما جرثومتان لأنّه نسبةُ ولدِ إسماعيل من نزارٍ، ونسبةُ اليمنِ من قحطانَ هذا هو الأصلُ قال الشاعر: [وافر].

بجيلـةُ حِيـنَ جـاءَت ليـس تـدري ... أقحطـــانُ أبـــوهـــا أم نـــزارُ

ونزارُ نزاران: فهذا نزارُ بنُ مَعدّ بن عدنان، والثاني نزارُ بن أنمار، ثمّ اختلفُوا في نسبِ عدنانَ، فقالَ بعضُهم: عدنانُ بنُ أُدَدِ بنِ إسماعيل هذا قولُ محمّدِ بنِ إسحق، وقَالَ

---

(١) جاء في السيرة النبوية جـ ١/٣ أنّ قحطان هو قحطان بن هود، وقيل: هو هودٌ، وقيل: هود أخوه، وقيل: من ذريته، وقيل: قحطان من سلالة إسماعيل، وقال بعضهم: هو قحطان بن الهميسع بن تيمن ابن قيذر بن نبّت بن إسماعيل، وقيل غير ذلك في نسبه إلى إسماعيل واللهُ أعلمُ.

بعضُهم: عدنانُ بنُ مبدع بن يسع بن الأدد بن كعب بن يشجب بن يعرُبِ بنِ الهميسع بنِ حميلِ بنِ سليمان بنِ ثابتِ بنِ قيدر بن إسماعيل، وقد روى ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ انتسبَ فلمّا بلغَ إلى عدنانَ وقفَ وقالَ: كذبَ النّسابون، وقد روى ابنُ إسحقَ عن يزيدٍ ابن رومان عن عائشة أن النبيَّ ﷺ قال «استقامت نسبةُ النّاسِ إلى عدنان» ويدُلّك على هذا قولُ لبيد: [طويل].

فإن لم تَجِدْ من دونِ عدنانَ والداً ودونَ مَعَـدٍّ فَلْتَـزَعْـك ٱلعـواذلُ

فولدَ عدنانُ علكُّ بن عدنان، ومعدَّ بنَ عدنانَ، فأمّا علكٌّ فأوّلُ من تبدّى في الباديةِ، والعَددُ في معدّ فولد معدّ بنُ عدنانَ ثمانيةَ نفرٍ يذكرُ منهم أربعةٌ: قُضاعةُ بن معدّ واياد بنُ معدّ ونزارُ بن معدّ والعَدَدُ في نزارٍ فولد نزارُ ثلاثة نفرٍ: ربيعةَ ومُضَرَ وأنماراً، فأمّا أنمارٌ فإنّه ولد خثعمَ وبجيلةَ، فصاروا إلى اليمنِ، فأمّا مُضَرُ فولدَ الياسَ ويُقالُ لولدِ الياسِ خِنْدِفُ ينسبون إلى أُمّهم، وولدَ الياسُ ثلاثة نفرٍ مدركه بنَ الياسِ وطابخةَ بنَ الياسِ وقمعةَ بنَ الياسِ، فأمّا قمعةُ فزَعمَ بعضُ النّاسُ أنّهم في اليمنِ، ورجعتْ خندفُها إلى مُدركة وطابخة، وأمّا الياسُ ابنُ مضرَ فهو قَيْسُ بنُ عيلان فمضرُ ترجعُ كلُّها إلى هاذين الحيَّيْن: خندفٍ وقيسٍ، وولدَ مدركةُ بنُ الياسِ هذيل، وولدَ سعدُ تميمَ بنَ معاوية بنِ تميم، وقَدْ ولدوا غيرَ ما نذكرُه غير أنّا نذكرُ مَنْ له العددُ، وولدَ خزيمةُ بنُ مدركة أسدَ بنَ خزيمة. فمنه تفرّقتْ بطونُ العربِ: وهُمْ بنو أسدٍ والهونُ بنُ خزيمة، فولدَ الهونُ القارةَ الذي يُقالُ في المثلِ: قد أنصف القارةَ مَنْ رماها، ومن القارةِ عضَلُ وديشُ وكنانةُ بنُ خزيمة، فولدَ كنانةُ النضرَ بنَ كنانة ومالكَ بنَ كنانة وملكانَ بنَ كنانة وعبدَ مناة بنَ كنانة، فأمّا النضرُ بنُ كنانة فهو أبو قريشٍ كلِّها، وولدَ النضرُ بنُ كنانة مالكَ بنَ النضرِ والصَلْتَ بنَ النضرِ، فصارتِ الصلتُ في اليمنِ، ورجعتْ قريشُ كلُّها إلى مالكِ بن النضرِ، فولدَ مالكُ فهرَ بنَ مالكِ والحارثَ بنَ مالكِ فمن بني الحارثَ المطيبونَ والخلجُ، وأمّا فهرُ فمنه تفرّقتْ قبائلُ قريشٍ، وولَد فهرُ غالبَ بنَ فهرٍ ومحاربَ بنَ فهرٍ، فولدَ الغالبُ لُؤيَّ بنَ غالبٍ وتيمَ بنَ غالبٍ، فأمّا تيمُ فهم بنو الأدرمِ من أعرابِ قريشٍ ليس منهم بمكّةَ أحدٌ وفيهم يقولُ الشاعر: [رجز].

إنَّ بني الأدرم ليسوا من أحَدْ ولا توفّاهم قُريشٌ في العَدَدْ

وأمّا لُؤيُّ بنُ غالب فإليه ينتهي عددُ قريشٍ وشرفُها، وولدَ لؤيُّ سبعةَ نفرٍ منهم كعبُ ابنُ لُؤيّ، فولدَ كعبُ مُرّةَ بنَ كعبٍ فمن عديٍّ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه، ومن مُرَّة أبو

بكر الصّديقُ رضي الله عنه، وولدَ مرّةُ بنُ كعبٍ كلابَ بنَ مرّةٍ، وولدَ كلابُ قُصَيَّ بنَ كلابٍ وزُهْرة بنَ كلابٍ، فأمّا قصيٌّ فاسمُه زيدٌ، وإنّما سُمّي قصيًّا لأنّه تقصى مع أبيه، وتسمّيه قريشٌ مُجمعاً لأنّه جمعَ قبائلَ قريشٍ، وأنزلها مكّة، وبنى بها دارَ النّدْوةِ، وأخذَ مفتاحَ البيتِ من خزاعةَ، وكانت قريشٌ قبلَ ذلك حلولاً فمن ذلك قريشُ الأباطحِ كانوا ينزلونَ الأبطحَ، ومنهم قريشُ الظواهرِ كانوا ينزلون بظاهرِ مكّة فجمعهم قصيٌّ وفيه يقولُ الشاعر[1]:
[طويل].

أبوكم قُصَيٌّ كان يُدْعَى مُجَمّعاً ... بـه جمـعَ اللهُ القبـائـلَ مـن فهْـرِ
وأنتـمْ بنـو زيـدٍ وزيـدٌ أبـوكُـمُ ... به زيدتْ البطْحاءُ فخراً على فخرِ

فتزوجَ قصيٌّ بنُ كلابٍ ابنةَ حليلِ بنِ حبش الخزاعيَ فولدتْ له أربعةَ نفرٍ: عبدَ منافٍ وعبدَ الدّارِ وعبدَ العُزّى وعبداً، فأمّا عبدُ فبادوا كلُّهم، وأمّا عبدُ الدّارِ فإنّهم قُتلُوا يومَ أُحُد إلاّ عثمانُ بنُ طلحة فإنّه أسلمَ، ودفعَ النبيّ ﷺ المفتاحَ إليه يومَ فتحَ مكّةَ، ثُمّ دفعه إلى شَيْبَة فهو في ولدِهِ إلى اليومِ، وأمّا عبدُ العزّى فبقُوا ومنهم خديجةُ بنتُ خُوَيْلد بن أسد بنِ عبد العزّى، وأمّا عبدُ منافٍ فولدَ عشرةَ نفرٍ منهم هاشمُ والحارثُ وعبادُ ومخرمةُ وعبدُ شمس والمطّلبُ ونوفلُ، واسمُ عبدِ منافٍ المُغيرةُ، وكانُوا يسمّونه الغمرَ لجودهِ وفضلهِ وإليه صارَ السُؤدَدُ بعد قصيّ، فأمّا عبدُ شمسٍ بنِ عبدِ منافٍ فإنّه ولدَ أولاداً يسمون العبلاتِ لأنّ اسمَ أمّهم عبلة، ويُقالُ أيضاً أُميّةُ الأصغرُ لأنّ لعبدِ منافٍ ولداً يُقالُ له أُميّةُ الأكبرُ وولداً يُقالُ له عبدُ العزّى، والربيعُ يُقالُ له جرو البطحاءِ، وولدَ الربيعُ أبا العيصِ بن الربيعِ زوجَ بنتِ رسولِ الله ﷺ ابنَ أُختِ خديجةِ، وأمّا أميّةُ الأكبرُ فإنّه ولدَ حرباً وأبا حربٍ وسفيانَ وعمرواً، وأبا عمرو يُقالُ لهم العنابسُ شُبّهوا بالأسُدِ، والعاص وأبا العاصُ وأبا العيصِ يُقالُ لهم الأعياصُ، فأمّا حربُ بنُ أميّة فولدَ أبا سفيانَ بنَ حربٍ، وأمّا أبو العاصِ فولد أبا عثمان ابنَ عفّانِ، وأمّا أبو العيص فقالُوا ولدَ أسيداً أبا عتاب بنِ أسيد أمير مكّةَ، وأمّا هاشمُ بنُ عبدِ منافٍ فاسمُه عمرو، وسُميّ هاشماً لأنّه هشمَ الخبزَ، ويقال كثر الخبزَ بالرحلتين بينهما في الصيفِ إلى الشامِ وفي الشتاءِ إلى اليمنِ وفيه يقولُ الشاعرُ: [كامل].

عَمْرُو الّذي هشمَ الثريدَ لقومِهِ ... ورجـالُ مكّـةَ مُسْنِتُـونَ عِجـافُ

---

(١) جاء في السيرة النبوية جـ ١/ ٨٧ أنّ الشاعر الذي قال هذين البيتين هو حذافة بن غانم العدوي.

وإليه صارَ السُّؤدَدُ بعدَ عبدِ منافٍ، وولد هاشمٌ ولداً لم يُعقِبْ منهم أحدٌ غير أُسيدُ بنُ هاشمٍ وعبدُ المطّلبِ بنُ هاشمٍ، وهلك هاشمٌ بغزّة من أرضِ الشام، وكان وافاها في تجارةٍ له، وماتَ المطّلبُ بردمانَ من أرضِ اليمنِ، وماتَ نوفلُ بسلمانَ من أرضِ العراقِ، وماتَ عبدُ شمسٍ بمكّةَ وفيه يقول مطرود بن كعب الخزاعي[1]: [سريع].

مَنيتٌ بردَمانٍ ومَنيت بسَلْـ ـمانٍ ومَنيتٌ بين غـزّاتِ
ومَنيتٌ اسكنَ اللحدَ لدى المحجوبِ شرقيّ البُنَيّاتِ

فهؤلاء بنو عبدِ منافٍ، ثم صارَ الأمرُ إلى عبدِ المطّلبِ بنِ هاشمٍ بعدَ عمّه المطّلبِ بنِ عبدِ مناف.

قصّةُ عبدِ المطّلب:

واسمهُ شيبةُ الحمدِ، وذلك أنّ هاشمَ بنَ عبد منافٍ خرجَ إلى الشامِ في تجارةٍ فمرّ بالمدينةِ، وتزوّجَ بسَلْمى بنتِ عمرو النجاريّةِ فحملتْ بشيبة، ورحلَ هاشمُ فمات بأرضِ الشام وولدتْه سلمى، وترعرعَ الغُلامُ، وصارَ وصيفاً فقدمَ ثابتُ بنُ المنذرِ أبو حسّان بن ثابت الشاعرُ مكّةَ فقالَ للمطّلب بنِ عبدِ منافٍ لو رأيتَ ابنَ أخيك لرأيتَ جَمالاً وشَرفاً، ورأيتُه بينَ آطام بني قَينقاع يناضلُ فتياناً من أخوالِهِ فيدخلُ في مرماتَيْه جميعاً في مثلِ راحتي هذه، والمرماةُ: السِهامُ، وكانوا إذْ ذاك يرمون بسهمَيْن فخرجَ المطّلبُ حتّى قدمَ المدينةَ، ومكثَ يرقبُ شيبةَ فلما أبصره عرفه بالشيبةِ ففاضتْ عينُه، ثم دعاهُ فكساهُ حُلّةً، وردّهُ إلى أمّهِ وانشأ يقول: [بسيط].

عرفْتُ شيبةَ والنجارُ قد جعلَتْ أبناءَها حَولَه بالنّبْلِ تنتضلُ
عرفتُ أجلادَه منّا وشِيمته ففاض منّي عليه وَاكِفٌ سَبَلُ

ثم أتى أمّهَ فضنَّتْ به فلمْ يزلْ بها يقبّلُ في الغاربِ والسنامِ حتى دفَعتْه إليه فاحتمله، وقفلَ راجعاً إلى مكّةَ، وهو رديفه ولم يكنْ للمطّلب ولدٌ فقِيلَ هذا عبدهُ فنشِبَ اللقَبُ عليه، ثم لمّا هلكَ المطّلبُ بنُ عبدِ منافٍ قامَ بالأمرِ عبدُ المطّلبِ بن هاشمٍ، وكثُرتْ أموالُه، وتأثّلتْ مواشيه فأجمعَ أنْ يَحْفِرَ بئراً.

---

(١) انظر وفيات الأعيان جـ ١/ ٦١.

قصّةُ حفرِ عبدُ المطلبِ زمزم:

قد بيَّنّا في قصّةِ إسماعيلَ وهاجرَ ما ذُكر من أمر زمزمَ فمن قائلٍ: إنّها ركضةُ جبرئيلَ، وآخرُ أنّها همزةُ إسماعيلَ بكعبِهِ، ثم عوَّرتها السيولُ، وعفَّتْها الأمطارُ، روى ابنُ اسحق عن عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام أنّ عبدَ المطّلبِ بينا هو نائمٌ في الحجرِ إذ أُتى فأمرَ بحفرِ زمزمَ فقالَ: ما زمزم؟ فقالَ: لا يُنزفُ ولا يذم، لتسقي الحجيج الأعظم، وهي بينَ الفرثِ والدمِ، وعندَ نقرةِ الغرابِ الأعصمِ، فغدا عبدُ المطّلبِ ومعهُ الحارثُ ابنهُ ليسَ له يومئذٍ ولدٌ غيره، فوجدَ الغرابَ ينقرُ بينَ أسافٍ ونائلةٍ[1] فحفرَ منه فلمّا بدا الطيُّ كبرّ فاستشركتْه قُريشٌ، وقالوا إنّها بئرُ أبينا إسماعيلَ، ولنا فيها حقٌّ فأبى أن يُعطيهَم حتّى تحاكموا إلى كاهنةِ بني سَعْد باشرافِ الشّامِ، فركبُوا وساروا حتّى إذا كانُوا ببعضِ الطريقِ نَفِدَ ماؤهم فظَمِئُوا، وأيقنوا بالهلاكِ، فانفجرتْ من تحتِ خُفِّ راحلةِ عبدِ المطلبِ عينٌ من ماءٍ فشربُوا منه، وعاشُوا، وقالُوا قدْ واللهِ قضى لك علينا لا نخاصمك فيها أبداً إنّ الّذي سقاكَ الماءَ بهذهِ الفلاةِ لهو الذي سقاكَ زمزمَ فانصرفوا وحفرَ زمزمَ فوجد فيها غزاليين من ذهبٍ كانتْ جُرْهُم دفنتهما عندَ خروجهِم من مكّةَ، ووجدَ فيها أسيافاً قَلَعِيَّة ودروعاً فضَربَ الغزالينِ في بابِ الكعبةِ، وأقامَ عبدُ المطّلبِ سِقايةَ زمزمَ للحجّاجِ وفيه يقولُ حذيفة بن غانم: [طويل].

وسـاقِـي ٱلحجيـجَ ثـمّ للخبزِ هـاشـمٌ ... وعبـدُ منـافٍ ذُلكـم سيّـدُ فِهْـرِ
طـوى زمـزمـاً عنـد المقـامِ فـأصبحَـتْ ... سِقـايتُـه فخـراً علـى كـلّ ذي فخـرِ

قصّةُ ذبحِ عبد المطّلبِ ابنَه عبدَ الله أبا رسول الله ﷺ:

قالوا: وكانَ عبدُ المطّلبِ نذَر للهِ عزَّ وجلَّ حيثُ كان لقي من قريشٍ ما لقي عنْد حفرةِ زمزمَ لئن وُلدَ له عشرةُ نفرٍ يمنعونه ممّن يريده لينحرنَّ أحدَهم للهِ عزَّ وجلَّ عندَ الكعبةِ شُكراً له، فلما توافى بنوه العشرةَ جمعَهم فأخبرَهم بنذرِهِ، قالُوا شأنك وما نذرتَ، قال: ليأخذْ كلُّ رجلٍ منكم قِدْحاً ثم ليكتُب فيه اسمَه ثم ليأتِني به ففعلوا، فقامَ ودخلَ بهم على هُبَلٍ[2] في جوفِ الكعبةِ وضربَ عليهِم قداحَهم، فخرجَ قدحُ عبدِ اللهِ أبي رسولِ اللهِ وهو أصغرُهم،

---

(١) أسافٍ ونائلة: صنمان اتخذتهما قريش على موضع زمزم ينحرون عندهما: «السيرة النبوية جـ ١/٦٩».

(٢) هُبل: صنم اتخذته قريش على بئر في جوف الكعبة. «السيرة النبوية جـ ١/٦٩».

فأخذَ بيدهِ، وحدَّد الشَّفْرةَ، وجرّه إلى المذبحِ فقامت قريشٌ من أنديتها وقالُوا: لا تذبحه أبداً حتّى تُعْذرَ فيه لئِنْ فعلت هذا لا يزالُ الرجلُ يأتي بابنهِ فيذبحه فما بقاءُ النّاسِ على هذا، ولكنْ انطلق إلى الحجازِ فإنّ بها عرّافةً[1] لها تابعٌ فسَلْها فرحلَ عبدُ المطّلبِ، وقصَّ عليها القصصَ فقالتْ[2]: صاحِبَكم وعشراً من من الإبلِ ثم اضربوا عليها بالقداحِ فإنْ خرجت على صاحبكم فزيدوا حتّى يرضى ربُّكم، فرجعوا إلى مكّة، وقرّبُوا الإبلَ هُبَلَ ولم يزالُوا يضربونَ عليها بالقداحِ وعلى عبدِ اللهِ، والقداحُ تخرجُ عليه حتّى بلغتْ الإبلُ مائةَ، ثم خرجتْ على الإبلِ فأمرَ فنُحرتْ بالبطحاءِ. وفي شعابِ مكّةِ وفجاجها وعلى رؤوسِ الجبالِ حتّى أكلَها الناسُ والطيرُ وفيه يقولُ أبو طالب: [طويل].

وتطعمُ حتى تترك الطيرُ سورَها إذا جعلَتْ أيدي المفيضين ترعدُ

ثم أخذَ عبدُ المطّلبِ بيدِ عبدِ الله حتّى أتى وهبَ بنَ عبدِ منافٍ بنِ زهرة بنِ كلاب بنِ مرّة بنِ كعبِ بنِ لُؤيّ فزوّجه ابنته آمنةَ بنتَ وهبٍ وأمُّ آمنة برّةُ بنتُ عبدِ العُزّي بن قصيّ بنِ كلابٍ فحملَت آمنةُ بالنبي ﷺ، وهلكَ أبوه عبدُ اللهِ بالمدينةِ والرسولُ حَملٌ في بطنِ أمّه، فرثّته آمنةُ بنتُ وهبٍ أمُّ رسولِ الله ﷺ فيما يُروى: [طويل].

عفا جانبُ البطحاءِ من آلِ هاشمٍ وجاورَ لحداً مُدْرَجاً بالغماغمِ[3]
دعَتْه المنايا دعوةً فأجابها وما تركَتْ في الناسِ مِثْلَ ابنِ هاشمِ

في أبياتٍ غيرِها قالُوا ثم ماتَ وهبُ بنُ عبدِ منافٍ فرثّته ابنتُه آمنةُ أمُّ رسولِ الله ﷺ: [بسيط].

إنّي لباكيةٌ وهباً فمُعْولَةٌ وهبِ بن عبدِ منافٍ سيدٌ الناسِ
فقد رُزئت كريماً غيرَ مُؤْتشَبٍ[4] ضخمَ الدسيعةِ[4] حنّاساً لحنّاسِ[4]

---

(١) جاء في السيرة النبوية جـ ١/ ١٧٥؛ أنّ اسم العرّافة سَجّاح.

(٢) جاء في السيرة النبوية جـ ١/ ١٧٥: أنّ العرافة قالت: قرّبوا صاحبكم، وقرّبوا عشراً من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه القداح...

(٣) الغماغم: جمع مفرده الغمغمة: وهي أصوات الأبطال عند القتال أو الكلام الذي لا يُبيّن.

(٤) مؤتشب: يُقال: نسبٌ مؤتشب: مخلوط غير صريح.

(٤) الدسيقة: الجفنة الكبيرة.

(٤) الحنّاس: الورع المتّقي.

ماضي العزيمةِ لا يخُشى غوائلُه		من جوهرِ من قريشِ غيرَ أنكاسِ

في أبياتِ أُخرَ ثم توفيّ عبدُ المطّلبِ ورسولُ الله ﷺ ابنُ ثمانِ سنين أو أقلّ.

نسبُ أهلِ اليمن:

لا خلافَ أنّهم من ولدِ قحطانَ، وإنّما الخلافُ في قحطانَ، وهو قحطانُ أبو يعربُ وولدَ يعربُ يشجُب، وولدَ يشجبُ سبأَ، عبدُ شمسٍ بنُ يشجبَ، وإنّما سُمّي به لأنّه أوّلُ مَنْ سبا في العربِ، وولدَ سبأ سبعةَ نفرِ الأشعرَ بنَ سبأ ومنه رهطُ أبي موسى الأشعريّ وحميرَ ابنَ سبأ وأنمارَ بنَ سبأ وعاملةَ بنَ سبأ ومرّةَ بنَ سبأ، فولدَ مرةُ بنُ سبأ شعبانَ بنَ مرّة، وولدَ الأشعرُ بنُ سبأ الأشعريّين، وولدَ عمرو بنُ سبأ عديَّ بنَ عمرو، فولدَ عديُّ لخماً وجُذاماً، وجُذامُ قبائلها وبطونُها منهم جديسُ وغنمُ وجُشَمُ وغطفانُ ونفاثةُ ومَدالةُ والدارُ التي يُنسب إليها الداريُّون، وولدَ أنمارُ بنُ سبأ ولداً فخالفُوا خثعماً وبجيلةَ، وقالَ نُسّابُ مُضَرَ: أنَّ خثعماً وبجيلةَ ابنا أنمارِ ابنِ نزارٍ فجرَّ أنمارُ بنُ سبأ نسبَهم باسمِ أبيهم يتمنى به، وقدْ قالَ جريرُ بنُ عبدِ اللهِ البجلّي نافراً لفرافصةِ الكلبيّ إلى الأقرعِ بن حابسٍ:

يـا اقـرعَ بـنَ حـابـسٍ يـا اقـرعُ		إنّـك أن يُصـرعْ أخـوك تُصـرعُ

وقالَ أيضاً:

ابنـي نـزار ابصـرا أخـاكمـا		إنَّ أبـي وجـدْتُـه أبـاكمـا

لـن يغلـبَ اليـومَ أخٌ والاكمـا

وبجيلةُ امرأةٌ نُسبت القبيلةُ إليها، ومن بطونِ بجيلةَ قَسْرُ رهطُ خالدِ بنِ عبدِ الله القَسْريّ، وولدَ عاملةُ بنُ سبأ قبائلَ، ويزعمُ نُسّابُ مُضر: أنّهم من ولدِ قاسطِ قال الأعشى: [متقارب].

أعـامـلَ حتّـى متـى يـذهبـن		إلـى غيـرِ والـدك الأكـرمِ

ووالـدكُـم قـاسـطُ فـارجعـوا		إلـى النسـبِ الابلـدِ الأقـدمِ

وولدَ حميرُ بنُ سبأ ستَّ نفرِ مالكَ بنَ حميرٍ وعامرَ بنِ حميرٍ وعوفَ بنِ حميرٍ وسعدَ بن حميرٍ ووائلةَ بن حميرٍ وعمرو بنَ حميرٍ، فولدَ مالكُ بنُ حميرٍ قُضاعةَ بنَ مالكٍ، وولدَ قضاعةُ قبائلَ منها كلبُ بنُ وَبرة ومصادُ وبنوا القَيْن وتنوخُ وجرمُ بنُ زياد وراسبُ وبهراءُ

وبلي ومهرةُ وعُذرةُ وسَعْدُ هُذيم، وهُذيمُ عبدٌ حبشيّ نُسب إليه، والشائعةُ منه ذو الكلاعِ وذو نواسٍ وذو اصبحٍ وذو جدنٍ وذو يزنٍ وبطونٌ كثيرةٌ وفيه يقولَ الفاكهيُّ[1]: [رجز].

الحسبُ المعروفُ غيرُ المُنْكَر قُضاعةُ بنُ ملكِ بنِ حميرِ

وولدَ كهلانُ بنُ سبأ زيدَ بنَ كهلانٍ، فولدَ زيدُ بنُ كهلان ملكَ بنَ زيدٍ وأددَ بنَ زيدٍ، فولدَ أددُ طيِّ بنَ أُددٍ والغوثَ بنَ أددٍ، ومن طيِّ بنو نبهان الذي يذكُره أبو تمّام الطائيُّ[2]: [بسيط].

تنبّهت لبني نبهانَ حين ثوى يدُ الزمانِ فعاثتْ فيهم وفيه

ويقولُ في افتخارهِ بهم: [طويل].

لنا جوهرٌ زيديّة أُدديَّة إذا نجمت زلّتْ لها الأنجم الزُهْرُ

ومن طيِّ بنو ثُعلَ[3] الذي يذكرهُ امرؤ القيس[4]: [مديد].

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ مُخْرِجٍ كفَّيْه من سُتَرِه

ومن طيِّ بنو سنبس[5] الذين يذكرهُم الأعشى: [متقارب].

فصبّحها القانصُ السِنْبسيُّ فشلَّى كِلاباً بإيسادها

وولدَ مالكُ بنُ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سبأ يحابرَ بنَ مالكٍ وقرَّ ابنَ مالكٍ ومربع بنَ مالكٍ، فولدَ يحابرُ مذحَج، وولدَ مذحجُ مراداً وجلداً وعنساً وسعدَ العشيرةِ، وإنّما سُمّي سعدُ

---

(١) هو محمد بن إسحق أبو عبد الله، مؤرخ مكّة ألفّ تاريخ مكّة (ت ٢٧٦ هـ) «منجد الأعلام/ ٥١٨».

(٢) شاعر عبّاسي اسمه (حبيب بن أوس الطّائي) تنقّل في بلاد الشام والعراق ومصر، مدح الخلفاء، امتاز بخياله الواسع، ولد في جاسم (سورية) وتوفي في الموصل (٨٤٥). «منجد الأعلام٢٤».

(٣) بنو ثُعَل: بن عمرو، بن الغوث، بن طيء قال أبو عبيد: ومنهم البيت والعدد. قال صاحب حماة: ومنهم زيد الخيل. يعودون بنسبهم إلى القحطانية كهلان «الحي الثاني» صبح الأعشى ١/ ٣٧٢.

(٤) شاعر جاهلي ولد في نجد، من أصحاب المعلقات، من أشهر شعراء الجاهلي وأوائلهم توفي القرة (٥٤٠ م) «منجد الأعلام».

(٥) بنو سُنْبُس: هم بنو سُنْبُس بن معاوية بن جردل بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طيء. وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفة بثغر دمياط ولهم بطوناً منها: الخذاعلة، عيد، جموح، صبح الأعشى ١/ ٣٧٤.

العشيرةِ لأنّه شهدَ الموسمَ ومعه بنون عشرةٌ فقِيل له: مَنْ هؤلاء؟ فقالَ: هُم العشيرةُ، وولدَ سعدُ العشيرةِ جعفى بنَ سعدٍ وحبيبَ بنَ سعدٍ وصعبَ بنَ سعدٍ وعائذَ الله بنَ سعدٍ، وفيه يقولُ مُهلهلُ الشاعر[1]: [منسرح].

أنكحها فَقْدُها الأراقمَ في جنبٍ وكان الخِباءُ من أدَم
لو بأبانين جاءَ يخطبها ضرّج ما أنف خاطبٌ بِدَم[2]

وفي الجملةِ أكثرُ قبائلِ العربِ من اليمنِ فمنهم السكونُ وخولانُ والأزدُ ومازنُ بنُ الأزدِ وميدعانُ بنُ الأزدِ والهنو بنُ الأزدِ ورمادُ بنُ سلامانٍ، ومنهم آلُ العنقاءِ والفراهيدُ وقساملُ ويلادِسُ وثهلانُ وحرحنه، وبطونٌ كثيرةٌ قد دُوّنتْ في كتبِ الأنسابِ حتّى ما تسقطُ قبيلةٌ ولا فخذٌ ولا رهطٌ ولا بطنٌ.

نسبُ الأوسِ والخزرجِ:

وهمُ الأنصارُ وهُمْ من بلدِ كهلانَ بن سبأ، الأوسُ والخزرجُ ابنا حارثةَ بنِ ثعلبةَ بنِ عمرو بنِ عامرِ بنِ حارثةَ بن ثعلبةَ بنِ امرىءِ القيسِ بنِ ثعلبةَ بنِ مازنِ بنِ عبدِ الله بنِ الأزدِ بن غوثِ بنِ نبتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كهلانِ بنِ سبأ بنِ يشجبِ بنِ يعربِ بنِ قحطانٍ، وأُمُّهم قيلةُ، فيقالُ للأنصارِ أبناءُ قيلةَ، فولدَ الخزرجُ بنُ حارثةَ خمسةَ نفرٍ: جُشمَ بنَ الخزرجِ وعوفَ بنَ الخزرجِ: وهما الخرطومان يُقالُ: إن سرَّكَ العزُّ فحجيجٌ في جشمِ والحارثَ بنَ الخزرج وكعب بنَ الخزرجِ وعمرو بنَ الخزرجِ، وكانَ يُقالُ لهمُ: القواقلُ، وذلك أنّ الرجلَ كانَ إذا استجارَ بيثربَ قِيلَ له: قوقِلْ حيثُ شئتَ فَقَدْ أمنتَ، ومَن ولدِ عمرو بنِ الخزرجِ النجارُ، ويُقالُ لهم بنو النّجارِ واسمُه تيمُ اللاّتِ ابنُ ثعلبةَ، ويُقالُ سُمّي بذلك لأنّه نجرَ وجهَ رجلٍ بالقَدومِ، ويقالُ اختتن بالقَدومِ، وولدَ أوسُ بنُ حارثةَ مالكَ ابن أوسٍ، فمن مالكٍ تفرّقتْ قبائلُ الأوسِ كلُّها وبطونُها فمنها عمرو بنُ عوفٍ أهلُ قُبا، ومنهم جحجبى بنُ كلفةِ رهطُ أحيحة بنِ الجُلاح زوج سَلمى قبلَ هاشمٍ، ومنهم الجعادرةُ يُقالُ لهمُ أوسُ اللهِ، ومنهم اليستُ وجردسُ وبنو عبد الأشهلِ وبنو الحبلى رهطُ عبدِ الله بنِ أبيّ بن سَلولٍ، ومنهم جفنةُ

---

(١) هو عدي بن ربيعة، شاعر جاهلي. خال امرؤ القيس، بطل من أبطال حرب البسوس التي قتل فيها أخوه كليب فقال فيه أكثر أشعاره، لقب أيضاً بالزير (ت نحو ٥٣١ م). «منجد الأعلام/ ٦٩١».

(٢) أبانين: جبلان يقال لأحدهما أبان الأبيض وهو لبني فزارة، وأبان الأسود لبني أسد وبينهما ثلاثة أميال. «معجم البلدان ١/ ٨٣».

ابنُ عمرو، وآلُ القعقاعِ وآلُ محرّقٍ: وهمْ ملوكُ غسّانَ بالشامِ، واسمُ محرّقٍ بالشامِ الحارثُ بنُ عمرو، وإنّما سُمّي محرّقاً لأنّه كانَ يعاقِبُ بالنارِ وفيهم يقول حسانُ: [كامل].

أولادُ جفنةَ عندَ قبرِ أبيهمُ ... قبر ابنِ ماريَةَ الكريمِ المِفْضَلِ
يسقونَ من وردِ الرحيقِ عليهمُ ... بَرْداً يصفّقُ بالرحيقِ السَلْسلِ
يُوتُون منهُمُ ما تهرُّ كلابهُمْ ... لا يَسْألون عنِ السوادِ المُقْبِلِ
بيضُ الوجوه كريمةٌ أخلاقهم ... شُمُّ الأُنوف من الطرازِ الأوّلِ
إنّ التي ناولتَني فشربتُها ... قُتلَتْ قُتلَتْ فهاتِها لم تُقْتَلِ

يزعمونَ أنّه عندَ ما أرسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ على أهلِ سبأ سيلَ العرمِ فلما قَالَ عمرو بنُ عامرٍ في كهانتِهِ: ومَن كانَ منكمْ يريدُ الراسياتِ في الوحلِ المُطعماتِ في المَحْلِ فليلحقْ بيثربَ ذاتِ النخلِ فكانتْ الأوسُ والخزرجُ وقدْ قَالَ سُوَيْد بن صامت[1]:

أنا ابنُ مزيقيا عمرو وجدّي ... أبوه عامرٌ ماءُ السماءِ

وقالَ المنذُر بنُ حرامٍ جدُّ حسّانِ بنِ ثابتِ بنِ المنذرِ في الجاهليّةِ العمياءِ يذكرُ نسبهَم إلى غسّانَ ثمّ إلى نابتِ بنِ مالكٍ ثم إلى نبتِ بنِ إسماعيل بنِ إبراهيم: [طويل].

ورِثنا من البُهلول عمرو بنِ عامرٍ ... وحارثةَ الغطريفِ مجداً مُوثّلا
موارثَ من أبناء نبتِ بنِ مالكٍ ... ونبتِ بنِ إسماعيل ما أن تحوّلا

قالُوا وولدَ واثلةُ بنُ حمير الشكاشكَ بنَ واثلة والعددُ من حميرٍ في واثلة.

ذكرُ قيسِ بن عيلانَ بنِ مضرَ بنِ النزارِ بن معدٍّ:

ومن قيسٍ فهمُ وعدوانُ وأعصر وغنى بنُ أعصر وسعدُ بنُ أعصر: وهو أبو باهلة، وباهلةُ امرأةٌ من همذانَ ومنبّهُ بنُ أعصر: فهم الطعاوه وبنو اصمعَ رهطُ الأصمعيّ[2]، ومن بني باهلةَ قتيبةُ بنُ مُسلمٍ، ومن قيسٍ بنو وائلٍ، ومن بني وائلٍ سحبانُ وائلٍ وثقيفٌ هؤلاء

---

(١) أنصاري، أوسي، كان شاعراً محسناً كثير الحكمة في شعره، لقبه قومه الكامل لحكمة شعره وشرفه فيهم. «أسد الغابة ٢/ ٣٣٧».

(٢) أبو سعيد عبد الملك، من مشاهير لغويي العرب، تعلّم في البصرة، له مجموعة شعرية (الاصمعيات: ت ٨٢٨ م). «منجد الأعلام».

كلُّهم من مضَر.

ذكرُ ربيعة:

وأمّا ربيعةُ بنُ نزارِ بنِ معدٍّ فإنّه ولدَ أسدَ بنَ ربيعة واكلبَ بنَ ربيعة وضبيعةَ بن ربيعةَ فهؤلاءِ قبيلةٌ وبطونٌ كثيرةٌ فمنهم جديلةُ ودُعميّ وشنٌّ ولكيزُ ونكرةُ: وهمْ أهلُ البحرينِ، ومنهمْ الغَدَقُ وهنبُ بنُ افصى والأراقمُ وفدوكسُ رهطُ الأخطلِ[1] الشاعر وبكرُ بنُ وائلٍ وعِجْلُ وحنيفةُ وسَدُوسُ وقبائلُ كثيرةٌ وبطونٌ مشهورةٌ مذكورةٌ في الكتبِ، ومن قبائلِ مضرَ بنو الأخيلِ رهطُ ليلى الأخيليّة[2] والمجنون الشاعر وعامرُ رهطُ لبيدِ بنِ ربيعةَ العامريّ، ومنهم القرطاءُ قُرطُ وقريطُ ومقرطةُ، ومَنِ يعدُّ قبائلهم إلاّ النُّسّابُ وفي مقدارِ ما ذكرنا كفايةٌ فانّ علمَ الأنسابِ من صناعةِ الأعرابِ، والعربُ كلُّها من قحطانَ وعدنانَ فأمّا قحطانُ: فأبو اليمنِ ومَن عَدْدنا في جملتهمِ، وأمّا عدنانُ: فأبو سائرِ العربِ وهمْ يرجعون إلى بني نزارٍ مُضرَ وربيعة، وقَدْ ذكرنا بعضهم وثقيف بن مضر وهم فرقتان بنو مالك والأحلافُ.

ذكرُ رؤساء مكّة:

جاء في الخبرِأنّ أبراهيم عليه السلام لمّا حَملَ إسماعيل وأمّه إلى مكّة جاءَ جُرهم وقطورا من اليمنِ وهما ابنا عمٍّ فرأيا بلداً ذا ماءٍ وشجرٍ، فنزلاً ونكحَ إسماعيلُ في جرُهم، فلما تُوفّي ولي البيتُ بعدَهُ نبتُ بنُ إسماعيلَ: وهو أكبرُ ولدهِ، ثم ولي بعدهَ مضاضُ بنُ عمرو الجرهميّ خالُ ولدِ إسماعيلَ ما شاءَ اللهُ أن يليه، ثم تنافسَ جرهمُ وقطورا المُلكَ فخرَجَ جرهمُ في قعيقعان وهي أعلى مكّة، وعليهم مضاضُ بنُ عمرو، وخرجتْ قطورا في أجيادِ وهي أسفلُ مكّة، وعليهمْ السميدعُ، فالتقوا بفاضح[3] واقتتلوا قِتالاً شديداً، وقُتل السميدعُ فسُمّيت تلكَ البقعةُ فاضحاً، لأنّ قطورا فُضحتْ، وسُمّي أجياداً لما كانَ معهم من جِيادِ الخيلِ، وسُمّيت قعيقعان لتقعقعةِ السلاح، ثم تداعَوْا إلى الصّلحِ واجتمعوا في الشِعْبِ

---

(١) الأخطل: هو غياث التغلبي، كان نصرانياً من بني تغلب، اتصل بالأمويين فغدا شاعرهم الخاص، له ديوان مطبوع (ت ٧١٠ م). «منجد الأعلام/ ٢٧».

(٢) شاعرة عربية عقيلية، صاحبة توبة بن الحميرّ، لها شعر في الرثاء والهجاء (ت بعد ٧٠٤ م) «منجد الأعلام/ ٦٢١».

(٣) فاضح: موضع قرب مكة عند أبي قبيس، وسمّي بذلك لأن بني جُرهم وبني قطوراء تحاربوا عنده فافتضحت قطوراء يومئذ وقتل رئيسهم السميدع فسمّي بذلك. «معجم البلدان ٤/ ٢٦٢».

وطبخوا القدورَ، واصطلحوا، فسمّي المطابخُ قالُوا: ونشرَ اللهُ عزَّ وجلَّ ولدَ إسماعيلَ فكثرُوا وربلُوا[1] ثم تنشّروا في البلادِ لا يطأونَ أرضاً إلاّ ظهرُوا على أهلِها بدينهم، ثمّ إنّ جرهماً بغوا بمكّة، واستحلّوا حراماً من الحرمةِ فظلموا مَنْ دخلَها، وأكلَوا مالَ الكعبةِ، وكانتْ مكّةُ تسمَّى الناسّةُ لا تقرُّ ظلماً ولا بغياً، ولا يبغي فيها أحدٌ على أحدٍ إلاّ أخرجته وكانتْ بنو بكرِ بنِ عبد مناةِ وغُبشان بن خزاعة حُلولاً حولَ مكّة فأدنوهُم بالقتالِ فاقتتلوا عمرو بنَ الحارث بنِ مضاضِ الأصغرِ، وليسَ هو بمضاضِ الأكبرِ يقولُ لا هُمَّ إنّ جرهماً عبادُك، الناس طرفٌ وهم تلادُكْ، فغلبتهم خُزاعةُ ونفَتْهم عن مكّة نفيةً يقول عمرو بنُ الحارثِ بن مضاضِ الأصغر: [طويل].

كأنْ لم يكنْ بينَ الحجونِ إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يَسْمر بمكّة سامرُ[2]
بلى نحن كنّا أهلُها فأزالنا ... صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ
وكنّا وُلاةَ البيتِ من بعدِ نابتٍ ... نطوفُ بباب البيتِ والخير ظاهرُ
فأخرجَنا منها المليكُ بقُدرةٍ ... كذاك على الباقين تجري المقادرُ
وصرنا أحاديثاً وكُنَّا بغبطةٍ ... كما عضَّتِ الأولى السِنُون الغوابرُ

في أبياتٍ أُخَرَ ووليَتْ خزاعةُ البيتَ ثلاثَ مائةِ سنةٍ يتوارثون ذلكَ كابراً عن كابرٍ حتّى كانَ آخرهُم حليلَ بنَ حبش الخزاعي، وقريشٌ إذ ذاك صريح ولدِ إسماعيل حُلول وصِرَم وبيوتات متفرّقة إلى أن أدركَ قُصَيٌّ، وتزوّج بحبّى بنتِ حليلِ بن حبشٍ وولدتْ له عبدَ منافٍ وعبدَ العزّي وعبداً، وكثُر ولدهُ وعظُم شرفُه، وهلَكَ حليلُ بنُ حبشٍ، فرأى قصيٌّ أنّه أَوْلَى بالكعبةِ من خزاعةَ، فأخذَ ما بأيديهم، وقصيٌّ أوّلَ من أصابَ مُلكاً من العربِ من قريشٍ بعدَ ولدِ إسماعيلَ، وذلك في زمنِ المنذرِ بنَ النعمانِ على الحيرةِ والملكِ بهرامَ جورٍ في الفُرسِ، فقطعَ قصيّ مكّةَ أرباعاً، وبنى بها دارَ الندوةِ فلا تتزوجُ امرأةٌ إلاّ في دار الندوةِ ولا يُعقدُ لواءٌ، ولا يُعذَرُ غلامُ، ولا تُدرَعُ جاريةٌ إلاّ فيها، وسُمّيت الندوةُ لأنّهم ينتدونَ فيها للخيرِ والشرِّ، وكانتْ قريشُ تُؤدّي الرفادةَ إلى قصيّ: وهي خرجُ يخرجونه من أموالِهم يترافدونَ فيهِ، فصنعَ طعاماً وشراباً للحاجِّ أيّامَ الموسمِ، وكانتْ صُوفةُ: وهي قبيلةٌ من جُرهم بقيَتْ بمكةَ تلي الإجازةَ بالنّاسِ من عرفة، وخزاعةُ كانتْ تحجبُ البيتَ فإذا أفاضَ

(١) ربلُوا: كثرُ عددُهم.
(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها وقال السكري: مكان من البيت على ميل ونصف. وقال السهيلي: على فرسخ وثلث. «معجم البلدان ٢/ ٢٦٠».

النّاسُ أخذتْ صوفةُ وجازتْ خلّوا سبيلَ سائرِ النّاسِ حتى إذا كانَ العامُ الذي أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يظهر أمرَ قصيّ ففعلتْ صوفةُ كما يفعلهُ، فأتاهم قصيّ في مَنْ معهُ من قريشٍ، وقاتلُوا صوفةَ فهزمُوهم، وولي قصيٌّ البيتَ والرفادةَ والسِقايةَ والندوةَ واللواءَ فلمّا كبُر قصيٌّ ودقّ عظمه جعلَ الأمرَ إلى عبد الدّارِ لأنّه أكبرُ ولدِهِ، وهلكَ قصيٌّ وأقامتْ على ذلكَ زماناً ثمّ إنّ بني عبد منافٍ أجمعوا أن يأخذوا ما بأيدي عبد الدارِ، وهمُّوا بالقتالِ ثمّ تداعُوا إلى الصّلح على أن يُعطوا بني عبد منافٍ السقاية والرفادة، وأن تكونَ الحجابةُ واللواءُ والندوة لبني عبد الدّارِ، وتعاقدوا ذلك حَلفاً حلفاً مؤكّداً لا ينقضونه ما بلّ بحرٌ صوفةً، فأخرجتْ بنو عبدِ منافٍ جفنةً مملوءةً طيباً وغمسُوا فيها أيديهم، ومسحُوا بها الكعبةَ توكيداً على أنفسهم فسمُّوا المطيّبين، فأخرجتْ بنو عبد الدّار جفنةً من دم وغمسوا فيها أيديهم، ومسحُوا بها الكعبةَ فسمّوا الأحلاف، ولم يزالوا على ذلك حتّى جاء اللهُ عزّ وجلّ بالإسلام فقال النبيّ ﷺ «ما كان من حلفٍ في الجاهليّة فإنّ الإسلامَ لم يزدْه إلاّ شدةً» فأوّلُ من أصابَ من قريشٍ مُلكاً قصيٌّ بنُ كلابٍ ثمّ ابنهُ عبدُ الدّار وبنوه إلى أن قاسمهم بنو عبد منافٍ ثم هاشمُ بنُ عبد منافٍ واسمهُ عمرو، وإنّما سُمّي هاشماً لهشمه الثريد للحاجّ وذلك أنّه قال يا معاشر قريشٍ أنتمْ جيرانُ الله وأهلُ بيته يأتيكم في الموسم زُوّارُ الله شُعْثاً غُبْراً من كلّ فجٍّ عميقٍ على ضوامرٍ كأنّهم القداحُ قد أرصفوا ونهكُوا وثقلُوا وأرملوا[1] فاذرمُوا ضيفَ الله فترافدتْ قريشٌ مالاً عظيماً كلّ سنةٍ حتّى كان يخرجُ أهلُ اليسار منهم مائة دينارٍ هرقليّةٍ، فكانَ يأمرُ بالحياض فيُضربُ ويُترعُ من البئار، ويطعمُ النّاسُ اللحمَ والسويقَ والتمرَ إلى أن صدرُوا وفيه يقولُ الشاعر: [كامل].

يا أيّها الرجلُ المحوّلُ رحْلَه	هلاّ سألْتَ عن آل عبدِ منافِ
كانت قريشٌ بيضةً فتفلّقت	فالمخُ خالصها لعبدِ منافِ
عمرُو الّذي هشم الثريدَ لقومه	ورجالُ مكّة مُسْنتون عجافِ
نُسبت إليه الرحلتان كلاهما	سفرُ الشتاء ورحلةُ الأصيافِ

فهلك هاشمٌ بأرض غزّة فصار الأمرُ إلى عبد المطّلب بن هشام صاحب زمزم وساقي الحجيج ومُطْعم الوحش، ثم هلك وولي الأمر أبو طالبٍ، ثم وليه العبّاسُ، ثم أقرّ رسول الله ﷺ المفتاح في يدي عثمانَ بن طلحة، والسقايةَ في يدي العبّاسِ فهو في ولدهم إلى اليوم.

---

(١) أرملوا: يُقال: أرمل السهمُ بالدّم: تلطّخ.

ذكرُ رؤساءِ المدينة ووقوعُ قريظةِ والنضير إليها :

جاءَ في الخبرِ أنّ طَطوسَ بنَ استيانوس الروميّ الكافرِ لمّا خرَّب بيتَ المقدسِ إحدى المرّتين، وتفرّقتْ بنو إسرائيلَ جاءتْ قريظةُ والنضيرُ وهما من صريحِ ولدِ هارونَ بنِ عمرانَ أخي موسى بنِ عمران حتّى نزلُوا يثربَ، وذلك في الفترةِ، وكانَ نزولُ الأوسِ والخزرجِ إيّاها زمنَ سيلِ العرمِ لا شَكّ، ويُقالُ: إنّ مسقطَ يهودِ إليها من عهدِ موسى بنِ عمران عليه السلام وذلك أنّه بعثَ جيشاً إلى يثربَ، وأمرّهم أن يقتلوا كلَّ مَنْ وجدُوا على قامةِ السَوْطِ قال فقتلُوا إلاّ غلاماً لم يرَوْا أحسَن منه فإنّهم استبقُوه، وانصرفُوا إلى الشامِ، وإذا موسى قد هلَكَ وتبرّأتْ بنو إسرائيل من هذه الطبقةِ لمخالفةِ أمرِ موسى واستحيائهم من هذا الغلامِ، فاقبلوا راجعين إليها، واستوطنوا بها، فإن كان هذا حقاً فقد سبقُوا الأوسَ والخزرجَ إلى يثربَ واللهُ أعلم. قالُوا: وكانَ المُلكُ في اليهودِ ومَلِكهم قيطونُ وكان يبدأُ بالعروسِ قبلَ زوجِها حتى قتلَه مالكُ بنُ عجلانَ بنِ زيدِ بن سالمِ بنِ عوفِ بنِ عمرو بن عوفِ بنِ الخزرجِ كما ذكرنَا في قصّةِ ملوكِ اليمنِ، وملكَ مالكُ فصارتْ الرياسةُ له والشرفُ، ثم جعلتْ الأوسُ والخزرجُ يتوارثون الرياسةَ إلى أن هاجرَ إليهم النبي ﷺ فصارتْ الرياسةُ للإسلامِ وأهله السلام.

الفصل الخامس عشر

في ذكرِ مولدِ النبيِّ ﷺ ومنشأهُ ومبعثهِ إلى هجرتهِ

هذا نسبُ رسولِ اللهِ ﷺ في روايةِ محمّد بنِ إسحقَ المطّلبي وقد بيّنّا اختلافُ النّاسِ في نسبةِ عدنانَ وما فوقه في فصلِ الأنسابِ، محمّدٌ ﷺ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطّلبِ بنِ هاشمَ بن عبدِ منافٍ بنِ قصيّ بنِ كلابٌ بنِ مرّة بن كعبٍ بنِ لؤيّ بنِ غالبٍ بن فهرٍ بن مالكٍ ابنِ النضرِ بنِ كنانةِ بنِ خزيمة بنِ مُدركةَ بنِ الياسِ بن مضرَ بنِ نزارٍ بنِ معدٌ بن عدنانَ بن أددٍ ابن مقومٍ بنِ ناحورٍ بنِ تيرحٍ بنِ يعرُبٍ بنِ يشجبٍ بنِ نابتٍ بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيم بنِ تارحَ ابنِ ناحورَ بنِ ساروحَ بنِ رعو بنِ شالخٍ بنِ عابرٍ بن فالجٍ بنِ ارفخشذٍ بنِ سامٍ بنِ نوحٍ بنِ لامكٍ بن متوشلحٍ بنِ اخنوخٍ بنِ ياردٍ بنِ مهلايلٍ بنِ قينان بن شيثٍ بن آدمَ عليه السلام.

ذكرُ مولدِ النبيِّ ﷺ:

وُلدَ بمكّةَ عامَ الفيل بعدَ قدومِ أبرهةَ بخمسينَ ليلةٍ، وكانَ أوّلُ يومٍ من المحرّمِ عامَ الفيلِ يومَ الجمعةِ وقدم الفيلُ يومَ الأحدِ لسبعَ عشرة ليلةٍ خلت من المحرّمِ سنةَ ثماني مائةٍ واثنين وثمانينَ للاسكندرِ الروميّ وستّةَ عشَر ومائتين من تأريخِ العربِ الذي أوّله حجّةُ الغدرِ وسنةَ أربعٍ وأربعين من ملكِ انوشروان بن قُباذِ ملكِ العجمِ فيما يُروى، وكانَ مولدهُ ﷺ يومَ الاثنينِ لثماني ليالٍ خلَوْنَ من شهرِ ربيعِ الأوّلِ، وقالَ ابنُ إسحقَ لاثنتي عشرةَ ليلةٍ خلْت من شهرِ ربيعِ الأوّل[1]. قالُوا: وكانَ طالعَ النبيّ ﷺ برجُ الأسدِ، والقمرُ فيه بثماني عشرةَ درجة ودقائق، والشّمسُ في الثورِ بدرجةٍ: وهو يومُ السابعَ عشرَ من دى ماه ويومُ العشرينِ في

[1] جاء في السيرة النبوية جـ ١/١٩٩: أنّ الرسول ﷺ ولد لعشرٍ خلوْنَ من ربيع الأول، نقله ابن دحية في كتابه ورواه ابن عساكر ومجالد، وقيل: ولد لسبعة عشر خلْت منه، وقيل: لثمان بقينْ منه، والصحيح عن ابن حزم: أنّه ولد لثمانٍ خلوْن من ربيع الأوّل كما نقله عنه الحميدي.

الأرضِ التي تُعرفُ بابن يوسفَ بمكَّة فصيّرتْها الخيزرانُ بنتُ عطاءٍ امرأةُ المهديّ مسجداً، ويدلُّ خبرُ عبدِ الله بن كيسان عن عكرمة عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ وُضعَ ليلاً لأنّه قَالَ: كانَ أهلُ الجاهليّةِ إذا وُلدَ لهمْ مولودٌ من تحتِ الليلِ رمَوْه تحتَ الإناءِ فلا ينظرون إليه حتى يُصبحُوا، فلمّا ولدَ رسولُ الله ﷺ رمَوه تحتَ البُرمةِ[1] فلما أصبحُوا إذا هي قد انفلقتْ بيتين وعيناهُ إلى السماءِ فعجبُوا من ذلكِ، وأرسلُوا إلى عبدِ المطّلبِ فجاء فنظرَ إليه فقالَ: ارفعُوا ابني هذا فإنّه مِنّا ودُفعَ إلى امرأةٍ من بني سعدٍ بن بكرٍ فلما ارضعتْه دخلَ عليها الخيرُ من كلِّ جانبٍ، وكانتْ لها شُوَيْهات[2] فنمتْ، وازدادتْ زيادةً حسنةً، هذا الصحيحُ من خبرِ حليمةَ، قال ابنُ إسحقِ: والتُمِس الرُضعاءُ لرسولِ الله ﷺ فاستُرضعَ في بني سعدٍ بن بكرٍ بثدي حليمةَ بنتِ أبي ذُؤيبٍ وزوجُها الحارثُ بن عبد العُزّى وإخوة رسولِ الله ﷺ من الرّضاعةِ عبدُ الله بن الحارثِ وأنيسةُ بنتُ الحارثِ والشيماءُ بنتُ الحارثِ فكانَ عندَ ظِئْرهِ سَنتَيْن إلى أن فطمتْه وردّتْه إلى أمّه، ثم عاذت إلى بلادِها فلما تمتْ له خمسُ سنين حملتْه إلى أمّه فكانَ عندَ أمّه سنةً حملتْه إلى بني عدي بنِ النجارِ تريدُ إيّاهم للخؤولةِ التي كانتْ لهم فكانَ مصيرُها به إلى منصرفِها شهرٍ، وتُوفيتْ آمنةُ بنتُ وهب أمُّ رسولِ الله ﷺ بالأبواء: منزلٍ بينَ مكّة والمدينةِ، وهي راجعةٌ إلى مكّة، ورسولُ الله ﷺ ابنُ ستِّ سنين فحملتْه أمُّ أيمن وهي حاضنتُه ومولاةُ أبيهِ إلى مكّة، فكانَ في حجرِ عبدِ المطّلبُ فلمّا بلغَ ثماني سنين توفّي عبدُ المطّلبِ، وهلكَ أنوشروان في هذه السنةِ كما يدلُّ عليه التأريخُ، ثمّ ضمّه أبو طالبٍ إلى نفسهِ، وأقامَ عندهَ أربعَ سنين فلمَا بلغَ اثنتي عشرةَ سنةً عُرِضَ لأبي طالبِ الخروجُ إلى الشام في تجارةٍ فخرجَ بالنبيّ ﷺ صَبابةً به ورِقّةً قالُوا حتّى إذا كانُوا ببُصرى أشرفَ عليهم راهبٌ يُقالُ له بحيرا[3] فرأى علامةً من علاماتِ النبوّةِ فاتّخذَ طعاماً، ودعا الركبَ إليه فحضروه، وخلّفوا النبيَّ ﷺ في رحالهمِ لحداثةِ سنّهِ، فقالَ بحيرا لا يتخلّفنّ أحدٌ عن طعامي فدعوهُ فلما أبصره بحيرا توسّمَ فيه مخائلَ النبوّةِ، وعرِفَ دلائلها فاحتضنُه، وضمَّه إلى نفسهِ، وقَالَ لأبي طالبٍ منْ هذا الغلامُ منك؟ قَالَ: هو ابني، قال: ما ينبغي له أن يعيشَ أبوه قَالَ ابنُ أخي، قَالَ: ارجعْ بابنِ أخيك واحذرْ عليه من اليهودِ فإنّه

---

(١) البُرْمة: القِدْر من الحجر.

(٢) شُوَيْهات: جمع: شُويّة وشويْهة: وهي مصغر شاة.

(٣) بحيرا الرّاهب: راهب أقام في جزيرة العرب، وابتنى له صومعة على طريق القوافل، وكان يدعو البدو إلى التوحيد عاش في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، «منجد الأعلام/ ١١٩».

كائنٌ لابنِ أخيك شأنٌ عظيمٌ فقضى أبو طالبٍ تجارته، وأسرعَ به إلى مكَّة وفيه يقول: [بسيط].

ألــم يكــن لقــريــشٍ آيــةً عجَــبٌ فيمــا يقــولُ بحيــراءٌ وعــدّاسُ

قالُوا فشبَّ رسولُ الله ﷺ شباباً حسناً يكلؤُه الله عزَّ وجلَّ ويحوطُه من اقذارِ الجاهليّةِ لما يريدُ به من كرامتِهِ حتّى كانَ اسمُه في قومِهِ الصَّدوقُ الأمينُ، فلما بلغَ عشرين سنةً هاجتْ حربُ الفجارِ[1] في روايةِ ابنِ إسحقَ والواقديّ وروى أبو عُبيدة[2] عن أبي عمرو بنِ العلاء قال: هاجتِ الفجارُ ورسولُ اللهِ عليه الصلواتُ والسلام ابنُ أربعَ عشرة سنةً أو خمس عشرةَ سنة وقالَ النبيُّ ﷺ كنتُ أنبلُ إلى أعمامي في الفجارِ، قالُوا: وإنّما سُمّيتْ هذه الحربُ الفجارُ وكانتْ وقعاتٌ لما صنعُوا فيها من الفجورِ في الشهرِ الحرامِ، وذلك أنَّ النعمانَ بنَ المنذرِ عاملَ ابرويزَ على الحيرةِ كانَ يبعثُ كلَّ سنةٍ بلطيمةٍ[3] إلى سوقِ عكُاظ[4] في جَواري رجلٍ من العربِ، فلما كانَ في هذهِ السنةِ قَالَ: مَنْ يجيرُ هذه العيرَ، قالَ، عروةُ بنُ عتبة بنِ جعفرِ بنِ كلابِ الرحّالُ: أنا أيُّها الملكُ، وقَالَ البرّاضُ بنُ قيسٍ وكانَ خليعاً: والخليعُ مَنْ خَلّع حلفاءه فمن قَتله فدمَه هَدْرٌ: أنا أيّها الملكُ، فَقَالَ: أتجيرها على أهل الشيح والقَيْصوم[5]. وأنتَ كالكلبِ الخليعِ إنّما أنت اضْيَقُ إستاً[6] من ذلك، فقالَ البَرّاضُ: أتجيرُها على كنانةَ، قَالَ: نعم وعلى الخلقِ جميعاً، فسلَّم النعمانُ اللطيمةَ إلى عُروة وتبعه البرّاضُ حتّى إذا كانَ بتيمن ذي طلالِ أصابَ فرصةً من عروةَ فوثبَ عليه فقَتله في الشهرِ الحرامِ وقَالَ في ذلك: [وافر].

وداهيــةٌ يهــمّ النّــاسُ قتلــي شددتُ لها بني بكر ضلوعي
هدمتُ بها بيوتَ بني كلابٍ وأرضعتُ الموالي بالضروعِ

---

(١) حرب الفجار: حرب حدثت في أواخر القرن السادس بين قريش وكنانة وبين بعض قبائل قيس عيلان، ما عدا غطفان، سميّت بالفجار لأن القتال حدث في الأشهر الحرام «منجد الأعلام/ ٥٢٠».

(٢) هو معمر بن المثنى، عالم باللغة والشّعر أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ويونس، وعنه أخذ ابن سلام والسجستاني ولد في البصرة وتوفي فيها سنة (٨٢٥ م) «منجد الأعلام/ ١٧».

(٣) لطيمة: تجارة.

(٤) عُكاظ: من أسواق العرب في الجاهلية، يقام في موضع بين نخلة والطائف يبعد عن مكة ثلاثة أيّام، كانت تجتمع فيها القبائل مدة عشرين يوماً في شهر ذي القعدة من كل سنة. «منجد الأعلام/ ٤٧٢».

(٥) القيصوم: بنات طيّب الرائحة يتداوى به.

(٦) الإست: الأصل، الأساس.

قتلتُ به بتَيْمَن ذي طلالٍ   فخرَّ يميدُ كالجدعِ الصريعِ

وتسامعَ الناسُ به فخرجَ كنانة وقريشٌ بطلبِ ثأرِ عروة، وخرجتْ قيسُ بنُ عيلان لأجلِ البرّاضِ، واقتتلوا قِتالاً شديداً بعكاظ في الشهرِ الحرامِ، ثم تحاجزوا وتداغشوا[1] إلى الصّلح، ورهَنَ حربُ بن أُميّة ابنَهُ أبا سفيان بنَ حربٍ في ذلك الصلحِ وفيه يقولُ الشاعر: [خفيف].

قد بعثنا الحجارَ من كلِّ حيّ   وقمعنا الفجارَ يومَ الفجارِ

قالُوا: إنّ رجُلاً تاجراً قِدَم مكّة وباعَ سِلعتَه من العاصِ بن وائلِ السهميّ فمطلَه حتى أجهده فصعدَ الرجلُ جبلَ أبي قُبيس[2] ونادى: [بسيط].

يا للرجالِ لمظلومٍ بضاعته   ببطنِ مكّة نائي الأهْلِ والنَّفْر
إنّ الحرامَ لمن تمت حرامتُه   ولا حرامَ لمثوى لابسِ الغدر[3]

فاجتمعَت قريشٌ في دارِ عبدِ الله بن جُدعانٍ[4]، وتحالفُوا على أنْ يكونُوا يداً واحداً على المظلومِ حتّى يأخذُوا له حقّه فسمَّته قريشٌ حلفَ الفضولِ، وقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ «لقد شهدتُ في دارِ عبدِ الله بنِ جدعانَ حِلفاً ما أحبّ أنَّ لي به حُمرَ النّعمِ ولو أُدْعى به في الإسلامِ لأجبتُ وما كان من حلفٍ في الجاهلّيةِ فإنّ الإسلامَ لم يزده إلاّ شدّة».

خروجُ النبي ﷺ إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها:

قالوا: وكانتْ خديجةُ بنتُ خويلدٍ بنِ أسدِ بن عبدِ العزّى بنِ قصيّ من مياسيرِ قريشٍ وتُجّارها، تستأجرُ الرجالَ، وتبعثُهم في مالِها، وذكر الواقديُّ أنّ أبا طالبٍ قَالَ يا ابنَ أخي أنا رجلٌ لا مالَ لي وقدْ الحّتْ علينا سِنُونٌ منكرةٌ فلو جئتَ خديجة، وعرضتَ عليها نفسَك لاسرعتْ إليك بما يبلغُها من صدقِك وعظمِ أمانتِك، فقالَ رسولُ الله ﷺ «فلعلّها تُرسل إليّ

---

(١) تداغشو: يُقالُ: تداغش القومُ: اختلطوا في حربٍ أو صخبٍ.

(٢) جبل أبو قبيس: جبل شرقي مكّة وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام. «منجد الأعلام/ ١٨».

(٣) جاء في السيرة النبوية جـ ١/ ٢٥٩: أنّ الرّجلَ صاحبَ البضاعة من زبيد وأنّه قال:

يا آل فهرٍ لمظلومٍ بضاعته   ببطن مكة نائي الدّار والنفرِ
إنّ الحرامَ لمن تمّت كرامته   ولا حرام لثوبِ الفاجرِ الغَدِرِ

(٤) انظر وفيات الأعيان جـ ٢/ ٤٦٩.

في ذلك» وبلغَ خديجةَ خبرُ أبي طالبٍ وما فاوضَ ابنَ أخيه فأرسلتْ وسألتْه أن يخرجَ معه مَيسرة غلامٌ لها، فخَرجَ وباعَ سلعتَها واشترى ما أرادَ أن يشتريَ، وأقبل قافلاً إلى مكّة فباعتْ الحمولاتِ فأضعفتْ وأثمرتْ فرغبِتْ في نكاحِ رسولِ الله ﷺ.

نكاحُ خديجة رضي الله عنها:

قالُوا: ولمّا ظهرَ لها من بركةِ رسولِ الله ﷺ وعُظمِ أمانتهِ وصدقِ وفائهِ رغبت في نكاحهِ، قَالَ الواقديّ: فارسلتْ نفيسةَ مولاةً لها دسيساً فقالتْ يا محمّد ما يمنعك أن تتزوّج، قَالَ: ما بيدي شيءٌ ما أتزوّجُ، فقَالتْ: نفيسةُ: فإن كُفيتَ ذلك ألاَ تُجيبُ، قَالَ: ومَنْ هي؟ قَالتْ: خديجةُ فذكرَ رسولُ الله ﷺ لأعمامهِ ذلك فخرَجَ معهُ حمزةُ بنُ عبد المطلب فخطبَها إلى أبيها خويلدِ بنِ أسدٍ، ومعه ثَمَلٌ فلمّا أصبحَ وصحا، قَالَ: ما هذا الخَلُوق وهذه الحُلّة؟ قَالُوا: كساكها محمّد بنُ عبد اللهِ فقد أنكحتَه خديجةَ، ودَخَل بها فانتهرَهم، قَالَ: وأصدقها عشرين بكرةً، وروى الواقديّ أنّه أنكحَها عمُّها عمرو بن أسد، وكَانَ رسولُ الله ﷺ ابنُ خمسةٍ وعشرين سنةً يومَ تزوّجها، وخديجةُ بنتُ أربعين سنة[1]، ولم يتزوّجْ عليها غيرَها حتّى ماتتْ وكانتْ قبلَه تحتَ عتيقِ بنِ عبدِ اللهِ، ويُقالُ: ابن عابدٍ وولدتْ له جاريةً، ثم خلفَ عليها بعد عتيقٍ أبو هالة هندَ بنَ زُرارة فولدتْ له هندَ بنَ هندٍ، وولدَت لرسولِ الله ﷺ جميعَ ولدهِ إلاّ إبراهيمَ ابن ماريةَ فإنّه من القبطيّة، فأكبرُ ولده القاسمُ وبه كان يُكنى أبا القاسم، ثم الطيبُ ثم الطاهرُ ثم رقيةُ ثم زينبُ ثم أمُّ كلثوم ثم فاطمةُ، قالَ الواقديُّ: ولم أرَ أصحابنَا يُثبتون الطيّب، ويقولُون: هو الطّاهرُ وفي روايةِ سعيد بنِ أبي عروبة[2] عن قتادة أنّها ولدتْ لرسولِ الله ﷺ عبدَ منافٍ في الجاهليّةِ، وولدتْ له في الإسلام غلامَيْن وأربع بناتٍ القاسم وعبدَ الله فماتا صغيرَيْن، وفي كتابِ ابنِ إسحقَ أنّ أبنيه هلكا في الجاهليّةِ، وأن بناتّه أدركْنَ الإسلامَ وهاجْرنَ واللهُ أعلمُ.

ذكرُ بنيانِ الكعبة:

قالُوا: ولمّا بلغَ رسولُ الله ﷺ خمساً وثلاثين سنةً اجتمعتْ قريشٌ لبنيانِ الكعبةِ

---

(١) جاء في السيرة النبوية جـ ١/ ٢٦٥ أن خديجة عندما تزوجها الرسول كان عمرها خمساً وثلاثين، وقيل خمساً وعشرين.

(٢) انظر وفيات الأعيان جـ ٦/ ١٤٠.

ليرفعُوها ويسقّفوها، وإنّما كانتْ رَضماً فوقَ القامةِ فجاءَ سيلٌ فهدَمه، وفي جوفِها بئرٌ يُحرزُ فيه كنزُ الكعبةِ، وما يُهدى لها فسَرقَ منها رجلٌ يُقالُ له دُويك فقطعت قريشٌ يده، وتهيّأوا لبناء الكعبةِ، وكانَ البحرُ قد رمى بسفينةٍ إلى جُدَّةَ فتحطّمتْ فأخذوا خشبَها، وكانَ بمكّة رجلٌ قبطيٌ نّجارٌ فسوَّى لهُمْ ذلك، وبنوها ثماني عشرةَ ذِراعاً، فلمّا انتهُوا إلى موضعِ الرُّكنِ اختصموا، وأرَاد كلُّ قومٍ أن يكونوا هم الذين يلونَه ويرفعونه إلى موضعِه، وتفاقَم الأمرُ بينهم، وتواعدوا للقتالِ، ثم تحاجزُوا وتناصفُوا على أن يجعلُوا بينهم أوّلَ طالعٍ من بابِ المسجدِ يقضي بينَهم، فكانَ ذلك رسولُ الله عليه الصلاة والسلام فقَالَ: هلمّ ثوباً فأتي به فوضعَ الركنَ فيه، ثمْ قَالَ ليأخذ كلُّ فئةٍ بناحيةٍ من الثّوبِ، ثم ليرفعُوه ففعلوا حتى إذا رفعُوه إلى موضعِه أخذَ الحجرَ بيدِه فوضَعه في الرّكن فرضُوا بذلك، وأنهوا عن الشرّ.

ذكرُ المبعثِ ونزول الوحي:

قالُوا: فلمّا بلغَ رسولُ الله ﷺ أربعين سنةً بعثَه اللهُ تعالى رحمةً للعالمينِ وهُدىً للخلقِ أجمعين، وكانَ في مبتدأ الأمرِ يرى الرؤيا، ويسمعُ الصوتَ، ويتمثّلُ له الخيالُ فراعَ لذلك وذُعِر، ورُوينا عن عكرمة: أنّه قال: أُنزلتِ النبوّةُ على محمّدٍ ﷺ وهو ابنُ أربعين سنة فقرنَ بنبوّتِهِ إسرافيلُ ثلاث سنين فكان يتراى له، ويُلقي الكلمة إليه، ولم ينزلِ القرآنُ على لسانِهِ، ثم قرن بنبوّتِهِ جبريلُ عليه السلام فنزلَ القرآنُ عشرين سنة: عشراً بمكّة وعشراً بالمدينة، وروى ابنُ إسحقَ عن الزُهري عن عائشة أنَّ أوّلَ ما ابتدى رسولُ الله ﷺ من النبوّةِ الرؤيا الصادقةُ فكانَ لا يرى رؤيا إلاّ جاءتْ كفَلَقِ الصبّحِ، ثم حُبّبتْ إليه الخلوةُ فلم يكنْ شيء أحبُ إليه أن يخلو وحدَهُ، ثم جاءَهُ الملكُ قالوا: وكان قريشٌ يتحنّثون بحراءَ في رمضانَ، وكان رسولُ الله ﷺ يفعلُ ذلك لأنهُ من البرّ فبينا هو عاكفٌ بحراء، ومعهُ التمرُ واللبنُ يُطعمُ الناسَ ويسقيهم إذْ استعلقَ له جبرائيلُ ليلةَ السبتِ وليلةَ الأحدِ، ثم أتاهُ بالرسالةِ يومَ الاثنين لسبعَ عشرَة خلتْ من شهرِ رمضانَ بقول الله تعالى **﴿شهرُ رمضانَ الذي أنزلَ فيه القرآنُ﴾** [البقرة: ١٨٥] وهو الخامسُ والعشرون من ابانِ ماه والتاسعُ من شباطِ، وذلك في سنةِ عشرين من مُلكِ ابرويزَ، وأهلُ الأخبارِ على أنّ أوّلَ ما أنزلَ من القرآنِ خمسُ آياتٍ من سورة **﴿اقرأ باسمِ ربّك الذي خلقَ﴾** [العلق: ١] إلى قوله **﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾** [العلق: ٥] وذكر بعضهم: أنه ﷺ قال «أتاني رجلٌ وفي يدِهِ سِمْطُ ديباجٍ وأنا نائمٌ فركضني برِجْله وقال اقرأ ففعل ذلك مرّةً أو مرّتين ثمّ قال **﴿باسم ربّك الذي خلقَ خلقَ الإنسانَ من علقٍ اقرأ وربُّك الأكرمُ الذي علّم بالقلمِ علّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾** [العلق: ٥] ثم قالَ ابشرْ فأنا جبريلُ وأنتَ

نبيُّ هذه الأُمّة وصلّى به ركعتين» وفي رواية عُبيد بن عُمير الليثي[1] أنّه أتاهُ وهو نائمٌ ولم يذكر أنّه ركضَه برجلِهِ، قَالَ: «فأتيتُ خديجةَ وقد هالني من رأيتُ وكأنّما كتابٌ كُتبَ في قلبي، وقلتُ أخْشَى أن أكون شاعراً أو مجنوناً» قالتْ: وما ذاك ابنَ أخي فقصصتُ عليها القصّة، فقالت ابشِرْ: فإنّك تُطعمُ الطعَام، وتَصِلُ الرّحِم، وتصدقُ الحديثَ وتُودّي الأمانةَ لا يصنعُ الله بكَ إلا خيراً ثم جمعتْ عليها ثيابَها وانطلقتْ إلى ابنِ عمِّها ورقةَ بن نوفل بن أسدِ بن عبد العُزّى ابن قصيّ، وكان نصرانياً قد قرأ الكتبَ فقصّتْ عليه الخبرَ فلمّا ذكرتْ جبريلَ، قَال قدّوسٌ قدوسٌ مالكِ تذكرين الروحَ الأمينَ بهذا الوادي الذي أهله عبدةُ الأوثانِ لئن كُنْتِ صدقْتني لقد جاءَه الناموسُ الأكبرُ الذي كانَ يأتي موسى بنَ عمران فقولي له فليتثبّتْ، وإذا جاءه فتحسّري بين يدَيْه فإن كانَ شيطاناً ثبتَ وإن كان ملكاً لا تراهُ حينئذٍ، فرجعت خديجة إلى رسولِ الله ﷺ وقالتْ إذا أتاكَ صاحبُك فنادِ بي فبينما هو عندها إذْ جاءه جبريلُ عليه السلام، فقال النبيُّ عليه السلام: ها هو يأخذُ بي، فقالتْ: فقُمْ واقعدْ على فخذي، وحسرتْ عن رأسِها وقالت: تراه، قَالَ: لا، قالتْ ابشرْ فإنّه واللهُ مَلَكٌ وما هو شيطانٌ، ولو كانَ شيطاناً ما استحي فآمنتْ به وصدّقته، وكثيرٌ من النّاس يقولون: أنّ أوّل الناسِ إيماناً بالنبيّ ﷺ خديجةٌ، ورُوينا عن أبي رافع[2] أنّه قال: صلّى رسولُ الله ﷺ غداةَ يومِ الاثنينِ، وصلّتْ خديجةُ في آخرِ ذلك اليومِ، قالُوا: ونزلت في هذه القصّةِ **﴿نٓ والقلمِ وما يسطرون ما أنت بنعمةِ ربّك بمجنون﴾** [القلم: ٢] قال ورقةُ بن نوفل فيما روى ابن إسحق عنه: [وافر].

لججتُ وكنتُ في الذِكرى لَجوجا	لِهـمٍّ طـالمـا بُعـث النشيجـا
ووَصْفٍ من خديجة بعد وصفٍ	فقـد طـالَ انتظـاري يـا خـديجـا
بمـا خبّـرتنـا مـن قـولِ قَـسّ	مـنَ الـرُهْبـان أكـرهُ أنْ يعـوجـا
بـأنّ محمّـداً سَيَسُـودُ يـومـاً	ويخصـمُ مـنْ يكـونُ لـه حجيجـا
فيـا ليتـي إذا مـا كـان ذاكُـم	شهـدتُ فكنـت أوّلهـم وُلـوجـا
وُلوجاً في الذي كرهَتْ قريشٌ	ولـو عجّـت بمكّتهـا عجيجـا

---

(١) يكنى أبا عاصم، قاص أهل مكة معدود في كبار التابعين، ذكر مسلم أنّه ولد على عهد النبي روى عن عمر وغيره من الصحابة (أسد الغابة ٣/ ٤٤١).

(٢) مولى النبي (ﷺ) واختلف في اسمه فقيل: أسلم، وقيل إبراهيم، وقيل صالح، كان مولى للعبّاس بن عبد المطلب، أسلم معهم، توفي في خلافة عليّ «أسد الغابة ٥/ ١٠٦».

فـإن تبقـوا وأبْـق يكـنْ أمـورٌ   يضـجّ الكـافـرون لهـا ضجيجـا
وإنْ أهْلِـكْ فكـلّ فتـى سَيَلْقـى   مـن الأقـدارِ مَتْلَفـةً خـروجـا

قالَ الزُهريّ: فهلكَ ورقةُ بنُ نوفل قبلَ الوحي وقبلَ إظهارِ النبيّ ﷺ الدعوةَ واللهُ أعلمُ بصدقِهِ.

انقضاضُ الكواكبِ:

رأيتُ في بعضِ كتبِ التأريخِ أنّه كانَ بينَ مبعثِ رسولِ الله ﷺ وإلى أنْ رأتَ قريشٌ النجومَ يرمى بها في السماءِ عشرونَ يوماً، وقَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ **﴿إنّا زينّا السماءَ الدُّنيا بزينةِ الكواكبِ وحفظاً من كلِّ شيطانٍ ماردٍ لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويُقْذفون من كلِّ جانبٍ دحوراً ولهم عذابٌ واصب إلاّ من خَطفَ الخطفَةَ فأتبعه شهابٌ ثاقبٌ﴾** [الصافات: ٧ ـ ١٠] فدلّ بقولِهِ حفظاً من كلِّ شيطانٍ ماردٍ سُئل الزُهريُ عن انقضاضِ الكواكبِ في الجاهليّةِ فقَالَ قَدْ كان ذلك فلمّا بُعثَ رسولُ الله ﷺ شُدّد وغُلّظ ألا ترى إلى قول الشاعر: [بسيط].

فأنقضّ كالكوكبِ الدُرِّيّ يتبعه   نَقْـعٌ يُخـال علـى أرجـائـه الطُنُبـا

وقد رُوي أخبارٌ في هذا البابِ والذي يُشبه الحقَّ أنّه قَدْ كان قَبل ذلك انقضاضُ الكواكبِ، وأنّه قرَن به عندَ الوحي ضربٌ من العذابِ يقضي به الخاطفُ المستمعُ واللهُ أعلمُ.

ذكرُ فترةِ الوحي:

قالُوا: ثمّ فترَ الوحي عن رسولِ اللهِ ﷺ حتّى شقّ عليه مشقّةً شديدةً، وفي روايةِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنه أنه كان يعدو مرّةً إلى ثبيرَ[1] ومرّةً إلى حِراءَ يريدُ أنْ يُلقى نفسَه منها، فبينا هو كذلك إذْ سمعَ صوتاً فرفعَ صوتَه، فإذا هو بالملكِ الذي جاءَه بحراء بينَ السماءِ والأرضِ، قال: «فخشيتُ رُعباً ورجعتُ إلى أهلي فقُلتُ: زّملوني فألقَوْا عليّ قطيفةً سوداءَ وصبّوا عليّ ماءً بارداً فنزل» **﴿يا أيّها المُدّثرُ قُم فأنذرِ وربَّك فكبِّر وثيابك فطهِّرْ والرُجْزَ فاْهجُرْ﴾** [المدّثر: ٥].

---

(١) ثبير: من أعظم جبال مكة بينها وبين عرفة سمّي ثبيراً برجل من هذيل مات في ذلك الجبل. «معجم البلدان ٢/ ٨٥».

ذكرُ اختلافهم أوّلَ مَنْ أسلم:

قيلَ: خديجةُ رضي الله عنها، صلّى رسولُ الله ﷺ غداةَ يوم الاثنينِ، وصلّت خديجةُ آخرِ اليوم، وقيلَ عليّ بن أبي طالب: صلّى رسول الله ﷺ يوم الاثنينِ وصلّى عليّ يومَ الثلاثاء، وقيلَ: زيدُ بنُ حارثةِ، وقيلَ أبو بكر الصدّيقُ رضي الله عنه، وأمّا ابنُ إسحق. فإنّه يقول: أولُ من ذُكِرَ من النّاسِ آمنَ بمحمّد ﷺ عليُّ بن أبي طالبِ عليه السلام، ثمّ زيدُ بنِ حارثةِ، ثم أبو بكر الصدّيق[1]، وأسلمَ بدعائهِ عثمانُ بنُ عفّان، ثم سعدُ بن أبي وقّاص، وعبدُ الرحمن بنُ عوف وطلحةُ بن عبيد الله فهؤلاء النفرُ الثمانيةُ الذين سبقُوا بالإسلامِ، وروى الواقديّ: أنّ سعد بنَ أبي وقاصٍ قالَ لقَدْ أتى عليّ يومٌ وإني لثالثِ الإسلام وعن عمرو بن عنبسة كنتُ ثالثاً أو رابعاً في الإسلام، وعن خالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ كنتُ خامساً في الإسلامِ، وممّن سبقَ اسلامه أبو عُبيدةُ بنُ الجرّاح والزُبيرُ بنُ العوّامِ وعثمانُ بنُ مظعونٍ وقدامةُ بنُ مظعونٍ وعبيدةُ بنُ الحارث وجعفرُ بنُ أبي طالبِ وعبدُ الله بنُ مسعودٍ وعبدُ الله بنُ جحشٍ وأخوه أبو أحمد بنُ جحشٍ وأبو سلمةُ بنُ عبدِ الأسدِ وواقدُ بنُ عبدِ اللهِ وخُنيسُ بنُ حذافة ونعيمُ بنُ عبد اللهِ النحّام وخبّابُ بنُ الأرتّ وعامرُ بنُ فُهيرةَ رضي الله عنهم أجمعين، ومن النساءِ أسماء بنت عُميس الخثعميّةُ امرأةُ جعفر ابن أبي طالبِ وفاطمةُ بنتُ الخطّابِ امرأةُ سعيدِ بن زيد بن عمرو وأسماء بنتُ أبي بكرٍ وعائشة وهي صغيرةٌ فكانَ أسلامُ هؤلاء في ثلاث سنينَ، ورسولُ الله ﷺ يدعو في خُفْية قبلَ أنْ يدخلَ دارَ أرقم بن أبي الأرقمِ، ثم أسلم صُهيبُ بنُ سنان و عمّارُ بنُ ياسر وكان اسلامهما بعدَ اسلام بِضعةٍ وثلاثين رجلاً، ثم فشا بمكّة وتحدّث به وأمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسوله بإظهارِ الدعوةِ فقال ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وأعرِضْ عن المشركين﴾ [الحجر: ٩٤] وذلك في السنةِ الرابعةِ من النبوّة.

ذكرُ إظهارِ الدعوةِ إلى الإسلام:

قالُوا فجهرَ رسولُ الله ﷺ بدينهِ، ودعَا الخلقَ إليه، وأبدى الصفحة لهُمْ فلمْ يبعدْ عليه قومُه ولا عابُوا عليه رأيَهُ لما عرفُوه من صدقِ الحديثِ وحسنِ الجوارِ وتحرّي الخيرِ والواضعِ للخلقِ، وكمالِ العقلِ والشرفِ وعُلُوِّ البيتِ وطهارةِ النسبِ، حتّى سبَّ آلهتهم،

(١) جاء في السيرة النبوية جـ ١/٤٣٧ عدة روايات حول من أسلم أولاً، وقد أجاب أبو حنيفة بالجمع بين هذه الأقوال بأنّ: اول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد ابن حارثة ومن الغلمان عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين.

وسفّه أحلامهم، وضلّلَ أراءهم، ونقضَ دينَهم، فلما فعلَ ذلك أعظموه وناكروُه، وقَدْ حدَبَ عليه عمُّه أبو طالبٍ، وقام يناضلُ دونَه ويحامي عليه، فتضاغن القومُ وتوامروا ومشَوْا إلى أبي طالبٍ منهم أشرافُ قريشٍ عُتبةُ بنُ ربيعةَ بن عبدِ شمس بنِ عبدِ مناف وأخوه شيبةُ بنُ ربيعة وابنُه الوليدُ بنُ عتبة وأبو سفيان بنُ حرب بن أُميّة بن عبد شمسٍ وأبو جهل بنُ هشام بن المغيرة المخزوميّ وكنيته أبو الحكمِ وأبو البَخْتري بنُ هشامٍ والوليدُ بنُ المغيرةَ بن عبد الله المخزوميّ والعاصُ بنُ وائلٍ السهميّ، فقَالُوا: يا أبا طالبٍ إنَّ لك سِناً وشرفاً، وإن ابنَ أخيك قد سبّ آلهتنَا، وعابَ دينَنا، وسفّه أحلامنَا، وضلَّلَ أباءنا، فإمّا أن تكفّه، وإمّا أن ننازله وإيّاك فقالَ له أبو طالب: اتَّقِ عليَّ وعلى نفسِك ولا تحملني من الأمرِ ما لا أُطيقُ فظنّ رسولُ الله ﷺ أنّ أبا طالبٍ قد تركه، وأنّه قدْ ضعُفَ عن نصرتِهِ، وهو خاذله فاستعبرَ، ثم قَالَ «يا عمّ واللهِ لو وضعُوا الشمسَ في يميني والقمرَ في شمالي على أن أتركَ هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلكَ دونَه ما تركتُه» فقال أبو طالب لا تخذله، فمشوا إليه بعُمارةَ بنِ الوليدِ فقالُوا: هذا أنهدُ[1] فتى قريشٍ وأجملُه فخُذْه واتّخذْهُ ولداً، وسلِّمْ إلينا ابن أخيك هذا الصابىء الذي خالفَ دينَنا، وفرّق جماعتنَا نقتلُه، فقَالَ أبو طالب: تعطوني ابنكم أغذوه لكُم، وأُعطيكم ابني تقتلونَه هذا ممّا لا يكونُ، فتنابذَ القُوم وتنادَوْا بعضُهم بعضاً، وأقبلوا على مَنْ في القبائلِ من المسلمين يعذّبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنعَ اللهُ عزَّ وجلَّ رسوله بعمّه أبي طالبٍ أن تخلصوا في شَعَره وبشرهِ غير أنهم يرمونه بالسِحْرِ والشِعْرِ والكهانةِ والجنونِ، والقرآنُ ينزلُ عليهم بتكذيبِهم والردِّ عليهم، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ بالحقِّ ما يَنيه ذلك عن الدعاءِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سراً وجهراً، حتّى لحقَ أبو طالب باللهِ عزَّ وجلَّ فتخطَّوْا إليه بالمكروه، ونالُوا منه ما كانوا يجمحونَ عنه من جنَانِهِ، قَالُوا: ولمّا أسلَم حمزةُ بنُ عبدِ المطّلبِ عزَّ به النبيّ ﷺ وأهلُ الإسلامِ فشقَّ ذلك على المشركين فعدلُوا عن المنابذةِ إلى المعاتبةِ، وأقبلوا عليه يرغّبونه في المالِ والأنعامِ ويَعرِضون عليه الأزواج، فنزل ﴿**قُل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القُربى**﴾ [الشورى: ٢٣] فلما أعياهم أمرهُ ويئسوا أن يستنزلوه عن دينِهِ بشيء من حُطامِ الدّنيا أخذُوا في طلبِ الآياتِ والتماسِ المعجزاتِ كما حكى اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم في القرآنِ ﴿**وقالوا لن نؤمنَ لك حتّى تفجرَ لنا منَ الأرضِ ينبوعاً**﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات وتواصوْا على مَنْ أسلمَ يعذّبونهم جهاراً، ويقاتلونُهم سراً، فأمَر رسولُ الله ﷺ بالهجرةِ إلى الحبشةِ فِراراً بدينهِم وهي الهجرةُ الأُولى سنةَ خمسٍ من البعثِ.

---

(١) انهدُ: أعظم شرفاً أو أشرف.

ذكرُ الهجرةِ الأولى إلى الحبشةِ:

قالُوا: فخرجَ أحدَ عشرَ رجلاً وأربعَ نسوةً، وأميرهم عثمانُ بنُ عفانٍ ومعه زوجتُه رقيةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ، وخرجتْ قريشٌ في أثرهم فلم يلحقوهم، ومرّوا القومُ إلى الحبشةِ فآمنوا واطمأنّوا، قالوا: وتلا رسولُ الله ﷺ سورةَ النجمِ فالقى الشيطانُ في أمنيته: تلك الغرانيق[1] العُلى منها الشفاعةُ تُرتجى، فسجدَ المشركون وسرّوا بذلك، وقالُوا: ما إن لابنِ أبي كبشة يذكرُ آلهتنَا بخيرٍ، وبلغَ الخبرُ عثمانَ بنَ عفان ومَنْ معه بأن قريشاً قد أسلمُوا، فأقبلوا راجعينَ فلمّا دَنَوْا من مكّة أخبروا أنّ ذلكَ باطلاً، فلم يدخلْ منهم مكّة أحدٌ إلاّ مستخفياً أو بجَوازٍ فاشتدَّ الأمرُ واطبقَ البلاءُ بالمسلمينِ فأمرَهم النبيّ ﷺ بالخروجِ ثانياً إلى الحبشةِ.

ذكرُ الهجرةِ الثانيةِ إلى أرض الحبشةِ:

قالُوا فخرجُوا وأميرُهم جعفرُ بنْ أبي طالبٍ، وتتابعَ المسلمون حتّى اجتمعوا بأرضِ الحبشةِ ثلاثةً وثمانينَ رجلاً فقال عبدُ الله بن الحارثِ بنِ قيس يذكرُ لهم ما فيه من الأمنِ والدّعَة: [بسيط].

يا راكباً بَلِّغَنْ عنّي مغلغلةً ... مَنْ كان يرجو بلاغَ اللهِ والدِين

كلَّ امرىءٍ مُضْطَهَدٍ ... ببطنِ مكّة مقهورٌ ومفتون

إنّا وجدنا بلادَ اللهِ واسعةً ... تُنجي من الذُلّ والمخزاةِ والهون

فلا تُقيموا على ذلّ الحياة ولا ... خَزْى المماتِ وعيبٍ غيرِ مأمون

وخرجَ أبو بكر الصدّيقُ رضي الله عنه حتّى بلغَ بركَ الغمادِ[2] فلقيه ابنُ الدغنة وهو سيِّد القارةِ فقالَ إلى أينَ يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي فاسيحُ في الأرضِ وأعبدُ ربّي، فَقالَ ابنُ الدغنة: مثلُك لا يخرجُ تكسبُ المعدومَ، وتصلُ الرحمَ، وتَقْرِي الضيفَ، وتحملُ الكَلَّ، وتُعين على نوائبِ الحق فرجعَ أبو بكر في جَوارِه، فقَالَ ابنُ الدغنة: يا معشر قريشٍ إنّي أجَرْتُ أبا بكرٍ، قالُوا فمُرْه يعبدُ ربّه في بيتِهِ ولا يُفسدُ علينا صبياننا، قالُوا: وبعثتْ قريشٌ

---

(١) الغرانيق: جمع الغرنوق: وهو الشاب الأبيض الجميل.

(٢) بِرْكُ الغِمَاد: موضع وراء مكة بخمس ليالي مما يلي البحر، وقيل بلد باليمن دفن عنده عبد الله بن جدعان «معجم البلدان ١/ ٤٧٥».

بعمرو بن العاصِ وعبدِ الله بنِ أبي ربيعة مع هدايا إلى النجاشي ملكِ الحبشةِ على أن يسلّم المسلمينَ إليهما فقدما، وأوصلا الهدّية، قَالَ: إنّه قد ضوى إلى بلدك غلمانٌ من عندنا سفهاءُ فارقُوا دينَهم، ولم يدخلوا في دينكمِ فبعثَنا أشرافُنا إليكم لتردّهمْ إليهم، فَقالَ النجاشيَ حتّى أسئلهم عمّا يقولُون، ثم استدعى أصحابَ رسولِ الله ﷺ فجاؤه، وقعدْ جمعَ أسقافته وبطارقته، وفرشُوا مضاجعَهم فقالَ لهم: ما هذا الدينُ الذي فارقتُم به قومكم؟ فقالَ جعفرُ ابن أبي طالبِ رضي الله عنه إنّا كنّا قوماً أهلَ جاهليّةٍ نعبدُ الأصنامَ، ونأكلُ الميتة، ونريق الدماء، ونأتي الفواحشَ حتّى بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ إلينا رسولاً منّا نعرفُ نسبَه وصدقه وأمانتَه، فدعانا إلى الله عزَّ وجلَّ لنوحّدَه ونعبدَه ونخلعَ الحجارةَ والأوثانَ، وأمرنَا بصدقِ الحديثِ وصلةِ الرحمِ وحُسنِ الجوارِ، ونهانا عن الفواحشِ والمحارمِ، فغذوا علينا ليردّونا إلى عبادةِ الأصنامِ والأوثانِ، فهربنا إلى بلادكِ، واخترناك على مَنْ سواك، فقَالَ لهمْ: انطلقوا فواللهِ لا أرسلكم إليهم أبداً فخرجا من عندهِ مقبوحَيْن، فَقالَ عمرو لأتينّه بما يُستأْصَلُ به خضراؤهم، ثم غدا إليهم من الغدِ فَقالَ: أيُّها الملكُ إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً فارسلْ فاسألهم ما يقولون في عيسى، فَقالَ جعفُر بن أبي طالبِ رضي الله عنه نقولُ فيه ما جاء به نبيّنا: إنه عبدُ الله ورسولُه ورُوحُه وكلمُته ألقاها إلى مريمَ، فضربَ النجاشي يدَه إلى الأرضِ، وتناولَ منها عُوداً وقالَ ما عدا عيسى ما قلتم هذا العُودَ ثمّ قرأ عليه جعفر ابن أبي طالبِ صدرَ سورةِ كهعيص، فآمن بالنبيّ ﷺ وردَّ هديةَ عمرو وعبدِ الله، وصرفَهما إلى مكّة، ثم لمّا هاجرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وكان المسلمون يخرجُون إليه وكان آخرهم جعفرَ أدركَ النبيّ ﷺ وهو بخيبر، قالوا: ولما خرجَ رجعَ عمرو وعبدُ الله وجدوا أنّ عمرَ بنُ الخطّاب رضي الله عنه قد أسلَم، وكانَ رجلاً ذا شكيمةٍ لا يُرامُ ما وراءَ ظهرهِ، فامتنَع رسولُ الله ﷺ به وبحمزةَ بنِ عبدِ المطّلبِ، حتّى عادَوْا قريشاً، وكاثروهم، ثم وقع الحصارُ في السنةِ السادسةِ من النبوّةِ وبقي ثلاثَ سنين.

ذكرُ الحصار:

قالُوا واجتمعتْ قريشٌ على بني هاشمٍ وبنيِ عبدِ المطلبِ وتعاقدوا على أنْ لا يبايعوهم، ولا يخالطوهم، ولا ينكحوا منهم، ولا ينكحوهم حتى يتبرّؤُا من صاحبهِم، ويسلّمونه للقتلِ، وكتبُوا صحيفةً كاتبُها منصورُ بن عكرمة بن عامر[1] وعلقوها في الكعبةِ،

---

(١) ورد في منجد الأعلام باسم المنصور بن أبي عامر وهو محمد أبو عامر: أمير الأندلس، أصله من=

فانحازت بنو هاشمٍ وبنو عبدِ المطلبِ فدخلوا الشعْبَ، وخرجَ من بني هاشمٍ أبو لهبٍ عبد العزّى بنُ عبدِ المطلبِ وحده، وضاق الأمرُ عليهم لا يصلُ إليهم شيءٌ من الطّعامِ إلاّ سراً، وبقُوا فيه ثلاثَ سنين، فلما كانَ في السنةِ التاسعةِ من النبوةِ قالَ النبيُّ ﷺ لأبي طالبٍ «هل شعرتَ بأنّ ربّي قدْ سلّط الأرَضَة على الصحيفةِ فلم تدع لله اسماً إلاّ اثبتّته، ونفتْ القطيعةَ والظلمَ» فقامَ أبو طالبٍ حتّى أتى المسجدَ، فقَالَ: يا معشرَ قريشٍ إنّ ابنَ أخي أخبرني بكذا وكذا فهلموا صحيفتكم فإنْ كانَ كما قَالَ فانتهوا عن ظلمِنا وقطيعتنا، فإنْ كانَ كاذباً دفعتُه إليكم قالوا رضينا فنظروا فإذا هو كما قالَ ﷺ، فزادَهمُ ذلك شراً، ثم اجتمع نَفَرٌ من قريشٍ وقالوا يا قومنَا تأكلون الطعامَ وتشربَون الشرابَ، وتلبسون الثيابَ، وبنو هاشمٍ هَلْكَى لا يبايعون ولا يناكحون واللهُ لا نقعُد حتّى نشقّ هذه الصحيفةَ الظالمةَ القاطعةَ، فقامَ إليها مُطعِمُ بن عديّ فشقّها فقالَ أبو طالب: [طويل].

الأهـلْ أتـى بحـرِيّنـا صنـعُ ربّنـا ... علـى نـأيهـم واللهُ بـالنـاس أرْوَدُ[1]

ألَـمْ يـأتِهـم أنّ الصحيفَـة مُـزّقَـتْ ... وإنّ كـلّ مـا لـم يـرضـه اللهُ مُفسـدُ

جزى اللهَ رهطاً بالحَجون تبايعوا ... علـى مـلاءٍ يهـدى لَحـزم ويـرشـد

قضَوا ما قضوا من ليلهم ثمّ أصبحوا ... علـى مَهَـلٍ وسـائـر النـاسِ رُقّـدُ

فخرجوا من الشِعْبِ.

ذكرُ خروجهِم من الشعب:

قالَ الواقديُ: ماتَ أبو طالب وخديجةُ في السنةِ العاشرةِ من النبوّةِ بعدَ خروجِ بني هاشمِ من الشعبِ بيسيرٍ، وكانَ بينَ موتِ خديجةٍ إلى أن ماتَ أبو طالبٍ شهرٌ وخمسةُ أيامٍ، وقيلَ: كان بينهما ثلاثةُ أيّامٍ فتشابعتْ على رسولِ الله ﷺ المصائبُ، واستكلبتْ عليه شوكةُ المشركينِ وبالغُوا في الأذى، وكانَ أشدُّهم عليه عمُّه أبو لهبٍ عليه اللعنةُ وأبو جهلٍ وعقبةُ وأبيُّ بنُ خلفٍ مَنْ يقدرُ ببابه، ومنهم مَنْ يطرحُ الأذى في برمتِهِ إذا نُصَبتْ، ومنهم مَنْ يطرحُ رحِمَ الشاةِ إذا سجدَ على ظهرهِ، ومنهم مَنْ يطأ برجليه على عُنقهِ، ومنهم مَنْ يذرُّ الترابَ

= قبيلة معافر القحطانية دخل كاتباً في خدمة الحكم الثاني في الأندلس ثم أصبح حاجب هشام الثاني «ت ٣٩٣ هـ» «منجد الأعلام/ ٦٨٧».

(١) الأرْوَدُ: المتمهّل في عمله.

على رأسِهِ، ومنهم مَنْ يبزقُ في وجهِهِ، وجعلوا يستهزؤون به، ويتضاحكون منه ورسولُ اللهِ صابرٌ محتسبٌ على الأذى، ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الطائفِ يستنصرُ.

خروجُ النبيّ ﷺ إلى الطائف:

قالُوا وخرجَ مع زيدِ بن حارثة على حمارٍ من هذه الدِنايَةِ يلتمسُ النصرَ والمنعةَ، وأقامَ بها عشرةَ أيامٍ فلم يدَعْ أحداً من أشرافِ ثقيفٍ إلاّ جاءَه وكلَّمه، وكانت رُؤساءُ ثقيفٍ ثلاثةُ إخوةٍ عبدُ ياليلِ بنُ عمرو وحبيبُ بنُ عمرو ومسعودُ بنُ عمرو، فجاءهم رسولُ الله ﷺ وسألهم أن يمنعُوه حتّى يبلغ من اللهِ عزَّ وجلَّ أمره، فقالَ أحدُهم: أنا امرطُ ثيابَ الكعبةِ إنْ الله ارسلكَ نبياً، وقَال الآخر: أما وجَدَ اللهُ أحداً يُرسلُه غيرك، وقالَ الثالثُ: واللهُ لا أكلمّك أبداً فقامَ رسولُ الله ﷺ وقَدْ يئَس من نصرتهِم فقالَ: اكتموا عليّ وكرَهَ أن يبلغَ ذلك قومَه فيُذْأرهم عليه، فلم يفعلُوا واغرَوْا به سُفهاءَهم وصبيانهم وعبيدهم، فجعلوا يسبّونه، ويغطغطون[1] وراءه، ويرمونه بالحجارة، حتّى التجأ إلى ظلّ حبلة في جنبِ حائطٍ فجلسَ فيه ودعَا دعواتٍ فسألَ ربَّه النصرَ والصبرَ، وانصرفَ وكانَ مقامهُ بالطائفِ عشرةَ أيّامٍ فلما بلغَ في مُنْصَرفِهِ بطنَ نخلٍ[2] استمع إليه نفرٌ من الجنِّ.

قصّةُ الجنِّ الأولى:

قالُوا: وقَام رسولُ الله ﷺ مِن خوفِ الليلِ يصلّي فمرّ به سبعةُ نفرٍ من جنِّ نصيبين يُقالُ أسماءهم: حسّا ومساً وشارِصَه وناجِر ولاورد وسار سان والأحقب، فآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم منذرين، كما قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآيات، وسارَ رسولُ الله ﷺ من نخلةَ يُريدُ مكّة حتّى أتى حراءَ، وبعثَ إلى سُهيل بن عمرو[3] والأخنسِ بن شريقٍ أَدْخُلُ في جَوارِكما، فأبَيَا عليه، فأرسلَ إلى مُطعمِ بنِ عديّ فأجارَه، وأمرَ بنيه فلبسوا السلاحَ، ووقفوا عندَ خروجِهِ إلى البيتِ فدخَل رسولُ الله ﷺ مكّة، وكانَتْ غيبتُه من خروجِهِ إلى مَرْجِعه خمسةَ وعشرين يوماً، ويُقالُ شهراً وفيه يقولُ حسّانُ بنُ ثابت: [طويل].

---

(١) يغطغطون: يُقال: غطغطت القِدْرُ: اشتد غليانها، وغطغُط البحرُ: علت أمواجه واشتدت.

(٢) بطن نخل: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة. «معجم البلدان ١/ ٥٣٣».

(٣) انظر وفيات الأعيان جـ ٧/ ٨٢.

فلو كان مجدٌ يخلدُ اليومَ واحداً من الناسِ أبْقَى مجدهُ اليومَ مُطعما
أجرتَ رسولَ الله فيهم فأصبحوا عبيـدكَ مـا لبّـى مُلـبٌّ وأحـرمـا

قصّةُ الجنِّ الثانيةِ:

قالُوا: ولمّا انصرفَ النفرُ من نصيبينَ إلى قومهِم، وأنذروهم جاءَتْ جماعةٌ منهم زُهاءَ ثلثمائةِ رجُلٍ، وخَرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الحَجونِ فقرأ عليهم، ودعاهم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ فآمنوا به وصدّقُوه، ثمّ صلّى بهم، وقرأ في الصلاةِ تباركَ الملكِ وسورةَ الجنِّ، وهي: فسمّى ليلةَ الجنّ، ثمّ هاجتْ الأَزَمَةُ وهي الجُوعُ فدعا النبيّ ﷺ عليهم حتّى أكلُوا العِلْهِزَ[1] والقِدَّ والعظامَ المحرَّقةَ والكلابَ الميتةَ، وحتّى كانَ الرجلُ يرى بينَه وبين السماءِ كهيئةِ الدُّخانِ فجاءه أبو سفيان بنُ حربٍ وقَالَ: يا محمّدُ جئتَ بصِلةِ الرحِمِ وقومُك قد هلكُوا فأدْعُ الله لهم فلمّا دخلتْ سنةُ احدى عشرةَ من النبوّةِ دعا رسولُ الله ﷺ فكشفَ عنهم بقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿إنّا كاشفوا العذابَ قليلاً إنكم عائدون﴾ [الدخان: ١٥] ثم كانَ انشقاقُ القمرِ بقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ﴾ [القمر: ١] ثم غلبتِ الرومُ بقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿آلَمَ غُلبت الرومُ في أدنى الأرضِ وهم بعد غَلَبهم سيغلبون في بِضْع سنين﴾ [الروم: ٤].

قصّةُ الرّومِ:

وذلك أنّ ابرويزَ لمّا انهزمَ من بينِ يدي بهرام جوبينةَ مضى إلى الرّومِ، واستنجدَ بملكِهم سوريقيس فأمدّه بالرجالِ والمالِ، وزوّجه ابنته مريمَ، وانصرفَ وقَاتلَ بهرامَ فنفاهُ إلى أقصى خُراسان، ووثبت الرومُ على ملكِهم فقتلوهُ، فسرّح إليهم ابرويزُ شهرَابراز الفارسيَّ وجُنداً من الفُرسِ، فدخلوا قسطنطينيّة واحتوَوْا على خزائِنها وأموالِها، وقتلُوا المقاتلةَ، وسبُوا الذّرّيةَ وحملُوا الخشبَةَ التي يزعمُ النصارى أنّ المسيحَ عليه السلام صُلبَ عليها وذلك في سنةِ إحدى عشرةَ من النبوّةِ قبلَ الهجرةِ بسنتَيْن، وأخبرَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه ﷺ ﴿آلَمَ غلبتِ الرومُ في أدنى الأرضِ وهمْ من بعد غلبهم سيغلبون﴾ [الروم: ٤] وسُرّ المشركون به وجادلُوا المسلمينَ، وقالُوا: تزعمون أنّكم تغلبوننا لأنكم أهلُ كتابٍ، وهذه المجوسُ قد

---

[1] العِلْهِزُ: طعامٌ من الدم والوبر يتخذ في المجاعة. «القاموس المحيط جـ ٢/ ١٩٠».

ظهرتْ على الرومِ وهمْ أهلُ كتابٍ فنزل ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضعِ سنين﴾ [الروم: ٤] فأنكرُوا ذلك، وجحدوه فناجبَ أبو بكر أُبَي بنَ خلفٍ على ذَوْدٍ من الإبلِ ليظهرنَّ الرومَ على فارسَ إلى خمسِ سنين فقالَ النبيُّ ﷺ «زِدْهُ في الخَطَرِ ومدّه في الأجلُ» فجعلَ الخطرَ ذودَيْن والأجلَ سبعَ سنين، فلما كانَ يومُ الحُديبيةِ[1] انكشفَ شهرابراز عن الرومِ حتى سارَ هرقلُ إلى العراقِ فأغارَ عليه وصدقَ وعدُ الله ثم كانَ بعدَ غلبةِ الرومِ المَسْرَى.

ذكرُ المسرى والمعراج:

اعلم أنّه لا شيءَ أكثرُ من اختلافِ هذهِ القصّةِ، أمَّا المعراجُ: فينكرهُ بعضُ النّاسِ، وبعضٌ يزعمُ أنّ المعراجَ هو المسرى، ثم اختلفُوا في كيفيّةِ المسرى فكانتْ عائشةُ ومعاوية يقولان: ما فُقد جسدُ رسولِ الله ﷺ، ولكنّ الله أَسرى بروحِهِ، وكانَ الحسنُ رضي الله عنه يقول: كانتْ رؤيا، ويحتجُّ بقولهِ ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس﴾ [الإسراء: ٦٠] وبقولِ إبراهيم ﴿إنّي أرى في المنامِ أنّي اذبحك﴾ [الصافات: ١٠٢] ثم مضى على ذلك فعرفتْ أن الوحي يأتي الأنبياءَ أيْقاظاً ونياماً، وكانَ النبيُّ ﷺ يقولُ «تنامُ عيناي ولا ينامُ قلبي» قال ابنُ إسحقَ واللهُ أعلمُ أي ذلك: كان ونحنُ نذكرُ في ذلك طرفاً كما جاءَ في الخبرِ، قالَ الواقديُّ: أسرى به قبلَ الهجرةِ بسنةٍ، وكان المعراجُ قبلَ ذلك بثمانيةَ عشرَ شهرٍ، قالَ النبيّ ﷺ «فاستلقاني على قفاي، ثمّ شقّا بطني واستخرجا حشوي ومعهما طَسْتٌ من ذهبٍ يُغسَلُ فيه بطونُ الأنبياءِ فكانَ جبريل يختلفُ بالماءِ من زمزمَ، وميكائيلُ يغسلُ جوفي، فقال جبرائيلُ لميكائيلَ: شُقَّ قلبَهْ فشقَّ قلبي، فأخرجَ علقةً سوداءَ فألقاها، ثمّ أدخل هرمَه ثمّ ذرّ[2] عليه من ذَرورٍ[3] كان معهُ وقالَ: وقلبٌ وكيعٌ له عينان بصيرتانِ وأُذنان سميعتان أنتمْ قشرُ المغفلِ الحاشرِ، ثمّ قالَ ببطني هكذا فالتأم، وقالا: مُلىءَ حكمةً وإيماناً، ثمّ وثبتُ قائماً فأُتيتُ بالمعراجِ فإذا هو أحسنُ ما رأيتُ منظراً، ألم ترَوْا إلى ميّتكم إذا احتُضِر كيفَ يشخصُ ببصرِهِ إليه فإنّه إنما ينظرُ إلى حُسنِ المعراجِ، قَالَ: فعرجا بي إلى السماءِ

---

(١) الحديبيّة: وادٍ قريب من مكة (السعودية) اشتهر بالبيعة التي حدثت فيه وبالصلح الذي أبرم بين النبيّ والمكيين. «منجد الأعلام/ ٢٢٣١».

(٢) ذرّ: رشّ.

(٣) الذرور: ما يذرّ في العين أو الجرح من دواء.

الدُّنيا فلما انتهَيْنا إلى بابِ الحفظةِ وعليه ملكٌ يُقالُ له: إسماعيلُ تحتَ يدِهِ سبعون ألفِ ملكٍ ما منهم ملكٌ إلاّ وهو على مائةِ ألفٍ[1]، فقالَ: مَنْ هذا؟ قالُوا: محمّدٌ، قَالَ: وقد بُعثَ، قالَ: ورأيتُ في السماءِ الدّنيا رجُلاً أعظمَ النّاسِ جِهةً فقلتُ مَنْ هذا يا جبريلُ، قَالَ أبوك آدمُ، وإذا أرواحُ ذرّيّتهِ تعرضُ عليه فإذا عُرِضَ عليه روحُ المؤمنِ قَالَ: ريحٌ طيّبةٌ وروحٌ طيّبٌ جعلوا كتابه في عِلّيّين، وإذا عُرضَ عليه روحُ الكافرُ قَالَ ريحٌ خبيثةٌ وروح خبيثٌ جعلُوا كتابهَ في سِجّين، ثم وصف السمواتِ ومن فيهنّ، ووصفَ الجنّةَ والنارَ وأهلَها، قَالَ: ثم انتهيتُ إلى السماءِ السابعةِ فلْم أسمعْ شيئاً إلاّ صريرَ الأقلام، ورأيتُ جبريلَ يتضاءلُ حتّى كانَ فرخُ طائرٍ ما أكادُ أتأملُه، وسمعتُ وَحْيَه، فَقالَ لي جبرائيل: اسجُدْ فسجدتُ، ودنوتُ قابَ قوسين أو أدنى، فأوحى اللهُ إلى عبدِهِ ما أوحى، ثم قَالَ: ارفَعْ رأسَك يا محمّد وقَدْ فرضَ اللهُ عليك خمسينَ صلاةً، قالَ: فرجعتُ إلى موسى عليه السلام ولم يزلْ يردُّه حتى حطَّه إلى خمسِ صلواتٍ، قَالَ موسى: ارجعْ إلى ربّك وأسأله أن يخفّفَ عن أمّتِك فإنّ أمّتُك ضعيفةٌ، قالَ: فقلتُ قد استحيَيْتُ من ربّي ولأصبرنّ على هذهِ الخمسِ، قَالَ: فنُوديتُ إنّي قَدْ أمضيتُ فريضتي وخفّفَتها على عبادي، واجزي الحسنة بعشرة أمثالها، من روايةِ الواقديّ.

وأمّا ابنُ إسحقَ فإنّهُ روى أنّ النبيّ ﷺ لمّا حدّثَ عن المسرى وما بالمسجدِ الأقصى قَالَ: «فلمّا فرغتُ ممّا كانَ في بيتِ المقدسِ أتى المعراجُ ولم أرَ شيئاً أحسنَ منه، واصعدني صاحبي حتى انتهى بي إلى باب من أبوابِ السماءِ» ثم ساقَ قصّةً شبيهةً بما ساقَ الواقديُّ، وسنذكُر اختلافَ النّاسِ، والكشفَ عن وجهِ الحقِّ في آخرِ هذا الفصل.

قصّةُ المسرى:

قالَ ابنُ إسحق: ثم أسرى برسولِ الله ﷺ كانَ فيه بلاءٌ وتمحيصٌ وأمرٌ من اللهِ عزّ وجلّ فيه عبرةٌ وهُدىً ورحمةٌ، وكيفَ شاءَ ليُرِيَهُ من آياتِه، فكانَ ابنُ مسعود يقولُ: أُتى رسولُ الله ﷺ بالبُراقِ: وهي الدابّةُ التي كانَ يُحملُ عليها الأنبياءُ قبلَه تَضَعُ حافرها منتهى طرفها، فحملَ عليها، ثمّ خرجَ صاحبُه يُريه الآياتِ فيما بينَ السماءِ والأرضِ حتّى انتهى إلى

(١) جاء في السيرة النبوية جـ ٩٨/٢. أنّ إسماعيل كان تحت يده اثنا عشر ألف ملكٍ، تحت يد كلّ ملكٍ منهم اثنا عشر ألفِ ملكٍ.

بيتِ المقدسِ فوجدَ فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى في نَفَرٍ من الأنبياءِ فصلّى بهم ثم أُتي بثلاثِ أوانٍ: إناءٌ فيه لبنٌ، وإناءٌ فيه خمرٌ وإناءٌ فيه ماءٌ، قَالَ: «فسمعتُ حينَ عُرِضَتْ عليّ قائلاً يقولُ: إنْ أخذَ الماءَ غرِقَ، وغرقت أُمّتهُ، وإنْ أخذَ الخمرَ غَوِيَ وغويَتْ أُمّته، وإن أخذَ اللَبن هُدِي وهُديتْ أُمّتُه، قَالَ: فأخذتُ اللبنَ فشربتُه» وكان الحَسَنُ يقولُ أنّ النبيّ ﷺ قال: «بينا أنا نائمٌ في الحجرِ إذ أتاني جبريلُ فهمزني برِجْلِهِ فجلستُ فلم أرَ فيه شيئاً، فَعدْتُ إلى مضجعي فجاءني الثانيةَ فهمزني بقدمِهِ فجلستُ، فأخذَ بعَضُدي وخرجَ بي إلى بابِ المسجدِ، فإذا أنا بدابّةٍ أبيضَ بينَ البغلِ والحمارِ، وفي فخذَيه جَناحان» ومضى في حديثِهِ مثلِ حديثِ ابنِ مسعود، وزادَ قَالَ: «لمّا شربتُ اللبنَ حُرِّمَتْ عليكم الخمرُ» فلما أصبحَ عدا على قريشٍ فقالُوا: إنَّ هذا واللهِ لبيّنٌ إن العيرَ ليطّردُ شهراً من مكّةَ إلى الشامِ مدبرةً وشهراً مقبلةً فيذهبُ ذلك محمّدٌ في ليلةٍ واحدةٍ، ويرجعُ فارتدَّ كثيرٌ ممن كانَ أسلَم، وذهبَ النّاسُ إلى أبي بكرٍ فقالُوا: إنّ صاحبَكم يزعمُ كذا وكذا، فقالَ أبو بكر لئن كانَ قالَه فقَدْ صدقَ فما يعجبكُم من ذلك أنّه يُخبرُ الخبرَ من السماءِ إلى الأرضِ في ساعةٍ فأصدّقه، قَالَ: وقَالَ رسول الله ﷺ «فرفع بي حتى نظرتُ إليه فجعلَ يصفُه وأبو بكر يُصدّقهُ» وروى الواقديُّ عن جابرِ بن عبد الله أنّ النبيّ ﷺ قال «لمّا كذّبني قريشٌ قمتُ في الحجرِ فخُيّل إليّ بيتُ المقدسِ، فطفِقتُ أُخبرهم عن آياتِهِ، وأنا أنظرُ إليه» ورُوي عن أُم هاني بنتِ أبي طالبِ إنّها قالتْ: نامَ رسولُ الله ﷺ عندي وفي بيتي تلك الليلةَ فلما كانَ قبلَ الصبحِ أهبنا وقَالَ: «لقد صلّيتُ عِشاء الآخرةِ والفجرِ بهذا الوادي، وصلّيتُ ما بينهما بالبيتِ المقدّسِ وقد نُشر لي الأنبياءُ فصلَّيْتُ بهم» ثمّ قصّ القصّة، والوجهُ في هذا وما أشبهَه أن لا يجاوزَ فيه نصَّ الكتابِ ومُستفيضَ السُّنّةِ مع المخالفِ المنكرِ المستعظِمِ لما يخرجُ عن العادةِ المعهودةِ والطبعِ القديمِ، قَالَ اللهُ سبحانه ﴿سبحانَ الذي أسرى بعبدِهِ ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى الذي باركنا حولَه لنُريَهُ من آياتِنا إنّه هو السميع البصير﴾ [الإسراء: ١] فالمسرى قدْ يكونُ بالروحِ والجسمِ، ثم قالَ ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للنّاس﴾ [الإسراء: ٦٠] ولا خلافَ بين أهلِ اللغةِ أنّ الرؤيا في المنامِ لا غيرَ، وإنْ كانَ جاءَ في التفسير: أنّه رُؤْيَةُ العينِ فحكَمُ العاقلِ أن يخاطبَ كلاًّ على قدرِ فهمِهِ، وأيُّ تفضيلٍ يلحقُ النبيّ في رفعِ جسمِهِ وجُثّته، أوليسَ قد أخبرَ أنّه قد رأى في السماواتِ إبراهيمَ وموسى وعيسى وآدمَ، وغيرُ مُختلفٍ أنّهم لم يُرفعوا بأجسامِهِم مع أنّا لا نُنكر أن يرفعَ اللهُ ما يشاءُ من جبلٍ وحجرٍ فكيفَ أنبياءُه ورُسُله ولكن ذكرنا ما ذكرنا ليهونَ عليك ما يردُ من كلامِ الخُصومِ ولتقصيدِ الأشبهِ بالمتعالمِ المعروفِ واللهُ أعلمُ.

ذكرُ مقدّمات الهجرةِ وأوّل من هاجرَ:

قالوا: وكانَ رسولُ الله ﷺ يُوافي كلَّ موسمٍ سُوقَ عُكاظٍ وسوقَ ذي المجازِ[١] وسوقَ المجنّة[٢] يتبع القبائل في رحالِها، ويغشاها في أنديتها، يدعوهم إلى أن يمنعوه ليبلغَ رسالةَ ربّهِ فلا يجدُ أحداً ينصرهُ، حتّى كانتْ سنةُ إحدى عشرةَ من النبوّةِ لقي ستّةَ نفرٍ من الأوسِ عندَ العقبةِ فدعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الإسلامِ، وعرضَ عليهم أن يمنعوه فعرفوه، وقالُوا: هذا النبيّ الذي يوعدنا يهودُنا به، وهمّوا يقتلوننا قَتْلَ عادٍ وإرمٍ، فآمنوا به وصدّقُوه وهُمْ: أسعدُ بنُ زرارة وقطبةُ بنُ عامر بنِ حَديدة ومُعاذُ بنُ عفراء وجابرُ بنُ عبدِ الله بنِ رئاب وعوفُ ابنُ عفراء وعُقبةُ بنُ عامرٍ، وأوّلُ مَنْ أسلم فيهم أسعدُ بنُ زرارة وقطبةُ بنُ عامرٍ، وكانَ يقولُ في الجاهليّة: لا إلهَ إلاّ اللهَ، ويُقالُ: بل أوّلُ مَنْ أسلمَ أبو الهيثم بنُ التيّهان، وكانَ لا يقربُ في الجاهليةِ الأوثان، فانصرفوا إلى المدينةِ، وذكروا أمرَ رسولِ الله ﷺ، فأجابهم ناسٌ، وفشا فيهم الإسلامُ لمّا كانتْ اثنتي عشرةَ من النبوة وافى الموسمَ منهم اثنا عشرَ رجلاً هؤلاء الستّةُ وستّةُ أُخرَ أسماءهم: أبو الهيثم بنُ التيّهانِ وعُبادةُ بنُ الصامتِ وعُوَيْمُ بنُ ساعدة ورافعُ بن مالك وذكوانُ بنُ عبد القيس وأبو عبدُ الرحمان بنُ ثعلبة، فآمنوا، وأسلمُوا وواعدُوا رسولَ الله ﷺ العام القابلَ، وسألوهُ أنْ يبعثَ معهم مَنْ يصلّي بهم، ويعلّمهم القرآن، فبعثَ معهم مصعبُ بنُ عمير بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ فتى قريشٍ كلِّها يدعُو النّاس إلى الإسلام، وكانَ يُدعى المهديُّ في زمنِ رسولِ الله ﷺ، فأسلمَ بدعائهِ بشرٌ كثيرٌ، وكانَ في مَنْ اسلَم: سعدُ بنُ معاذٍ وأسيدُ بنُ حضير سيّدا الأوسِ والخزرجِ، فلمّا كانَ سنةُ ثلاثَ عشرةَ من النبوّةِ قدمَ من الأنصار سبعون رجُلاً وامرأتان: أمُّ عامرٍ وأمُّ منيعٍ ورئيسهُم البراءُ بنُ معرورٍ[٣] فجاءهم رسولُ الله ﷺ عندَ العقَبةِ وبايعوه على المنعِ والنُصرةِ، قَالَ الواقديّ: واختلفُوا في أوّلِ مَنْ ضَربَ يدَه على يدِ رسولِ الله ﷺ فقِيلَ: البراءُ بنُ معرورٍ، وقِيلَ: اسعدُ بن زُرارة، وقِيلَ اسيدُ بنُ حضير، وقِيلَ أبو الهيثم بنُ التيّهان، فَقالَ: لهم النبيّ ﷺ: اخرجُوا

---

(١) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ من عرفة كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام. «معجم البلدان ٥/ ٦٦».

(٢) المجنّة: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وكانت مجنة بمرّ الظهران قرب جبل يقال له الأصفر. «معجم البلدان ٥/ ٧٠».

(٣) أنصاري صحابي، نقيب بني سلمة في بيعة العقبة قبل الهجرة، توجه بالصلاة إلى الكعبة (ت ٢٠ هـ). «منجد الأعلام/ ١٢١».

إليّ اثني عشرَ نقيباً يكونُوا على قومِهم، وأخذَ عليهم الميثاقَ والعهدَ والوفاءَ كنُقباءِ بني إسرائيل، فأخرجوا تسعةً من الخزرجِ وثلاثةً من الأوسِ فمَنْ الخزرجِ أسعدُ بنُ زرارة وسعدُ ابنُ الربيع وسعدُ بنُ عبادة والبراءُ بنُ معرور وعبادةُ بن الصامت وعبدُ الله بن رواحة ورافعُ بنُ مالك بن عجلان والمنذر بنُ عمرو بن خنيس، ومن الأوسِ: أسيدُ بنُ حضير وسعدُ بن خيثمة وأبو الهيثم بُن التيهانِ، فَقالَ كعبُ بنُ مالكٍ[1] يذكرُ تلكَ البيعةَ في قصيدةٍ طويلةٍ: [طويل].

فـــابلـــغْ أُبيـــاً أنّـــه قـــالَ رأيَـــه ... وحانَ غداةَ الشِعْب والحينُ واقعُ

وابلـغْ أبـا سُفيـان أنْ قـدْ بـدا لنـا ... بأحمدَ نورٌ من هُدَى اللهِ ساطعُ

فلا تَزْهِدَنْ في حَشْدِ أمْرٍ تريدهُ ... وألِبْ وجمِعْ كلَّ ما أنتَ جامعُ

ودونَك فاْعلَم أنّ نَقْضَ عهودنا ... أباه عليكَ الرهـطُ حتّى ببايعوا

وانصرفَ الأنصارُ إلى المدينةِ وأمرَ رسولُ الله ﷺ بالهجرةِ وكانَ هاجرَ إليها قبلَ بيعةِ العقبةِ أبو سلمة بنُ عبدِ الأسدِ بسنةٍ: وهو أوّلُ مَنْ هاجَر إلى المدينةِ، ثم هاجَر بعدَه عُبيدةُ ابنُ الحارث وعثمانُ بن مظعونٍ ومسطحُ بنُ اثاثة، ثم هَاجَر بعدَهم عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه وعياشُ بنُ أبي ربيعة: وهو أخو أبي جهلٍ بنِ هشامٍ فنذرتْ أُمُّه أن لا يُظلَّها سقفُ بيتٍ حتّى يرتدَّ، فخَرجَ أبو جهلٍ بنُ هشام والحارثُ بنُ هشامٍ فردّاه فلم يزالا يعذّبانه حتى فتناهُ عن دينِهِ، وفيه نزلتْ ﴿ومن النّاسِ مَنْ يقول آمنّا بالله فإذا أُوذي في اللهِ جعلَ فتنةَ النّاسِ كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠] ثم هاجرَ بعد ذلك وأسلم، ثم خَرجَ سائرُ المسلمين، وبقي النبيُّ ﷺ وعليّ بن أبي طالب وأبو بكر ومَنْ لا قوّة له في الحركةِ من ضعفٍ وفاقةٍ، فلمّا رأتْ قريشٌ أن شِيعةَ النبيِّ ﷺ قد خرجُوا فزعُوا من ذلك، وعلمُوا أنّه إنْ خرجَ واقعَ بهم فاجتمعوا في دارِ النّدوةِ، وتشاوروا في أمرهِ، ورُوي أنّ الشيطانَ صرخَ على العقبةِ يا أهلَ الأخاشبِ هل لكمْ في محمّدٍ وأصحابِهِ فقد اجتمعُوا لحربكم.

ذكرُ دار الندوة:

قالُوا: فاجتمعَ رؤساء قريشٍ في دارِ الندوةِ ومنهم أبو جهل بنُ هشام وعُتبةُ بنُ ربيعة وشيبةُ بنُ ربيعة والعاصُ بنُ وائل وأبو سفيانُ بنُ حربٍ ونُبيهُ ومنبّه ابنا الحجاجِ، قالَ

---

(١) صحابي من أهل المدينة، كان من شعراء الرسول، شارك بجمع القرآن، روي عنه الحديث (ت نحو ٥٠ هـ). «المنجد الأعلام/ ٥٩٠».

بعضُهم: فاعترضَ لهم ابليسُ في صورةِ شيخٍ جليلٍ عليه إتبٌ[1] فقالوا مَنْ الشيخُ؟ قَالَ: شيخٌ من أهلِ نجدٍ سمعَ بالذي اتّعدتُم فحضرَ ليسمعَ ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منهُ رأياً فقامَ خطيبُهم فَقالَ: إنّ هذا الرجلَ قد كانَ من أمرهِ ما كانَ وإنّا لا نأمنُه على الوثوبِ بنا، فاجمعوا فيه رأياً، فقَال قائلٌ منهم: أرى أن تقتلوه بحديدٍ أو أن تُغلقوا عليه البابَ حتّى يموتَ، فقال إبليسُ: ما هذا برأيٍ لأنكم لو فعلتُم ذلك لأوشكَ أن ينزعَه أصحابهُ من أيديكم، فقالَ آخرٌ: أرى أن تربطوه على ظهره راحلةٍ، ثم اضربوا وجهَها تهيمُ في الأرضِ حيثُ شاءَتْ، فَقالَ ابليسُ ما هذا برأيٍ ألم ترَوْا إلى حسنِ لفظِهِ وحلاوةِ منطقهِ ولا يحِلُّ بحيٍّ ولا بلدٍ إلاّ سحرَهم بكلامهِ فَقالَ أبو جهلٍ: أرى أن نجمعَ من كلِّ قبيلةٍ منّا فتى شبيباً نشيطاً، ثمّ نعطي كلَّ واحدٍ منهم سيفاً صقيلاً، فيعمدون إليه ويضربونه ضربةَ رجُلٍ واحدٍ، ويفرّقون دمَه في القبائلِ، فلا يقدُر بنو عبدِ منافٍ على الإقادةِ بجميعِ الناسِ فَقالَ ابليسُ: هذا الرأيُ، وقد حُكي في ذلك شِعْرٌ ومنهم من ينسبه إلى إبليس: [بسيط].

الـرأيُ رأيـانِ رأيٌ ليـسَ يعـرفُـه	غـاوٍ ورأي كحدِّ السَّيْـفِ معـروفُ
يكــونُ أوّلـــهُ بُشْــرىَ لآخــرهِ	حقًّــا وآخــرهُ مجــدٌ وتشـريــفُ

فتفرقوا على هذا، وجمعُوا من فتيانِ قريشٍ أربعينَ شابًا، وأعطُوهم السيوفَ، وأمروهم أن يغتالُوا النبيَّ ﷺ، ويقتلُوه.

ذكرُ ليلةِ الدّارِ:

قالُوا: فأتَوا دارَه، وأحاطوا به يرصدونه حتّى ينامَ فيُبيتون بِهِ، وأتاهُ الخبرُ من السماءِ فثبتَ حتّى أمسى، ثمّ اضطجعَ على فراشهِ، وتجلّلَ رَيْطة[2] له خضراء، والرُّصّدُ يرَوْن ما صنعَه، ويترقّبون نومه، فدعا عليًا، وقَالَ: نمْ على فراشي فإنّه لا يخلصُ إليك شيءٌ تكرهه، وإنّ أتاك أبو بكر فأخبِرْه أنّي قد خرجتُ إلى ثورِ أَطْحَلٍ: وهو غارٌ بأسفلِ مكّة، ومُرْهُ فليلحقْ بي وخرجَ رسولُ الله ﷺ وقَدْ أخذَ حفْنةً من الترابِ فجعلَ ينثرُ على رؤوسهِم، وهو يتلو هذه الآيات ﴿يسٓ والقرآنِ الحكيمِ إنّك لمن المرسلين على صراطٍ مستقيمٍ﴾ [يٓس: ٤] إلى قوله ﴿فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ [يسٓ: ٩] ومَرَّ إلى الغارِ وقدْ أخَذَ اللهُ عزَّ وجلَّ أبصارَهم عنه، فأتاهم آتٍ فقَالَ: ما مقامكُم؟ قالوا ننتظرُ نومَ محمّدٍ لنثورَ عليه، قَالَ: إنّ

---

(١) الإتبُ: قميص بغير كمّين.

(٢) الرَيْطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً.

محمّداً قدْ مرّ وما تركَ أحداً منكم إلاّ وضعَ التّرابَ على رأسهِ، فقَالُوا: فها هو نائمٌ قَالَ: ذاكَ عليّ بنُ أبي طالبٍ، فاقتحموا الدّار، ونصُّوا الحُلّة فإذا هو عليّ فسُقط في أيديهم، وفيه نَزلَ ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكرُ الله والله خير الماكرين﴾ [الأنفال: ٣٠].

ذكرُ حديثِ الغارِ:

قالُوا: وكانَ أبو بكر قَدْ ابتاعَ راحلتين، وحبسَهما في الدارِ يعلّفهما إعداداً لذلك الأمرِ، فاستأجرَ دليلاً يُقالُ له عبدُ اللهِ بن اريقطِ الليثي، ويُقالُ ابنُ أرقدِ ليأخذ بهما على الجادّةِ، وأمرَ غُلامَه عامرَ بن فهَيْرة أن يروحَ عليه يستحثّهُ مُغسفاً[1] وسوّتْ له اسماءُ[2] سُفرةً فحملَها، ومرَّ إلى الغارِ، فأقاما فيه ثلاثاً، وروى ابنُ إسحق: أن النبيّ ﷺ لمّا خَرجَ من دارهِ أتى إلى دارِ أبي بكرٍ، وخَرجَ مَعهُ من ظهر بيتهِ إلى ثورٍ فاكتتما فيه قَالَ قائلٌ: وصرخَ صارخٌ أن محمّداً قَدْ خَرجَ، فخرجَ المشركون في إثرهما فكانا يريانهَم ولا يرَوْنهما، وروى الواقديّ: أنّ اللهَ عزَّ وجلَّ بعثَ العنكبوتَ فضربَ على بابِ الغارِ، ونهى رسولُ الله ﷺ عن قتلِ العنكبوتِ، فلمّا أكْدَتْ قريشٌ، وخابتْ جعلتْ مائةَ ناقةٍ لمن ردّه فخرجَ سُراقةُ بنُ مالكٍ وكانَ من فُرسانِ القومِ وأشِدّائهم.

ذكرُ خروجِ سراقةَ في إثرهما:

قالُوا: وخَرجَ في أثرِهما، ثم روى بعدَ ما أسلمَ قالَ: فلما بدا لي القومُ عثر بي فرسي، وذهبتْ يداهُ في الأرضِ، وسقطتُ عنهُ، قالَ: ثم انتزعَ يديه وتبعهما دخانٌ كالإعصارِ فعرفتُ أنّه حقٌّ فناديتُهم: انظروني أكلّمكم فواللهِ لا آذيتكم، فقالَ النبيّ ﷺ لأبي بكر: سلْ ما يطلبُ، قالَ: ما تبتغي منّا؟ قالَ: قلتُ تكتبُ لي كتاباً يكونُ آيةً بيني وبينَك فأمرَ أبا بكر فكتبَ لي كتاباً في رقعةٍ، أو قَالَ: في عظمٍ، فلمّا كانَ يومَ فتحِ مكّة أتيتهُ بالكتابِ فقَالَ: اليومُ يومُ وفاءٍ وبرٌّ ادْنُ منّي فأسلمْ، فدنوتُ وأسلمتُ، وقَدْ رُوِيَ في هذا الخبرِ أنّه ساختْ قوائمُ دابّتهِ ثمّ خرجتْ ولها عِثَارٌ.

---

(١) مُغسفاً: اسم مفعول من اغسف: أي أظلم.

(٢) هي أسماء بنت أبي بكر: صحابية من السابقات إلى الإسلام، لقبت «ذات النطاقين» (ت ٧٣ هـ) «منجد الأعلام/ ٤٤».

ذكرُ خروجِ النبيّ ﷺ وأبي بكرٍ من الغار إلى المدينة:

قَالَ ابنُ إسحقَ: وخرجَ بهما دليلُهما أسفلَ مكّة، ثم مضى بهما على الساحلِ أسفلَ من عسفانِ[1] فهبطَ بهما العرجُ، ثم لزم الجادّة إلى المدينةِ وذكر حديثُ أمِّ معبدٍ[2] بطولهِ، قَالَ: وكانَ المسلمون بالمدينةِ لما سمعوا بخروج رسولِ الله ﷺ من مكة يخرجون كلَّ يومٍ إلى الحرّة[3] ينتظرونَه، فإذا ارتفَع النهارُ وعلاَ انصرفُوا إلى بيوتهم حتى كانَ اليومُ الذي قدِمَ فيه رسولُ الله ﷺ، وكانوا قد انتظروه ورجعُوا فرآهُ رجلٌ من يهودٍ فصرخَ بأعلى صوته: يا بني قيلة[4]: هذا جدُّكم قَدْ جاءَ فخرج النّاسُ، وثاروا إلى أسلحتِهم وأسرعُوا يتلقّونه، وكانَ ذلك يومُ الاثنينِ لثلاثِ عشرةَ خلتْ من شهرِ ربيعِ الأوّلِ فيما روى ابنُ اسحقَ، حين اشتدّ الضُحى وكادت الشمسُ تعتدلُ وكانَ الزبيرُ بنُ العوّامِ[5] لقيه في الطريقِ مُقبلٌ من الشامِ فطرح على رسولِ الله ﷺ ثياباً بيضاً، فنزلَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر بقُباء في ظلِّ نخلةٍ وهي قرية بني عمرو بن عوف.

في ذكرِ اختلافِ النّاس في هذا الفصل:

اعلمْ أنّ ما كان في هذهِ الأخبار من المعجزاتِ فكلُّها مصدّقةٌ مقبولةٌ إذا صحّتِ الروايةُ والنقلُ، أو شهدَ لها نَصُّ القرآنِ، والدلالةُ عليها كذهابِ قوائمِ فرسِ سراقةَ في الأرضِ، وكانزالِ شاةِ أمِّ معبدِ اللّبن بعد يبسِها وكأخذِ الله بأبصاره الفتكةِ عن نبيّهِ وككلام أبليس في دارِ الندوةِ وكخبرِ المعراجِ والمسرى وقصّةِ الرومِ والجنِّ ولحسِ الأَرَضةِ الصحيفةَ ونزول جبريلٍ بالوحي وتظليل الغمامِ والطيرِ له في سفرهِ وإخبارِ بحيرا وعدّاسٍ وورقة بأمرهِ، وما ذُكر من العجائب في مولدهِ في ظئرهِ حليمة من نزولِ اللبنِ في ضِرعِها، وفي ضرعِ شاتِها وغيرِ ذلك ممّا يُوصَفُ ويُحكَى مع ما ذُكر من هذه الخصالِ كلّها داخلٌ في حدِّ الجوازِ والإمكان بِعَدَ أن كنّا مجيزين للممتنعِ في الطّبعِ والعادةِ للأنبياء. وفي أيّامهم فكيفَ

---

(١) عُسْفان: قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهي حد تهامة. «معجم البلدان ٤/ ١٣٧».

(٢) جاء في السيرة النبوية جـ ٢/ ٢٥٧. أنّ أمَّ معبد هي: عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم.

(٣) الحرّة: موضع في جزيرة العرب بالقرب من المدينة. «منجد الأعلام/ ٢٣٢».

(٤) بنو قيلة: هم الأوس والخزرج ونسبتهم إلى قبيلة بنت كاهل، أمهم، صبح الأعشى ١٢/ ٣٧٣.

(٥) قرشي أسدي، ابن عمة النبي، اعتنق الإسلام بأول صباه، من العشرة المبشرين، هاجر إلى الحبشة ثم المدينة (ت ٣٦ هـ). «منجد الأعلام/ ٣٢٠».

الممكنُ المتوهمُ من ذلكِ، وقد ناقضَ المنكرون لهذهِ الحالِ لخروجها عن العادةِ المجيزين لها بأنّه قَدْ تسوخُ القوائمُ في السِهْلةِ والسِباخِ وفي نافقاء[1] اليرابيعِ والجرذانِ، ويعودُ اللبنُ في الضّرعِ بعد ذهابهِ وجفوفهِ بتغيّرِ الطبعِ وزوالِ العلةِ ووجودِ قوّةٍ حادثةٍ، كما قَدْ يبصر الإنسانُ بعد العمى، ويسمع بعدَ الصممِ بحدوثِ سببٍ أو معنى دواءِ الطعامِ، ويأخذُ اللهُ بأبصارِ قوم بأن يأتي عليهم النُعاسُ أو يخفي شخصُ المارِّ بهم فلا يَرْونه، وكلامُ أبليس غيرُ عجيبٍ لأنّه قد يُقالُ لمن عملَ بعملِ إبليسٍ: هذا أبليسُ، وكذلك لمن تكلّم بكلام إبليسَ يوسوسُ إبليسُ بمثله، وقد سمّى اللهُ عزَّ وجلَّ مَنْ اقتدى بالشيطانِ شيطاناً فقال ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ [البقرة: ١٤] وابليسُ شيطانٌ؛ وأمّا المعراجُ والمسرى فكفاك حُجّة على الخصمِ عدم اختلافِ أهلِ الملّةِ فيه؛ وخبرُ الرّوم ولحسُ الأرضةِ الصحيفةَ وغيرُ ذلك ممّا أخبرَ النبي ﷺ من أخبارِ الغيبِ فمنْ وحي اللهِ وتنزيلهِ مع أن ذلك ممكنٌ معرفتهُ من جُملةِ الخبرِ، وأمّا كيفيةِ نزولِ جبريلَ بالوحي وظهورهِ له فإنّ الواجبَ أن لايكلم الخصمَ إلاّ بإيجابِ الوحي كيفَ شاءَ لأنّ الوحَي على وجوهٍ: وحي إلهام، ووحيُ القاءٍ، ووحيُ تلقينٍ، ووحي رُؤيا، وقَدْ سُئلَ النبيّ ﷺ: كيفَ يأتيكَ الوَحْيُ؟ فقال «أحياناً يأتيني مثلَ صلصلةِ الجرسِ يتمثّلُ لي المَلَكُ رجُلاً فيكلّمني» رواه الواقديّ، ونحنُ بحمدِ اللهِ مصدّقون بكلِّ منا جاءَ على ظاهرهِ، وجدْنا له مِثْلاً وشبهاً أوْ لم نجدْ، ومُقّرون بنزول الملكِ على الأنبياءِ سفيراً بينهم وبينَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وواسطةً، قَالَ: هذا المناقضُ في حِجاجهِ فإنْ قَالَ الملحدُ: إذا كانَ الأمُر كما زعمتَ، وكانَ كلُّ ذلك ممكناً لعامّةِ النّاسِ فلِمَ سمّيتُها معجزاتُ الأنبياءِ وخصّصتُهم بها؟ قيل: قَدْ يكونُ الشيءُ معجزةً في وقتٍ، وهو بعينهِ غيرُ معجزةٍ في وقتٍ آخرَ، ويكون معجزةً لقومٍ وغيرَ معجزةٍ لقومٍ، ويكونُ الشيءُ باجتماعِ أجزائهِ معجزةً، ويكونُ كلُّ جُزْءٍ منه على الانفرادِ غيرَ معجزةٍ، قَالَ: وذلك قولنا أنّ النبيَّ ﷺ نُصَر ببدرٍ في قلّةِ عددهِم، فلو وُجدَ مِثْلُه في زمانِنا أو في بلدِ الشركِ لجازَ ذلك وكانَ ممكناً ثمّ لا يجوزُ أن يسمّى معجزةً، وقَدْ كان لرسولِ اللهِ ﷺ معجزةٌ عظيمةٌ في زمانهِ لأنّه قَدْ يقعُ بالاتّفاقِ ما لا يُرجَى كونُه ووقوعُه، قَالَ: والقرآنُ معجزةٌ عظيمةٌ لهم، قَالَ: فاتفاقُ تلك المعاني للنبي ﷺ وتناسُقِها في زمانهِ معجزةٌ له أتاحَها اللهُ عزَّ وجلَّ وقدَّرها علامةً لنبوّتهِ، هذا يرحمك اللهُ بابُ كانَ اللهُ أغنى هذا المتكلّفَ عن الخوضِ فيه والتمرّسَ به، وما أراهُ أبلى عنّا في الإسلامِ أو ردَّ عنُه عاديةً إنْ لم يكنْ فتحَ عليهم بابَ شُنْعة وتلبيسٍ، وسبيلُ المعجزاتِ للأنبياءِ في خروجها

(١) النافقاء: إحدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها.

عن العادةِ سبيلُ إيجادِ أعيانِ الخلقِ لا من سابقةٍ، فكما أنّ إيجادَ الخلقِ لا من شيء لا مفهومَ ولا معقولَ، ولكنْ بعرفٍ وتعلّمٍ بقيامِ الأدلةِ عليه كذلك معجزاتُ الأنبياءِ عليهم السلام غيرُ موهومةٍ ولا معقولةٍ، وإنما بعلمٍ بقيامِ الأدّلةِ عليها، ولذلك جُعلتْ مسألةُ الرسالةِ تابعةً لمسألةِ التوحيدِ مرتّبةً عليها، وقد مضى من هذا في فصلهِ ما كفى وأغنى ولله الحمدُ والمنَّةُ والحَوْلُ والقوّةُ والتوفيقُ والهدايةُ.

الفصل السادس عشر

في مَقْدمِ رسولِ الله وسراياهُ وغزواتُه إلى وقتِ وفاتهِ ﷺ

قَالَ: قدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة يومَ الاثنينِ حينَ اشتدَّ الضُحى لاثنتي عشرةَ خلتْ من ربيعِ الأول، وكانَ خَرَجَ من الغارِ ليلةَ الخميسِ غرَّة شهرِ ربيعِ الأوّلِ، ودخلَه يومَ الاثنينِ، وأقامَ فيه ثلاثاً، وبقي في الطريقِ اثنتي عشرة ليلةً، فكان من خروجه من مكَّة إلى دخولهِ المدينةَ خمسةَ عشرَ يوماً، فنزلَ تحتَ ظلٍّ نخلةٍ بقُباء فطفِقَ النّاسُ يأتونَه وينظرونه، وكانَ أبو بكر معَهَ في مثلِ سنّهِ، فما كانَ يعرفُه إلاّ مَنْ كانَ رآهُ فلما زَال الظلُّ قَامَ أبو بكر فاظلَّه بردائهِ، فعرفَه حينئذٍ مَنْ لم يكنْ يعرفُه، ثم نزلَ على كلثومِ بن هدم[1] ويُقالُ على سعدِ بنِ خيثمةِ[2] وأقامَ عندهم يومَ الاثنينِ والثلاثاء والأربعاء والخميسِ، ولم تكنِ المدينةُ يومئذٍ ممصّرةً، وإنما كانتْ آطاماً وحوائطَ، وكانَ بنو عمرو بن عوفٍ يتنابونه عندَ كلثومِ بنِ هدمٍ، فأوُّل ما أمرَ فيهم بالأصنام أن تُكسَّر فجعلوا يكسرونها ويوقدُون النَار فيها، وأسّسَ مسجَد قُباء، وصلّى فيه ثم خَرجَ يومَ الجمعةِ فأدركتْه الجمعةُ في بني سالمِ بنِ عوفٍ فصلاّها في بطنِ الوادي: وهي أوُّل جمعةٍ صلاّها في الإسلامِ وبنى في مصلاّه مسجداً، واستقبله النّاسُ فجعلتَ تقولُ: كلُّ قبيلةٍ: اقمْ عندنا في العدّةِ والعددِ، ويَقُول: خلّوا سبيلَها فإنّها مأمورةٌ قالُوا: فلما انتهتْ إلى بيتِ أبي أيّوبِ الأنصّاري[3] بركتْ، ووضعتْ

---

(١) أبو موسى كلثوم بن هدم أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، سكن قباء، يعرف بصاحب الرسول اسلم قبل وصول الرسول إلى المدينة نزل عليه الرسول بُقباء (أسد الغابة ٤/ ١٩٥).

(٢) هو ابن الحارث بن مالك نسباً إلى مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، يكنّى أبا خيثمة وقيل أبو عبد الله كما نسبه ابن الكلبيّ، بدريّ، نقيب لبني عمرو بن عون، قتل يوم بدر، كان بيته يسمّى بيت العزّاب. «أسد الغابة ٢/ ١٩٤».

(٣) هو خالد بن زيد الخزرجي، صحابي نزل الرسول في بيته في المدينة يوم الهجرة توفي بحصار =

جرانها[1] في الأرضِ فنزَلَ رسولُ الله ﷺ على أبي أيّوبٍ، وأقامَ عنده سبعةَ أشهرُ إلى أن بنى المسجد في فضلِ البُلدان، قَالُوا وبعثَ رسولُ الله ﷺ أبا رافع مولاهُ وزيدَ بنَ الحارثةِ يقدّمان بعيالِهِ، وأعطاهما بعيرين وخمسَ مائةِ درهمٍ أخذَها من أبي بكر الصديقِ فقدما بفاطمةِ وأُم كلثومِ ابنتي رسول الله وسودة بنتِ زمعة زوجةِ رسولِ الله ﷺ، وأمّا زينبُ بنتُ رسولِ الله فإن زوجَها أبا العاصِ بن الربيعِ حبسَها، وأمّا رُقيّةُ بنتُ رسول الله ﷺ فإنّها هاجرت قبله مع زوجها عثمانِ بن عفان، وكانَتْ هاجرتْ معه إل الحبشةِ، وقدِمَ عبدُ الله ابن أبي بكر بأختيه عائشة وأسماء بنتي أبي بكر وأُمّ رومانِ امرأة أبي بكر، وكانَ رسولُ الله ﷺ لمّا خَرج خلّفَ علياً بمكّة، وأمَرهُ أن يرُدَّ الودائعَ التي كانَتْ عندَ رسول الله للناسِ إلى أهلها ففعلَ عليٌّ، وخرجَ في إثرِهِ بعدَ ثلاثٍ، وفُرضت الصلاةُ أربعاً أربعاً بعد الهجرةِ بشهرٍ، وكانوا يصلّون قبلَها ركعتينِ ركعتينِ، ثم آخى بينَ المهاجرينَ والأنصارِ، وأقطعَ الدُورَ، وخطَّ الخُططَ، فلبثوا فيها، وكتبَ كِتاباً وادعَ فيه اليهودَ، وأقرّهم على دينِهم، وشَرطَ لهم أن لا يهيجَهم ولا يباديهم، وشرطَ عليهم أن ينصروه ممّن دَهِمه ولا يظاهروا عليه عدواً، فلمّا رأتِ اليهودُ ظهورَ أمرِهِ، واستجابةَ النّاسِ له نقضوا العهد، وأخفروا الذمّة، وناصبُوه بغياً وحسداً فجعلُوا يغشونه، ويسألونَه عن الأُغلوطاتِ منهم: حُيَيُّ بنُ أخطبَ وأبو ياسر بنُ أخطب وجُديُ بن أخطب وزيدُ بن تابوة وعبدُ الله بنُ صورى ومحاضُ بنُ عابور والربيعُ بنُ أبي الحقيق وكعبُ بنُ الأشرفِ وشاسُ بنُ عمرو وفردم بنُ كردم وغيرُهم من أشرافِهم ونافقَ رهطٌ من أهلِ المدينةِ وظاهروهم على ذلك منهم خذامُ بنُ خالد الذي أَخرج مسجدُ الضِرارِ من دارِهِ وجاريةُ بنُ عامرٍ وبحزجُ بنُ عمرو وعبدُ الله بنُ الأزعرِ هم الذين بَنُوا مسجدَ الضِرارِ ومجمعُ بنُ جارية: هو الذي كان يصلّي بهم وأوسُ بنُ قيظي: وهو الذي قال يومَ الخندقِ[2] إنّ بيوتنا عَوْرةٌ وأبَيْرقُ سارقُ الدِرْعِ ووديعةُ بنُ ثابتٍ ومعتّبُ بنُ قشير هما اللذان قالاَ إنّما نخوضُ ونلعبُ وجدُ بنُ قيسٍ الذي قَالَ ائذن لي ولا تفتّني وعبدُ الله بنُ أبيّ بن سلولِ الخزرجيّ رأسُ النفاقِ، وكان القرآنُ ينزلُ فيهم، ويُعبّر عن خُبْث عقيدتهم، ودَرَنِ سرائرهِم إلى أن أذنَ اللهُ لرسولِهِ في السَيْفِ ونزلَ ﴿**أُذِن للذين يقاتَلون بأنّهم ظُلموا وإنّ الله على**

= القسطنطينية ودفن تحت أسوارها. (ت ٥٢ هـ). «منجد الأعلام/ ١٤».

(١) جرانها: مقدّم عنقها.

(٢) الخندق: وقعة حاصر بها القرشيون المدينة بعد أن تحزّب المشركون بقيادة أبي سفيان، فأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق فامتنع به المسلمون وتسمّى الوقعة بالأحزاب وقعت سنة (٥ هـ) «منجد الأعلام/ ٢٧٣».

نصرهم لقديرٌ الذين أُخرجوا من ديارهم بغيرِ حقٍّ إلاّ أن يقولوا ربُّنا اللهُ﴾ [الحج: ٤٠] فأخذَ في تسريبِ السرايا وبعثِ الجيوشِ، وكانت سراياهُ ووقائعه أربعاً وسبعين غزاةً، ويُقالُ خمساً وسبعين في مهاجرةِ عشرِ سنين، منها التي غزا بنفسهِ سبعٌ وعشرون وقعَ منها في تسعِ القتالُ في بدرٍ وأُحُدٍ والمريسعِ والخندقِ وقريظةِ وخيْبرِ والفتحِ وحُنينِ والطائفِ، ويُقالُ: أنّه قَاتلَ في بني النضيرِ وكانَتْ سنو الهجرةِ عشَر سنين: السنةُ الأُولى سنةُ الهجرةِ، والثانيةُ سنةُ الأمرِ بالقتالِ، والثالثةُ سنةُ التمحيصِ، والرابعةُ سنةُ الترفيهِ، والخامسةُ سنةُ الزلازلِ، والسادسةُ سنةُ الاستئناس والسابعةُ سنةُ الاستغلابِ، والثامنةُ سنةُ الاستواء، والتاسعةُ سنةُ البراءَةِ، والعاشرةُ سنةُ حجّةِ الوداعِ، ثم دخلتْ سنةُ احدى عشرةَ من الهجرةِ مضى منها شهران واثنا عشرَ يوماً، ولحقَ بربّهِ ﷺ أمّا سنةُ إحدى من الهجرةِ فإنّ رسولَ الله ﷺ قدِمَ المدينةَ فأقامَ بها بقيّةَ ربيعٍ وربيعاً وجُمادَيْين ورجباً وشعبانَ، فلمّا دخَلَ شهرُ رمضانَ عَقدَ لواءَ أبيضَ لحمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ: وهو أوّل لواءٍ عُقد في الإسلامِ، وبعثَه في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصارِ يعترضُ عِيراً لقريش جاءَتْ من الشام فلقي أبا جهلٍ في ثلثمائة راكبٍ، وحجزَ بينهم مجديُّ بنُ عمرو الجُهني فانصرفوا ولم يكُن بينهما قتالٌ، فهذه أوّلُ سَريّةٍ سُرَتْ في الإسلامِ وفي سبيل اللهِ، فلمّا دَخَل شوالٌ بعثَ عُبيدةَ بنَ الحارثِ بنِ عبدِ المطّلب في ستّين راكباً من المهاجرين والأنصارِ فلقي جمعاً عظيماً من قريشٍ بسيفِ البحرِ، وعليهم عكرمةُ ابنُ أبي جهلٍ فانصرفُوا، ولم يكنْ بينهما قتالٌ إلاّ أنّ سعدَ بنَ أبي وقّاصٍ رمى بسهمٍ، وهو أوّلُ سهمٍ رُمي في الإسلامِ، ثمّ لمّا دخلَ ذو القعدةِ بعثَ سعدَ بن أبي وقاصٍ في ثمانيةِ رهطٍ من المهاجرين فرجعَ ولم يَلْقَ كيداً، وفي هذه السنةِ بنى بعائشةَ وكانَ تزوّجَها بمكّة، وفيها وُلدِ عبدُ الله بنُ الزبيرِ: وهو أوّل مولودٍ وُلد في الإسلام بعدَ الهجرةِ، وفيها وُلدَ النعمانُ بنُ بشيرٍ: وهو أوّلُ مولودٍ وُلدَ من الأنصارِ بعدَ الإسلامِ، وأمّا سنةُ اثنتين من الهجرةِ فإنّ رسولَ الله ﷺ لما مضى المحرّمُ منها، ودَخلَ صفرٌ خَرجَ غازياً بنفسهِ حتّى بلغَ ودّان[1] بينها وبينَ الأبواء[2] ستّةُ أميالٍ، فوداعَتْه بنو ضمرة[3] فانصرف ولم يلقَ كيداً: وهي أوّلُ

---

(١) ودّان: موضع بين مكة والمدينة: قرية جامعة من نواحي الفرع. «معجم البلدان ٥/ ٤٢٠».

(٢) الأبواء: قرية من أعمال الفَرْع في المدينة بينها وبين الجُحْفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. «معجم البلدان ١/ ١٠٢».

(٣) بنو ضمرة: هم بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة وإليهم ينسب عمرو بن أمية الضمري صاحب رسول الله «ﷺ» وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفة بساقية قلته وما يليها من بلاد أقميم من صيد مصر. صبح الأعشى ١/ ٤٠٥.

غزاةٍ غزاها رسولُ الله ﷺ، فلما دخَلَ ربيعُ الأوّلِ غزا بواطٍ: وهو موضعٌ في طريقِ الشامِ يعترضُ عِيراً لقريشٍ فرجَع ولم يلَق كيداً، ثمّ اغارَ كرزُ بنُ جابرٍ الفهريّ عل سرحِ المدينةِ فخَرج في إثرهِ حتى بلغ سفوان[1] من ناحيةِ بدرٍ، وهي بدر الأُولى فرجعَ ولم يُدركْه وذاك في جمادى الأولى، ثمّ غزا ذا العشيرةِ في جمادى الآخرة وفي تلكَ الغزاةِ قَالَ لعليّ: «يا أبا ترابٍ: اشقى الناسُ رجلان أُحيمرُ ثمودٍ والذي يخضبُ هذا من هذا» ووضَعَ يدَه على رأسِهِ ولحيتِهِ، ثم بعثَ عبدُ اللهِ بن جحشٍ في ثمانيةِ رهطٍ من المهاجرين في شهرِ جمادى الآخرةِ منهم أبو حُذيفة بنُ عُتْبة وسعدُ بنُ أبي وقاص وعُكاشةُ بنُ مِحْصَن الأسديّ وعُتبةُ بن غزوان. وواقدُ بنُ عبدِ الله كتبَ له كِتاباً أمرَه أن لا ينظرَ فيه حتّى يسيرَ يومَيْن ثمّ يقرأهُ على أصحابِهِ ولا يستكرهْ منهم أحداً، فسارَ عبدُ الله بن جحشٍ يومَيْن، ثم فتحَ الكتابُ فإذا فيه بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ: سرْ على اسمِ اللهِ وبركتِهِ حتّى تنزلَ نخلَة فترصّد بها عِيرَ قريشٍ لعلّك تأتينا منهم بخبرٍ، فسارَ عبدُ الله بأصحابِهِ حتّى نزلوا نخلةَ فمّرتْ العِيرُ تحملُ زبيباً وأَدماً، وفيها عمرو بنُ عبدِ الله الحضرميّ والحكمُ بنُ كيسانَ ونوفلُ بنُ عبد الله المخزومي وأخوه عثمانُ ابنُ عبد الله فلما رآهم هابوا فتشاورَ أصحابُ رسولَ الله ﷺ قبلَ أن يهلّ الهلالُ، وكانَ آخرُ يومٍ من جمادى الآخرة على زعم الكلبي فحلقوا رأسَ عكّاشةَ بنَ مِحصنٍ فأشرفَ لهم فلما رأوْه أمِنوا، وقَالَ قومُ: عُمّارٍ لا بأسَ عليكم فرمى واقدُ بنُ عبدِ اللهِ الحنظلي عمرو بنَ الحضرميّ فقتلَه واستأسرَ الحكمَ بنَ كيسان وعثمانَ بنَ عبدِ الله وأعجزَهم نوفلٌ على فرس له، وأقبلَ عبد الله بنُ جحشٍ بالعيرِ والأساري: وهو أوّل غنيمةٍ غنمتْ في الإسلامِ، وأوّلُ قتيلٍ قتلَه المسلمون، وأوّل أسيرٍ أسروه، فخاضَ النّاسُ في ذالك، وقالُوا استحلّ محمّدٌ العِيرَ وأتى منه شَيْئاً، وقَالَ «ما أمرتكُم بالقتالِ في الشهرِ الحرامِ» فقالوا: يا رسولَ اللهِ قتلناهم ثم نظرنا إلى رجبَ فنزلت **﴿يسألونك عن الشهرِ الحرام قتالٌ فيه قُلْ قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيلِ اللهِ وكُفر به والمسجدُ الحرامِ وإخراجُ أهله منه أكبرُ عندَ الله والفتنة أكبرُ من القتل﴾** [البقرة: ٢١٧] فأباح اللهُ عزَّ وجلَّ القتَلَ في الشهرِ الحرامِ، وأبطلَ ما كان قبلَ ذلك، قَالُوا: وجعلت يهودُ يتفألون به ويقولون واقدٌ وقدتَ الحربَ والحضرميُّ حضرتَ الحربَ، وروي في المغازي هذا الشعرَ لأبي بكرِ الصدّيق رضي الله عنه: [طويل].

يعـدُّون قَتْلَـى فـي الحـرامِ عظيمـةً ... واعظمُ منه لَوْ يرى الرُّشْدَ راشدُ

---

(١) سفوان: وادٍ من ناحية بدر «معجم البلدان ٣/ ٢٥٤».

صُدودهُمُ عمّا يقولُ محمدٌ وكفرٌ بهِ واللهُ راءٍ وشاهدُ
وإخراجهُم من مسجدِ الله أهلَهُ لئلاَّ يُرى للهِ في البيت ساجدُ
فإنّا وان عيّرتمونا بقتلهِ وأرجف في الإسلام باغ وحاسدُ
سقينا من ابنِ الحضرميّ رماحَنا بنخلةَ لمّا أوقدَ الحرب واقدُ
دماً وابنُ عبد الله عثمان عندنَا ينازعه غُلٌّ من القدِّ عاندُ

ولمّا دخَلَ شعبانٌ صرفت القبلةُ لنصفٍ منه، وقال ابنُ اسحقَ: صرفتْ في رجبَ، ورأى عبدُ الله بنُ زيدٍ الأذانَ فلما دخلَ رمضانُ فُرضَ الصيامُ وكانَ فيه بدرُ العُظمى.

ذكرُ قصةِ بدر:

قالُوا بلغ رسولَ اللهِ ﷺ أنّ أبا سُفيانَ بنَ حربٍ مُقبلٌ من الشّام في عِيرٍ لقريشٍ زُهاءَ ألفِ بعيرٍ لا أحد بمكّةَ ممنْ له طعْمةٌ إلاّ ولهُ فيها تجارةٌ، ومعها ثلاثون راكباً فندَبَ المسلمين، وقالَ: أخرجوا لعلَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أن ينفّلكموها[1] فخفَّ بعضُ النّاسِ، وثَقُلَ بعضٌ لأنّهم لم يظنّوا أنّهم يلقَوْن حرباً، وبلَغَ الخبرَ أبا سفيان بنَ حربٍ فبعثَ ضمضمَ بن عمرو الغفاريّ إلى مكّة يستنفرهم ورأتْ عاتكة بنتُ عبدِ المطّلبِ قَبلَ قدومِ ضمضمِ بنِ عمرو بثلاثٍ كأنّ واقفاً وقفَ بالأبطحِ فصرخَ بأعلى صوتِه إلا أنفروا إلى مصارعِكم إلى ثلاثٍ يا أهلَ غُدَرَ، ثم مشى به بعيرهُ على ظهرِ أبي قُبيسٍ فصرخَ مثلَ ذلك، ثم حَملَ صخرةً فأرسلَها فأقبلتْ تهوي حتّى إذا كانتْ بأسفلِ الجبلِ ارفضّت فما بقيَتْ دارٌ من دُورِ مكّة إلاّ وقعتْ فيها فِلْقةٌ وفشتْ الرؤيا بمكّة، فلقي أبو جهلٍ العبّاسَ بنَ عبد المطّلب فَقالَ: ما حدَّثتْ فيكم هذه النبيّة يا بني هاشمٍ أما ترضَوْن أنْ يُتنبأَ رجالكُم حتّى تتنبّأ نساؤكم ولكنْ نتربّصُ بِكم هذه الثلاثَ، فإنْ كانَ كما قالتْ وإلاّ كتبنا علكيم كِتاباً: أنكم اكذبُ أهلِ بيتٍ في العربِ، قَالَ: فلمّا كانَ يومَ الثّالثِ إذا ضمضمَ بنُ عمرو ببطنِ الوادي قد جدّع بعيره وثوبه، وحوّلَ رَحْلَه يصرخُ اللطيمةَ اللطيمةَ قَدْ عرَضَ لها محمّدٌ الا أنفروا وما أراكم تُدركونها فخرجتْ قريشٌ سِراعاً حتّى نزلُوا الجحفةَ، وخَرجَ رسولُ الله ﷺ من المدينةِ لثمانِ خلَوْنَ من شهرِ رمضانَ، وبعَث بعديٍّ بنِ أبي الزغباءِ وبسبسِ بنِ عمرو يتجسّسانِ خبرَ أبي سفيانَ فجاءا حتّى نزلا ببدرٍ فوجدا الخبرَ بأنّ العير يستقدمُ غداً وبعد غدٍ فانصرفا بالخبرِ إلى النبيّ ﷺ وأقبلَ أبو سفيان حتّى وقفَ على مُناخِهِما ففتّ أبعارَ بعيرَيْهما فَقالَ: علائفُ يثربَ

(١) ينفّلكموها: يعطيكم زيادة على حصّتكم.

واللهِ، فانصرفَ وضربَ وجه العيرِ عن الطّريقِ، وساحَلَ به، ونزلَ بدراً على سيّارةٍ وأرسلَ إلى قريشٍ: إنكم إنّما خرجتُم لتمنعوا عيرَكم وقَدْ نجّاها اللهُ فارجعوا فَقالَ أبو جهل: لا نرجعُ واللهِ حتى نردَ بدراً، وكان موسماً من مواسمِ العربِ فنعكفُ عليها وننحرُ الجَزور[1]، ونسقي الخمورَ، وتعزفُ علينا القِيانُ، وتسمع العربُ بنا وبمسيرنا هذا فلا يزالون يهابوننا أبداً فرجعَ طالبُ ابنُ أبي طالبٍ والأخنسُ بنُ شريقٍ في مائةِ رجلٍ، وسارَ الباقون وهمْ تسعُ مائة وخمسون رجُلاً أشرافُ قريشٍ وأعلامُ العربِ حتّى نزلوا بالعدوةِ القُصوى من الوادي، وسارَ رسولُ الله ﷺ وهم ثلثمائة وأربعةَ عشرَ رجلاً حتّى أتى بدراً، ونزلَ بالعدوةِ الدّنيا، وكانَ معهم سبعون من نواضحِ يثربَ يعتقبونها، وكانَ رسولُ الله ﷺ وعليّ ومرثدُ بنُ أبي مرثدٍ الغنَويُّ يعتقبون بعيراً ولم يكنْ من الخيلِ إلاّ فرسٌ للمقدادِ بنِ الأسودِ الكنديّ ومن السّلاحِ إلاّ سبعون سيفاً فأمرَ النبيُّ ﷺ فبنَوْا حوضاً، ومَلَؤوهُ ماءً، وقذفوا فيه الآنيةَ وأمرَ بسائر القُلْبِ فعُوّرَتْ، وضربوا له عَريشاً يكونُ فيه، وجاءتْ قريشٌ تضوّر[2] من الكثيبِ، فَقَال النبيُّ ﷺ هذهِ مكّةُ قد ألقَتْ إليكم أفلاذَ كبدِها، واستشارَ الناسُ في القتالِ فقامَ أبو بكرٍ رضي الله عنه فتكلّم وأحسنَ، ثم قَامَ عُمرٌ فتكلّم وأحسنَ، فَقال النبيّ أشيروا عليّ فقامَ المقدادُ بنُ الأسودِ فَقالَ امضِ بنا فإنّا لا نقولُ لك كما قالتْ بنو إسرائيلَ لموسى عـ﷤ ﴿فاذهبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنّا هاهنا قاعدون﴾ [المائدة: ٢٤] والذي بعثَك بالحقّ لو سِرْتَ بنا إلى بركِ الغمادِ لجادلْنا معكَ من دونهِ حتّى تبلغَه فَقالَ له النبيّ ﷺ خيراً ودَعا له، ثم قَالَ: أشيروا عليّ وإنّما يريدُ الأنصارَ وذلك أنّهم كانوا بايعُوه عندَ العقبةِ على إنّا براءٌ من ذمتك حتى تصلَ إلى ديارِنا فإذا وصلْتَ فأنتَ في ذمّتِنا، وكانَ يتخوّفُ أنّ الأنصارَ لا يرَوْن له نُصرةً إلاّ ممّن دهمَه بالمدينةِ فَقامَ سعدُ بنُ معاذٍ لعلّك تُريدنا يا رسولَ الله، فَقالَ: نعم، فَقالَ: إنّا آمنا بك وصدّقناك فامضِ بنا لما أردتَ فلو استعرضتَ بنا على هذا الحبرِ لخُضْناه معك إنّا لصُبُرٌ في الحربِ صُدُقٌ في اللقاءِ، فَقالَ النبيُّ ﷺ تهيّأوا وابشروا فإنّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد وعدني احدى الطائفتينِ واللهِ لكأنّي أنظرُ إل مصارعِ القوم، فمشى القومُ إلى القتالِ والتقوا وحميتْ الحربُ بينهم ورسولُ الله ﷺ يناشدُ ربَّه، ويدعُوه قَالَوا فخرجَ الأسودُ بنُ عبدِ الأسدِ المخزوميّ وكان شَرِساً سَيءَ الخُلقِ فَقالَ: أُعاهدُ اللهُ لأشربنّ من حوضِهم ولأهدمنّه أوْ لأموتنّ دونَه وقصدَ الحوضَ ليمنعَ المسلمين الماءَ فشدَّ عليه أسدُ الله وأسدُ

---

(١) الجزور: ما يجذر من النوق أو الغنم.

(٢) تضوّر: تلوى من وجعِ ضربٍ أو جوعٍ.

رسولِهِ حمزةُ بنَ عبدِ المطّلبِ فضربه ضربةً ألحنَ قدمَه، فخرّ على وجههِ، وجعَلَ يحبو إلى الحوضِ، وقَدْ قَال بعضُ أهلِ العلمِ: إنّ حمزةَ لمّا قطعَ رِجْله حملَها الأسودُ فرمى بها رجُلاً من المسلمين فقتلَه واللهُ أعلمُ، ثم خرجَ عتبةُ بن ربيعةَ والوليدُ بن عتبةَ ودعُوا إلى البرازِ فخرجَ إليهم عوفُ بن عفراء ومعوّذُ بنُ عفراءَ وعبدُ الله بنُ رواحة فقالُوا لهم: من أنتمُ؟ قالُوا: نَحنُ رهطٌ من الأنصارِ قالُوا لا حاجةَ بنا إليكم، ونادَوْا يا محمّدُ: أخرِجْ إلينا أكفاءَنا من قومِنا فخَرجَ عبيدةُ بنُ الحارثِ إلى عتبةَ بن ربيعةَ، وحمزةُ بن عبدِ المطلبِ إلى شَيْبةَ بنِ ربيعةَ، وعليُّ بنُ أبي طالبِ إلى الوليدِ بنِ عتبة، فتجادلوا وتطاردوا، واختلفَ الضربُ بينهم فأمّا عليٌّ فلم يُمهل صاحبَه أن قتلَه، وقَتلَ حمزةُ شيبةَ، وكان عبيدةُ بنُ الحارثِ اسنّ القومِ وأضعفَهم، وقَدْ بارزه عُتبةُ بنُ ربيعةَ فاختلفَ بينهما ضربتان اثبتْ كلُّ واحدٍ منهم صاحبَه فكرَّ عليٌّ وحمزةُ على عتبة فذفّفا عليه[1]، واحتملا عبيدةَ إلى أصحابهِما، ثم رمى المشركون مهَجعَ بنَ عبدِ الله بسهمٍ فقتلوه: وهو أوَّلُ من قُتل في الحربِ من المسلمين، وخَرجَ أبو جهلٍ وهو يرتجز:

ما تنقُم الحربُ العوانُ مني ... بازل عامين حديثَ سنّي

لمثلِ هذا ولدَتْني أمّي

وحقّقَ حقيقتَه فرأى الملائكةَ، فانتبه وقَالَ: ابشرْ يا أبا بكر أتاك النصرُ هذا جبريلُ يقودُ فرسَه، على ثناياه النقعُ، ثم خرجَ إلى الصفوفِ فحرّضهم ورغّبهم، وأخذَ حَفْنةً من الحصا استقبلَ بها القومَ وقَالَ: شاهتِ الوجوهُ وأذراها على وجوهِهم، وقَالَ لأصحابِهِ شدّوا فكانَ نفحهُم بها، ووضَعَ المسلمون أيديهم يقتلون ويأسرُون حتّى أسرُوا اثنين وأربعين رجُلاً، ويُقالُ: اثنين وسبعين رجلاً، وقتلوا سبعين رجلاً، ويُقالُ خمسين رجلاً[2]، وقَالَ النبيُّ ﷺ إنّ فيهم رجالاً من بني هاشمٍ قد أُخرجُوا إكراهاً فمَنْ لقي منهم أحداً فلا يقتلُه، وأسروا من بني هاشمٍ خمسة نفرِ العبّاسَ بنِ عبد المطلبِ وعقيلَ بنَ أبي طالبِ ونوفلَ بنَ الحارثِ بنِ عبد المطلبِ ونعمانَ بن عمرو بنِ علقمةَ بنِ عبد المطلبِ، والسائب بنَ عديّ بن زيدِ بن هاشمٍ، وأسروا أبا العاصِ زوجَ زينبِ بنتِ رسولِ الله ﷺ، وقَالَ أبو جهل: اللهمّ اقطعنا للرحمِ، وأتانا بما لا نعرفُ فكانَ هو المستفتحُ بقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم

(١) ذفّفا عليه: أجهزا عليه وأماتاه.

(٢) جاء في السيرة النبوية جـ ٢/ ٤٦٣: المشهور أنّ الأساري من المشركين يوم بدر كانوا سبعين والقتلى كانوا سبعين أيضاً.

الفتح﴾ [الأنفال: ١٩] الآية، فأدركه مُعاذُ بنُ عمرو بنِ الجموحِ فضربَه ضربةً أطبقت قدمه فكرّ عليه عكرمةُ بن أبي جهلٍ فضربَه على عاتقِهِ فطرحَ يده، ثمّ مرّ بأبي جهلٍ معوّذُ بنُ عفراءَ فضربَه حتّى أثبته، ووجدَه عبدهُ بنُ مسعودٍ بآخر رمقِهِ فوضعَ رجلَه على عنُقِهِ قَالَ: ففتَح عينه، وقَالَ: لقد ارتقيتَ مرتقىً صعباً لمن الدبرةُ قَالَ: قلتُ للهِ ولرسولِهِ ألم يُخْزِك اللهُ يا عدوَّ الله، قال: أعارٌ على سيّدٍ قتلَه قومُه، ثمّ احتزّ رأسَه وجاء به إلى النبيّ ﷺ فألقاهُ بينَ يديه، واستُشهد ذلك اليومَ من المسلمين ثمانيةُ نفرٍ ثمّ أمرَ رسولُ الله ﷺ بالقتلى فأُلقوا في القليب: وهو يُقولُ: يا أبا جهلٍ يا عتبة يا شيبةُ يا فلانُ ويا فلانُ يدعوهم بأسمائهم هلْ وجدتُم ما وعدكم ربُّكم حقاً فإنّي وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا قَالَ ابنُ إسحقَ: حدّثني حميدُ الطويلُ[1] عن أنسٍ[2] أنّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قالُوا: يا رسولَ الله تُنادي قوماً قد حُتفوا فَقالَ: ما أنتمْ بأسمعَ ما أقولُ منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يُجيبوا، وفيه يقولُ حسّانُ: [وافر].

يناديهمْ رسولُ اللهِ لما ... قذفناهم كباكب في القليبِ[3]

فما نطقُوا ولو نطقُوا لقالوا ... صدقْتَ وكنتَ ذا رأيٍ مُصيبِ

ومرَّ رسولُ الله في العسكرِ، وكرَّ راجعاً إلى المدينةِ، فلمّا خرجَ من مَضْيقِ الصفراءِ[4] قسمَ هناك النَفَلَ، وقَتلَ عُقبةُ بنَ أبي مُعيطٍ والنضرَ بنَ الحارثِ من بينِ الأسارَي، وقدِمَ المدينة، واستشارَ أصحابهَ في الأسارَي، فَقالَ أبو بكر: أهلُك وعشيرتُك وبنو أبيك أبْقِ عليهم واستأنِ بهم، وقَالَ عُمرُ: بل انظروا وادياً ملتفاً أشِباً فاضرمْه عليهم، فَقالَ العبّاسُ: قُطعت رحُمُك يا ابن الخطّاب، ثمّ فاداهُم، وكان الفداءُ أربعين أوقيّة ذهباً، وأُلزم العبّاسُ فدائَين، وَقِيلَ له: افدِ ابنَ أخيك عقيلاً فَقالَ: تركتني يا محمّدُ أسألُ الناسَ ما عِشْتُ، قَالَ: ما فعلتِ الدنانيرُ التي دفعتها إلى أمِّ الفضلِ عندَ خروجك وقُلْتَ إن حدثَ لي حادثٌ كانتْ لكِ ولولدكِ، فَقالَ: مَنْ أخبرَك به فواللهِ ما كانَ غيري وغيرُها ثالثاً: قَالَ: أخبرني بذلك ربّي فأسلمَ العبّاسُ وافتدي، واختلفوا في الغنائمِ والنَفَلِ فنزلتْ سورةُ الأنفالِ بأسرِها، وفي يومِ

---

(١) الإمام الحافظ، أبو عبيدة البصري، مولى طلحة الطلحات، ولد سنة ٦٨ هـ ومات سنة ١٤٠ هـ كما قال سبط حميد، يعقوب بن اسحاق وقيل سنة ١٤٢ هـ أو ١٤٣ هـ. سير النبلاء ٦/ ١٦٣.

(٢) هو أنس بن مالك: أبو حمزة الأنصاري، صحابي خدم الرسول نحو عشر سنين، روي عنه الحديث الصحيح، عمرّ طويلاً (ت ٩٣ هـ). «منجد الأعلام/ ٧٧».

(٣) الكباكب: جمع كَبْكَب: وهو اللعبة الجامدة.

(٤) الصفراء: مدينة في اليمن مركز قضاء همدان (محافظة صعدة). «منجد الأعلام/ ٧٣٠».

بدرٍ يقولُ حسانُ بنُ ثابتٍ: [بسيط].

سِرْنا وساروا إلى بدرٍ لحينِهِمْ ... لو يعلمون يقينَ العِلْمِ ما ساروا
وقال إنّي لكمْ جارٌ فأوردهُمْ ... سُرى المواردِ فيه الخُزيُ والعارُ

قالُوا: ولمّا رجعَ فَلُّ قريشٍ إلى مكّة قَالَ عميرُ بنُ وهبٍ الجُمَحي[1]: قبّحَ اللهُ العيشَ بعد قَتْلَى بدرٍ، ولولا دَيْنٌ عليَّ وعيالٌ لي لرحلتُ إلى محمّدٍ وقتلتُه، فَقالَ له صفوانُ بنُ أُميّة عليَّ دَيْنُك وعيالُك، ثمّ حملَه وجهّزَه وصقلَ سيفاً شحيذاً، وسمّه وضربَ راحلتَه حتى أتى المدينة فعقَل ببابِ المسجدِ، ودخلَ إلى رسولِ الله ﷺ فصاحَ عُمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه، وقَالَ: اتّقوا الكلبَ فإنّه حرّشَ بيننا، وحزرنا للمشركين يومَ بدرٍ، فأخذوه وقدّمُوه إلى النبيّ فَقالَ: ما أقدمكَ يا عُميرُ؟ قَالَ: قدمتُ لأجلِ أسيري قَال: فما بالُ السّيفِ في رقبتك، قَالَ: نسِيتُه، قَالَ: فماذا شرطتَ صفوانَ في دَيْنك وعيالك، ففَزَع عميرُ وعلمَ أنّه أمره الحقُّ فآمنَ بهِ وأسلمَ وحسُن إسلامهُ، وفي هذا الشهرِ هلكَ أبو لهب بمكّة وأبو احيحة سعيدُ بنُ العاصِ بالطائفِ وكانَ أبو لهب فأمرَ أبا العاص بن هاشمٍ أخا أبي جهلٍ بنِ هشامٍ فقعره ماله ونفسه وأسلَمه حداداً، ثم وجّهه بدلاً منه إلى بدرٍ فقُتل كافراً، ومات أبو لهب بالعَدسةِ، ثمّ كانتْ سريّةُ عصماء بنتِ مروانَ، وكانت امرأةً كافرةً بذيّئة اللسانِ تهجو النبيّ ﷺ وتحرّضُ على المسلمين. فبعثَ النبيّ ﷺ إليها عُميرَ بنَ عديّ الأنصاريّ فقتلها، وقَالَ عليه السلام: لا ينتطحُ فيها عنزان، وفي هذا الشهرِ أمرَ بإخراج زكاة الفطرِ قبلَ الفطرِ بيومٍ، وخرَجَ يومَ الفطرِ إلى المصلّى فصلّى وخطبَ: وهو أوّلُ عيدٍ في الإسلام ثم بعث سريّةَ سالم بنِ عُمير إلى أبي عفكٍ في شوّالَ، وعفكٌ: رجُلٌ منافقٌ يهجو النبيّ ﷺ، ويحرّضُ عليه ويقولُ ما أهدى قومٌ إلى رحالِهِم شراً من هذا الحرمي الذي أخرجَتْه لُحْمتُه وبنو أبيه، وهذه الأبياتُ من هجائه فيما يُروى: [متقارب].

لقد عشتُ دهراً وما إنْ أرى ... من النّاسِ داراً ولا مجمعا
أبرَّ عهوداً وأوْفى لمنْ ... تعاقدَ فيهم إذا ما رعى
من أولادِ قيلةِ في جمعِهم ... تهدي الخيال ولن اخضعا
فصدّعهم راكبٌ جاءهم ... حرامٌ حلالٌ لشيء معا

---

(1) هو ابن عم صفوان بن أمية بن خلف، شهد بدراً مع المشركين، كان من أبطال قريش وشياطينهم، أسلم بعد بدرٍ على يد الرسول (ﷺ) «أسد الغابة ٣/١٩٧».

فلــو أن بــالعــز صــدّقتــم أو الملــك بــايعتــم إنْ معــا

قَالَ النبيُّ ﷺ: مَنْ لي بهذا الخبيث؟ فخرج سالمُ بنُ عمير أحدُ البكائين فقتلَه على فراشهِ، وكانَ قَدْ بلغَ من السنِّ مائةَ وعشرين سنةً، وفيه يقولُ: [طويل].

حبـاكَ حنيـفٌ آخـرَ الليـلِ طعنـةً أبا عَفَكٍ خُذْها على كِبر السِنّ

غزوةُ يهودِ بني قينقاعٍ في شّوال:

وذلك أنّه لمّا قدِمَ الرسولُ إلى المدينةِ وادعَ اليهودَ، وعاهدهم، فكانَ هؤلاء أوّلهم نقضاً، وجاهروا بالعداوةِ، وقالُوا: يا معَشر المسلمين لا يغرُّكم أنكّم لقيتمُ قوماً أغماراً لا عِلْم لهم بالحربِ، فأصبتمُ منهم إنّكم لو خاصمتمونا لعلمتم أنّنا رجالُ الحربِ، فسارَ إليهم رسولُ الله ﷺ، وحاصرّهم في ديارهم حتّى نزلُوا في حكمهِ فهمّ بضربِ أعناقهِم، فَقامَ عبدُ الله بنُ أبيّ، وكانوا حُلفاؤه فَقالَ: أربعُ مائة حاسرٍ وثلاثُ مائة دارعٍ قد منعوني من الأحمرِ والأسودِ أدَعُك تحصدَهم في غداةٍ واحدةٍ فقالَ عليه السلام: هم لكَ، وكان لسعدِ بنِ عبادةٍ من حِلفهم مثلُ ما لعبدِ اللهِ بن أبيّ، ويُقالُ لعُبادةَ بنِ الصامتِ فقالَ: إنّي أبرأ إلى اللهِ ورسوله منهم، ويُقالُ فيهم نزلتْ ﴿إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ [المائدة: ٥٥] الآية.

ذكرُ غزوة السويقِ في ذي الحجّة:

وذلك أنّ أبا سفيانَ جاءَ في مايتَيْ راكبٍ فحرّقَ في أصوار[(١)] من النّخلِ، وقتل رجُلين من الأنصارِ، ودخل المدينةَ فباتَ عندَ سلاّمِ بن مشكم سيّدِ بني النضيرِ فسقاهُ وقراه، وبطَن له من خبرِ النّاسِ، ثم رجع من الليلِ إلى مكّة، وخَرجَ النبيّ ﷺ في إثره ففاته، وأصابَ المسلمون من أزوادِهم ما طرحوها يتخفّفون بها للنجاءِ فبذلك سُمّيتْ غزوةُ السّويقِ، وفي هذا الشهرِ تُوفّيتْ رُقيّةُ بنتُ النبي ﷺ وفيه بنى عليٌّ بفاطمة، وفيه مات مُطْعِمُ بنُ عديّ بمكّة، وفيه ضحّى رسولُ الله ﷺ، وذَبحَ شاتين بيدهِ، ثم دخلتْ سنةُ ثلاثٍ من الهجرةِ: وهـي سنـةُ التمحيـص والبـلاءِ، فخـرجَ رسـولُ الله ﷺ إلـى بنـي سُليـم[(٢)] حتّـى بلـغَ

(١) أصوار: النّخل الصغير.
(٢) بنو سُليم: من قبائل قيس بنو سُليم وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان قال الحمداني: وهم اكبر قبائل قيس، كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر. صبح الأعشى ٣٩٩/١.

الكُدرِ[1]، ثم رجعَ ولم يَلْقَ كيداً: وهي تُسمّى غزوة الكدرِ، وكانَتْ في المحرّمِ، ثم بعثَ سريّةَ محمّدِ بنِ مَسْلمةَ الأنصاري إلى كعبِ بنِ الأشرفِ فقتله.

ذكرُ مقتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ:

قالُوا: ولمّا أُصيبَ أهلُ بدرٍ قَالَ كعبُ: قد قتلَ محمّدٌ أشرافَ النّاسِ، فبطنُ الأرضِ خيرٌ من ظهرِها، فنقضَ العهدَ، وخرجَ إلى مكّة في أربعين راكباً فناحَ على قتلى بدرٍ، وبكاهُم، وحرّض المشركين على رسولِ الله ﷺ فبعثَ النبيُّ محمّد بنَ مسلمةَ وسلكان بنَ سلامة في نفرٍ فأتوهُ في جوفِ الليلِ: وهو فوقَ حِصْنه، فناداه سلكانُ: إنّ هذا الرجل قد يطالبنا بالصدقةِ، وجئتُك برَهْنَ لتُقرِضَني طَعاماً، فوثبَ كعبُ من محلفتهِ فتعلّقت امرأتُه بناحيةِ ثوبِهِ، وقَالتْ: إني لأرى حمرةَ الدّم في هذا الصوتِ، فقَالَ: دَعيني فلو دُعي ابنُ حُرّة بليلٍ إلى طعنةٍ لأجاب، فنَزلَ إليهم فأخذَ سلكانُ تحتَ كشحهِ فداسهُ. وضربوه بأسيافهمِ حتّى بردَ وفيه يقولُ كعبُ بن مالك: [وافر].

فغُـودرَ منهـم كعـبٌ صـريعـاً فـذلّـتْ بعـدَ مَصْـرَعـه النضيـرُ

ثم غزا رسولُ الله ﷺ نجداً يُريدُ غَطفان[2] حتّى نزلَ بطَن نخلٍ، وذلك في شهرِ ربيعِ الأوّلِ، ثم رجَع ولم يَلْقَ كيداً، وفيه كان حديثُ دعثور بنِ الحارثِ المحاري، ثم غزا بني سُليمٍ في جمادى الأولى فرجعَ ولم يلقَ كيداً، ثم بعثَ سريّةَ القردةِ وأميرهُم زيدُ بنُ حارثة[3] فأصابَ عيراً لقريشٍ مقبلةً من الشامِ، فأعجزه الرجالُ فقدَم به، وبلغَ الخُمْسُ عشرين ألفاً ثم كانتْ غزوة أُحُدٍ لستٍّ خلَوْنَ من شوّالٍ يومَ الجمعةِ، خَرجَ من المدينةِ ويومَ السّبتِ كانتِ الواقعةُ.

---

(١) الكُدْر: ماء لبني سليم وكان رسول الله (ﷺ) خرج إليها بجمع من سُليم فلما أتاه وجد الحيَّ خلوفاً فاشتاق النعم ولم يلق كيداً. «معجم البلدان ٤/ ٥٠١».

(٢) غطفان: من قبائل العرب الشمالية، من قيس عيلان منها ذبيان وعبس، قاتلوا النبي في قرقرة الصقر ثم في وقعة الخندق، ثم دخلوا في الإسلام سنة ٦٢٩ م، «منجد الأعلام/ ٥٠٨».

(٣) صحابي من أوائل الذين اعتنقوا الإسلام، استوهبه النبي من زوجه خديجة وتبنّاه واعتقهُ عقد له النبي لواء غزوة مؤتة، قتل في المعركة سنة (٨ هـ). «منجد الأعلام/ ٣٤١».

قصّةُ أُحُدٍ:

قالُوا: ولمّا أُصيبَ المشركون ببدرٍ، ورَجع فلُّهم إلى مكّة مشى أشرافُ قريشٍ إلى أبي سفيانَ بنِ حربٍ فقالُوا: إنّ محمداً قدْ وتَرنا، وقَتلَ خيارَنا فأَعِنّا نطلبُ بثأرِنا ونُعينُ بهذا المالِ يعنون العيرَ فاجتمعتْ قريشٌ، وجمعتْ أحابيشها ومَنْ أطاعَهم من القبائلِ، وخرجتْ بظُعنها التماسَ الحفيظةِ قائدهُم أبو سفيان بن حربٍ ومعه زوجته بنتُ عُتبة، وقدْ نذرتْ لئذ أمكَنها الله من دمِ حمزة لتشربنّه، ولتأكلنّ كبده، وجاؤا حتّى نزلوا بعينين: موضعٍ مقابلَ المدينةِ، ورأى النبيُّ ﷺ في منامِهِ رؤيا فقصّها على أصحابِهِ فقالَ «رأيتُ بقراً يُصرعُ، ورأيتُ في ذُبابِ سيفي ثلماً، ورأيتُ أنّي ادخلتُ يدي في دِرْعٍ حصينةٍ» قالوا: ما تأويلُها يا رسولَ الله قَالَ «أمّا البقرةُ: فهم قومٌ من أصحابي يقتلون، وأمّا السيف فرجلٌ من بيتي يُقتَلُ، وأمّا الدرعُ الحصينةُ فأنّي أوَّلْتُها بالمدينةِ» وكان رأيه أن يقيمَ بالمدينةِ، وقالُوا: أن دخلوا قاتلناهم في وجوهِهم ورماهُم النساءُ والصبيانُ بالحجارةِ من فوقِهم، وإن نزلُوا نزلوا بشرٍّ مجلسٍ، فقالَ رجالٌ ممّن أكرمَهم اللهُ بالشهادةِ وكانَ فاتهَم بدرٌ يتمنّون ما وصفَ اللهُ عزَّ وجلَّ به الشهداء من الثّوابِ والحياة: إخرجْ بنا إلى أعداءِ الله لئلاّ يرون إنّا جبنّا عنهم وعن لقائِهم، وكانَ ذلك اليومُ يوم الجمعةِ فصلّى بالناسِ، ودخَل منزله، ولبسَ لأمتهِ[1]، ثم خرجَ وقد نَدمَ النّاسُ فَقالَ: استكرهناك ولم يكنْ لنا ذلك، فإنْ شئتَ فأقعُدْ فَقالَ: ما ينبغي لنبيّ إذا لبسَ لأمتهِ أن يخلَعها حتّى يقاتلَ، وخرجَ من المدينةِ بألفِ رجلٍ، والمشركون ثلاثةُ آلافٍ وزيادةٌ فسارَ حتّى إذا كانَ بالشوطِ: وهو على ميلٍ من المدينة انجزل عبدُ الله بنُ سلولٍ رأسُ المنافقينِ بثُلثِ النّاسِ، وقَالَ: أطاعهم وعصاني علامَ نقتلُ أنفسنا انصرفوا فتبعهَم عمرو بنُ حرامٍ، وقَالَ: أناشدكم الله في حرمِكم ونبيكم ما ثم قتال لَوْ نعلم قتالاً لاتّبعناكم كما حُكي عنهم، وهمّت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصرافِ فعزم اللهُ لهم على الرُشْدِ، ثم ذكر نعمتَه عليهم فقال ﴿إذْ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليُهما﴾ [آل عمران: ١٢٢] ومضى رسولُ اللهِ ﷺ بأصحابهِ حتّى نزلَ الشِعْبَ من أُحُدٍ وأمرَ عبدَ اللهِ بنَ جبيرٍ أميرَ الرُماة، وكان في خمسين ناشباً أن يُبيّتوا على فمِ الشِعْب، وأن ينضحوا الخيلَ بالنبلِ لئلاّ يأتيهم من ورائهم، ودفعَ اللواء إلى مُصْعبِ بنِ عُميرِ بن هاشمٍ، ونشبتْ الحربُ بينَ الفريقينِ فدعَتْ هندُ بنتُ عُتبةَ وحشياً غلامَ جُبيرِ بنِ مطعمِ بنِ عديّ، وكان طعيمةُ بنُ عديّ قُتلَ ببدرٍ فقالت:

---

(١) لأمَتُه: درعُه وسميت لأمة لإحكامها وجودة حلقها.

إن أنت قتلتَ حمزةَ يأبي عُتبة بن ربيعة فلك قُلْبي وسِواري وقلائدي وخلخالي وشَنفي[1]، وقالَ له جبيرُ بنُ مطعم إن أنتَ قتلتَ حمزةَ بعمّي طعيمة بنِ عديّ فأنتَ عتيقٌ، ثم قامتْ هندُ في صواحباتِها يضربنَ بالدفوفِ، ويُحرّضن الرجالَ: وهي تقولُ: ويهاً بني عبدِ الدّارِ، ويهاً حُماة الاذمارِ، ضرباً بكلِّ سيّارِ، وقالت أيضاً: نحنُ بناتُ الطارقِ، نمشي على النمارقِ، إن تُقبلوا نُعانق، أو تدبروا نُفارقْ، فراق غيرِ وامق، وحميتِ الحربُ فقُتلَ مُصعبُ بن عميرٍ فدفعَ النبيُّ ﷺ اللواء إلى عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام فانزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ نصرةَ حتّى كانتْ هزيمةُ القومِ لا شكَّ فتركَ الرُماةُ مركَزهم، وأقبلُوا على النهبِ غيرُ أميرهم عبدُ اللهِ بن جُبيرٍ فإنّه ثبتَ مكانَه حتّى استشهد، وعطفَ عليهم خالدُ بنُ الوليدِ على الخيلِ فانقلبتِ الدَبْرةُ على المسلمين، واكتمنَ الوحشيُ لحمزةَ حتّى مرَّ به فأتاهُ من ورائِهِ، وضربه بحربتِهِ فقتله، وأصابَ العدوُّ من المسلمين، وكانَ يومَ بلاءٍ وتمحيصٍ وانثالُوا على رسولِ الله ﷺ ودُثَّ بالحجارةِ حتّى وقعَ لشِقّهِ، وشُجّ وجههُ، وكلمَتْ شفتَيْه، وكسرتْ رَباعيّته، ودخلتْ حلقةٌ من الدِرْعِ في وجههِ، ووقَع حفرةً من الحُفَرِ التي عملها أبو عامرِ الفاسقِ، وكان مظاهر درعين، وصرخَ صارخٌ من أعلى الجبلِ إلا أنّ محمداً قد قُتلَ فانهزم المسلمون وأخذَ عليّ وطلحةُ بيدِ رسول الله ﷺ فانتاشاه من الحفرةِ، واكبَّ أبو دجانه عليه بنفسهِ يَقِيهِ النبلَ، ورُوي أنّ نُشّابةً أصابتْ اصبعَه فقال: [كامل].

هـل أنـتَ إلاّ إصْبَـعٌ دمِيَـتْ   وفـي سبيـلِ اللهِ مـا لقيَـتْ

وقالَ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَشرى لنا نفسَه؟ فقام زيادُ بنُ السكنِ في نفرٍ من الأنصارِ فقاتلُوا دونَه رجُلاً رجُلاً حتّى قُتلوا عن آخِرهِم، ثمّ فاءَتْ فيه المسلمون فكشفُوهم عن رسولِ الله ﷺ وهو يناولُ السهمَ سعدَ بن أبي وقّاص، وقَالَ: ازمِ فداك أبي وأمّي، والذي ضربَ رسول الله ﷺ أخوه عُتبة بن أبي وقّاص وفيه يقولُ حسّان: [طويل].

فأخزاك ربّي يا عُتَيْبَ بْنَ مالكٍ   ولقّاك قبلَ الموتِ إحدَى الصواعق
بسطْـتَ يمينـا للنبـيِّ محمّـدٍ   فأدْمَيْتَ فاهُ قُطّعَتْ بالبوائقِ[2]

ثـم نهضُـوا إلـى الشِعْـبِ ومـرَّ علـيٌّ علـى المهـراسِ[3] فمـلأ

---

(١) الشَنْف: ما علقّ في الأذن أو أعلاها من الحلي.
(٢) بوائق: جمع بائقة: الشرُّ.
(٣) المهراس: ماءٌ بجبل أحد «معجم البلدان ٥/ ٢٦٨».

جَحَفته[1] ماءً، وجاءَ يَغسِلُ الدَم عن وجهِ رسولِ الله ﷺ، وهو يقولُ: كيف يفلحُ قومٌ أدمَوْا وجهَ نبيّهم، وهو يدعوهم إلى اللهِ عزَّ وجلّ، ثمّ قامَ مالكُ بنُ سنانٍ الخدريّ أبو أبي سعيد فمصَّ الدمَ من وجهِ رسولِ الله ﷺ فقالَ ﷺ: من مسَّ دمُه دمي لم تمسّهُ النارُ، ويُقال: إنّ النبيَّ ﷺ ضربَه عبدُ الله بن قميئَة، وروى بعضُهم أنّه قتل مُصعب بن عُمير وهو يظنّه رسولَ الله ﷺ ووقعتْ هندُ عليها اللعنةُ ومَنْ معها على القتلى فمثّلْنَ بهم جَدَعَ الأُنوفِ وتبُكَّ الآذانِ، ويتّخذن خَدَما وقلائد وعمدتْ إلى بطنِ حمزةَ فبعجتّها، واستخرجت حشوتَه وكبده ولاكَتْه، ولم تَسُغْهُ، ثمَّ علَتْ على صخرةٍ وهي تقولُ: [رجز].

نحــن جــزينــاكُــم بيــومِ بــدرِ والحربُ بغدَ الحربِ ذاتُ السُعْرِ
مـا كـانَ مـن عُتبَة لـي مـن مضر ولا أخيــه لا ولا مـــن صِهْـــر
شَفَيْـتُ نفسـي وقضيـتُ نَـذْري فشُكْـرُ وَحْشـيٍّ علـيّ عُمْـر
حتّى ترمّ أَعْظُمِي في قبري

فأجابتها هندُ بنتُ أُثاثة بنِ عبدِ المطّلبِ:

جُـزِيـتِ فـي بـدرٍ وبعـدَ بـدرِ يـا ٱبْنَـتَ وقّـاعٍ عظيـمِ الكُفْـر

في أبيات وفيها يقولُ حسّانُ بن ثابت: [كامل]

لعـنَ الإلاهُ وزوجهـا معهـا هِنْدَ الهنـودِ طـويلـةَ البَظْـرِ[2]

ثمّ صرخ أبو سفيان: انعمتَ، وقَالَ: إنّما الحربُ سِجَالٌ يومٌ بيومٍ أَعَلُّ تُعَلُّ، فقالَ النبيُّ لعُمرِ بنِ الخطّاب: أجِبْهُ، فَقالَ: اللهُ أعلى وأجلّ لا سواءَ: قتلانا في الجنّةِ وقتلاكم في النارِ، فَقالَ أبو سفيان انشدَكَ اللهُ يا عمرَ هل قُتلَ محمّد، قالَ: لا واللهِ ليسمع قال انه قدْ كانتْ هناةٌ ما امرتُ بها ولا رضيتُ، وإنّ موعدَكم بدرٌ فَقالَ النبيُّ لعمرٍ: قُل إنْ شاءَ اللهُ، وألقى في قلوبهِم الرُعْب فجنبُوا الخَيْلَ، وامتطَوْا الأبلَ، وتوجّهوا إلى مكَة، وتفرَّغ المسلمون لقتلاهمُ يدفنونَهم، ووقفَ رسولُ الله ﷺ على حمزةَ ونظرَ إلى ما مُثّل به، فَقالَ: ما أصبتُ بمثلكِ أبداً، ثمّ صلّي على القتلى السبعين صلاةً واحدةً، وانصرفَ إلى المدينةِ وأُستشهدَ يومَ أُحُد من المسلمين سبعون رجلاً، ويُقالُ خمسةٌ وستّون رجلاً منهم: حمزةُ

---

(١) الجحَفة: الترس من جلد بلا خشب.

(٢) البَظْرُ: ما بين أسكتي المرأة «القاموس المحيط جـ/ ١».

ابنُ عبدِ المطلبِ أسدُ اللهِ وأسدُ رسولِهِ ومصعبُ بنُ عُميرِ العبديّ وعبدُ الله بنُ جبيرٍ أميرُ الرماةِ وحنظلَةُ بنُ أبي عامرٍ غسيلُ الملائكةِ وسعدُ بنُ الربيعِ أحدُ النُقباء، وقُتِلَ من المشركين اثنان وعشرون رجُلاً، ورجَع رسولُ الله إلى المدينةِ، ثم خَرجَ في أثرهم يومَ الأحدِ مُرهباً لهم، ويُريهم أنّ به قوّةً حتّى بلغَ حمراءَ الأسدِ[1] في ستّين راكباً منهم: أبو بكر وعُمرُ وعليٌّ وعبدُ الله بنُ مسعودٍ فمرَّ به معبدُ بنُ أبي معبدِ الخُزاعيّ، وكانتْ خزاعةُ عيبةُ رسول الله ﷺ فلقى أبا سفيان بنَ حربٍ بالرّوحاءِ[2] قد أجمعَ على الرجعةِ إلى المدينةِ، وذلك أنّهم لما انصرفُوا سُقط في أيديهم وقالُوا: قَدْ كنّا أجهضْنا محمّداً وأصحابَه، وأشرفنا على استئصالهم لو صبَرنا فقالَوا لمعبدِ بن أبي معبدٍ: ما وراءك؟ قَالَ لقَدْ خرجَ محمدُ وأصحابُه في جمعٍ لم أرَ مثلَه يحرقون عليكم أنيابهم من الحنقِ قَالَ: وأينَ هُمْ، قالَ: هم يصبحونكم من حمراءِ الأسدِ فثنى ذلك أبا سفيان عن عزمِه، وفتَّ في عضدهِ، ومرَّ به راكبٌ من عبدِ القيسِ يُقالُ له نُعيم الأشجعيّ يريدُ المدينةَ للميرةِ فَقالَ: بلّغْ محمّداً أنّا قدْ أزمعنا المسيرَ إليهم فلمّا قَالَ ذلك للنبيّ، قالَ النبيّ ﷺ: حسبنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ وانصرفُوا إلى المدينةِ، ونزلتْ ستّون آيةً من سورةِ آلِ عمرانَ في قصّةِ أُحُدٍ من قوله ﴿**وإذ غدوتَ من أهلكِ تُبَوِّءُ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميعٌ عليمٌ**﴾ [آل عمران: ١٢١] وقالُوا في أُحُد أشعاراً كثيرةً فمنها قول كعبِ بن مالكٍ يذكُر عزيَمة أبي سفيان على الرجوعِ ومبلغَ عددِهم: [طويل]

إذا جاء منهم راكبٌ كانَ قولُه ... اعِدُّوا لما يُزجي ابنُ حربٍ ويجمعُ
ونحنُ أُناسٌ لا نرى القتْلَ سُبّةً ... على كلِّ من يحمي الذِمارَ ويمنعُ
بني الحرب ان نظفرَ فلسنا بمفْحش ... ولا نحنُ في اظفارِها نتوجعُ
فجئنا إلى مَوْجٍ من البحرِ وسْطهُ ... أحابيشُ منهم حاسرٌ ومُقَنَّعُ
ثلاثةُ آلافٍ ونحنُ نصيبُه ... ثلاثَ مايِن إن كثرنا وأربعُ

وفيه يقولُ ابنُ الزِبَعْرَى: [رمل].

يا غرابَ البينِ انعمت فقُلْ ... إنّما تنطق شيئاً قد فُعِلْ
نَضَعُ الأسيافَ في اكتافِهِمْ ... وكذاك الحربُ أحياناً دُوَلْ

---

(١) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة. «معجم البلدان ٢/٣٤٦».
(٢) الرّوحاء: عمل من أعمال الفُرْع على نحو من أربعين يوماً، وقيل على ثلاثين يوماً. «معجم البلدان ٣/٨٧».

انّ للخيـــرِ وللشـــرّ مَـــدًى ... وكـــلا ذاك وجيـــهٌ وقبَـــلْ
والعطيّـــاتُ خِســـاسٌ بينهـــم ... وسَـــواءٌ قبـــرُ مُثْـــرٍ ومُقِـــلْ
كـــلُّ عيـــشٍ ونعيـــمٍ زائـــلٌ ... وبنـــاتُ الـــدّهـــر يلعبـــنَ بكُـــلْ
أبلغـــا حسّـــانَ عنّـــي آيـــةً ... فقـــريضُ الشِعْـــر يشفـــى ذا الغُلَـــلْ
كـــم نـــرى بـــالحـــرِّ مـــن جمجمـــةٍ ... وأكُـــفّ قـــد أُتِـــرّتْ[1] وحِـــدل[2]
وســـرابيـــلٍ حســـانٍ ســـرّيـــتْ ... عـــن حُمـــاةٍ هلكُـــوا فـــي المُنتـــزَلْ
فســـلْ المهـــراسَ مـــن ســـاكنـــه ... بيـــنَ أقحـــافٍ وهـــامٍ كـــالحجـــل
ليـــتْ اشيـــاخـــي ببـــدرٍ شهِـــدوا ... جَـــزَعَ الخـــزرجِ مـــن وقـــعِ الأسَـــلْ
حيـــن ألقـــت بُقبـــاءِ بـــركهـــا ... واستحـــرَّ القتـــلُ فـــي عبـــدِ الأشـــلْ
ثـــم خفـــوْا عنـــدَ ذاكـــم رُقّصـــاً ... رقـــصَ الحفـــانِ تعلـــوا فـــي الجَبـــلْ
فقتلنـــا الضِعْـــفَ مـــن أشـــرافِهـــم ... وعـــدلنـــا مِثْـــلَ بـــدرٍ واْعتـــدَلْ

فأجابه حسّانُ بنُ ثابتٍ في قصيدةٍ طويلةٍ:

ذهبـــت يـــابـــنَ الـــزبعـــري وقعـــةٌ ... كـــانَ منّـــا الفضـــلُ فيهـــا لـــو عَـــدلْ
ولقـــد نِلْتُـــم ونلنـــا منكُـــمُ ... وكـــذاك الحـــربُ أحيـــانـــاً دِوَلْ
نَضَـــعُ السيـــفَ أكتـــافكُـــمُ ... حيـــثُ نهـــوي عَلَـــلاً بعـــد نَهَـــلْ
نخـــرجُ الأصبـــح مـــن استـــاهكِـــم ... كسُـــلاح النيـــب يـــأكُلْـــنَ العضَـــل[3]
إذْ شـــددنـــا شَـــدّةً صـــادقـــةً ... فـــأَجـــأنـــاكُـــمْ إلـــى سَفْـــل الجبَـــلْ
وتـــركنـــا فـــي قـــريـــشٍ عـــورةً ... يـــومَ بـــدرٍ وأحـــاديـــثَ المثَـــلْ

قالُوا: في هذه السنةِ ولدَ الحسُن بنُ عليّ وعلّقتْ فاطمةُ بالحسينِ، وتزوّج النبيُّ ﷺ زينبَ بنتَ خُزَيْمة أمَّ المساكين وزوّجَ ابنتَه كلثومَ من عثمانَ بنِ عفّانَ، ثم دخلتْ سنةُ أربعٍ من الهجرةِ وهي سنةُ الترفيهِ فبعثَ في المحرّمِ سريّةً إلى بني أسدٍ[4] أميرُها أبو سلمة بنُ عبدِ

(١) أتّرت: يُقال: أتّر القوس: وتّرها. أي شدّ وترها. «القاموس المحيط جـ/ ١».
(٢) الحدْل: معقد الأزار.
(٣) الاستاه: الاعجاز جمع عجز أي مؤخر الجسم.
(٤) بنو أسد: من بني عبد العزّى وهم بنو أسد بن عبد العزّى ومنهم الزبير بن العوام وخديجة أم المؤمنين وورقة بن نوفل وقد ذكر الحمداني من بني الزبير طائفة بصعيد مصر ببلاد البهنسا صبح الأعشى =

الأسدِ فغنم وسبي، ولم يلقَ كيداً ولم يَلِقْ أن يُقيّد هذه الحوادثِ بالشهورِ والأعوامِ لأنّه ممّا يصعُب ويفوتُ الحقُّ لكثرةِ الاختلافِ وتفاوتِ التاريخ، فرأيتُ أنّ أجمعَها وأضمّها سنةً سنةً ليكونَ أقربُ إلى الحقِّ وأسهلُ في الحِفْظِ إن شاءَ الله تعالى.

قصّةُ الرجيعِ وهو بأرضِ هذيلٍ:

قالَ ابنُ اسحقَ: لما رجَع رسولُ الله ﷺ من أُحُدٍ جاءَه رهطٌ من عَضَلٍ[1] والقارةِ[2]، وقَالُوا: يا رسولَ اللهِ إن فينا إسلاماً فابعثْ معنا نفراً من أصحابكِ يُفقّهونا في الدّينِ، فبعثَ معهم ستّةَ نفرٍ منهم: عاصمُ بنُ ثابتٍ بن أبي الأقلح: وكانَ قتلَ يومَ أحدٍ ابنَيْن لسُلافةَ بنت سعدٍ فنذرتْ لئِنْ قدرتْ على رأسِ عاصمٍ لتشربنّ الخمرَ في قِحْفه[3]، وكانَ أعطى الله عهداً ألاّ يمسّ مُشركاً ولا يمسُّه مُشركٌ، ومنهم خُبيبُ بنُ عديّ وزيدُ بنُ الدثنّةِ فخرجُوا بهِم حتّى إذا كانُوا بالرّجيعِ[4] غدروا بهم واستصرخُوا هُذيلاً فما راعَهم إلاّ الرجالُ بأيديهم السيوفُ فأخَذَ القومُ أسيافهم ليقاتلوهم فقالُوا: واللهِ لا نريدُ قتالكم ولكنْ نريدُ أن نُصيبَ بكم من أهلِ مكّة شيئاً ولكمْ عهدُ اللهِ وميثاقُه، فقالُوا: لا نقبلُ من مُشركٍ عهداً ولا عقداً وناصبُوهم القتالَ فوتّر عاصُم قوسَه وكان رامياً وأنشأ يقولُ: [رجز].

ما علّتي وأنا جَلْدٌ نابلُ والقوسُ فيها وترٌ عُنَابِلُ[5]
تَزِلُّ عن صفحتها المعابلُ الموتُ حقٌّ والحياة باطلُ[6]
وكلُّ ما حمَّ الإلَه نازلٌ بالمرءِ إليه آيلُ
إن لم أقاتلكم فأُميّ هابلُ[7]

= ١/ ٤١٠.

(١) عضل: موضع بالبادية كثير الفياض، وقال الأصمعي: هو من مياه ضبينة بن غنّي «معجم البلدان ٤/ ١٤٥».

(٢) القارة: اسم قرية كبيرة على قارعة الطريق وهي المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق. «معجم البلدان ٤/ ٣٣٤».

(٣) القحْفة: إناءٌ خشب مثل قحف الرأس كانّه نصف قدح.

(٤) الرّجيع: موضع يقع على ثمانية أميال من عسفان. «السيرة النبوية جـ/ ٢».

(٥) العُنابل: الغليظ «السيرة النبوية جـ/ ٣».

(٦) المعابل: جمع المعبلة: وهو نصل طويل عريض. «السيرة النبوية جـ/ ٣».

(٧) هابلُ: الهابل هي الأمّ التي ثكلت ولدها.

ثمّ قاتلَ حتّى نَفِدَتْ سِهامُه، وأخذَ سيَفه وجحفَته وقال: [رجز].

أبــو سليمـــان وريـــشُ المقْعَـــدِ وضـالـة مثـل الجحيـم المُـوقـدِ[1]

ومُجنـاً مـــن مَسْـكِ ثـورٍ أجْـرَدِ ومـؤمـنَ بمـا تـلا محمّـد[2]

وقاتَل حتّى قُتِلَ رضي الله عنه، وأرادوا أن يأخذوا رأسَه ليُبيعوه من سُلافةِ بنتِ سعدٍ فمنعه الدّبرُ فقالُوا: ندَعُهُ إلى أن يُمسي فلمّا أمسى جاء السيْلُ فذهبَ به، وقتلوا معه ثلاثةَ نفرٍ من أصحابهِ وأمّا خُبيبُ بنُ عديّ وزيدُ بنُ الدثنّةِ وعبدُ اللهِ بنُ طارقٍ فلانوا ورغبُوا في الحياةِ، وأعطوا بأيديهم وشدّوا أكتافاً، وحملوهم إلى مكّة، وباعوهم ممّن قُتِلَ أولياءُهم ببَدْرٍ فصلبوهم ورمَوْهم بالنُّشّابِ، وطعنوهم بالرماحِ، وذكروا عجائبَ من أمرِ خُبيبِ بنِ عديّ وشِعْراً له في ذلك، وقالَ ابنُ إسحقَ في أصحابِ الرجيعِ نزلَتْ ﴿ومَنْ النّاسِ مَنْ يشري نفسه ابتغاءَ مرضاتِ الله والله رَؤُف بالعباد﴾ [البقرة: ٢٠٧].

قصّةُ بئرِ معونةٍ:

قالُوا: وبعثَ النبيُّ ﷺ المنذرَ بنَ عمرو الأنصاريّ في أربعينَ رجلاً من خيارِ المسلمينَ كانُوا من أهلِ الصُفّةِ يرضحون النّوى[3] بالنهارِ، ويعلّمون القرآنَ بالليلِ بعثَهم إلى نجدٍ يدعُوهم إلى الإسلامِ، في خَفارةِ أبي براءِ ملاعبِ الأسنّةِ، فلما أتَوْا بئَر معونةٍ[4] استصرخَ عليهم عامرُ بنُ الطفيلِ عُصيَّة وذكوان فأحاطُوا بهمِ وقتلُوهم عن آخرِهِم إلاّ عمرو ابنُ أميّة الضمريّ فإنّه كانَ في سَرْحِ القومِ فأسرهَ عامرٌ، وجزَّ ناصيتَه وأعتقَه من رقبةٍ كانتْ

---

(١) المُقعَد: رجل كان يريش السّهام. «السيرة النبوية جـ/ ٣».

(٢) المُجناً: التّرس لا حديد فيه «السيرة النبوية جـ/ ٣».

(٢) الأجرد: الأملس.

(٢) ورد هذا البيت في السيرة النبوية جـ ٣/ ١٢٧ على النحو التالي:

إذا النـواحـي افتـرشـت لـم أرعـدِ ومجنـاً مـن جلـدِ ثـورٍ أجـردِ

ومؤمـن بمـا عـل محمـدِ

(٣) يرضحون النوى: يكسرونها.

(٤) بئر معونة: تقع بين أرض بني عامر ومرّة بني سُليم، وقيل بين جبال يقال لها أُبلى في طريق المصعد من المدينة إلى مكة. «معجم البلدان ١/ ٣٥٨».

على أمّهِ، فأقبلَ عمرو حتّى أتى المدينةَ فإذا هو برجلينِ من بني عامرٍ قد أقبلا من عندِ رسولِ الله ﷺ ومعهما عهدٌ فقتلَهما باصحابِهِ وأخذَ سلاحهَما، ثم جاء النبيَّ ﷺ وأخبرهُ الخبرَ فقال: بِئْسَ ما صنعتَ رجلين من أهلِ ذّمتي قتلتهما لا لأجلِ ذنبهما، وقد قِيلَ انّه نزلتْ فيه ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا تُقدمّوا بينَ يدي الله ورسوله**﴾ [الحجرات: ١] الآية وشقَّ على رسولِ الله ﷺ مقتلُ أصحابِهِ، وغدرُ عامرِ بنِ الطُفيل بهم فدعا على عُصَيَّة وذكوان أربعين صَباحاً فيُقال والله اعلُم ما أسلمَ منهم أحدٌ ولا أفلتَ.

ذكرُ غزوة بني النضير:

قال: فجاءَهم رسولُ الله ﷺ يستعينُهم في دِيَة ذَيْنِك القتيلَيْن اللذَيْن أصابهما عمرو بنُ أُميّة، وكانَ في العهدِ الذي بينهم وبينَ رسولِ الله ﷺ أن يتغاوثوا ويتحملُ ما ينوبُ بعضُهم عن بعضٍ، قالُوا: نعم يا أبا القاسمِ وهمّوا بالغدرِ به وخرجُوا يجمعونَ الرّجالَ والسلاحَ، فَقامَ رسولُ الله ﷺ فانسلَّ من بينِ أصحابِهِ وما شعرَ به أحدٌ إلاّ حينَ دخولِهِ المدينةِ فمضى أصحابه في إثره حتّى لحقُوا به، ونزَلَت فيه سورةُ المائدةِ كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ همْ قومٌ ان يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ ايديهم عنكم**﴾ [المائدة: ١١] وأمرَ أصحابه بالمسيرِ إليهم فحاصرهم ستَّ ليالٍ حتّى نزلُوا على أن لهم ما حملتْ الإبلُ من الأموالِ إلاّ الحلقة ولحقُوا باذرعاتٍ من أطرافِ الشام وفيهم نزلتْ سورةُ الحشر.

ثم غزوة ذاتِ الرّقاعِ:

والرّقاعُ شجرةٌ سُمّيتْ بها تلك الغزوة ويُقالُ: بل سُمّيت لأنّهم كانوا رقُعوا راياتِهم ولقي رسولُ الله ﷺ في تلك الخروجِ جمعاً عظيماً من غطفانَ وصلّى صلاةَ الخوفِ وفيها كانتْ قصّةُ غورثِ بنِ الحارثِ المحاربي: وذلك أنّ بني محاربَ كانوا تحصنوا في رأسِ جبلٍ فقال غورثُ لأفتكنّ لمحمّدٍ فجاءَ حتّي وقفَ وكانَ سيفُ رسولِ الله محلّى بفضّةٍ فقَالَ: أنظرْ إلى سيفك هذا، قالَ: نعم فأخذَه وسلّه وهمَّ به، فمنعه اللهُ عزَّ وجلَّ لذلك وانكبَّ على وجهِهِ فنزلَت ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم اذ همّ قومٌ ان يبسطوا إليكم أيديهم**﴾ [المائدة: ١١] الآية.

ثم غزوة بدرِ الميعادِ:

وذلك أنّ أبا سفيان لمّا ارتحلَ يومَ أُحُدٍ نادى: موعُدكم بدرٌ، فَقالَ النبيّ ﷺ لعُمر: قُلْ إن شاءَ اللهُ فخرَج النبيُّ للميعادِ، وخرجَ أبو سفيان حتى بلغَ عُسفانَ ثم أُلقي في قلبهِ الرُعْبُ وانصرفَ وفيه يقولُ عبدُ الله بن رواحة[1]: [طويل].

وعدنا أبا سفيانَ وعداً ولم نَجِدْ لميعادِهِ صدْقاً ولا كانَ وافيا

وفي هذه السنةِ تزوّجَ النبيّ ﷺ أُمّ سلمة بنتَ أبي أُميّة بنِ المُغيرة، وفيها ماتَ عبدُ الله ابنُ عثمان بن عفّان من رُقيّة بنتِ رسول الله ﷺ وله سنتان، وفيها ولدت فاطمةُ الحسينَ عليه السلام ثمّ دخلتْ سنةُ خمسٍ مِنِ الهجرةِ: وهي سنةُ الزلازلِ فيها غزا رسولُ الله دُومةَ الجندلِ: وهي من حدِّ الروّم، وذلك أنّ التجّار والسابلة[2] شكوا اكيدِرَ الكنديَّ عاملَ هرَقْل عليها فسارَ إليها في ألفِ رجلٍ يسيرُ الليلَ، ويكمنُ النهارَ، وأحسَّ بذلك اكيدرُ فهربَ واحتملَ الرَحْلَ وخلى السوقَ، وتفرّق أهلُها فلم يجدْ رسولُ الله ﷺ أحداً فرجَع.

ثم كانت غزوة بني المصطلق:

سار إليهم رسولُ الله ﷺ فوجدَهم على ماءٍ يُقالُ له: المُرَيْسيع[3] فقاتلَهم وسباهَم، وكانَ عليهم يومئذٍ الحارثُ بنُ أبي ضرارٍ أبو جويريّة زوجةِ النبيّ وفي غزوة المصطلق كان حديث الإفْك، قالُوا: وكانتْ عائشةُ مع رسول الله ﷺ في هذه السفرةِ فخرجتْ من هودجِها لحاجةٍ، وارتحلَ القومُ فجاءتْ وليسَ في المنُاخِ إلاّ صفوانُ بنُ المعطّلِ[4] فاحتملُها على راحلتِه، وسارَ بها فما لحقَهم إلاّ بعدَ ما نزلوا، وقد خاضَ الناسُ وماجُوا يتكلّمون فيها من مصدقٍ ومكذبٍ، قَالُوا: فلما قدمَ النبيّ ﷺ المدينةَ أذِن لعائشةَ في الانقلابِ إلى أبيها ولا عِلم لها بشيء ممّا جرَىَ، فرُوي عنها أنّها قالتْ خرجتُ ليلةً لبعضِ حاجتي ومعي أُمُّ مِسْطحٍ

---

(١) صحابي من الشجعان، أنصاري خزرجي، أحد حملة اللواء في غزوة مؤتة، لم يترك اللواء رغم جراحه حتى سقط شهيداً (ت ٨ هـ). «منجد الأعلام/ ٤٥٢».

(٢) السابلة: المارّون على الطريق.

(٣) المريسيع: اسم ماء في ناحية قُديد إلى الساحل، «معجم البلدان ٥/ ١٣٩».

(٤) هو ابن ربيبة بن الخزاعي السّلمي الذكواني كما نسبه أبو عمرو قال الكلبي: ابن رحضة ابن المؤمل اسلم قبل المريسيع، شهد الخندق وما بعدها، كان شجاعاً خيراً فاضلاً، قتل في غزوة أرمينية (١٩ هـ) (أسد الغابة ٣/ ٤١٢).

ابنِ أُثاثة خالةُ أبي بكرٍ إذ عثرتْ في مِرْطِها فقالت: تعسَ مِسْطحُ، فقلت بئْسِ لعمرِ اللهِ ما قلتُ لرجلٍ من المهاجرين شهِدَ بدراً، قالتْ: أو ما بلغَك الخبرُ، فقلتُ لا فاخبرَتْني بما تحدَّث الناسُ فيه، قالتْ: فواللهِ ما قدرتُ أن أقضي حاجتي وما زلْتُ أبكي حتّى ظننتُ أنّ البُكاءَ سيصدعُ قلبي، قالتْ: وأتى على ذلك شهرٌ ثم دَخَل علينا رسولُ الله ﷺ وقالَ: يا عائشةُ إنْ كُنْتِ قارفْتِ سُوءاً فتُوبي إلى اللهِ فإنّ اللهَ يقبلُ التوبةَ عن عبادهِ، فقلتُ واللهِ لا أتوبُ ولكنّي أقولُ كما قالَ أبو يوسف ﴿فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون﴾ [يوسف: ١٨] فما برح رسول الله حتى نزلَ الوَحْيُ ببراءَتي وذلك قولُه عزَّ وجلَّ في سورةِ النورِ ﴿إنّ الذين جاؤا بالإفك عُصْبةٌ منكم﴾ [النور: ١١] إلى رأس ستة عشر آيةٍ، وضربَ رسولُ الله ﷺ حسّانُ بنَ ثابتٍ ومِسْطحَ بنَ أُثاثةٍ وحَمْنةَ بنتِ جحشٍ وعبدَ الله بنَ أُبيّ الحدَّ وفيه يقولُ قائلهم: [طويل].

لقد ذاقَ حسّانُ الذي كان أهلَه — وحَمْنةُ إذْ قالوا هُجيراً ومِسْطَحُ
تعاطوْا بظهرِ الغيبِ زوجَ نبيّهم — وسُخطةَ ذي العرشِ الكريمِ فأبرحوا

وقال حسّانُ يعتذرُ من مقالتِهِ وينتقي منها: [طويل].

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ — وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحومِ الغوافلِ
فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُمُ — فلا رفعَتْ سَوْطي إليَّ أناملي
وكيف وودّي ما حَيِيتُ ونُصرتي — لآلِ رسولِ الله زينِ المحافلِ
وانّ الذي قَدْ قِيلَ ليس بلائط — ولكنَّهُ قولُ امرىءٍ بِيَ ماحلِ

ثم الخندق:

وكانتْ في ذي القعدةِ وذلك أنّ نفراً من اليهودِ نقضُوا العهدَ، وأخفروا الذّمامَ، وأتَوْا مكّة فحالفُوا قريشاً على محاربةِ رسولِ الله ﷺ منهم سلاّمُ بنُ أبي الحقيقِ النَضَريّ وحُييُ بن أخطبَ وكنانةُ بنُ الربيعِ، ثم جاؤا إلى غطفانَ وقائدُها عُيينةُ بنُ حصنٍ الفزاريّ فاستنزلوهم، ودعوا إلى مثلِ ما دعَوْا إليه قريشاً فتحزّبتِ الأحزابُ، وتجمَّع الأحابيشُ وسارُوا إلى المدينةِ يقصدون النبيَّ، فاستشارَ النبيّ ﷺ سلمانَ فيما يزعمون بأمرِ الخندق فضربَ الخندقَ، وعملَ فيه بنفسه يُنشّطُهم، وخرجَ في ثلاثةِ ألفِ رجلٍ حتى جعلوا ظهورَهم إلى سلعٍ، والخندقُ بينهم وبين الأحزاب ونزلتْ قريشٌ في عشرةِ آلافٍ: وقائدُها أبو سُفيان بنُ حربٍ، ونزلتْ غطفان في مَنْ تبعِها وأطاعها، وحاصروا النبيّ ﷺ والمسلمين تسعاً وعشرين ليلةً لم

يكُن بينهم حربٌ إلاّ الرَميُ بالنبلِ والحصَى إلاّ انه اشتدَّ الأمُر وضاقَ كما قالَ إذ جاؤكم من فوقكِم الأسديُّ، ومن أسفلِ منكم أبو الأعورِ السُلمي[1] وغطفانُ وناصبهم أبو سفيان، وإذ زاغتِ الأبصارُ، وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ واقتحمت فوارسُ الخندقَ منهم عمرو بنَ عبد وُد وعكرمةُ بنُ أبي جهلٍ وضرارُ بنُ الخطّاب بن مرداس، فخرجَ إليهم عليٌّ في نفرٍ من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثُغرة التي اقحموا الخيلَ منها، وبارزَ عليٌّ عمراً فقالَ له عمرو وكان من مشهوري فرسانِ العربِ: ما أحبُّ أن أقتلَك يا ابنَ أخي، قَالَ: أنا أحبُّ أن أقتلك فحمى عمرٌو، واحتدَم ونزلَ عن فرسهِ فعقره، ثم أقبلَ على عليّ فتنازلا وتطاردا وتجادلا، واختلفَ بينهما ضربتان فاصابَتْه ضربةُ عليٍّ فقتلتْه فخرجوا منهزماً من الخندقِ وفي ذلك يقول عليّ فيما رُوي عنه: [كامل].

نصرُ الحجارةِ من سفاهةِ رأيه	ونصرتُ ربَّ محمّد بصوابِ
فصددْتُ حين تركتُه متجدّلاً	كالجِذْع بينَ دكادكٍ وروابي
وعففتُ عن أثوابهِ وَلَوِ أنّني	كنتُ المقطّر بزّني أثوابي

ورُمى سعدُ بنُ معاذٍ يومئذٍ فقُطعَ منه الأكحلُ، فَقالَ: اللهُمّ إن كنتَ ابقيتَ من حربِ شيئاً فابْقِني، وإن كنتَ قَدْ وضعت الحربَ بيننا فاجعلْه لي شهادةً ولا تُمِتْني حتّى تقرَّ عيني من قريظةَ لأنّهم خانوا الأمانةَ، وتركُوا الوفاءَ، ونقضوا عهدَ المسلمين قالُوا ولما اشتدّ الأمرُ جاءَه نُعيمُ بنُ مسعودٍ الأشجعي مسلماً وكانَ من دواهي العرب فقالَ له النبيُّ: إنّ الحربَ خُدْعةٌ فاحتلْ لنا فخَرجَ حتّى أتى قريظةَ وقَالَ: قد عرفتُم وُدّي لكم وتحقيقي بكم، قَالُوا: لست عندنا بمتّهم، قَالَ: والرأيُ أنْ لا تقاتلُوا محمّداً ما لم تأخذوا رهائنَ من قريشٍ كيلا يتشمّروا إلى بلادهم إنْ عضَّتْهم الحربُ، وتحلّوا بينكم وبينَ محمّدٍ قالُوا: هو الوجهُ.

ثم أتى قريشاً فقالَ إنّ اليهودَ قد ندمُوا على نقضِ العهدِ، وقَدْ أرسلوا إلى محمّدٍ نُرضيك منّا أن نأخذَ من قريشٍ وغطفانَ مائةَ رجُلٍ فندفَعهم إليكَ لتضربَ أعناقهم فإنْ التمسوا منكم رجالاً فلا تجيبوهم إليه قالُوا: هو الوجه، ثمّ إنّ قريشاً قالُوا لقريظةَ إنّا لسنا بدارِ مقامةٍ وقَدْ هلكَ الخُفُّ والحافرُ، وأنتمْ ازعجتمونا عن بلادِنا فاغدُوا للقتالِ واخرجُوا للميعاد فقالتْ قريظةٌ: إنّا لا نأمنُ منكم أن تتشمروا إلى بلادكم إنْ عضَّتْكم الحربُ، فإن

(١) عمرو بن سفيان السلمي يعدّ من الصحابة، شهد حنيناً كافراً ثم أسلم، شهد مع معاوية صفين، قال أبو حاتم الرازي: لا تصحُّ له صحبة ولا رواية (أسد الغابة ٥/ ١٥).

أردتمْ ذلك فاعطونا رهائن تكونُ ثِقة لنا، قالتْ قريشٌ صدق نعيمٌ، وقالتْ قريظةٌ: صدق نُعيمٌ، ونصحَ فتخاذلوا، وتواكلُوا، وأتَتْ عليهم ليلةٌ شاتيةٌ عاصفة الريحِ فجعلَ تكفّأ قدورَهم، وتُقطّعُ أطنابَ خيامِهم، فارتحلوا وانصرفُوا خائبين بقولِ الله عزَّ وجلَّ في سورةِ الأحزابِ **﴿يا أيّها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ جاءَتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم ترَوْها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾** [الأحزاب: ٩] وانصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، وأمَر بالمسيرِ إلى بني قريظةَ فحاصَرهم خمساً وعشرين ليلةً حتى استنزلَهم على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ فحكمَ سعدُ بقتلِ الرجالِ، وأخذِ الأموالِ، وسبي الذراري فساقَهم رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، وأمَر فأخذتِ الأخائذ، وضُربتْ أعناقُ سبعِ مائةِ رجلٍ منهم في غداةٍ واحدةٍ، وفي هاتين الغزوتين نزلتْ سوُرة الأحزابِ، واستُشهد من المسلمين فيها ستّةُ نفرٍ، وقدْ ذكر ابنُ اسحقَ من أشعارهم فيها شيئاً غيرَ قليلٍ فمنها قولُ ضرارِ بن الخطّاب بن مرداس[1]: [وافر].

ومُشْفِقةٍ تظنُّ بنا الظنونا	وقد قُدنا عَرَنْدَسَةً طَحُونا
فلولا خندقٌ كانوا لديْه	لدمّرنا عليهم اخمصينا
وإن نرحَلْ فإنّا قد تركنا	لدى ابياتكم سَعْداً رهينا

في قصيدةٍ طويلةٍ فأجابَه كعبَ بن مالكِ الأنصاريُّ:

وسائلةٍ تُسايلُ ما لَقِينا	ولو شهدَتْ رَأَتْنا صابرينا
رأتْنا في فضافض سابغاتٍ	كغُدرانِ الملا مُتَسَرْبلينا
سيَعْلمُ أهلُ مكّة حينَ ساروا	وأحزابٌ أتَوْا متحزّبينا
بأنّ اللهَ ليسَ له شريكٌ	وأنّ الله مَوْلى المؤمنينا
كما قد ردّكم فلاًّ شريداً	يُغيَظكم حزاباً خائبينا
حزاباً لم تنالوا ثَمَّ خيراً	وكِدْتُمْ أنْ تكونوا دامرينا
فأمّا تقتلوا سَعْداً سَفَناهاً	فإنّ اللهَ خيرُ القادرينا
سيُدْخِلُه جناناً طيّباتٍ	تكون مقامةً للصالحينا

في قصيدة طويلةٍ واصطفى رسولُ الله ﷺ من سبي قُريظةَ ريحانةَ القرظيّةَ فلم تزلْ

---

(١) كان أبوه الخطاب رئيس بني الفهر في زمانه، وكان ضرار من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم، اسلم وشهد مع أبي عبيدة فتوح الشام (أسد الغابة ٢/ ٤٣٥).

عندَه إلى أن تُوفّي، وفي هذه السنةِ تزوّج النبيُّ زينبَ بنتِ جحشٍ، وأمّها أميمة بنتُ عبدِ المطلبِ وقصّتُها في سورةِ الأحزابِ مذكورةٌ وفيها بعثَ عمرو بنُ أُميّة الضمريَّ لقتل أبي سفيانٍ فلم يظفر به، ثم دخلتْ سنةُ ستٍّ من الهجرةِ: وهي سنُة الاستئناسِ فبعثَ رسولُ الله عبدَ الله بن أُنيسٍ سريّةً وحدَه إلى خالدِ بن سفيان بن نُبيح، وكان يجمعُ الجموع ليقاتل النبيّ فخلا به عبدُ الله بن أنيسٍ، ثم علاهُ بسيفهِ حتى قتله، ثم بعثَ سريّة محمد بن مسلمة إلى القُرطاءِ، ثمّ غزا بني لحيان، ثم غزا الغابة[1]، ثم بعثَ سريّة عُكاشةَ بن محصن إلى الغمر، ثم بعث سريّة محمد بن مسلمة إلى ذي القصّة[2]، ثم بعث سريّة أبي عُبيدة بن الجرّاح إلى ذي القصة، ثم بعث سريّة زيد بن حارثة إلى وادي القُرى، ثمّ غزا لحيان يطلبُ بدمِ خُبيب بن عديّ وزيد بن الدثنة ومرثد بن أبي مرثد وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أصحاب الرجيع، ثم بعث سريّة عبد الرحمن بن عوفٍ إلى دُومةِ الجندلِ، ثم سريّة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى فدكٍ فاجتازها، ثمّ سريّة زيد بن حارثة إلى أمّ قرفة، ثم سريّة عبد الله بن رواحة إلى خيبر فتطّرقها، وأصاب من أموالِها، ثم سريّةَ بشرِ بن سويدٍ الجهني إلى بني الحارثِ، واعتصموا فأضرمها عليهم حتّى احترقُوا، ثم سريّةَ كرزِ بن جابرِ الفهري في إثر العُرنيّين، وذلك انّهم لمّا قدِمُوا إلى المدينةِ اجتّووها، فأمرَ بهم النبيُّ ﷺ إلى إبلِ الصدقةِ فشربُوا من ألبانِها حتّى صحّوا، وانطوتْ بطونُهم، ثم وثبُوا على الراعي فقتلوهُ وغرزُوا الشوكَ في عينيه، واستاقوا الإبلَ فبعثَ إليهم في إثرهمِ كرزَ بنَ جابرٍ فأتى بهمِ فقطعَ أيديهم وأرجُلهم، وسملَ أعينُهم، وتركهم بالحرّةِ حتّى ماتوا وقد قِيلَ أنّ فيهم نزلت ﴿**إنّما جزاءُ الذين يحاربون اللهَ ورسوله ويسعَوْن في الأرضِ فساداً**﴾ [المائدة: ٦٤] الآية ثم غزا رسولُ الله ﷺ ذا قردٍ[3] وذلك أنّ عُيَيْنةَ بنَ حصنِ بنِ بدرِ الفزاريّ أغارَ على لقاحِ رسولِ الله ﷺ فخرجَ في إثرهِ، وقاتلَ قِتالاً شديداً، واستنقذَ بعضَ اللقاحِ وفيه يقولُ حسّان: [متقارب].

أظَـــنَّ عُيَيْنَــــةُ ان زارهـــــا ... بـأن سَـوْفَ يهـدم منّـا قصـورا
فعفـــت المـــدينـــةُ ان زرتَهـــا ... وأُلقَيْــتَ لــلأُسْــدِ فيهــا زَئِيــرا
أميـــرٌ علينـــا رســولُ المليـ ... ـــك احْبـبْ بـذاك إلينـا أميــرا

ثم كانت عمرةُ الحديبية في ذي القعدة من سنةِ ستٍّ وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ رأى في

---

(١) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل الشام. «معجم البلدان ٤/ ٢٠٦».
(٢) ذو القصّة: موضع بين زُبالة والشقوق دون الشقوق بميلين «معجم البلدان ٤/ ٤٢٦».
(٣) ذو قَرَدٍ: ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. «معجم البلدان ٤/ ٣٦٤».

المنامِ أنّه دخلَ مكّة، فأخبر أصحابَه، وأحرَم بعُمرة، وخرجَ في سبعِ مائةِ رجلٍ، وساقَ الهدي حتّى إذا كان بُعسفان استقبلَه بشرُ بنُ سفيانِ الكعبي فقالَ: إلى أينَ يا محمّد؟ هذه قريشٌ قد أقبلت ومعها العُوذُ المطافيلُ قَدْ لبسُوا جلودَ النمورِ يعاهدون الله أن لا يدخُلها عليهم، وهذا خالدُ بنُ الوليدِ قد قدَّموه إل كراعِ العميمِ، فقَالَ النبيُّ «ويلُ أمِّ قريشٍ لقد أكلَتْهم الحربُ فواللهِ لا أزالُ أُجاهدُ على ما بعثني اللهُ به حتّى يظهرَ دينَه وتنقرضُ هذه السالفةُ» خالفُوا بنا الطريقَ فأخذُوا على طريقٍ وَعْرٍ حتّى نزل الحديبية، وبعثَ عثمانَ بنَ عفانٍ يُخبرُهم أنّه لم يأتِ لحربٍ ولا مكاشفةٍ، وإنما أتى زائراً لهذا البيتِ فحبسُوا عثمانَ، وبلغَ النبيَّ ﷺ أن عثمانَ بنَ عفّانٍ قد قُتِلَ، فقالَ: إن كانَ عثمانُ قد قُتل فلا نبرحُ حتّى نناجزَ القومَ، ثم دعا إلى البيعةِ وهي بيعةُ الرضوانِ تحتَ الشجرةِ، وكانتْ البيعة على الموت، ثم أتاهُ أنّ الذي ذكر من أمر عثمان كان باطلاً، وبعثَتْ قريشٌ سُهيلَ بنَ عمرو ليصالح النبيّ على أن يرجعَ عنهم عامَهُ هذا وأن تخلوا له مكّة عاماً قابلاً ثلاثةَ أيّامٍ ليقضي حاجته، وأن يضعَ الحربَ من بينِ النّاسِ عشَر سنين يكفّ بعضُهم عن بعضٍ، وأنّ مَنْ أتى من قريشٍ ردّه إليهم، ومَنْ أتى قريشاً ممّن مع محمّدٍ لم يردّوه إليه، وانّ من أحبَّ أنْ يدخلَ في عقدِ قريشٍ وعهدِهم دخلَ فيه، واصطلحوا على هذا، وكتبُوا العقدَ بينهم وتواثبت خزاعةُ فقالُوا: نحنُ في عهدِ محمّدٍ وعقدهِ، وتواثبتْ بنو بكرٍ فقالُوا: نحنَ في عهدِ قريشٍ وعقدهِم، ثم قامَ رسولُ الله ﷺ إلى هديهِ فنحره وحلقَ رأسَه، وفعلَ المسلمون مثلَ ذلك وأقبل راجعاً إلى المدينة فنزلَ في الطريق ﴿**إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ [الفتح: ١] فصارَ تصديقُ الرؤيا في العامِ القابلِ، وفي هذه السنةِ ظهرتِ الرومُ على فارسٍ وانكشفَ شهرابراز عن طريقِ هرقلٍ حتّى سارَ إلى العراقِ، فأفسدوا عليه، وأغاروا، وفيها جاءَ وفدُ السباعِ إلى رسولِ الله ﷺ كما رُوي.

ثم دخلتْ سنةُ سبعٍ من هذه الهجرةِ: وهي سنةُ الاستغلابِ، وفيها كانتْ غزوةُ خيبرٍ قالُوا: وسارَ رسولُ الله ﷺ إليها في ألفٍ وأربع مائةِ رجلٍ، ونزلَ بساحتهم ويفتتُحها حِصْناً حصناً: وهي حصونٌ وآطام[1] حتّى انتهى إلى الوطيح[2] والسلالمِ[3] فحاصرهم سبعَ عشرةَ ليلةٍ فخرج مرحبٌ وقدْ جمعَ عليه سلاحَه وهو يقول: [رجز].

---

(١) آطام: جمع أُطُم: الحصن المبني من الحجارة.

(٢) الوطيح: حصن من حصون خيبر. «معجم البلدان ٥/ ٤٣٦».

(٣) السُّلالِمُ: حصنٌ بخيبر وكان من أحصنها وآخرها فتحاً. «معجم البلدان ٣/ ٢٦٤».

قــد علِمَــتْ خَيْبَــرُ أنّــي مــرحــب شــاكــي الســلاح بَطَــلٌ مُجَــرَّبُ
أطعُــن احيــانــاً وحِينــاً أضــربُ

فأجابه كعبُ بن مالك:

قــد علمــتْ خيبــرُ إنــي كعــبُ وانّنــي ممّــن يشــبُّ الحــربُ
معــي حُســامٌ كــالعقيــقِ عَضْــبُ

وخرج إليه محمُد بنُ مسلمةَ وتحاولا وتطاردا، وعرضتْ بينهما شجرةٌ فتجاولا يلوذان بها إلى أنْ قطعاها، ثم ضربَه محمّدُ بنُ مسلمَة فقتله، هذا روايةُ أصحابِ الحديثِ، وأمّا الشِيعةُ: فإنّهم يختلفُون أنّ عليًا قتلَه وذلك مشهورٌ في أشعارهِم، قالُوا: وبعثَ النبيُّ ﷺ أبا بكرٍ إلى حصنٍ من حصونهِم فذهب وقاتل، ثم رجعَ ولم يفتحْ، فقالَ: عليه السلام لأُعطينَّ الرايةَ غداً رجُلاً يُحبُّ اللهُ ورسوله ليس بفرارٍ وكان عليٌّ عليه السلام رَمِدَ العينِ فتفلَ في وجههِ وأعطاهُ الرايةَ، فمضى إليه وخرجَ إليه أهلُ الحصنِ والقى به فقاتلَ حتّى فتَح الله على يدهِ، قَالَ سلمةُ بنُ الأكوعِ[1] فلقدْ رأيتني في سبعةِ نفرٍ نجتهدُ أن نقلبَ ذلك البابَ فما نقدرُ أنْ نقلبه، هذا الروايةُ الصحيحةُ، فأمّا ما يقولُه القُصّاصُ فلا نعرفُه وبخَيْبرِ أهدَتْ امرأةُ سلاّمِ بنِ مشكمٍ الشاةَ المشويّة إلى النبيّ ﷺ، وبها قدمَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ من الحبشةِ في مَنْ معهُ من المسلمين وفيه يقولُ حسّان: [خفيف].

بِئْسَ مـا قـاتلـت خَيَـابِرُ عمّـا جمعَـتْ مـن مـزارعِ ونخيـلِ
كرِهوا الحربَ فاستُبيح حماهم وأقـرّوا فعـلَ اللئيـم الـذليـلِ

وذلك قولُ الله تعالى: ﴿**فعلمَ ما لم تعلموا فجعلَ من دون ذلك فتحاً قريباً**﴾ [الفتح: ٢٧] ثم غزا رسولُ الله ﷺ وادي القُرى بعد مُنصرفَهِ من خيبرٍ، ويُقالُ: قايل فيْئَها، ثم بعثَ سريّة عمرِ بنِ الخطّابِ إلى تربة[2] فرجعَ ولم يلقَ كيداً، ثم بعثَ سريّةَ غالبِ بنِ عبدِ الله إلى الميفعةِ وفيها قُتَل أُسامة بن زيد مرداس بن نهيك بعد ما شهدَ بالحقِّ فنزلَ ﴿**ولا يقولوا لمن**

---

(١) سلمة بن عمرو بن الأكوع، نسباً إلى أسلم الأسلمي يكنى أبا مسلم وقيل أبو إياس، كان ممن بايع تحت الشجرة، سكن المدينة ثم الربذة. كان شجاعاً رامياً مسحناً خيرّاً فاضلاً (ت ٧٤ هـ) وقيل (٦٤ هـ) (أسد الغابة ٢/ ٢٧١).

(٢) تربة: مدينة في اليمن مركز قضاء الحجرية «محافظة تعز» «منجد الأعلام/ ٢٣٠».

القى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ [النساء: ٩٤] الآية ثم بعثَ سريّة بشيرِ بن سعدٍ إلى مرو جنابٍ من فدكٍ ووادي القرى، ثم اعتمر رسولُ الله ﷺ عُمرةَ القضاءِ في ذي القعدةِ: وهو الشهرُ الذي صدّه فيه المشركون، ويُقالُ لها عمرةُ القصاصِ فدخَل مكّة، وقضى نسكَه، وأقام بها ثلاثاً، وتزوّج ميمونةَ بنتَ الحارثِ وفيها نزل ﴿لقد صدقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بالحقّ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية ثم بعثَ عبدَ اللهِ بن أبي حَدْرد إلى إضم[1] سريّةً فقتلوا عامرَ بن الاضبط بعد ما حيّاهم بتحيّةِ الإسلام فأنكرَ ذلك عليهم رسولُ الله ﷺ؛ وفي هذه السنةِ اتّخذ الخاتم ونقشَ فصَّه محمّدُ رسولُ الله ﷺ، وبعث رُسُلَه إلى الملوكِ يدعوهم إلى دينِ اللهِ فبعثَ حُذافة السهميّ إلى كسرى أبرويز بن هرمزّ بنِ انوشروان، فمزّق كتابَه وكتبَ إلى باذان عاملِ اليمنِ بأنْ يبعثَ بمحمّدٍ إليه مربوطاً، وقَدْ ذكرنا قصّتَه في موضعِه، فقالَ النبيُّ ﷺ: مزّقَ كتابي مزّقَ اللهُ عليه ملكتَه، وبعثَ دَحْيَة بنِ خليفةِ الكلّبي إلى هرقل بن قيصرَ ملكِ الرومِ فوجَده بحمص يمشي راجلاً إلى بيتِ المقدسِ شكراً للهِ على ما منحه من الظفرِ على فارسَ وذلك وعدَ الله فيهم ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ [الروم: ٤] فوضعَ كتابَ رسولِ الله على وجههِ ودعا الناسَ إلى إتباعه فأبوا عليه، فلما أخبرَ النبيُّ قال: بقي ملكهم أو ثبتَ، وبعثَ عمرو بنَ أميّة الضمريّ إلى النجاشي ملكِ الحبشةِ فآمن وأسلَم، وبعثَ حاطبَ بنَ بلتعةٍ إلى المقوقسِ ملكِ القِبْطِ والاسكندريةِ فأجابَ بأنّ القبطَ لا يتابعُني على إتباعكَ، وأنا اظنُ بملكي، وبعثَ إليه بماريةِ القبطية أمِّ إبراهيم بن رسولِ الله ﷺ، وأصحبها خصيًّا وألفَ مثقالِ ذهباً وعشرين ثوباً، ووهبَ لحاطبٍ مالاً عظيماً، وبعثَ العلاءَ ابن الحضرميّ إلى المنذرِ بن ساوَى ملكِ البحرين فاسلم؛ وبعثَ سَلِيطَ بنَ عمرو إلى هَوْذةِ الحنفي فردّ رداً جميلاً؛ وبعثَ شجاعَ بنَ وهبٍ إلى الحارثِ الأصغرِ وهو الحارثُ بنُ أبي شمرِ الغسّاني ملكِ دمشقِ فاستخفَّ به ورمى بكتابهِ فقال عليه السلام بادَ ملكُه؛ وفي هذه السنةِ كانتْ وقعةُ ذي قارٍ وقَدْ مضَتْ قصّتُها.

ثم دخلتْ سنةُ ثمانٍ من الهجرةِ وهي الاستواءُ فبعثَ سريّة غالب بن عبد الله إلى بني الملوّح فأوقع بهم، وقتل وسبى وساقَ نَعَماً كثيراً وشاءً، وخرجَ صريخ القومِ للقتالِ فسال وادي قديدٍ[2] من غيرِ سحابٍ عندهم ولا مطرٍ حتّى حال بينهمَ وبينَ الصريخ فوقفوا ينظرونَ إليه، وهمْ يسوقون نهبهَم، ثم بعثَ سريّة شجاعِ بن وهبٍ إلى بني عامرٍ فلم يَلْقَ كيداً، ثم

---

(١) إضم: قيل واد بجبال تهامة، وقيل ماء بين مكة واليمامة، «معجم البلدان ١/ ٢٥٤».
(٢) قُديد: اسم موضع قرب مكة. «معجم البلدان ٤/ ٣٥٥».

بعثَ كعبَ بن عُميرٍ إلى ذاتِ اطلاحٍ ثم غزوة مؤتة وهي بأرض الشام.

قصّةُ مؤتة:

قالُوا: إن رسولَ الله ﷺ بعثَ الحارثَ بنَ عُميرٍ رسولاً إلى بني شرحبيلَ بن عمرو عاملِ هرقل فقُتلَ رسولُ رسولِ الله ﷺ ولم يُقْتَل له رسولٌ غيرُه، فبعثَ إليها ثلاثةَ ألفِ رجلٍ، واستعملَ عليهم زيدَ بنَ حارثةَ إنْ أُصيب زيدٌ فجعفرُ بنُ أبي طالبٍ، وإن أُصيبَ جعفرُ فعبدُ الله بنُ رواحةٍ فصاروا حتّى بلغوا موتة: وهي قريةٌ من حدودِ الشام فبلغهم أنّ هرقل نزلَ بأرضِ البلقاءِ في مائة ألفٍ، وانضمّ إليه من لخمٍ[1] وجُذامٍ[2] مائةَ ألفٍ فانحازوا إلى موتة وأتَتْهم هوادي الخيلِ وناوشَهم القتالُ حتى استُشهد زيدُ بنُ حارثةٍ، فأخذَ الرايةَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ وتقدَّم فقاتلَ حتّى إذا ألجمه القتالُ نزلَ عن فرسِهِ فعرقبه وهو يقول: [رجز].

يــا حبّــذا الجنّــةَ واقتــرابُهــا　　　طيّبــةٌ وطيّــب شــرابُهــا
والــرومُ رومٌ قـدْ دنـا عـذابُها　　　علــيَّ إذ لاقيتُهــا ضــرابُهــا

فقُطعتْ يمينُه فأخذَ الراية بشمالِهِ فقُطعتْ شمالُه فاحتضَن بصدرِهِ واستُشهد وقُتلَ: وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً في سنّ عيسى عليه السلام فأبدله اللهُ عزَّ وجلَّ منها جناحين يطيرُ بهما في الجنةِ، ثم أخذ الرايةَ عبدُ الله بنُ رواحةَ وهو يقول: [رجز].

اقسمــتُ يــا نفــسُ لتنــزلنّــه　　　قـد طـالَ مـا قـد كنتِ مُطمئنَّة
هــل أنــتِ إلاّ بطنــة فــي شنَّــةْ

وقاتلَ حتّى قُتِلَ رحمه اللهُ فاجتمَع المسلمون إلى خالد بن الوليد فانحاز بهم حتّى انصرفَ فتلقَّاهم الناسُ، وجعلَ الصبيان يحثون عليهم الترابَ، ويقولن يا فرّار فررتُم في سبيلِ اللهِ فقالَ رسولُ الله ﷺ ليسوا بالفرّارِ ولكنّهم الكُرّارِ إن شاءَ اللهُ وفيه يقول حسان: [طويل].

فــلا يبعــدنّ اللهُ قَتْلَــى تتــابعــوا　　　بُموتَةَ منْهم ذو الجناحَيْن جعفرُ

---

(١) لخم: من قبائل العرب، أصلها من اليمن، اخت جذام وعاملة، اسسوا الدولة اللخميّة اعتنقوا المسيحية، انتقلوا إلى الإسلام بعد الفتح العربي «منجد الأعلام/ ٦١٢».

(٢) جُذام: قبيلة عربية، بطن من كهلان، منهم عاملة ولخم وكندة. «منجد الأعلام/ ٢١٠».

وزيدٌ وعبدَ الله هم خيرُ عُصْبةٍ تواصَوْا وأسبابُ المنيّة تخطِرُ

ثم بعثَ سريّةَ عمرو بنِ العاصِ إلى ذاتِ السلاسلِ من ناحيةِ الشامِ فكتَب إلى النبيّ يستمِدّه فبعثَ إليه بسريّةٍ أميرُها أبو عبيدة بنُ الجراح، وفيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأصابُوا شيئاً كثيراً، ثم سريّة الخَبَطِ وأميرُها أبو عبيدة إلى سيفِ البحرِ فجعلُوا يختبطون لما أرملُوا فأخرجَ اللهُ لهم دابّةً أصابُوا من لحمها وودَكها[1] شيئاً حتّى سمنُوا، وغلِظوا، ثمّ سريّة أبي قتادةَ إلى خضيرة من أرضِ الشام فلم يَلْقَ كيداً.

فتح مكّة في شهر رمضان:

وذلك أنّ خزاعةَ كانتْ دخلتْ في عقدِ النبيّ ﷺ يومَ الحديبيةِ وبنو بكر في عقدِ قريشٍ فعدَتْ بنو بكر على خزاعة وهم على ماءٍ بأسفلِ مكّة يُقالُ له الوتيرُ فبيّتوهم ورفدَتْهم قريشُ بالسلاحِ فقاتلوهُم فخرجَ عمرو بنُ سالم الخزاعي[2] حتى وقفَ بين يدي رسولِ الله ﷺ، وذكرَ شأنهم وما كان من بني بكرٍ وقريشٍ من نقضِ العهدِ وقال: [رجز].

لا هُمَّ إنّي ناشدٌ محمّدا حِلْفَ أبينا وأبيه الابلدا
إنَّ قريشاً أخلفوك المَوْعَدا ونقضوا ميثاقَك الموكّدا
هم بيّتونا بالوتيرِ هُجَّدا نتلو القرآنَ رُكَّعاً وسُجدا

فأمرَ رسولُ الله ﷺ بالتجهيزِ إليهم فَقالَ له أبو بكر اتنصرهُم على قومك، قالَ: لانُصِرتُ إن لم أنصُرهم، فخَرجَ في عشرةِ آلافِ رجلٍ، وسارَ حتّى نزلَ بساحتِهم ولا عِلْمَ لهم بشيءٍ مِنْ ذلك فأمَر كلَّ رجلٍ أن يُوقدَ نارَيْن عظيمتين، وخرجَ العباس بنُ عبد المطّلبِ على بغلةِ رسولِ الله يلتمُس أحداً يبعثُه إلى قريشٍ بالخبرِ وكانتْ قريشٌ لما خفي عليهم أمرُ المدينةِ رابهم ذلك، وخرجَ أبو سفيان بنُ حربٍ وبديلُ بنُ ورقاءَ يتجسّسان فلمّا أشرفا على العسكرِ والنيرانِ هالهَما ذلك فسمعَ العبّاسُ قولَ أبي سفيان لبديلٍ ما رأيتُ عسكراً قطّ أكثر من هذا فناداهُ العبّاسُ يا أبا حنظلة هذا رسولُ الله ﷺ ومصباحُ قريشٍ، قالَ: فما الحيلةَ، قالَ: ان تركبَ في عجُزِ هذه البغلةِ حتّى استأمنَ لك رسولَ الله ﷺ فركب خلفَهُ ومرَّ حتّى

---

(١) الوَدَك: الدّسم من اللحم والشحم.

(٢) قال أبو عمر: عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي وقال ابن الكلبي: عمرو بن سالم بن حفيرة الشاعر أنشد أبياتاً للرسول (ﷺ) ولمزيدٍ انظر الكامل لابن الأثير جـ ٢ «أسد الغابة ٣/ ٧٢١».

بلغَ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه فلما رآهُ قَالَ الحمدُ للهِ الذي أمكنَ منك بلا عهدٍ ولا عقدٍ، وخرجَ يشُدُّ نحو رسولِ الله ﷺ فَقالَ عمرُ: وهذا عدوُّ الله أبو سفيانٍ قدَ أمكنَ اللهُ منه فدعني اضرِبْ عُنُقَه، فَقال له العبّاس لا سبيلَ لك عليه إنّي قد أجَرتُه فباتَ عنده تلكَ الليلةَ، فلما أصبحَ أتى النبيَّ ﷺ فقالَ: ما آن لك أن تعلمَ أنّه لا إله إلا الله، فقالَ بأبي أنتَ وأمّي ما أجملَكَ وأكرمَك واوصلَك للرحمِ لو كانَ معه غيرهُ لقد أغنى عنّا شيئاً فقالَ له العبّاس: انّ أبا سفيان رجُلٌ يحبُّ الفخرَ فاجعل له شيئاً، فَقالَ مَنْ دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومَنْ دخلَ المسجدَ فهو آمنٌ، ومَنْ أغلقَ بابَه فهو آمنٌ، إلاّ عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بن أبي سرح ومقيسُ بنُ ضبابة[1] وحُويرثُ بنُ نُقيذ[2] فاقتلوهم ولو وجدتموهم تحتَ أستارِ الكعبةِ، فجاء أبو سفيان إلى مكَّة فنادى: هذا محمّدٌ قد جاءَكم بما لا قِبلَ لكمْ به فمَنْ حلَّ داري فهو آمنٌ، ومَنْ دخلَ المسجدَ فهو آمنٌ، ومَنْ أغلقَ بابَه فهو آمنٌ، فتفرّقَ الناسُ وأخذَتْ بلحيتِهِ هندُ بنتُ عُتبة. وقالتْ: بئْس الشيخُ والله اقتلُوه هلاّ مُتَّ كريماً، ودخلَ رسولُ الله في عشرِ سرايا: كلُّ سريّةٍ ألفُ رجل وهو في كتيبةٍ خضراءَ من المهاجرين والأنصارِ لا يُرى منهم إلا الحَدَقُ[3] فأتى المسجدَ فطافَ وحَوْلَ الكعبةِ أصنامٌ فجعلَ يشيرُ إليها بقضيبٍ في يدِهِ وهو يقولُ: ﴿جاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كان زَهُوقاً﴾ [الإسراء: ٨١] وهي تخرُّ لوجهها وفيه يقولُ بعضهم: [وافر].

وفي الأصنامِ مُعتبرٌ وعِلْمٌ ... لمن يرجو الثَّوابَ والعقابا

وأقام بمكَّة خمسةَ عشرَ يوماً يقصرُ الصلاةَ، ثم خَرجَ إلى حُنين.

ذكرُ غزوةِ حُنين:

خرجَ رسول الله ﷺ من مكة إلى هوازنَ وثقيفَ والطائفَ، وقائدهُم مالكُ بنُ عوفٍ قد جمعوا أحابيشَهم ولفَّهم، وساقُوا نعمَهم ونساهم التماسَ الحفيظةِ، وأخرجُوا معهمَ دُريدَ بنِ الصمّةِ[4] في شجار: وهو شيخٌ كبيرٌ ليسَ فيه شيءٌ غيرُ التيمُّن برأيِهِ، فلما بلَغوا

---

(١) جاء في السيرة النبوية جـ ٣/ ٥٦٤ أن اسمه: مقيس بن صبابة، وفي القاموس: ابن حبابة.

(٢) جاء في السيرة النبوية جـ ٣/ ٥٦٤: أنّ النفر الذين أهدر الرسول (ﷺ) دماءهم هم الثلاثة المذكورن ومعهم سارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل.

(٣) الحَدَقُ: يُقال: هم رماة الحَدَق: أي مهرة في النضال والرّمي.

(٤) شاعر جاهلي وفارس من هوازن، أدرك الإسلام ولم يُسلم، قتل بعد وقعة حنين (٦٢٩ م). «المنجد=

أوطاس[1] قالَ: دريدُ: نِعْمَ مجالُ الخيلِ لا حَزْنٌ ضَرِسٌ[2] ولا سهلٌ دَهِسٌ[3] وأنشد: [رجز].

يـا ليتنـي فيهـا جَـذَعْ ... اخـبُّ فيهـا وأضَـعْ
أقُـودُ وطفـاءَ الـزمـع ... كـأنّهـا شـاةٌ صَـدَعْ

وخرجَ رسولُ اللهِ في اثني عشرَ ألفاً: عشرةُ آلافٍ من المهاجرين والأنصارِ وألفين من طُلقاءِ مكّة، ويُقالُ: إنّه لمّا نظرَ إلى كثرةِ مَنْ معه قَالَ. لنْ نُغلَبَ اليومَ من قلّةٍ فلما استقبلوا وادي حُنين[4] كانَ القومُ قد كمنُوا فقي الشعابِ والاخباتِ، وكسرُوا جفونَ سيوفِهِم فشدُّوا على المسلمين شدّةَ رجلٍ واحدٍ فانهمروا راجعين لا يلوي أحدٌ على أحدٍ، ورسولُ الله ينادي: هلُمّوا أنا رسولُ الله، ثمّ قالَ للعبّاسِ: اصرُخْ في الناسِ، وكانَ رجُلاً صيّتاً يا معشَر الأنصارِ يا أصحابَ السَمُرة ففاءَ فيه المسلمون، وحَمِيَ الوطيسُ، واشتدّتِ الحربُ، واجتلدوا فانهزَم المشركون وانحازوا إلى الطائفِ، واغلقوا بابَ مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال من الدبّابات والضبور والمجانيق، وأصاب المسلمون من سبي هوازنَ ستّةَ ألاف رأسٍ، ومن النَعَم والأموالِ ما لا يُحصى، وفيه يقولُ العبّاسُ بن مرداسٍ السلميّ[5]: [بسيط].

ونحـنُ يـومَ حُنَيْـنَ كـان مشهـدُنـا ... للـدّيـن عـزاً وعنـدَ الله مُـدَّخَـرُ
وقـدْ ضـربنـا بـأوطـاسٍ أسِنَّتنـا ... واللهُ ينصـرُ مَـنْ يَهْـدي وينتصـرُ

وسارَ رسولُ الله ﷺ من حُنين إلى الطائفِ قَالَ: فحاصرّهم بِضْعاً وعشرينَ ليلةً، ورماهُم بالمنجنيقِ، ثم زحفَ نفرٌ من أصحابه تحتَ الدبّابةِ فأرسلُوا عليهم الحديدَة المُحْماةَ فأحرقُوهم، وقالَ النبيُّ لأبي بكر: رأيتُ أنّي أُهديتُ إليّ قبعةٍ مملوءَةٍ زبداً فنقَرها ديكٌ فهراقتْ فقالَ: أبو بكر رضي الله عنه ما أظنُّ أن تدركَ هذه، قَالَ: وأنا وارتحل من ساعتهِ حتى نزلَ الجعرانة[6] فأتاه وَفْدُ هوازنَ وفيهم ظِئْرهُ حليمةُ بنتُ ذُؤَيبٍ فقالُوا: يا رسولَ اللهِ

= الأعلام/ ٢٨٦».

(١) أوطاس: واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين للنّبي «معجم البلدان ١/ ٣٣٤».
(٢) ضَرِسٌ: صعبٌ.
(٣) دَهِسٌ: سهلٌ لا يبلغ أن يكون رملاً وليس بترابٍ ولا طين.
(٤) وادي حُنين: وادٍ بين مكة والطائف (السعودية). «منجد الأعلام/ ٢٦١».
(٥) انظر وفيات الأعيان جـ ١/ ٤٣١.
(٦) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب «معجم البلدان ٢/ ١٦٥».

إنّما في الحصارِ عمّاتُك وخالاتُك وحواضنُك فأمنُنْ علينا منَّ اللهُ عليك، فَقالَ أولادُكم ونساءُكم أحبُّ إليكم أم أموالكُم، قَالُوا: أولادُنا ونساءُنا قالَ: أمّا ما كانَ لي ولبني عبدِ المطّلبِ فهو لكُم، وإذا صلّيتُ فتقدّموا وقولوا إنَّا نستشفعُ برسولِ الله إلى المسلمين في أبنائنا ونسائنا ففعلُوا ذلك، فَقالَ النبيُّ ﷺ: أمّا ما كانَ لي ولبني عبدِ المطّلبِ فهو لكُمْ فَقالَ المهاجرون: وما كانَ لنا فهو لرسولِ الله فردّوا إليهم أولادهم ونساءَهم، وأعطى رسولُ الله ﷺ ذلكَ اليوم المؤلفة قلوبَهم مائة مائة، وأعطى أبا سفيان مائة، وأعطى لمعاوية بن أبي سفيان مائة، وأعطى صفوان بن أميّة مائة وحُويطبُ بن عبدِ العزى وعُيينة بن حصنٍ والأقرعَ ابن حابسٍ مائة، وأعطى العبّاسَ بنَ مرداسٍ أباعِرَ فسخطَها وقال: [متقارب].

وكـانَـت نِهـابـاً تـلافَيْتُهـا ... بكـرّي علـى المَهْـر فـي الأجـرعِ

فـأصبـحَ نَهْبـي ونَهْـبُ العُبيـ ... ـد بيـن عُيَيْنـة والأقـرعِ

ومـا كنـتُ دونَ أمـرىءٍ منهمـا ... ومَـنْ يضَـع اليـومَ لا يُـرفـعِ

فقالَ عليه السلام: اقطعُوا عنّي لسانَه فاعطُوه حتّى رضى، واعتَمر رسولُ الله ﷺ من الجعرانة، وانصرفَ راجعاً إلى المدينةِ، وفي هذه السنةِ وُلد إبراهيمُ ابنُ رسولِ الله ﷺ، وأتاهُ جبريلُ فَقالَ: السلام عليك يا إبراهيمُ، وفيها ماتَ ملكُ دمشقَ الحارثُ بنُ أبي شمر الغسّانيّ فملكَ مكانَه جبلةُ بنُ الأيهمِ[1]، وفيها ملكتْ بورانُ دُخت بنتُ أبرويز، فَقالَ الرسولُ عليه الصلاة والسلام حينَ بلغهُ الخبرُ لا يفلحُ قومٌ عليهم امرأةٌ، ثم دخلتْ سنةُ تسعٍ من الهجرةِ: وهي سنة براءَةٍ فبعثَ سريّةَ قطبةَ بن عامرٍ بن حديدةٍ إلى خثعم[2] فأغار وسبَى، وغَنِمَ، ثم بعثَ سريّةَ علقمةَ بن مجزِّز المدلجي إلى الساحلِ بمراكبِ الحبشةِ فلم يلقَ كيداً، ثم سارَ إلى تَبُوك.

ذكر غزوة تبوك:

وهي من حدِّ الروم ويسمّى جيشُ العُسْرةِ، وكان سببُ هذهِ الغزاةِ أنّ هرقل أظهرَ قصدَ رسولِ الله ﷺ بنفسِهِ فقالَ النبيُّ تهيّؤا لغزاةِ الرومِ، وذلك في شدّةِ الحرِّ وجَدْب البلادِ، وقد

---

(١) يعتبر آخر ملوك الغساسنة، يقال أنّه اسلم في أيام عمر بن الخطاب ثم ارتد وقصد القسطنطينية وفيها توفي (٢٠ هـ) «منجد الأعلام/ ٢٠٨».

(٢) خثعم: قبيلة نزلت بين الطائف ونجران، أسلموا ثم ارتدوا بعد موت النبي ثم عادوا إلى الإسلام في الفتوحات «منجد الأعلام/ ٢٦٧».

طابتْ الظلالُ، وأينعتِ الثمارُ وبينَ تبوكٍ والمدينةِ تسعون فرسخاً، وما خرجَ رسولُ الله ﷺ في سفرٍ إلاّ يُورّي بعيرهَ إلاّ تبوك فإنّه أفصحَ بها وبينَها للناسِ لبُعدْ الشُقّةِ وشدةِ الزمانِ وكثرةِ العددِ، وأمرَ الناسَ بالنفقةِ والحملانِ في سبيلِ اللهِ، وهذه القصّة مذكورةٌ في كتابِ اللهِ في سورة براءة، وخرجَ رسولُ الله في ثلاثين ألفاً منهم عشرةُ آلاف فارسٍ واثنا عشر ألفِ راكبٍ وثمانية آلافِ راجلٍ، وخلّف علياً في أهلِهِ فقَالَ: رجلُ ما خلّفه إلاّ استثقالاً له، فلما سمعَ عليٌ أخذَ سلاحه، ومضى حتى أدركه فذكر له قولَ النّاسِ فقَالَ: أما ترضى يا أبا الحسن أن تكون منّي بمنزلةِ هارونَ من موسى إلاّ إنه لا نبيّ بعدي فرضي عليٌ، ورجعَ وسارَ النبيُّ حتّى أتى تبوكَ وقَدْ تفرّقْت جموعُ هرقلَ فلم يلقَ كيداً وبعثَ من تبوكَ خالدَ بنَ الوليد إلى دُومةِ الجندلِ.

سريّةُ خالدِ بنِ الوليد إلى اكيدر صاحب دومةِ الجندلِ من تبوك:

وقَدْ قالَ له النبيُّ ﷺ: تجده يصيدُ البقر، فأتاهُ خالدٌ في ليلةٍ مُقمرة: وهو على سطحٍ فجاءَتْ البقرُ تحكُّ بقرونها بابَ القصرِ فخرجَ في فرسانٍ، وتلقّاهم فأسروه وأتى به النبيُّ ﷺ فحقنَ دمَهُ وصالحَه على الجزيةِ وخلّى سبيلَه وفيه قال: [وافر].

تبـاركَ سـائـقُ البقـراتِ انّـى | رأيـتُ الله يهـدي كُـلَّ هَـادِ
فمـنْ يَـكُ حـائِـداً عـن ذي تبـوك | فـإنَّـا قـدْ أُمِـرْنـا بـالجهـادِ

وفي هذه السنةِ نزلتْ سورةُ براءَة فبعثَ أبا بكر أميراً على الحاجِّ، وأتبعه بعليّ بن أبي طالبٍ مع تسع آياتٍ من سورةِ براءة، وأمرهُ بأن يقرأها على النّاسِ ويؤذنهم بنقضِ العهدِ وقطعِ الذّمةِ، فانصرفَ أبو بكر إلى النبيّ ﷺ فَقالَ: أنتَ الأميرُ وعليٌ المبلّغ فإنّه لا يبلّغ رجلُ عنّي إلا منّي فَقامَ عليٌ في الموسمِ، والنّاسُ على سَكِناتهم من أهلِ الشِرْكِ فنادى: إنّي رسولُ رسولِ الله إليكم، قالُوا: بماذا، قَالَ: إنّه لا يدخلُ الجنّة كافرٌ، ولا يحجُ بعدَ العامِ مُشْركٌ، ولا يطوفُ بالبيتِ عريانٌ، ومَنْ كانَ له عهدٌ من رسولِ الله فهو إلى مُدّتهِ ومَنْ لا عهدَ له فلُه المُدّة إلى مأمنِهِ، وتلا عليهم الآياتِ فَقالَ المشركون: إنّا نبرأُ إلى اللهِ من عهدكِ وعهدِ ابنِ عمّك اللهمّ إنّا منعنا تبرُّكُ، ثم دخلت سنةُ عشرةٍ من الهجرة: وهي سنةُ حجّةِ الوداعِ فبعثَ سريّة عكاشةَ بن محصنٍ إلى الجنابِ[1] فلم يلقَ كيداً ثم بعثَ سريّة أُسامةَ بن زيدٍ إلى

---

(١) الجِنَاب: موضع بعراض خيبر وسلاح ووادي القرى، وقيل هو من منازل بني مازن، وقال نصر: هو من ديار بني فزارة بين المدينة وفَيْد. «معجم البلدان ٢/ ١٩١».

بلقاءِ من أرضِ فلسطينَ قال: أثيرُ بدم أبيك فقَتلَ وسبى وأحرقَ، ثم بعثَ سريّةَ عليّ ابن أبي طالبٍ إلى اليمنِ لقبضِ الصدقاتِ ويُقالُ: كانتْ مرتّين، ثم بعثَ سريّة عبد الله بنِ حذافةِ السهمي وفي هذه ضُربتْ الوفودُ إلى رسولِ الله ﷺ وذلك أنّ الناسَ كانوا يتربصون بالإسلام قريشاً فلما أسلمتْ قريشُ أسلمتِ العربُ، ودخُلوا في دينِ الله أفواجاً، وفيها حجَّ رسولُ الله ﷺ لخمسٍ بقينَ من ذي القعدةِ، وأحجّ نساءَه كلّهنَّ، وساقَ الهَدْيَ، وخطبَ خطبةَ الوداعِ ويُقالُ: خطبةُ البلاغِ: وهي مشهورةٌ في العامّةِ، فقالَ «يا أيّها النّاسُ اسمعُوا قولي فإنّي لا أدري لعلّي لا القاكُم بعدَ عامي هذا أبداً» وقفَلَ إلى المدينةِ، وفي هذه السنةِ كتبَ مسيلمةُ الكذّابُ إلى رسولِ الله ﷺ؛ ثم دخلَت سنةُ احدى عشرةَ من الهجرةِ: وهي سنة الوفاةِ فبعثَ عمرو بن العاصِ إلى جيفر بن جُلندي الأزديّ ملكِ عمانَ يدعوهُ إلى الإسلام، وأمرَ أسامةَ بنَ زيدٍ على البعثِ إلى الشامِ، ومرضَ رسولُ الله مرضةَ التي قبضَه اللهُ فيها وذلك أنّه نعى نفسَه إلى أصحابِهِ قَبلَ موتِهِ بشهرٍ، ثمّ ابتدا بشكواهُ في ليالٍ بقينَ من شهرِ ربيعِ الأوّلِ صلّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وصحابه إلى يومِ الدّينِ أجمعين.

آخرُ الجزءِ الثاني ويتلُوه في الجزءِ الثالثِ الفصلُ السابّع عشرَ في خلْقِ رسولِ الله وخُلقِهِ ﷺ والحمدُ لله ربِّ العالمين وصلواتُه على سيّدنا محمّدٍ النبيّ وآلِهِ الطاهرين الطيّبين وسلّم تسليماً كثيراً.

الفصل السابع عشر

في صفة خلْق رسول الله ﷺ وخُلْقه وسيرته وخصائصه وشرائعه ومدّة عمره وذكر أزواجه وأولاده وقراباته وخبر وفاته على سبيل الإختصار والإيجاز

[خلْق رسول الله ﷺ وخُلْقه]:

قد أكثر الناس في صفته، واختلفت الرواية من طرقٍ شتّى، وأحسنُ ما أراه حديثُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه سن رواية عيسى بن يونس، عن مولى غُفْرة، عن إبراهيم بن محمد، عن رجل من ولد عليّ، عن عليّ أنّه كان إذا نعتَ النبيّ ﷺ، قال: لم يكن بالطويل الممغّط[1] ولا القصير المتردّد، كان رَبْعة[2] من القوم، لم يكن بالجَعْد القطط[3]، ولا السَبْط[4]، كان جعداً رَجِلاً، ولم يَكن بالمطهَّم[5] ولا المُكَلْثَم[6] وكان في وجهه تدويرٌ أبيض مُشرَب حُمرة، وأدعج[7] العينين، أهدب الأشفار، جليل المُشاش[8] والكَتِد أجردُ[9] ذو مسْرُبة[10] شثْنُ الكفّين والقدمين، إذ مشى تقلّع كأنّما يمشي في صببٍ، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفَيْه خاتم النبوّة، أجود الناس كفًّا، وأحسن الناس صدراً، وأصدق الناس

---

(١) الممغّط: أي لم يكن طويلاً، أمهق بالغ الطول.

(٢) ربعة: المربوع الرجل بين الطول والقصر.

(٣) الجعد القطط: الشديد جعدة الشعر في خشونة كالأفارقة.

(٤) السبط: الشعر المنسدل الناعم.

(٥) المطهّم: الشديد السمنة الكثير اللحم.

(٦) المكلثم: ذو الوجه المستدير.

(٧) أدعج: الدُعجة بالضم سواد العين مع سعتها.

(٨) المُشاش والكتد: أي ضخم عظام المفاصل، عريض المنكبين (الأكتاف».

(٩) في السيرة: دقيق السربة أجرد جـ ٢ ص ٤٣.

والأجرد ذو مسربة: الأجرد خفيف شعر الأكتاف واليدين والساقين. والمسربة: شعر الصدر والبطن.

(١٠) شثن الكفين والقدمين: غليظهما.

لهجةً، وأوفى الناس ذمّة، وأَلْيَنُهم عريكةً، وأكرمهُم عِشرةً، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفةً أحبّه، لم يكن قبله ولا بعده مثله.

هذه رواية علي كرّم الله وجهه، وهو أعلم به من غيره، وقد فسّر أبو عبيدة غريب ما في هذا الخبر، وروى ابن إسحق عن الزُّهري، عن عروة، عن عائشة أنّها كانت إذا وصفت النبيّ ﷺ، قالت: كما قال أبو طالب عمّه: [طويل]

وأبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوجهِه تِمَالَ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأرَامِلِ
يَلُوذُ بِهِ افناء[1] فهر بن مالك فَهُمْ عِنْدَهُ في نِعْمَةٍ[2] وفَوَاضِلِ

وكان أصحابه يتعرّفون فيه قول حسّان بن ثابت: [بسيط]

تَاللهَ ما حَمَلَتْ أُنْثَى ولاَ وَضَعَتْ مثلَ النبيِّ[3] نبيِّ الرحمةِ[4] الهَادي
ولا بَرَى الله خَلْقاً من خَلائِقِهِ[5] أَوْفَى بِذمَّةِ جَارٍ أو بِميعَادِ

وروى عوف، عن الحسن، عن عائشة أنّها سُئلت، عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خُلقه كما جاء في القرآن ﴿وإنّك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤] وروى الزُهري، عن عروة، عن ابن عبّاس أنّه قال في صفة رسول الله ﷺ: أكرمُ الناس خلائقَ وأجودهُم كفًّا، ولقد دخل مكة[6] عنوةً بالسيف فقال: ماذا[7] تظنّون؟ ماذا تقولون؟ فتبادروا نظنّ خيراً، ونقول خيراً أخٌ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت، فقال[8]: «إنّي أقولُ كما قالَ أخي يوسُف: لا تثريبَ عليكُم اليوم يغفر الله لكُم» فعفا عنهم جميعاً.

وفي رواية أَنَس خادم النبيّ ﷺ أنهُ كان يلبس الصوف ويخصِف النعل، ويحلب

---

(١) في السيرة النبوية: الهُلاّكُ من آل هاشم، جـ ١ ص ٢٣١.
(٢) في السيرة النبوية: رحمة، جـ ١ ص ٢٣١.
(٣) في السيرة النبوية: الرسول، جـ ٤ ص ٢٦٢.
(٤) في السيرة النبوية: الأمة جـ ٤ ص ٢٦٢.
(٥) في السيرة النبوية: بريّته، جـ ٤ ص ٢٦٢.
(٦) في سنة ثمان كان افتتاح النبي ﷺ مكة، وقد تنازع الناس في فتحها، أصلحاً كان أم عنوةً، «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٦».
(٧) قال النبي (ﷺ): «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟» «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٧».
(٨) قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٧.

الشاة، ويكنس البيت، ويركب الحمار رِدْفاً[1] ويجيب دعوة العبد، ولنا فيه صلّى الله عليه أسوة، وكان عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه لا يُثبت آيةً إلاّ بشهادة شاهدَيْن عَدْلين فجاءه رجلٌ بهذه الآية: ﴿لقد جاءكُم رَسولٌ من أنْفُسِكُمْ عَزِيْزٌ عليهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيْصٌ عليكم بالمؤمنينَ رَؤوفٌ رحيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فقال: هَلُمَّ أَجِزْ شهادتك وحْدَك لأنّه كان كذا.

فأما ما رَوَى القُصّاص أنّهُ كان يُماشي الطُوال، فلا يقصرُ عنه، ويماشي القصير فلا يطاولهُ، ويقف في الشّمس فلا يُرى ظلّه، ويسيرُ مع الفرس الجواد فلا يسبقه، وإنّه كان إذا تعرّى لم يقع البصر على عورته، وما خرج منه لم يوجد له رائحة فاشياً لم تصحّ الرواية بها، ولا عُرف في طباع الناس مثلها.

[آباء رسول الله]:

قد سبق من نسبه، واختلاف الناس فيه ما يُغني عن الإعادة والتكرار، فهو مُحمّد النبيّ ابن عبد الله الذبيح ابن عبد المُطّلب شَيْبة الحمد، ومُطعم الطير، وساقي الحجيج ابن عَمْرو هاشم الثريد، وقاطع الأحقاد، وسانّ الإئلاف ابن المُغيرة عبد مُناف بيضة قُرَيش ابن قُصَيٍّ مُجَمّع القبائل، وقُصيّ أوّلُ من أصاب من قُريش مُلْكاً.

[أمهات رسول الله]:

أُمّه الّتي ولدته آمنة بنت وَهْب بن عبد مَناف بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ[2] بن غالب ابن فِهْرٍ[3] فرسول الله ﷺ يرجع إلى كِلاب بخمسة آباء من قِبل أبيه، ومن قِبل أُمّه، ولم يكن لأُمّ رسول الله ﷺ أخ، ولا أُخت فيكون خال النبيّ، وخالته، ولكن بنو زهرة يزعمون أنهم أخوال رسول الله ﷺ، لأنّ آمنةَ أُمّهُ منهم.

جدّات رسول الله من قِبَل أبيه:

أُمّ أبيه عبد الله فاطمة بنت عَمْرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأُمّ أبي عبد الله عبد المطّلب بن هاشم سَلْمى بنت عمرو من بني النجّار، وكانت قبل هاشم عند أُحَيْحة بن الجُلاح؛ فولدت له عمرو بن أُحيحة، فهو أخو عبد المطّلب لأُمّهِ، وأُمّ هاشم عاتكة بنتُ

---

(١) ردفاً: الردف بالكسر الراكب خلف الراكب كالمرتدف والرديف.
(٢) لؤي: المقصود به الفتي من الثيران الوحشية إذ هو تصغير اللأي الذي هو الثور الوحشي.
(٣) فهر: هو الحجر المستطيل والأرجح أنه لقب.

مُرّة من بني سُلَيم، وأم عبد مُناف عاتكة بنت هلال، ويقال: حُبّي بنت حُليل الخُزاعيّ، وقد رفعت النُّسّابُ هذه الأنساب كلّها إلى أُصولها، ولو اقتدينا بهم لبطل شرطُنا الإختصار، ولكن اكتفينا بما أُودعت الكتب منها لأنها أشفى، وأكفى إذْ هي لها أُفرِدَتْ، ولها وُضعت، ولكن الكتاب جامع الفنون ولا يحتمل الفنّ الواحد الإستقصاءَ والإستكمال.

جدّات النبيّ من قبل أُمّه:

أُمّ أُمّهِ آمنة بنتُ وهب، بَرَّةُ بنتُ عبد العُزّى بن عُثمان بنِ عَبْد الدار بن قُصَيٍّ، وأُمّ بَرَّة أُمّ حبيب بنتِ أسدِ بن عبد العُزّي بن قُصيّ، وأُمّ أُمّ حبيب بَرَّة بنتِ عَوْف، وأُم عبد مَناف أبي وَهْب زُهرة، وإليها يُنسَب ولدها دون الأب. قال أبو عُبيدة: ولا يُعرَفُ اسمُ أبي عبد مَناف بن زُهرة وزُهرة أمّه، وقد أُقيمت في التذكير مُقام الأب فقيل: زُهرة بن كِلاب بن مُرّة أخو قُصَيّ، وأمّ زُهرة وقُصَيّ، فاطمةُ بنت سَعْد من أَزْدْ السراة، فأمّا الأجداد فقد عرّفتهُم في نسبةِ الآباءِ.

[عمومة النبيّ]:

كان لعبد المُطّلب عشرةُ ذكور لصُلْبه، وستُّة إناث، أمّا الذكور فعبد الله، والحارث، والزبير، وضرار، والمقوَّم، وحمزة، والعبّاس، وأبو طالب (واسمه عبد مُناف)، وحجل (واسمه الغَيداق)، وأبو لهب (واسمه عبد العُزّي)، وعاتكة، وصفيّة، وأُميمة، وبرّة وأرْوَى، وأمّ حكيم (وهي البيضاء)، ولم يُسْلِم من أعمامه غير حمزة والعبّاس، ولا من عمّاته غير صفيّة، ويقال أيضاً: أروى أسلمت والشِيعةُ أيضاً يقولون: إنّ أبا طالب أسلم، وعبد الله أبا النبي أسلم ويزعم بعضهم أنّه لم يكن في نسبهِ أحدٌ كافر إلى آدم عتم، وكان هؤلاء لأمّهات شتّى ليس من عزمنا أن نذكرهنّ في هذا الموضع.

[بني أعمامه]:

لم يكن لعبد الله غير رسول الله ﷺ ولدٌ، ولم يعقب الغَيداقُ، ولا ضِرار، ولا المقوَّم، ولا حمزة، وكان لحمزة ابن يقال له: عُمارة، وبه يكنى أبا عُمارة وبنت يقال لها: بنت أبيها، فلم يعقبوا فأمّا أبو لهب فولد عُتبةَ، وعُتيبةَ ومُعتباً وبناتِ أمّهم أمّ جميل بنت حرب بن أميّة عمّة معاوية بن أبي سفيان، ونوفلاً، والمُغيرة، وربيعة وعبد شمس، وأروى أعقبوا وأسلموا، وأمّا الزبير بن عبد المطّلب، فكان شاعراً ولد عبد الله بن الزبير فأسلم،

ولم يعقب، وكانت للزبير بنات منهنّ ضباعة بنت الزبير، كانت تحت المقداد بن الأسود، وأمّ حكيم بنت الزبير، وأمّا أبو طالب فولد عليّاً عليه السلام، وعقيلاً، وجعفراً، وأمّ هانيء وأمّهم فاطمة بنتُ أسد بنُ هاشم بنُ عبد مُناف، وأسلموا كلّهم وأعقبوا غير طالب بن أبي طالب، وأما العبّاس بن عبد المطلب فولّد إثني عشر نفراً[1]. عبد الله، وعُبيد الله، والحاث، وأُميّة، وعبد الرحمن، ومعبداً، وقُثم، والفضل، وثماماً، وكثيراً، وصفيّة، وأم حبيب، أسلموا، وأعقبوا إلاّ الفضل فإنّه لم يعقب، وسنذكر أخبارهم في موضعها.

[عمّات رسول الله ﷺ]:

أمّا برّة بنت عبد المطّلب، فكانت عند عبد الأسد بن هلال المخزوميّ، فولدت أبا سلمة بن عبد الأسد رضيع رسول الله ﷺ، وأمّا صفيّة بنت عبد المطلب، فكانت عند العوّام ابن خويلد بن عبد العزّي، فولدت له الزُبير بن العوّام، وأمّا أميمة بنت عبد المطّلب، فكانت عند جحش بن رياب الأسديّ فولدت له زينب بنت جحش، وحَمْنَة بنت جحش، وعبد الله بن جحش.

[أظآر رسول الله ﷺ[2]]:

يقال: أنّ أوّل سن أرضعته قبل حليمة بنتَ أبي ذُوَيْب إمرأة بمكة من أهلها يقال لها: ثُوبية، أرضعت رسول الله ﷺ، وأبا سلمة بن عبد الأسد هما رضيعاه، ثُمّ استُرْضع من حليمة بنت أبي ذُوَيب، واسم أبي ذُوَيْب عبد الله ابن الحارث من بني بكر بن هوازن، واسم زوج حليمة الحارث ابن عبد العزّي من بني سَعْد، وإخوةُ رسول الله من الرضاعة عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وجذامة بنت الحارث، ولقبها الشَّيْماء[3]، وكانت حليمة أرضعت أبا سفيان بن حرب، فكان أخاه من الرضاعة، وأسلم عام الفتح، وكانت حاضنة رسول الله ﷺ، أم أيمن مولاة أُمّ أُسامة بن زيد، وأسلمت حليمة وأولادها وزوجها.

---

(١) النفر: الرهط ما دون العشرة من الرجال، ومنهم من خصص فقال: للرجال دون النساء لأن النفر تقال لقوم ينفرون معك ويتنافرون في القتال، والقتال للرجال دون النساء.

(٢) أظآره: الظير بالكسر العاطفة على ولد غيرها المرضعة له في الناس وغيرهم للذكر والأنثى (ج) أظؤر وأظآر.

(٣) الشيماء: الشيم: كانت به شامة أو كثرت في بدنه الشامات فهو أشيم، وهي شيماء، والشيمة بالكسر الطبيعة ويُهمز، وتشيّم أباه أشبهه فيها والتراب الذي يُحفر في الأرض.

ذكر زوجاته:

اختلفوا في عددهنّ، فأكثر ما قالوا سبع[1] عشرة إمرأة، سِوَى السراري أولاهنَّ خديجةُ بنت خُويلد، ثمّ سَوْدة بنت زَمْعة، ثم عائشةَ بنتَ أبي بكر، ثم حَفْصة بنت عمر، ثم زَينَبَ بنت خُزَيمةَ، ثم زينبُ بنت جَحْش، ثم أمُّ حبيبة، ثم صَفِيَّة بنت حُيَيّ بن أخطب، ثم جُوَيْرية بنت الحارث بن ضِرار، وتزوّج عمرة بنت زيد الكلابية، وكانت قبله تحت الفضل بن عبّاس، قال ابن إسحق: كانت حديثة العهد بالكفر، فلما قَدمت على رسول الله استعاذت منه، فقال معاذ: منيع فطلّقها قبل أن يدخل بها، ويقال: أنّ رسول الله دعاها، فقالت: إنّا نُؤتِي ولا نأتي فردّها، وقال قومٌ: بل هي أميمة بنت النعمان بن شراحيل، فلما دخل عليها النبيّ ﷺ قال: هبي لي نفسك، قالت: وهل تهبُ المِلكةُ نفسها للسُوقة فقال: الحقي بأهلك، ويقال: بل هي مُليكة الليثيّة، والله أعلمُ.

وتزوج أسماءَ بنت كعب الجونية، فلم يدخل بها حتى طلّقها، يقال: رأى لمعةً من برص، وتزوّج فاطمة بنت الضحّاك، فطلقها قبل الدخول، وتزوّج إمرأة من بني بكر يقال لها: عُمارة وصفها له أبوها، ثم قال: وأزيدك أنّها لم تمرض قطُ، فقال: ما لها عند الله من خَلاق، وطلّقها.

ومن سراريه ماريَة القِبْطية، وريحانة القُرظيّة، ولم يمُتْ من نسائه قبله إلاّ اثنتان خَديجة بنت خويلد، وزَيْنَب بنت خُزيمة، وقُبض رسول الله ﷺ عن تِسْعٍ، عائشة، وحفصة، وأمّ حبيبة، وصفيّة، وجُويرية، وسودة، وميمونة، وزينَبَ بنت جَحْش، خديجة بنت خُوَيْلد بن أسَد بن عبد العُزّي بن قُصَيّ.

وأمّها فاطمة بنت زائدة من عامر ابن لُؤَيّ؛ وتزوّجها النبيّ ﷺ وهي ابنة أربعين سنة، ورسول الله ابن خمس وعشرين سنة، وكانت قبله تحت عَتيق بن عبد الله، ويقال: ابن عائذ، .وولدت له جارية، ثم خلّفه عليها أبو هالة هند بن زرارة، فولدت له هنْد بن هند، ربّاه رسول الله ﷺ، هذه رواية سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة، وأمّا ابن إسحق فإنّه يقول: اسم أبي هالة النباش بن زرارة قال: وولدت له رجلاً وإمرأة وولدت لرسول الله ﷺ ولده كلّهم، إلاّ إبراهيم بن مارية، ومكثت عند النبي ﷺ خمساً وعشرين سنةً، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وكانت وزيرَ صِدْقٍ لرسول الله ﷺ، فآزرَته بنفسها، وأعانته بمالها، وظاهرته

(١) في السيرة النبوية: كنّ تسعاً، ويقال: ثلاث عشرة، جـ ٤ ص ٢٣٩.

بعشرتها، وكان لها جسم وجمال وشرف وعقل، وقد قيل: أنّها أوّل من أسلم وصلّى بعد رسول الله ﷺ، قال ابن إسحٰق: حدّثني هشام بن عُروَة، عن أبيه، عن عائشة عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أُبشّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ في الجنّة من قَصَبٍ[1] لا صَخَبَ فِيهِ ولا نَصَب»[2] قال عبد الملك بن هشام: القصب اللؤلؤ المجوّف قال ابن هشام: حدّثني من لا اتّهمُه أنّ جبريل عـم أتى رسول الله ﷺ فقال: «أقرأ خديجة السلام من ربّها» فقالت: الله السلامُ ومنه السلامُ، ثم تُوفّيت رضي الله عنها بعد خروجهم من الشِعْب بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيّام، وقبل الهجرة بثلاث سنين، فتزوّج بعدها سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَة ودفنها رسول الله ﷺ، ولم يُصَلِّ عليها لأنّه لم يكن سنّة الموتى الصلاة عليهم، سودة كانت قبل رسول الله ﷺ، عند السكران ابن عَمْرو من بني عامر بن لؤيّ أخي سُهيل بن عمرو صاحب صُلح المشركين، وكان السَّكْرَان قد أسلم، وهاجر بسودة إلى الحبشة، فمات بها، فخلفها عليه رسول الله ﷺ.

عائشة: تزوّجها بمكّة قبل الهجرة[3] بسنة، وهي ابنة سبع[4] سنين وبَنَى بها بالمدينة، . ودخل بها بعد البناء بسنة، ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة، وكانت بيضاء مُشْرَبة حمرةً، فكان رسول الله ﷺ يسمّيها الحميراء، ويكنّيها أُمّ عبد الله ولم يتزوّج غيرها بكْراً، وكانت برزة من النساء، جَلْدةً لبيبةً فصيحةً، راوية للشعر، حافظة للأخبار، ولها أحاديث نذكرها في قصّة الجمل وأمّها أمّ رومان وعبد الرحمن بن أبي بكر منها، وتوفّيت عائشة في زمن معاوية، وقد قاربت السبعين، فقال لها: ألا ندفنك في بيتك مع رسول الله ﷺ؟ قالت: لا لأنّي قد أحدثتُ بعده ورُوي أنّها بكت على ما كان منها حتّى كفّ بصرها.

حَفْصَةَ: كانت قبل النبي تحت حبيش[5] بن عبد الله بن حُذَافة السَّهميّ وهي التي حرّم رسول الله ﷺ من أجلها، فأنزل الله: ﴿يا أيُّهَا النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحلّ اللهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] وتوفيت في زمن عثمان.

---

(١) قصب: اللؤلؤ المجوّف، والخيوط الذهبية.

(٢) نصب: التعب.

(٣) قيل: تزوج بعائشة رضي الله عنها قبل الهجرة بسنتين، وقيل: تزوجها بعد وفاة خديجة، ودخل بها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة أيام، «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٠».

(٤) قيل: إنه تزوجها وهي بنت ست سنين، وبني بها في المدينة بعد الهجرة بسبعة أشهر، مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٢.

(٥) في السيرة النبوية: حُتيس بن حُذافة السَّهمي، جـ ٤ ص ٢٤٠.

زينَبَ بنت خزيمة بن صعصعة: ويقال لها: أمّ المساكين؛ لرحمتها ورقّتها لهم، وكانت تحت عُبَيْدَة بن الحارث، ويقال: كانت تحت الحصين بن الحارث وماتت قبله.

زينَبَ بنت جَحْش: أمّها أميمة بنت عبد المطّلب، فهي ابنة عمّة رسول الله، وكانت تحت زيد بن حارثة فطلّقها، وتزوّج بها رسول الله ﷺ، وقصّتها في سورة الأحزاب وكانت إمرأة جسيمة، وهي أوّل من لحق بالنبيّ من أزواجه بعده وأوّل من حُملت في النعش، وكانت خليقة، فقال عُمر: نعم خِبْ[1] الظعينة[2]، وصارت سنّة، وذكروا أنّ عمر بعث إليها بعطائها مئة ألف، ففرّقته في الساعة، ثم رفعت يديها وقالت: اللّهم لا تدركني عطاء لعمر بعد هذا، فلم يُدركها.

أمُ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب: ومن هاهنا يقال: أنّ معاوية خال المؤمنين، وكانت تحت عُبَيْد الله بن جَحْش أخي زينب بنت جحش، زوّجةُ رسول الله ﷺ، وكان هاجر بها إلى الحبشة، فتنصّر عُبَيْد الله بن جَحْش، ثم مات بها وهو الذي كان يقول: فقّحْنا[3] وصأصأتُمْ، فبعث النبيّ ﷺ عمرو بن أميّة الضمريّ، فزوّجها منه النجاشيُّ، فأصدقها عن النبيّ ﷺ أربع مائة دينار، وتوفّيت في أيّام معاوية، وقد قال بعض المفسّرين في قوله عزّ وجلّ: ﴿عسى اللهُ أنْ يَجْعَلَ بينكُمْ وبينَ الذينَ عادَيْتُم منهُمْ مودَّةً﴾ [الممتحنة: ٧] أنّها كانت حبيبته، والله أعلم، وكان قدومها مع قدوم جعفر بن أبي طالب.

أم سلمة بنت المخزومي: اسمها هند كانت تحت أبي سَلَمَة بن عبد الأسد، وولدت له عمرو بن أبي سلمة وزينب بنت أبي سلمة، وتوفّيت في أيّام معاوية.

قال ابن إسحٰق: تزوّجها رسول الله ﷺ، فأصدقها فِرَاشاً حَشْوهُ ليفٌ وقَدَحاً وصَحْفةً[4] ومجَشَّة[5].

مَيْمُونَةَ بنت الحارث: من بني عامر بن صعصعة أُخت أُمّ الفضل بنت الحارث، كانت

---

(١) خبأ: يقال: إمرأة خباة لازمة بيتها، والخبء ما خبيءَ وغاب كالخبيء والخبيئة، والمخبأة: الجارية المخدرة لم تتزوج بعد.

(٢) الظعينة: المرأة ما دامت في الهودج، والهودج تكون فيه المرأة. أو المرأة والهودج بلا قيد.

(٣) «فقحّنا وصأصأتم: أي إنا قد فتحّنا أعيننا فأبصرنا ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك.

(٤) الصَّحفَةُ: شبه قصعة متسعة منبسطة تُشبع خمسة رجال. و ـ: وعاء الأكل الكبير الذي يطوف به النُّدُل على الآكلين (ج) صحاف.

(٥) مجشّة: الرّحى أو نوع منها تطحن الحبوب طحناً غليظاً ولا تجعلها دقيقاً.

تحت العبّاس بن عبد المطّلب أمّ عبد الله بن العبّاس، تزوجّها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء، وأَوْلَمَ عليها بَحيْس وبَنَى بها بسَرِف، وهو على عشرة أميال من مكّة، وماتت بسرف وهي معتمرة في ولاية عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وكانت قبله تحت أبي إبراهيم بن قيس، ويقال: أبي سترة بن أدهم بن قيس.

صفيّة بنت حُيَيِّ بن أخطَب النضريّة: كانت تحت كِنانَةَ بن أبي الربيع، فلما افتتح خيبر أُتِيَ بكنانة، وقيل: أنّ عنده كنز بني النضير، فدفعه النبيّ ﷺ إلى الزبير بن العوّام وقال: عذّبه حتى نستأصل ما عنده، فجعل الزبير يقدح بزند في صدره حتّى أشرف على الموت ثم ضرب عنقه، وأُتِيَ بإمرأته صفيّة، وبعينها أثر لطمة، فقال رسول الله ﷺ: ما هذه؟ قالت: رأيتُ في المنام كان القمر من السماء وقع في حَجْري، فقصصتُها على كنانة، فقال: «يمسي ملك الحجاز محمّد فأعتقها رسول الله ﷺ، وجعل عتقها صداقها، وتوفّيت في أيّام عثمان بن عفان، وكانت أُعطِيَتْ من الجمال حظًّا جسيماً.

جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث بن أبي ضِرَار: سيّد بن المُصْطَلَق سُبيت فيمن سُبيت في غزاة بني المُصْطَلَق، فوقعت جويرية في قسم ثابت بن زيد بن شمّاس الأنصاريّ، فكاتبته على نفسها، وكانت إمرأةً حُلوة الملاحة لا يراها أحدٌ إلاّ أخذته بجامع قلبه، فأتت النبيّ ﷺ تستعينه في قضاء كتابتها، فقال: «هل لك في خير من ذلك»؟ قالت: وما هو؟ قال: «أَقْضِي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وأَتزَوَّجُكِ» قالت: نعم، ففعل.

وخرج الخبر إلى الناس، أنّ رسول الله ﷺ تزوّج جويرية بنت الحارث، فقالوا أصهارُ رسول الله، فأرسلوا كلَّ ما بأيديهم من سَبْي بني المُصْطَلَق، فلم يكن إمرأة أعظم بركةً منها على قومها، ولا أدري تحت من كانت قبله، وتوفّيت في أيّام معاوية، واختلفوا في التي وهَبَتْ نفسها للنبيّ، قال ابن إسحٰق: هي ميمونة بنت الحارث، فلما انتهت إليها خطبة النبيّ ﷺ، وهي على بعير، فقالت: لِلْبعيرُ وما عليه لرسول الله، ويقال: خَوْلَة بنت حكيم، ويقال: بل كانت زينب بنت جَحْش، وكانت تقول: أنا زوّجنيه الله بعد زيد، ويقال: أم شريك بنت جابر، وروى شعبة عن الحكم، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] قال: ما تهبْ...

[أولاد رسول الله ﷺ]:

كانوا سبعةً، ويقال: ثمانية، وكلّهم[1] من خديجة إلاّ إبراهيم فإنّه من مارِيَة القبطية،

---

(١) انظر «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٨».

وروى سعيد بن أبي عروة عن قتادة قال: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ عبد مناف في الجاهلية، وولدت له في الإسلام غلامين، وأربع بنات.

القاسم: وبه كان يُكنّى أبا القاسم، فعاش حتّى مشي، ثمّ مات وعبد الله مات صغيراً، وأمّ كلثوم، وزينب، ورقية، وفاطمة، وروى أبان عن مجاهد قال: مكث القاسم سبع ليالٍ ومات، وفي كتاب ابن إسحٰق أكبر بنيه القاسم، ثم الطيّب، ثم الطاهر، وأكبر بناته رُقية، وزينب، ثم أمّ كلثوم، ثم فاطمة، قال: فأمّا أبناؤه، فهلكوا في الجاهليّة، وأمّا بناته، فأدركن الإسلام وهاجرن، قال الواقديّ: لم أرَ أصحابنا يُثبتون الطيّب، ويزعمون أنّ الطيّب هو الطاهر، ومات القاسم والطاهر قبل النبوّة، وقال قوم: بل سُمّي الطيّبُ الطاهر لأنّه ولد في الإسلام، والله أعلم.

وأمّا إبراهيم بن رسول الله، فأمّه مارية القبطية، وكان المقوقس ملك الإسكندرية بعث بها مع أُختها شيرين، فوهبها رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت الشاعر عِوَضاً من الضربة التي ضربه صفوان بن المُعطّل في شأن الإفك، فولدت له عبد الرحمن بن حسّان، فهو ابن خالة إبراهيم، وتوفّي[1] وهو ابن سنة وعشرة أشهرُ، فقال النبيّ ﷺ: «إنّ له مُرضِعة تُتمّ رضاعَهُ في الجنّة، وإنّه من عصافير الجنة» وكُسِفَتْ الشمس في ذلك اليوم، فقالت الناس: إنّما كُسفت لموت إبراهيم فقال النبيّ ﷺ: «إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فافزعوا إلى الصلاة» ودفنه عند عثمان بن مظعون وقال: العينُ تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول ما يُسخِط الله، وماتت مارِيَة في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.

رُقيّة بنت رسول الله ﷺ: كان زوجها عُتْبة بن أبي لهب، وزوّج أمّ كلثوم عُتَيْبة ابن أبي لهب، فمشى إليهما قريش وقالوا: طلّقاها ونزوّجكما مَنْ شِئْتما من أشراف قريش، فطلّقاها، فزوّج رسول الله رُقيّة عثمان بن عفّان، وهاجرت معه في الهجرتين إلى الحبشة، وأسقطت في الهجرة الأُولى علقةً في السفينة، فهذا يدلّ أنّها كانت وَلدت في الجاهليّة، ثم ولدت لعثمان عبد الله بن عثمان، وبلغ ستّ سنين، فنقره ديك في عينه فطمر وجهه فمات، وماتت[2] رُقَيّة بنت رسول الله سنة ثلاث من الهجرة بالمدينة، فزوّج النبيّ عثمان أمّ كلثوم،

---

(١) توفي وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، وقيل غير ذلك، «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٧».
(٢) توفيت رُقية سنة اثنتين من الهجرة، «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٥».

فمَكَثَتْ عنده خمس سنين، وتوفّيت[1] سنة ثمانٍ من الهجرةِ، فرُوي أنّ النبيّ ﷺ قال: لو كانت عندنا ثالثة لزوّجناها أبا عمر، وبهما يُكنّى ذا النورين.

زينب بنت الرسول: كان زوّجها أبا العاص القاسم بن الربيع بن عبد العزّي بن عبد شمس، وأمُّه هالة بنت خُويلد أُخت خديجة رضي الله عنها، فكان أبو العاص ابن خالة زينب، وهي ابنة خالته ولمّا طلّق عُتبةُ وعُتيبةُ ابنا أبي لهب رقيّةَ وأُمَّ كلثوم، قالت قريش لأبي العاص: طلِّقْ زينب بنت محمّد، ونزوّجك ابنة سعيد بن العاص فقال: لا أُفارق صاحبتي، وكان رسول الله ﷺ يثني على صهره خيراً، فلما هاجر رسول الله ﷺ وبعث أبا رافع وزيد بن حارثة يحمل أهله وبناته حبس أبو العاص زينب عن الخروج إلى أبيها، ثم أُسر أبو العاص يوم بدر، فبُعثت زينب بمالٍ في فدائه فيه قلادةٌ لخديجة كانت حلَّتْها ليلةَ أُدخلت على أبي العاص فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلادة تذكّر ما مضى، ورقّ لها رقّةً شديدة، وعلم أنّه لو كان بيدها فضلٌ ما بعثت بالقلادة فقال: إن رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرَها، وتردّوا عليها هذه القلادة، فأطلقوا عنه بغير فداءٍ، فسأله رسول الله ﷺ أن يُسرّح ابنته إليه فلما قدم مكّة قال: إلحقي بأبيكِ، فتجهّزت، وخرجت إلى المدينة ثُمّ إنّ أبا العاص خرج في تجارة له إلى الشام، فلقيَتْه سِرِيّةٌ لرسول الله ﷺ، فأخذوا ما معه، وأعجزهم هارباً بنفسه، حتّى دخل المدينة تحت الليل، وأتي زينب بنت رسول الله ﷺ، فأجارَتْه فلما أصبح النبيّ ﷺ، وكبّر لصلاة الفجر صفّقت زينب، وصرخت من صَفّ النساء، وقالت: أيُّها الناسُ، إنّي أَجَرْتُ أبا العاص بن الربيع، فلما سَلَّمَ رسول الله ﷺ قال: «هَلْ سَمِعْتُمْ ما سَمِعْتُ؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال[2]: «أما والّذي نَفْسي بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ أنّه يُجِيرُ على المُسلِمِينَ أدْنَاهُمْ» ثمّ دخل على ابنته، وقال[3]: «أكرِمي مَثْواهُ ولاَ يَخْلُصَنَّ إلَيكِ، فإنّكِ لا تُحَلِّينَ لَهُ» وبعث إلى السَّرِيّةِ فردّوا ما أخذوا من ماله حتّى الشنّة[4] والشظاظ[5]، فاحتمله إلى مكة، وأدّى إلى كلْ ذي حق حقَّه، ثم نادى: «يا مَعْشَرَ قريش، هل بقي لأحد منكم عندي شيءٌ»؟ قالوا: جَزَاكَ الله خيراً، فقد وجدناك مَلِياً وَفِيًا قال: «أشهدُ أنّ لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده

(١) توفيت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة، «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٧».

(٢) في السيرة النبوية: «والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتىٰ سمعت ما سمعتم، إنه يجيرُ علىٰ المسلمين أدناهم»، جـ ٢ ص ٢٢٥.

(٣) في السيرة النبوية: «أي بُنيّة أكرمي مثواه. . .»، جـ ٢ ص ٢٢٥.

(٤) الشنّة: القربة البالية الجلد.

(٥) الشظاظ: خشبة صغيرة عقفاء تجعل في عروتي الكيس.

ورسوله» ثم خرج إلى المدينة، وكانت ولدت زينب غلاماً اسمه عليّ بن العاص وبنتاً اسمها أُمامة، وكان عليّ مسترضعاً في بني غاضرة، فافتصله رسول الله ﷺ وأبوه يومئذٍ مُشرك، وقال: وما شاركني في ابني فأنا أحقّ به منه.

وأمّا أُمَامَة فهي التي رُوي أنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي وأُمامة على عاتقه، فإذا سجد وضعها، وإذا قام رفعها، وتوفّيت زينب سنة عشرة من الهجرة فكانت أُمامة في حجر علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فأوصى إلى المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب أن يزوّجها، وقال: إني أخافُ أنْ يتزوّجها معاوية، فتزوّجها المغيرة، وكان قاضي المدينة في زمن عثمان، فولدت له يحيى بن المغيرة ولم يُعقب.

فاطمة: هي أصغر بناته، زوَّجها من علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد مَقْدمه المدينة بسنةٍ، وأصدقها ثمن دِرْع له أربع مائة درهم، وبنى بها بعد النكاح بسنة، فولدت له الحسن سنة ثلاث من الهجرة، وعلقت بالحسين، وكان بين العلوق والوضع خمسون يوماً، وولدت محسناً، وهو الذي تزعم الشيعة أنّها أسقطَتْه من ضربة عُمَر، وكثير من أهل الآثار لا يعرفون محسناً، وولدت أمّ كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى، فكان جميع ما ولدت فاطمة خمسة نفر، وتوفّيت فاطمة بعد النبيّ بمائة يوم، ويقال: بثلاثة أشهُر، ولم يُبايع عليٌّ أبا بكر ما لم يدفن فاطمة.

وذكر ابن دأب أنّها ماتت عاتبةً على أبي بكر وعمر، والله أعلم، وكانت أحبّ البنات إلى رسول الله، وألطفهنّ به، ولم يتزوّج عليٌّ عليها حتّى ماتت رضوان الله عليهم أجمعين.

حفدة رسول الله ﷺ:

عبد الله بن عثمان، وعليّ بن أبي العاص وأُمامة بنت أبي العاص، والحسن، والحسين ومحسن، وأمّ كلثوم وزينب ثمانية نفر.

[مماليكه وعبيده]:

زيد بن حارثة بن شرحبيل الكَلْبيّ، وأبو رافع واسمه سالم، وسفينة، ويسار، وأبو مُوَيْهبة، وثوبان، وشُقران، وأبو كبشة وأبو ضمرة، ووهبة، وفضالة، ومِدْعَم، وأنجشة، ومن الإماء ريحانة القرظية، ومارِيَة القبطّية، وصفيّة، وأمّ أيمن، ويقال: ورثها من أبيه وكذلك يقال: في شُقران، وأمّا أبو بكرة نُفيع بن الحارث بن كَلَدَة طبيب العرب، فإنّ

النبيّ ﷺ لما حاصر الطائف قال: «أيّما عبد نزل فهو حُرٌّ» فتدلّى أبو بكرة وأمُّه سُمَيّة أم زياد بن أبي سفيان ومات أبو بكرة عن أربعين ولداً من بين ذكر وأنثى، فغيّر معاوية وَلاءَه، وجعله في ثقيف إلى أنْ ردّه المهديُّ إلى وَلاء رسول الله ﷺ، وردّ نسب زياد بن عبيد من نسبهم إلى أبي سفيان إلى أبيهم عُبيد، وكتب به كتاباً إلى عُمّال النواحي والأطراف حتّى قُرِئت على المنابر، وشاع ذلك في الناس.

زيد بن حارثة: قال بعض الرُواة: أنّ خديجة ابتاعته من سوق عكاظ بأربع مائة درهم ووهبته للنبيّ ﷺ، فأعتقه، وتبنّاه، وكان يقال له: زيد بن محمّد حتّى نزل: ﴿ادعُوهُم لآبائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وزوّجه رسول الله ﷺ أمَّ إيمن مولاته، فولدت له أُسامة بن زيد، ولأُسامة ابنان يُروى عنهما محمد ابن أُسامة، والحسن بن أُسامة.

وروى ابن إسحٰق أنّ ابن أخ لخديجة قدم من الشام برقيق، فوهب لخديجة زيداً، وكان ظريفاً لَبِقاً فاستوهبه منها رسول الله ﷺ، فوهبته له فأعتقه، وتبنّاه، وكان حارثة أبوه قد جزع جزعاً شديداً، فجاءه في طلبِهِ، وهو يقول: [طويل]

بَكَيْتُ عَلَى زيْدٍ ولَمْ أدرِ ما فَعَلْ ... أَحَيٌّ فيُرجَى أم أتَى دُونَه الأجَلْ
فوالله ما أدْرِي وإنّي لسَائِلٌ ... أَغَالَكَ عنّي[1] السَّهْلُ أم غَالَكَ الجَبَلْ
وياليتَ شِعْري هَلْ لكَ الدّهرَ أَوْبةٌ ... فَحَسْبي من الدُّنْيا رُجُوعُك[2] إنْ بَجَلْ
تُذكِّرنيهِ الشّمسُ عِندَ طُلُوعِها ... ويَعرِضُ ذِكْرَاهُ إذا غَرْبُهَا أفَلْ
سأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ ما عِشْتُ جَاهِداً ... ولا أسْأَمُ التَّطْوافَ أو يَسْأمُ الجَمَلْ[3]
حيَاتي أو يُقضَى[4] عليَّ مَنيّتي ... فكلُّ امْرِئٍ فَانٍ وإنْ غَرَّهُ الأمَلْ

فقال له النبيُّ ﷺ: «إنّ شئتَ فأقِمْ عندنا[5]، وإنْ شِئتَ فانطَلِقْ مَعَ أبيكَ» فقال: أُقيم عندك؛ فلم يزل عنده إلى أنْ قُتل بمؤتة[6] رحمه الله.

---

(١) في السيرة النبوية: بعدي، جـ ١ ص ٢١٢.
(٢) في السيرة النبوية: لي، جـ ١ ص ٢١٣.
(٣) في السيرة النبوية: الإبل، جـ ١ ص ٢١٣.
(٤) في السيرة النبوية: تأتي، جـ ١ ص ٢١٣.
(٥) في السيرة النبوية: عندي، جـ ١ ص ٢١٣.
(٦) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام وبها كانت تُطبع السيوف. وهي القرية التي قُتل بها جعفر بن أبي طالب.

أبو رافع: يقال: أنّ العبّاس كان وهبه النبيّ ﷺ، فلمّا بشّره بإسلام العبّاس أعتقه، وزوّجه مولاةً له اسمها سَلْمَى، فولدت له عبد الله، وعُبيد الله، فأمّا عبد الله، فكان من أشراف المدينة، وأمّا عبيد الله، فكان كاتب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

سفينة: يقال: اسمه مِهْران، ويقال: رباح، وسمّاه رسول الله ﷺ سفينةَ لأنّهم كانوا في سفر، فكان كلّ من أَعْيَى وكَلَّ ألقى عليه بعض متاعه، ويقال: بل عبر بهم نهراً، وهو الذي روى الخلافة بعدي ثلاثون، ثم يكون المَلِكُ.

شقران: يقال: ورثه من أبيه، ويقال: ابتاعه من عبد الرحمن بن عوف، وأعتقه، وهو الذي روى: أنا الذي طرحتُ القطيفة تحت رسول الله ﷺ في القبر واسمه صالح.

ثوبان: يكنى أبا عبد الله، وهو الذي روى في مسجد دمشق: أنا الذي صببتُ الماءَ على يدَي رسول الله ﷺ، وأعطيته قدحاً فأفطر، ومات بحمص، وله بها دار صدقة.

يسار: كان نوبيًا وهو الذي قتله العُرَنيون حين أغاروا على لقاح[1] رسول الله ﷺ وقطعوا رجليه ويديه، وغرزوا الشوك في لسانه وعينَيْه.

أبو كبشة[2]: اسمه سُليم، توفّي أول يوم استُخلف فيه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فصلّي عليه ودفن.

مدعم: وهو الذي غلّ قطيفة من غنائم خيبر، فقال النبي ﷺ بعد ما استُشهد: «إنّ الشملة[3] التي غلّها يوم خيبر تحترق عليه في النار».

أبو ضميرة: مولى رسول الله ﷺ، وهو ممّا أفاء الله عليه. وكتب له كتاباً في الإنتماء، فهو في أيدي ولده إلى اليوم.

أبو مويهبة: هو الذي خرج مع رسول الله ﷺ إلى البقيع، فاستغفر الله، فرجع ليلة ابتداء شكواه. وهبة وفضالة: مما أفاء الله عليه.

أنجشة: هو الذي كان يحدو بالظعن، فقال له: «رُويداً يا أنجشة» ويقال: سلمان من موالي رسول الله ﷺ، ولذلك قال سلمانُ: منّا أهل البيت، وأنسُ بن مالك خدم رسول الله ﷺ عشر سنين.

---

(١) اللقاح: النوق اللبون.

(٢) أبو كبْشة: قيل: اسمه سليم، ويقال أيضاً: أنه فارسي الأصل ومن مُوَلّدي أرض دوس، وقد شهد المشاهد كلها مع الرسول (ﷺ) ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، «السيرة النبوية جـ ٢ ص ١٠٠».

(٣) الشُّملة: بالضم والفتح سفينة الحَبُّ والسَّويق والتمر.

[دوابه ودوابّه]:

حُفظ له ستّة أزوُس من الخيل، السَكِبُ[١]، ولزاز[٢] والظرب[٣] والورد[٤]، واللحيف[٥]، والمرتجز[٦]، وهو الذي ابتاعه من الأعرابي ثم ساومه غيرُه بأكثر من ذلك، فأنكر الأعرابي أن يكون باعه رسولَ الله حتّى شهد خُزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، فقال له النبيّ ﷺ: «أتشهد على ما لم تَرَه؟» فقال: بلى أشهد على الوحي، ولا أراه فأقام شهادَته مُقامَ شهادتَيْن، وكانت له بغلة، يقال لها: دُلدُل بعثها المقوقس ملك الإسكندرية مع مارية، وبقيت إلى زمن معاوية، وحمارٌ يقال له: يعفور، وكان له من النوق العضباء[٧]، والجدعاء[٨]، والقصواء[٩]، وكانت لِقاحُه التي أغارت عليها عُيَيْنة بن حصن عشرين لقحةً، وكان اسم سَيْفه ذا الفَقار.، واسمه دِرْعه الفاضلة، واسم عمامته السحّاب، وله من الضياع وقُرى، عربية، وفدك[١٠]، والنضير، وكثير من خيبر، وحمل إليه العلاء بن الحضرميّ من مال البحرين مائة وثمانين ألفاً، وكان نفقتُه في تسع بيوت دارّة.

[معجزات رسول الله ﷺ]:

اعلم أنّ هذا الباب يستعظمه أهل الشكّ والإلحاد لما فيه من مخالفة الطبع، والخروج عن العادة، وقد جرى في الردّ على منكري الرُسُل والرسالة وإيجاب النبوّة، ما يغني عن

---

(١) السكب: الخيل الجواد أو الدّريع والخفيف الروح والنشيط، والأمر اللازم، وأول فرس ملكه النبي (ﷺ) وكان كُميتاً محجّلاً، مطلق اليُمنىٰ.

(٢) لزاز: اسم فرس للنبيّ (ﷺ) أهداها المقوقس مع مارية.

(٣) الظرب: ما نتأمن الحجارة وهو اسم فرس للنبي (ﷺ).

(٤) الورد: الورد من الخيل بين الكُميت والأشقر.

(٥) اللحيف: اسم فرس لرسول الله (ﷺ) لأنه كان يلحف الأرض بذنبه، أهداه له ربيعة بن أبي البَراء.

(٦) المرتجز: فرس للنبي (ﷺ) سمُي بالمرتجز لحسن صهيله اشتراه من سواد.

(٧) العضباء: الناقة المشقوقة الأذن، ومن آذان الخيل التي جاوز القطع رُبعها، ولقب ناقة النبيُّ (ﷺ) ولم تكن عضباء وإنما هو لقب.

(٨) الجدعاء: الجدع قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة، والجدعاء ناقة رسول الله (ﷺ) ولم تكن جدعاء وإنما هو لقب.

(٩) القصواء: حذف في طرف أذن الناقة والشاة بأن يقطع قليل. قصاها قصواً وقصّاها فهي قصواء والقصواء ناقة رسول الله (ﷺ) ولم تكن قصواء وإنما هو لقب.

(١٠) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله علىٰ رسوله (ﷺ) في سنة سبع صلحاً.

الإعادة لأنّ سبيل نبيّنا ﷺ في ذلك سبيل سائر النبيّين عتم، غير أنّ في هذه الأخبار ما يتواتر به الرواية، ومنها ما ينفرد به راوٍ واحدٌ وينقطع عن الإتّصال بالسند، ومنها ما ينطق به القرآن أو يدلّ عليه أثر، وتشهد به كتب الله سبحانه المنزّلة، وقد صنّف المسلمون في هذا كُتُباً كثيرة جمّة أهل الأثر بالأثر والأخبار وأهل النظر بالشواهد والدلائل، ولو قلتُ أنّها تستغرق فصول هذا الكتاب، أو توازيها لما اشتَطَطْتُ، فأردتُ أنْ أُضمّن هذا الفصل منها قدراً لئلاّ يخلو الكتاب من ذكرها، رُوي أنّ النبيّ ﷺ سُئل: متى كنتَ نبيًّا؟ قال: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين» ورُوي أنه قال: «وآدم منجدل في طينته» وقد قال العبّاس في مدحه: [منسرح]

مِـن قبلها طِبْـتَ فـي الظِـلاَلِ وفـي ... مُستـودَعٍ حيـثُ يُخْصَـفُ الـوَرَقُ
ثُـمَّ هبطْـتَ البـلادَ لا بَشَـرٌ ... أنـتَ ولا مُضْغَـةٌ ولا عَلَـقُ
بـل نُطفـةٌ تـركـبُ السَفيـن وقَـدْ ... أَلْجَـم نسْـراً وأَهلَـهُ الغَـرَقُ
تُنْقَـلُ مـن صـالـب إلـى رَحِـمٍ ... إذا أنقضـى عـالَـمٌ بـدا طَبَـقُ
وأنـت لمـا وُلِـدْتَ أشـرقـتِ ... الأرضُ وضـاءَت بنـورك الأُفُـقُ

وروى بعض الرُواة: أنّ آدم لمّا وقع الخطيّة لقى في الكلمات التي تلقّاها في ربّه، اللّهم بحقّ محمّد إلاّ غفرتَ لي ويذكره بعض الشُّعراء في شعره يمدح أهل البيت: [بسيط]

قـد فَـازَ آدمُ إذْ كنتـم وسيلَتـه ... وكـانَ مـن ذَنْبـهِ مُسْتَشْعِـراً فَـرِقَـا

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿النَبيَّ الأمّيَّ الذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُم في التوراة والإنجيل﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية، وقوله تعالى: ﴿ومُبَشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمُهُ أحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وقال تعالى: ﴿الذينَ آتيناهُمُ الكتابَ يَعرِفُونَهُ كما يَعرِفُونَ أبناءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] وقال تعالى: ﴿قل فَأتوا بالتوراة، فاتلُوهَا إنْ كنتمُ صادقينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وهذا ممّا لا يخالج عاقلاً فيه شكٌّ، ولا تعترضه شبهةٌ في أنّه غير جائز للخصم المخالف أنْ يستشهد على خصمه بما في كتابه وينتصر بالتسمية عليه من غير أصلٍ ثابت عنده، أو مرجوع واضح لدَيْه، وهل الإستشهاد على هذا إلاّ بمنزلة الإستشهاد على المحسوس الذي لا يكاد يقَعُ الإختلاف فيه، فكفى بما تلونا من الآيات دلالةً على صدق ما ادّعينا، وإنْ لم نأتِ بلفظها من التوراة بالعبرانيّة، ولا من الإنجيل بالسُريانيّة، ولو كان النبيّ مُبْطلاً في دعواه لما امتنع القومُ من معارضته بالتكذيب في وجهه، وقَطْع مَادَّتِه، وقد خرّج العلماءُ علاماته، ودلائله من التوراة، والإنجيل وسائر كتب الله المنزَّلة.

[ذكر رسول الله (ﷺ) في التوراة]:

قرأتُ في نسخة أبي عبد الله المازنيّ يا داودُ، قل لسليمان من بعدك، أنّ الأرض لي، أورثها محمداً وأمّته ليست صلاتهم بالطنابير، ولا يقدّسوني بالأوتار، ومصداق ذلك في القرآن: ﴿ولقد كتبنا في الزَّبورِ من بعد الذِّكر أنّ الأرضَ يَرِثُهَا عباديَ الصَّالحون﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وفيه إنّ الله عزّ وجلّ يُظهر من صَهْيُونَ إكليلاً محموداً، قالوا: فالإكليل مَثَلُ الرياسة والإمامة، والمحمود محمد ﷺ.

[ذكر رسول الله (ﷺ) في الإنجيل]:

ذكرهُ في الإنجيل في غير موضع، قال المسيح عـم للحوّاريين: أنا أذهب، وسيأتيكم الفَارقليطا روح الحقّ الذي لا يتكلّم من تلقاءِ نفسه، وهو يشهد لي بما شهدتُ له، وما جئتكم به سرًّا يأتيكم به جهراً وقال: إنّ الفارقليطا روح الحق الذي أرسله أبي باسمي، هو الذي يُعلّمكم كلّ شيء، وقال: الفارقليطا لا يحكم ما لم أذهب وقال ابن إسحٰق: في الإنجيل ما أثبت يُحنّسَ[١] الحواريُّ حيثُ يسبّح لهم من صفة النبيّ ﷺ، لا بُدَّ أن يتمّ الكلمة التي في الناموس، فلو قد جاء المُنْخمنّا بالسُرياني‌ّة محمداً، وبالروميّة البَرَقْلِيطِس، وزعم العُتبيّ أنّ محمّداً بالسريانيّة مشفح[٢]، والله أعلم، وفي التوراة من ذكره وذكر أُمّته، شيء قليل يقول الله عزّ وجلّ في السِفْر الأوّل في مخاطبة إبراهيم عـم: حيثُ دعا لإسحٰق وإسماعيل، وقد أثبتُّ هذا الحرف بخطّ العبرانيّ ولفظه، وبيّنتُ وجوهه وسبيله، وحروفه، لأنّي رأيتُ كثيراً من أهل الكتاب يُسرعون إلى تكذيب هذا الفصل بعد إطباقهم على مخالفة التأويل تقليداً منهم لأوائلهم، وذلك أنّ بخت نصّر لمّا خرّب بيت المقدس وأحرق التوراة وساق بني إسرائيل إلى أرض بابل، ذهبت التوراة من أيديهم حتّى جدّدها لهم عُزيرٌ فيما يحكون، والمحفوظُ عن أهل المعرفة بالتواريخ والقصص: أن عزيراً أملى التوراة في آخر عمره ولم يلبث بعدها أنْ مات، ودفعها إلى تلميذٍ من تلامذته، وأمره بأن يقرأها على الناس بعد وفاته، فعنْ ذلك التلميذ أخذوها ودوّنوها، وزعموا أن التلميذ هو الذي أفسدها، وزاد فيها، وحرّفها فمن ثَمَّ وقع التحريف والفساد في الكتاب، وبُدّلَتْ

(١) يُحنّس: هو يوحنّا.
(٢) مشفّح: المشفّح المحروم الذي لا يُصيب شيئاً.

ألفاظُ التوراة لأنّها من تأليف إنسان بعد موسى، لأنّه يُخبر فيها عمّا كان من أمر موسى عليا السلام، وكيف كان موته ووصيّته إلى يوشع بن نون، وحُزن بني إسرائيل، وبكاؤُهم عليه، وغير ذلك ممّا لا يُشكّل على عاقل أنّه ليس من كلام الله عزّ وجلّ، ولا من كلام موسى، وفي أيدي السامرة توراة مخالفة للتوراة التي في أيدي سائر اليهود في التواريخ والأعياد، وذكر الأنبياء، وعند النصارى توراة منسوبة إلى اليونانيّة فيها زيادة في تواريخ السنين على التوراة العبرانيّة ألف وأربع مائة سنة ونيف.

وهذا كلّه يدلّ على تحريفهم، وتبديلهم إذ ليس يجوز وجود التضادّ فيها من عند الله، فكيف يحتجّون بالنَّقْل، وهذا سبيل نقلهم، وإنّما بيّنتُ لك هذا لئلاّ يُفشِلك قولهم: ليس لمحمّد في التوراة ذِكْرٌ، وهذا موضع ذكره بالعبريّة ثم نعجم تحتها بحروف العبريّة، ثم نُعبّر عنها بلفظها.

ולישמעאל שמעתיך הנה ברכתי אתו

و ل ى ش م ع ل　ش م ع ت ى خ　ه ن ه　ب ر خ ت ى　ا و ث و

ألفاظ العبريّة مُؤَدَّاة بحروف العربيّة.

وليشموعيل شمعتيخو هنه برختى أءثوا

يقول الله تعالى لإبراهيم: سمعتُ دُعاك في إسماعيل هاه باركتُ إيّاه

והפריתי אתו והרביתי אתו במאד מאד

و ه ف ر ى ث ى　ا وثو　وه　رب ث ى　اوث و　ب م اذ　م اذ

ألفاظ العبريّة مؤدّاة بحروف العربيّة

وهفرثي أوثوا وهربثي أوثوا بمآذ مآذ

يقول الله عزّ وجل: وكثّرت عدده وأنميته جدًّا جدّا حتى لا تعدّ كثرته.

שנים־עשר נשיאם יוליד ונתתיו לגוי גדול

ش ن ى م ع س ر　ن س ى ا ى م　ى ول ى د　ون　ث ث ى و　ل غ وى　ج　درل

ألفاظ العبريّة مؤدّاة بحروف العربيّة.

شنيم عوسور نسيايم وليد ونيث ثو لغوي كودول

يقول الله عزّ وجلّ: اثنا عشر ملكاً يُولده وأُظهره لأُمّة عظيمة، وهذا الفصل في تخريجات أصل الإسلام بلفظ العربيّة، يقول الله عزّ وجلّ لإبراهيم: وقد أَجَبْتُ دُعاك في إسماعيل، وباركتُ عليه وباركتُه، وعظّمته جدًّا جداً، وسيَلِدُ اثني عشر شريفاً، وأجعله لأُمّة عظيمة.

ויאמר אדני מסיני בא וזרח משעיר למו

وى ام ر ادن ى م س ى ن ا ب ا وزرح م س ع ى ر ل م و

ألفاظ العبريّة مؤدّاة بحروف العربيّة.

ويومار ادونى مسينى با وزرح مسعير لموا

يقول الله عزّ وجلّ: بأمر الله من طور سيناء ويطلع من ساعير لهم نيراناً.

הופיע מהר פארן ואתה מרבבת קדש

ه وف ى ع م ه ر ف اران وات ه م رب ب وث ق دش

ألفاظ العبريّة مؤدّاة بحروف العربيّة.

هوفيع مهار فران واثا مرببوث قدس

يقول الله عزّ وجلّ: أشرق من جبال فاران ويأتي من ربَوَات القُدس.

מימינו אש דת למו

يقول الله عزّ وجلّ: من يمانيه إنسٌ لهم نارٌ مُشْرقة، وساعير جبال فلسطين، وهو من حدّ الروم، وفاران جبال مكّة بدلالة التوراة أنّ إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران، وهذا الفصل في تخريجات أهل الإسلام بلفظ العربية جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير[1]، واستعلن من جبال فاران، قالوا: ومعنى مجيّه من سيناء إنْزاله التوراة على موسى، وإشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى، واستعلانِه من جبال فاران، إنزاله القرآن على

---

(١) ساعير: في التوراة اسم لجبال فلسطين، وهو من حدود الروم وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا، وذكره في التوراة: جاء من سيناء؛ يريد مناجاته لموسىٰ على طور سينا، وأشرق من ساعير؛ إشارة إلى ظهور عيسىٰ بن مريم عليه السلام، من الناصرة، واستقلن من جبال فاران: وهي جبال الحجاز، يريد النبي (ﷺ).

محمّد ﷺ، وكم في التوراة، والإنجيل من الدلائل عليه، وعلى أصحابه، وعلى مهاجرتهم، وبواديهم، حتى ذكروا أصواتهم، وقرآنهم وهيآتهم في صلاتهم، وقتالهم، ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نورٍ، واعلم أنّ حروفهم حروف أعجميّة لا يمكن اللفظ بها إلاّ بعد تحويلها إلى العربيّة، كالحرف الذي بين القاف والكاف والحرف الذي بين الباء والفاء، ثمّ يقع في قراءتهم المدّ، والإمالة ما يسمع السامع واواً أو ياءًا، ولا صورة له في الخطّ، ولا بُدّ أنْ في كتابتنا، وقراءتنا مقصّراً عمَّنْ يهمز كما يقع التقصير في لغتنا والمراعى في ذلك المعنى لا غير.

وروى الواقديّ بينا كسرى في بيته الذي يخلو فيه، إذْ وقف عليه شيخ أعرابيٌّ قد حنى ظهره وفي يده عصا فقال: يا كسرى إنّ الله عزّ وجلّ قد بعث رسولاً فأَسْلِم تَسْلَم، وإنْ لم تُسلم كسرتُ هذه العصا، فذهب ملكك فقال: أَخِّرْ عنّي هذا اتراءً، ثمّ خرج، فأرسل إلى الحُجّاب، والبوّابين فقطع بعضهم، وقتل بعضهم، وقال: يدخلُ على العربُ بغير اذْنكم فنظر فإذا ذاك اليوم الذي بُعث فيه رسول الله ﷺ، وأوحى الله إليه ثم قال: ثم جاءَه في العام القابل فقال: إنْ أسلمتَ، وإلاّ كسرت العصا، فلم يُسلم فكسر العصا، وذهب ملكه، ودعا رسول الله ﷺ الخلق إلى الله عزّ وجلّ، وتلقّاه ورقةُ بن نوفل في بعض طُرُق مكّة فقال: يا محمّد إنّه لم يُبعث نبيٌّ قطّ إلاّ كانت له علامة، فما علامة نبوّتك؟ قال عـم لشجرة: «يا شجرة تعالي» فأقبلت تَخُدّى في الوادي خذياناً، حتى وقفت بين يديه، فقال ورقة: إنّك لرسول الله.

وروى ابن إسحٰق عن الزُهري، عن عُرْوَة، عن عائشة، قالت: إنّ أوّل ما ابتدىء به رسول الله ﷺ ـ من النبوة ـ الرُؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءَت كفَلَق الصبح، ثم حببت إليه الخَلْوَة، فكان يتحنّث[1] بحراءٍ[2]، ثمّ أتاه المَلَك.

وفي كتاب الزُهري أنّ رسول الله ﷺ: لمّا أتاه الوَحْيُ أقبل منصرفاً إلى منزله فلم يمرّ بحِجَرٍ ولا شَجَرٍ إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله، قالوا: وكان وهبان السُلميّ يرعى في غنم له إذ هجم عليه ذِئْبٌ فأخذ شاة، فشدَّ عليه وهبان، فاستنقذها منه، فنحّى الذئب، وأقعى على ذنبه قال: ويحك تأخذ منّي رزقاً ساقه الله تعالى إليَّ، فقال وهبانُ: ما رأيت

---

(١) يتحنّث: تحنّث: تعبد ليالي كثيرة.

(٢) حراء: حِراء جبل بمكة يسمّىٰ جبل النور، وفيه غارٌ تعبد فيه النبي (ﷺ) قبيل البعثة.

كاليوم ذئباً يُخاطبني، والله إنْ كنّا لنسمع أنّ هذا من أشراط الساعة، فقال الذئب: وأعجبُ منّي أنّ رسول الله بين هؤلاء النخلات، وهو يُومِيء إلى المدينة، ويدعو الناس إلى عبادة الله، وهم يلوُونَ، فأقبل وهبان، حتى أتى رسول الله ﷺ وأسلم وأخبره بما رأى، فقال: «إذا صلّى الناس، فحدِّثهم بذلك» فقام وهبان بعد الصلاة، فحدّث الناس بما رأى، فقال رجل من المنافقين: كذبتَ فقال النبيّ ﷺ: «صدق في أن آيات الساعة تكون قبل الساعة، والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدُكم من أهله، ويخبره عِلاقة سوطه بما أحدث أهلَه بعده، وما من أعجوبة مضَتْ إلاّ وسيكون في أمّتي مثلها» وقد قال بعض أهل التفسير: أنّ في كلام الذئب، نزلت هذه الآية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إلاّ السَّاعةَ أَنْ تأتيَهُم بغتةً، فقد جاء أشراطُهَا﴾ [محمّد: ١٨] وبنو وهبان يُسمُّون بني مُكلِّم الذئب إلى اليوم، وهو أمرٌ مشهور ورُوي أنّ ظبية كلّمته، وكذلك الناضح، وشاة القصّاب، وأنشدت قصيدة منسوبة إلى قُطرب النحويّ يذكر فيها عدّة معجزات ويقول فيها: [طويل]

فمنها كلامُ الذئب للرَّجُل ٱلّذي ... رأى ٱلذِّئب في أغْنَامِهِ يَتَرَدَّد
عَجبتُ لأخْذ الشاة منّي رُزِقْتُها ... وهذا رسول الله يُؤدي وتجحدُ
فخلّي عن الشاة ٱلّتي كان ضمّها ... فأقبل للإسلام يَسْعَى ويَحفدُ

قالوا: ومرّ بغنم لعبد القيس، وهم يسمّونها في وجوهها، فنهاهم وأمرهم بالوسم في الآذان ووسم شاة منها، فبقيت تلك السِمَةُ في أولادها إلى اليوم، وفيها يقول:

وشاةٌ لعبدِ القيسِ مَدَّ بأُذْنها ... فلاحَتْ سماتٌ منه تَبْقَى وتَخْلُدُ
كأنَّ على أولادِها منه ميْسَماً ... يدين عَلَى أولآدها حين تُولَدُ

وشاة أمّ معبد من العجائب، وأمرَها مشهور شائع، وكذلك الشاة المَصْليّة[1] المسمومة الّتي أهدَتْها إليه امرأة سَلاّم بن مِشْكم اليهوديّة، فأخذ منها فلاكها، ولم يسُغْها وقال: «إنَّ هذا الْعَظْمَ يُخبرني[2] أنّه مسموم» ثم لفظ بها.

وكان النبيّ ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر حنّ الجذع حتى أتاه النبيّ ﷺ فالتزمه، وقال: «لو لم ألتزِمه لحنّ إلى يوم القيامة» وفيه يقول:

ومن ذاك جِذْعٌ حنَّ شوقاً إلى النَّبِيْ ... فما زال ساعاتٍ يميد ويسندُ

---

(١) مصليّة: مشوية.
(٢) في السيرة النبوية: ليخبرني، جـ ٢ ص ٢٧٠.

وقـد سمِعـوا صـوتـاً مـن الجـذع نفسـه ... فيـا عجبـاً ممّـن يلـطّ ويُلحِـدُ

ووضع يده ﷺ في ثَرْدةٍ[1] كانت طعام رجُلين، فنزلت فيها البركة حتى صدر عنها ثمِلاثمائة وأكثر، وفيها يقول:

ومنهـا ثـريـدٌ كـان قُـوتـاً لـواحـدٍ ... فـأشبـع منـه الخَلْـقَ والخلـقَ شُهَّـدُ
ثـلاثمـائـة أطعمـوا منـه فـاكتفـوا ... ومـا كـان يكفـي واحـداً يتـزهَّـدُ

والوَوا يوم حَفْر الخندق بعثت امرأةُ عبد الله بن رواحة بكفّ من تمر مع ابنتها إلى زوجها، فأخذ النبيّ ﷺ، فصبّها في ثوب له ثم نادى يا أهل الخندق هلمّوا إلى الغداء فصدروا شباعاً وبقيت بقيةٌ صالحة، وفيه يقول:

وفـي مِـزْوَدٍ إحْـدَى وعشـريـن تَمْـرةً ... بـه جـآءتِ الأخبـار تُـروَى وتُسْنَـدُ
ثـلاثـةُ آلاف قضَـوْا منـه شِبْعَهُـمْ ... ومـا تـركـوا بعـدُ امتـلا منـه مِـزْوَدُ

قالوا: ورمى الكفّارَ يوم بدر بكفّ من تراب، وقال: «شاهت الوجوهُ» فولّوا منهزمين، وكذلك يومَ حُنين، وفيه يقول:

ورمْيَتـهُ الكُفّـارَ بـالتُّربِ فـي الـوَغَـى ... غـداةَ حُنيـن، فـأبْـذعـرّوا وبـدّدوا

قالوا: ومسح وجه ابن ملجان بيده، فصارت في وجهه مسحة ملك وفيه يقول:

ووجـه ابْـنِ مَلْجـانٍ أضـاءَ بكَفّـهِ ... فـأشْـرَقَ لمّـا مَسّـه يَتَـوَرّد

قالوا: وانقطع سَيْفُ عُكاشة بن محصَنٍ في بعض الحروب، فأعطاه جريدة نخل، فصارت صفيحة يمانيّة، فهي عند ولده إلى اليوم، وفيه يقول:

وأعطَـى عُكـاشـا شَطْـر نَخْـلٍ فَهَـزّه ... فصـار يَمَـانيّـا لـه يتـوقّـد

قالوا: وفي الخندق ظهرت كُدْيَة، فأخذ المِعْوَلَ، وضربها ثلاث ضربات رُؤِيَ فيها قصور الشام، واليمن، والمشرق، ففتحها الله عليه وفيه يقول:

وفـي صخـرةٍ يـومـاً عـلاهـا بِمعْـوَلٍ ... أضـاءَت لـه الآفـاقُ والنـاسُ حُشّـدُ

---

(١) ثردة: ثَرَدَ: الخبز فتّه.

قالوا: ولمّا نزل الحُدَيْبية قالوا: كيف تنزل ولا ماءَ؟ فأخرج سهماً من كنانته وغرزه في بئرٍ عاديّةٍ، فجاشت بالماء، وفيه يقول:

ومن ذاك بئرٌ نازحٌ ماؤها ... يجيشُ رُواءً زائداً يتزيَّدُ
وفي الشارف السّاني أدلّ دلالةً ... وفي جمل القصّاب للذّبح مُعْتَدُ

قالوا: وأتاه أعرابيٌّ بضبٍّ، فقال: والله لا أُؤمِنُ بك حتّى يؤمن هذا الضبُّ، فشهد الضبُّ بأنّه رسول الله، وفيه يقول:

وفي الضبّ إذْ قال النبيُّ مُحمّدٌ ... أتشهدُ لي يا ضبُّ؟ قال: سأشْهدُ
وفي الغار قد لانَتْ له الصخرةُ ٱلتي ... إليها ٱلتجا فيه وهو متوسّدُ
وأظهر من عرج يريد علامةً ... على صدقه حتّى ٱلقيامة يشهد

روي أنّه انتهى إلى عَرْج جبل أخلق لا فجّ فيه ولا مسلك، ففرّجه الله له حتى صار طريقاً مَهْيَعاً[1]، قالوا: وأراد الشأم لبعض حاجاته، فاعترض له سَيْلٌ هاب القومُ اقتحامَه، فتقدمهم رسول الله ﷺ، فصار طريقاً يبساً، وفيه يقول:

وقحّم في السيل القُعافِ بعيرَه ... فصار طريقاً يابساً يتجرّدُ

[إخبار رسول الله (ﷺ) في الغيوب]:

فمن ذلك قوله لعمّار بن ياسر: «يقتلك الفئَةُ الباغية» فقتله أهل الشأم بصِفِّينَ، وذكر عمرو بن العاص ذلك لمعاوية فقال: ما تزال تأتينا بِهَنَةٍ تدحض بها في بولك، أنحن قتلناه؟ إنّما قتله عليٌّ حين جاء به، ومنها قوله لأبي ذرٍّ الغفاريّ، وقد تخلّف في بعض مراحل تَبُوك: «تعيش وحدك، وتموت وحدك، فكيف بك إذا أُخرِجْتَ من المدنية لقولك الحقّ» فنُفِي في أيّام عثمان إلى الرَّبَذَة[2]، ومات بها وحده، ومنها قوله بعليّ عـم: «ألا أخبرك بأشْقَى الناس؟» قال: نعم قال: «عاقر ثمود والذي يخضب هذه من هذه» ووضع يده على هامته ولحيته، فضربه ابن مُلجم على رأسه حين قتله ومنها قوله: «كأنّي أنظر إلى سوارَى

---

(١) مهيعاً: هاع: انبسط، طريق مهيع كمقعد بيّن (ج) مهايع، التهيع: الإنبساط. وانهاع الشراب: جرى.
(٢) الرّبذة: من قرى المدينة على ثلاث أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر العفاري رضي الله عنه.

كسرى في يدي سُراقةَ ابن مالك، واللهِ لتُنفِقنّ كنوزَه في سبيل الله» فلمّا حمل سعد بن أبي وقاص خزائن كسرى من المدائن إلى المدينة، فصُبّت الأموال في صحن المسجد، أمر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه سُراقة بن مالك أن يلبس سوارَى كسرى في يديه تصديقاً لقول رسول الله ﷺ، حتى نظر الناس إليها، وشهدوا بصدق رسول الله ﷺ، ومنها ليلة قتل شيرُويَه أباه أبرويزَ، أنّ الله قتل كسرى بعد مُضِيّ سبع ساعات من هذه الليلة، فحسبوا التأريخ، فكان كذلك.

ومنها قوله: لما ضلّت ناقتُه قال المنافقون: إنّه يُخبر عن السماء، ولا يدري أين ناقته؟!! فصعد المنبرَ، وحكى قولهم، ثم قال: «إنّي[1] لا أعْلَمُ إلاَّ ما عَلَّمَني ربّي، وإنها في وادي كذا قد تعلّق زِمامُها بشجرة» فبادر الناس فوجدوها كذلك.

ومنها نعيُه للنجاشيّ إلى أصحابه بالمدينة وهو بالحبشة وقال: «اخرجوا بنا حتّى نصلّي على أخينا»، ثم تتابعت الأخبار بموته في ذلك اليوم، ومنها ليلةٌ أُسرِي به سألوه عمّا رأى في طريقه فقال: «مررتُ بعير بني فلان، فوجدتُ القوم نياماً، ولهم إناءٌ فيه ماءٌ قد غطّوا عليه، فكشفتهُ، فرمى القومُ بأبصارهم إلى الثنيّة، فما ردّوها حتّى طلع العِيرُ يقدمهُم جملٌ أورقُ».

في أخوات لهذه مشهورة في الناس يطول الكتاب بذكرها، فإن قيل: المنجّمة والكُهّان قد يُخبرون عن الكوائن قيل: العادة قد جرَتْ بمعرفة شيءٍ من ذلك بالتكهُّن، والتنجّم من طريق الحساب، ودلائله وذلك عندنا باطل إلاّ بالإتّفاق والبحث، وإذا كان كذلك استوى فيه المنجّم وغير المنجّم، وإنّما الإعجاز في إصابة من يُصيب في جميع ما يخبر به من غير إستدلال بالحساب، ولا بالنجوم وهكذا سبيل الأنبياء صلّى الله عليهم أجمعين، فيما يخبرون به لأنّه الوحي السماويّ.

[دعواته المستجابة]:

من ذلك دعاؤه على مُضَرَ، «اللّهم اجعلها عليهم سنين كسِنيّ يوسف»، فنزل، فأرتقب يومَ تأتي السماءُ بدخان مبين وألحّتْ عليهم سنواتٌ منكرات، حتّى أكلوا الكلاب، والجِيَفَ والقِدّ، والعِلْهِز.

---

(١) «إني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعبٍ كذا وكذا وقد حبستها شجرة بذمامها، فانطلقوا حتىٰ تأتوني بها»، «السيرة النبوية، جـ ٤ ص ١٣٦».

ومنها دعاؤه على عُتبة بن أبي لهب بعد ما طلّق ابنتّه معاداةً له، وقد نزلت سورة النجم، فقال: أنا كافرٌ بربّ النجم فقال النبيّ عليه السلام: «اللهمّ سلِّطْ عليه كلباً من كلابك يمزّق جلده ويمزع لحمه ويهشم عظمه» فلما سمع ذلك أيقن بالهلاك، فارتحل من ساعته إلى الشام فراراً من ذلك، فلما كان في بعض المنازل أتاه السبُعُ، فاختطفه من بين أصحابه، ومزّق جلده، وهشم عظمه.

ومنها دعاؤه لمّا استسقى، وهو على المنبر يوم الجمعة، فرفع بيديه، فما رجعهما حتى هطلت السماءُ، فأرسلت إلى الجمعة القابلة فسألوه أن يدعو ربّه، فقد انقطعت السابلة، وانهدمت البيوت فقال: «حوالَيْنا ولا علينا» قال أَنَسٌ: فتقوّر ما فوقنا كأنّنا في إكليل، وكم مِثْل هذا لا يُحصَى، ممّا وردت به الأخبار الصادقة من ذلك.

دلائل نبوّته من القرآن:

أوّلها نفس القرآن، ونظمه معجزةٌ له ألا ترى كيف حداهم إلى معارضته، ودعاهم إلى مناقضته؟ بقوله: ﴿فَأْتُوا بعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه مُفتَريات﴾ [هود: ١٣] وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢١] ثم قال: ﴿قُلْ لِئَنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كانَ بَعْضَهُمْ لِبَعضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] فجعل القرآن له آيةً باقيةً، ودلالة قائمة يقوم به الحجّة على كلّ من سمع القرآن، وعرف اللغة والبيان، وهو من المعجزات التي أيّد الله بها رسوله، ودلَّ بها على صِدْقه، وصحّة نبوّته، ومنها قوله: ﴿آلم غُلبتِ الرومُ في أدنى الأرضِ، وهُمْ من بعد غَلَبِهِمْ سيَغْلبونَ في بِضْعِ سنين﴾ [الروم: ١ ـ ٤] فكان كذلك ومنها قوله: ﴿سيهزَم الجمعُ، ويُوَلُّون الدُبُر﴾ [القمر: ٤٥] فكان كذلك ومنها قوله: ﴿وعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِم كَثِيرةً تَأْخُذُونَها، فعجَّلَ لَكُم هذهِ﴾ [الفتح: ٢٠] يعني خيبر فكان كذلك فتح الله عليهم الأرض، وأعطاهم أموالها، وخزائنها ومنها قوله عزّ وجلّ: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهُدى، ودين الحق ليُظْهره على الدين كلّه﴾ [التوبة: ٣٣] فكان كذلك ظهر دينه، وعلَتْ كلمتُه على كلّ دين بالسَيْف والحُجّة، ومنها قوله عزّ وجلّ: ﴿اقْتَرَبَتِ السّاعةُ وانْشَق القَمَرُ﴾ [القمر: ١] ولا يقال هذا لمن لم يشاهِدْه ومنها قوله عزّ وجلّ: ﴿واتّقوا فِتْنَةً لا تُصيبَنَّ الذينَ ظَلَمُوا منكُمْ خاصّة﴾ [الأنفال: ٢٥] ومنها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأَصْحَابِ الفِيل﴾ [الفيل: ١] وقصّته من أعجب العجائب، وأصدق الأمور المُشاهَدة شاهَدَ كثير من الخلق ذلك، وشهادةُ الموافق، والمخالف بكونه، وصحّة التأريخ به، وبوقته وهذا

يرحمك الله بابٌ يعجز كتابنا عن استيفائه، ونجتزيء بما ذكرنا عن إستقصائه، والله المعين برحمته.

[شرائع رسول الله (ﷺ)]:

اعلم أنّ أُصول شريعة الإسلام مأخوذة من الكتاب والسُنّة، وهي مشهورة معروفة يُغني القرآن والسُنّة عن تعدادها وتكلُّف القول في تكرارها، لأنّ فقهاءَ الأُمّة قد قاموا بتدوينها، واجتهدوا في تأويلها، وناضَل كلّ قوم عن مذهبهم وإعتلّوا بصحّة عقيدتهم، غير إنّا لم نستجز إخلاء هذا الكتاب عمّا يُلائمه من ذلك، لئلاّ يكون من طريق العجز ذكر شرائع أهل الأديان والسكوت عن شريعتنا، وهي لِمَنْ أشرف الشرائع وأعلى المراتب، وأَعْوَدَه على الخلق في التقيُّد على الحَرْث والنسل وابتغاء الزلفى إلى الله فيما فرض، وأوجب، وأحلّ، وندب، وحتم ثمّ اعتراض هذه الشرذمة الخسيسة الموسومة بالباطنيّة بالطعن على هذه الشرائع، والقدح فيها، وإيراد أغماد الحقد والضغينة للإسلام وأهله يصرف تأويلها عن الظلم المكشوف، والأمر بالمعروف إلى ما لا تعلّق به، ولا يوافقه بوجه من الوجوه، وسبب من الأسباب.

مطلب ما كان عليه الصلاة والسلام يتعبّد ربّه قبل الوحي:

كان رسول الله ﷺ قبل الوحي يقوم بحرّاء، ويعظّم الباري سبحانه، ويمجّده، ويسبّحه من غير كفر بالله، ولا إشراك شيء به، وكان يطوف بالبيت، ويحجّ، ويعتمر، ويتحنّث في حراء، ويُطعِم الناس، ويسقيهم، ويأمر بصلة الرحم، وحُسن الجوار، وكفّ الأذى وإيتاء ذي القربى، وكان يُسمّى في الجاهلية الأَمينُ الصَدُوقُ، لم يتدنّس بشيء من أدناسهم، ولا قَرُبَ من أصنامهم، حتّى أتاه الوحي.

الطهـــارة:

الطهارة واجبة بإيجاب العقل مشهورة بأطباق أهل الأرض لا ينكرها إلاّ ناقصُ، أو جاهلٌ، وجاء في الخبر أنّ المَلَك أوّل ما جاءَ به إلى رسول الله ﷺ الوضوء، وهو غَسْل الأطراف، ثمّ يصلّي به ركعتين، فجعل الطهور مفتاحاً للصلاة، ولا يجوز إلاّ به، وإنّما جعلت الطهارة في حواشي الإنسان لأنّها مُرسَلة منتشرة، وتلاقي من النجاسات ما لا يلاقيها سائر أبعاض البدن، فإن قيل: فما بالُ الوجه يُغْسَل، ولا يباشر به من النجاسات شيءٌ؟

قيل: إنّ النجاسة على ضربَيْن، نجاسة من خارج كالّتي تلاقي، ونجاسة من داخل كالتي تخرج من الجسد، والوجه فيه نُقَبٌ، ومنافذ كالفم، والعين والأنف، فتطهيرُه مستَحبّ في العقل، ومفترَض في الشريعة تأكيداً وتوفيقاً، فإن عُورض بعضو الثُفْل، وهو منفذ النجاسة صِير في الجواب إلى مذهب من يرى غسله بالماء إذا ظهر به أَدْنَى شيءٍ أو لصق بِهِ أثرٌ واجباً مع أنّ ذلك موضع كامنٌ خفيٌّ يمكن أن يجعل حكمه حكْم البواطن التي لا يخلو الحيوان منها، فإن قيل: فلِمَ حكمتم على الطهارة بالنقض عند حدوث الثُفْل[1]؟ قيل: لمّا وجبت الطهارة بإيجاب العقل كما ذكرنا لم يكن بُدٌّ من تحديد وقت لابتدائها، وانتهائها لأنّه إذا لم يُعرَف ابتداءُ الشيءُ وانتهاؤُه لم يُعْلَم الشيءُ نفسه، فجعل خروج الحدَث وقتاً لانتهائها، وحضور الصلاة وقتٌ لابتدائها، وهذه موجبة بموجب الشريعة إذْ كان جائزاً أن يجعل الأكل علّة لنقض الطهارة، وطلوع الشمس، أو غروبها، أو الكلام، أو المشي، أو شيء ما، أو جُعلت الطهارة في بعض الأطراف دُونَ بعض كما لم يُفرض على النصارى دون غسل الوجه واليدين، وكما لم يُفرض على اليهود مسحُ الرأس، ولكن خُولف بينهما للإبتلاء، والإمتحان، والتمييز بين المنقاد إلى الشريعة موجبة بالعقل، فأمّا مخالفة أركانها، وهيئاتها، فمجوّزة له ألا ترى أنّ العقل لا يأبى غسل الأطراف عند وقوع الحدَث، وعند غير وقوع الحدَث، وإن لم يجب غسل ثفل الإنسان عند الحدث لم يأبِ غسل الوجه، واليدين عند الحدث، فينبغي أن ينظر إلى ما يُوجبه العقل، ويجيزه إلى ما يأباه، ويردّه، فَلْيُرِنا المخالف شيئاً من شرائع ديننا يردّه العقلُ، أو ينكره، ولن يقدر عليه بحمد الله ومنّه، والوجه في هذا أن نكلّم في إيجاب الطهارة بنفس العقل، ووجوب مُفتتح لها ومُختتم، ويردّ ما سِوَى ذلك إلى ورود الشريعة للإبتلاء والإمتحان فإن قيل: فما بالُ المنى؟ يوجب الإغتسال ولا يوجبه البَوْل والغائطُ؟ فإنّ هذا سؤال مناقض على ما قدّمنا من الإعتلال ولا يوجبه البَوْل لأنّه لو جعل البول مُوجباً للإغتسال، والمني موجباً للوضوء، لكان جائزاً، ويمكن أن يقال: أنّ المني يتجلّب من جميع البدن، وينبع من عامّة بشرة الإنسان، ألا ترى أنّه يلتذّ بخروجه ما لا يلتذّ بخروج غيره؟ فلذلك أُوجِب عليه إمساسُ الماءِ بشرتَه، وقد حكى بعض السلف: أنّه احتجّ بأنّ المنيَّ كائنٌ منه شيءٌ مثله، وغير كائن من بوله مثله، فلذلك وجبت عليه الطهارة ولستُ أَقِفُ على المعنى فيه، فإنْ قيل: فلِمَ جُعل التُرابُ عِوَضاً عن الماء عند العَوْز فلا يقع به الطهارة كما يقع بالماء؟ قيل: هذا أيضاً ساقط لأنّه بعيدٌ من

(١) الثُفل: ما استقر تحت الشيء من كُدْرةٍ.

موجباتِ الشريعة، ولو كان مكانَه شيءٌ آخر لكان سَواءً، إلاّ أنّ التراب أعمّ وأجدر بالماء في تكفير القاذورات، ولها أطَمُّ، وقد قيل: لأنّه أصلُ الماء، ومنه إستحال وقيل: لأنّه يُطفيء النار كما يُطفئها الماءُ.

الصـــلاة:

الصلاة خضوع وتواضُع، وتذكّر حال تحثّ على الخير، وتزجر عن الفساد، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الصلاةَ تَنْهىٰ عن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وجاء في الخبر: أنّ الصلاة فُرَضتْ أوّلاً ركعتَينْ للصبح، وركعتين للعصر، فزيدت للحضَر، وأُقِرّت للسفَر، قيل: كان رسول الله ﷺ، والمسلمون معه يصلّون ركعتين ركعتين شيئاً غير موقّت ولا مقدّر إثني عشرة سنة بمكة، ثم كانت ليلة المَسْرَى فُرِض فيها خمس صلوات في خمس أوقات، فلم يزالوا يصلّونها ركعتين ركعتين سَنَةً، إلى أن هاجروا إلى المدينة، فجعلوا يتنفّلون في أَدْبارها، ورسول الله ﷺ، يقول: أقبلوا تخفيف ربّكم فيأبَوْن عليه، حتّى كان بعد مقدَمه بشهرٍ يوم الثلاثاء لاثني عشرة خَلَتْ من ربيع الآخِر صلّى بهم الظهر أربعاً، وصار فرضاً، ولو جُعل ستّاً، أو ثمانياً، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو فُرض في اليوم والليلة مرّةً أو مرّتين، أو أكثر، أو لم يُفْرَض، أو جُعل فيها سجدةً واحدةً ركعتان أو ثلاث سجدات، أو لم يُفْرض فيها القيام والقراءَة أو أُمِرَ بتحويل الوجه إلى المشرق، أو إلى الجَنوب، أو ما فُعل من شيءٍ لكان جائزاً كما فُرض على اليهود ثلاث صلوات إلاّ في يوم السبت، وعلى النصارى سبع صلوات، أو جُعل الصلوات على غير هذه الهيئة، كالنوم مَثَلاً، أو كالقعود، أو كالمشي لكان جائزاً، كيف ما تعبّد الخلق به أن يعلم أنّ التواضع للحق، والإعتراف بالفضل واجبٌ بإيجاب العقل، ولا بُدَّ لذلك من عَلَم، ومن آية يعلم بها أهلَه، ويتّخذها المتقرّب ذريعةً إلى الوصول إليها، فجمع في هذه الصلاة من الخصال الموضوعة لباب الخضوع المتعارفة بين الناس، كقيام العبيد بين يدّي أربابهم، وكقيام الصغار للعظماء وكتقبيلهم الأرض، وإلصاق الخدود بها، وينبغي رحمك الله أن تعلم: أنّ العقل لا يردّ الجهر بالقراءة في صلاة الليل، ولا التخافُت بها في صلاة النهار، ولا لم يقصر المغرب عن ثلاث، ولا الفجر عن إثنتين، ولا تُضيّع كلامك بالإكثار في غير موضعه، فإنّ العِيَّ في الإبتداء خيرٌ من العجز في العُقْبَى، وهؤلاء الباطنيّة قومٌ قصدوا بتمويههم نقض الدين، واستئصال المسلمين، فليس ينبغي أن يتمكّنوا من الكلام في مذاهبهم ليتّسعوا فيه، ويتكثروا به، ولكن يُسَدُّ عليهم الباب من ووجهه، والله المستعان على ذلك، وهو خيرُ مُعينٍ، ومتى كان كلامك معهم في هذه

الجملة التي شرحتُها لك لم يُزيلوك بحمد الله عن دينك، ولا أرحلوك عن عقيدتك، وبذلك يُخابون عن جميع ما يسألون عن إعداد الفرائض، وأوقات الشرائع، وكيفيّاتها، وكميّاتها بما ذكرنا في الصلاة، والطهارة، ومتى اعتلّ أحدُهم لصلاة النهار لمُخافتة القراءة عُورض بصلاة العيدَيْن، والجمعات والكسوف، والإستسقاء، أو اعتُلّ بصلاة الليل يُجهر فيها عُورض بالركعتين الآخرتين منها، وأشفى ما يكشف عن عوار مذهبهم إذا أخذ أحدهُم يتأوّل لركعتَي الفجر، وثلاث المغرب، وأربع الظهر والعصر والعشاء، وأشباه ذلك أن يلحّ عليه في السؤال عن اختلاف الناس فيها، وأمّا تأويل من زعم أنّه يُقرأُ خلف الإمام، وتأويل من نهي عن القراءة، ومن قال: إذا أحدث انصرف وبنى، ومن زعم أنّه لا يبني ويبتدي، ومن قال: يجهر بسم الله الرحمٰن الرحيم، ومن قال: لا يجهر بها، فيأخذه بتصحيح ذلك كلّه، ويطالبه بتأويله ليتبيّن لك ضعف قوله، وسخافة نيّته.

الزكـــاة:

الزكاة مواساة، ومَعونة، وإفضال، والعقل يوجب الإفضال والتفضُّل بالإيثار هذا جملة هذا الباب. ولقد تغيّرت حالُ الزكوة غير مرّة، حتى استقرّت على ما هي عليه اليوم لأنّهم أُمروا بالزكاة عند الأمر بالصلاة، ثم قيل: يسألونك ماذا يُنفقون؟ فكان الرجل يتصدّق بما فضل من قُوته، ولمّا نزلت فرضُ الزكاة في سورة البراءة سنة تسع من الهجرة، بيّنها رسول الله ﷺ في الوقت والمقدار.

الصيـــام:

الصيام رياضة، وتذليل، وقمع للشهوة، وإطفاء لِلشَرَهِ، وقد ينفع كثيراً من الناس، ويعقبهم الصحّة، والخفّة مع ما يجد الإنسان فيه من رِقّة القلب، ، وصفاء النفس، وأوّلُ ما فُرض صومُ يوم عاشوراء ثم نُسخ، وفُرض صومُ شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة، والعقل يوجب رياضة النفس وتذليلها.

الحـــج:

الحج عامّةُ ما فيه من المناسك إبتلاء، وإمتحان، وهو من أعظم وثائق الله عزّ وجلّ على عباده، وأكشف شيءٍ عن عقائدهم ولا يزال مكائد الشيطان لدى الإسلام من دنّيته تمثّل الوسوسة إليه من هذا الباب مع أنّه لا خصلة من خصالها إلاّ وهي تدلّ على فائدة، أو يُوجَد

لها سببٌ من المعقول، فمنها التجرُّد للإحرام وفي التجرّد تواضعٌ، وتذليل، وفيه يستحسن العقل التجرّد للإغتسال، ودخول الحمام لما فيه من الفائدة، فقد تبيّن أنّ نفس التجرّد ليس بهَزْءٍ، ولا عَبَث إذ كان المُرادُ به بعضَ ما ذكرنا، ومنها السّعْيُ والهرْوَلة في الطواف الذي جُعل عبادةً كما جُعلت الطهارة والصلاة عبادةً، والعقل يُوجب الإسراع، والعَدوْ فيما يُجدي أو يُخشَى فوته مع ما قد جاء في الخبر أنّ النبيّ ﷺ لمّا دخل إلى مكة هرْوَل ليُريَ أعداءَه القوّة في نفسه، فصار سُنّةً مقتفاةً وما من أُمّة إلاّ وهم مقتدون بإمامهم فيما شرع لهم، وأمّا رَمْيُ الجمار، فلو رأينا رجلاً يرمي طيراً يذُبُّه عن شجر، أو يرمي شجراً يستنزل به الثمر، لما جاز لنا الحُكم عليه بالجهل والسَفَه لما له من النفع العائد، وكذلك رمي الجمار قد رجي راميهِ الثواب العظيم لإمتثاله ما مُثل له، وإستنانه بمن كان قبله، وأمّا الذبح، والنحر، فلا يخفى نفعه على الضعفاء والمساكين، وفي الحَلْق والتقصير الطهارة والنظافة واستلامُ الحجر تعظيماً له، إعترافٌ بحقّ الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين الذين أبقَوْا ذلك تذكرة لمن بعدهم، وقد يشعف الإنسان ببقايا القدماء وآثارهم، وذلك الحجر بقيّة من بقاياهم فإذا اتّجهت المناسك لما ذكرنا، فلا معنى للتسرُّع إلى تخطئة الأمّة، وتجهيلهم فيما ثبتوا عليه من هذه المناسك، ولم يحجج النبيُّ ﷺ في الإسلام إلاّ حَجّةً واحدة، وهي التي تُسمَّى حجّة الوَداع، فبيّن بها معالم الحجّ، وسُنَنه، والناسُ يتوارثونها إلى آخر الدهر.

النكاح[1] والطلاق والمواريث:

النكاح تملُّكٌ بمنزلة البيع، والطلاق تخليةٌ بمنزلة الفسخ، وفيه حِكَمٌ عظيمة في إثبات الأنساب، وإلحاق الأولاد، ولولا ذلك لكان النكاح والسِفَادُ[2] سَواءً وهذا يوجبه العقل، وأمّا تفضيل الذّكَر في القِسْمة على الأنثى، فلِما ينوب الذكر من النوائب، والأنثى مَئُونتُها على من ينكحها، فمن أخذ بناصيتها أقام بأَوَدِها.

الجمعة والأعياد:

الجمعة والأعياد جُعلت مجمعاً للأُمة يتلاقَوْن، ويتزاورون ويُفْضِلون على الضعفاء والمساكين، ويستريحون عن كدّ الكدح والحركة، ويُريحون مماليكهم وبهائمهم، وهذا

---

(١) النكاح: نكح الرجل المرأة ـ نكاحاً: تزوّجها. النكاح: الزواج.
(٢) السفاد: سَفَدَ الذّكر علىٰ الأنثىٰ سفاداً بالكسر نزا.

ضربٌ عظيم من النفع لمن عقل أمر الله عزّ وجلّ، واعتبر، وما من أُمّة في الأرض إلاّ ولهم عيدٌ ومجمعٌ.

السُنَن العشر:

السُنَن العشر في الرأس والجسد وتحريم المَيْتة والدم لا شكّ أنّ كلّها طهارة ونظافة، واستعظم قومٌ الختان[1] لما فيه من الألم والخطر ولم يعلموا ما يتأذّى به الأَقْلَفُ[2] من إحتباس البول في قُلْفته[3]، ويتولّد فيها الدوابّ، حتّى يبلغ الجهد والمشقّة، وفي الختان إكتناز الآلة، ونماء الجسد، ولذلك يقال: الختان منعثة للصبيّ، ثم يقال: هو سُنّة فيه إبتلاءٌ وتسليم، فأمّا تحريم الميتة والدم، ففي كراهية النفس ونفار الطبع ما يُوجب الإمتناع منه دون حظر الشرع، مع أنّ أهل الأرض مُجمِعون على نجاسته إلاّ من لا يَعْبَأُ به في عُدّةٍ، أو عَدَدٍ وأهلُ الطبّ يَنْهَون عنه لوخيم مَغَبّته، وشرّ أغذيته، فهذه الأشياء ممّا يعيبها أهل الإلحاد، وفيها من الحكمة ما لا يعلمها إلاّ الله تعالى.

[مرض رسول الله (ﷺ)]:

كان رسول الله ﷺ أُمر في بيته بمكّة قبل أنْ يهاجر، أنْ يدعو بهذا الدعاء، فقال: «ربّ أَدخِلْني مُدْخَلَ صِدْقٍ، وأَخرِجْني مُخرَجَ صدقٍ، واجعل لي من لدُنك سلطاناً نصيراً» فلما خرج إلى المدينة نزل عليه بالجُحفْة[4] في طريقه: **﴿إنَّ الذي فَرَضَ عليكَ القرآن لرادُّك إلى معادٍ﴾** [القصص: ٨٥]، فلما أتم أمره وأنجز وعده، وردّه إلى معاد، أنزل عليه: **﴿إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ﴾** [النصر: ١] إلى آخر السورة، فقال ﷺ: «نُعيتُ إلى نفسي» فنعى نفسه إلى أصحابه قبل موته بشهر، ثم ابتدأ بشكواه في ليالٍ بَقِين من صفر وتُوفيّ يوم الإثنين لإثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل وكان مرضه أربع[5] عشر ليلة، أو خمس عشر.

ورُوي عن أبي مُوَيْهِبة أنّه قال: بعثني رسول الله ﷺ في جوفِ الليلِ، فقال: «يا أبا

---

(١) الختان: خَتَن الولد يختنه. قطع غُرْلَتَه.
(٢) الأقلف: من لم يُختَنْ.
(٣) القُلفة: جلْدَةُ الذّكر.
(٤) الجُحفة: كانت قرية ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام.
(٥) كانت علّته اثني عشر يوماً «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٨٧».

مُويْهبة، إنّي قَدْ أُمِرْتُ أن أَسْتَغْفِرَ لأهْلِ هذا البَقيع، فانْطَلِقْ معي» قال: فانطلقتُ معه، حتى وقفتُ بين أَظْهُرِهم، فقال: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ المقَابِرِ، لِيَهنئكم[1] ما أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمّا أصْبَحَ[2] فيهِ غيرُكم، أَقْبَلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ يَتْبَعُ[3] أوّلَهَا، ولِلآخِرَةِ شَرٌّ مِنَ الأولى»، ثم قال: «يا أبا مُويهبة، إنّي قد أُعطِيتُ[4] خزائن الدنيا والخُلْدَ فيها، ثمّ الجنّة، فخُيّرت بين ذلك، وبين لقاء ربّي[5]»، فقلتُ: بأبي أنت وأُمّي؛ فخُذْ خزائن الدنيا والخُلدَ، ثم الجنّة، فقال: «يا أبا مُويهبة قد اخترتُ لقاءَ ربّي والجنّة» ثم استغفر لأهلِ البقيع، وانصرف. وهي ليلة الأربعاء محموماً لليلتين بقيتا من صفر، وابتُدىء بوجعه في بيت مَيْمُونة بنت الحارث، فكان آخر ما خرج وصلّى بالناس. وإذا وجد ثِقلاً قال: «مُروا الناس فليُصَلُّوا» فلمّا اشتدّ وجعه استأذن نساءَه أن يمرضَ في بيت عائشة رضي الله عنها، فخرج بين علي بن أبي طالب، وبين الفضل بن العبّاس رضي الله عنهما، تخُطُّ رجلاه الأرض حتّى أتى بيت عائشة فقال: «أَهْريقُوا[6] عليّ من سبع قِرَبٍ لم يحلل وكاءُهنّ[7] لعلّي أعهدُ إلى الناس» قالت عائشة: فأجلسناه في مِخْضَب[8] من صُفْر[9] لحفصة، ثم طفِقنا نصُبّ عليه من تلك القِرَب، فجعل يُشير إلينا أنْ قد فعلتُنّ، فخرج عاصباً رأسه يمشي بين العبّاس، وعليّ تخطّ رجلاه الأرض حتّى جلس على المنبر، فأحدق الناسُ به، واستكفّوا فكان أوّل ما نطق به أن استغفر للشهداء الذين قُتلوا بأُحدٍ وصلّى عليهم ثم قال: «إنَّ عَبْداً من عِبَادِ الله خَيَّرَ[10] بَيْنَ الدُّنْيا وبَيْنَ ما عند الله، فاختار ما عند الله» ففطن لها أبو بكر رضوان الله عليه،

---

(١) في السيرة النبوية: ليهنىء لكم جـ ٤ ص ٢٣٨.

(٢) في السيرة النبوية: أصبح الناس فيه جـ ٤ ص ٢٣٨.

(٣) في السيرة النبوية: يتبع آخرها أوّلها جـ ٤ ص ٢٣٨.

(٤) في السيرة النبوية: أوتيت مفاتيح الدنيا جـ ٤ ص ٢٣٨.

(٥) في السيرة النبوية: ربي والجنة جـ ٤ ص ٢٣٨.

(٦) في السيرة النبوية هريقوا جـ ٤ ص ٢٤٤.
وأهريقوا: صبّوا.

(٧) «سبع قرب من آبار شتّىٰ حتىٰ أخرج إلىٰ الناس فأعهد إليهم» «السيرة النبوية جـ ٤ ص ٢٤٤».
والوكاء: أوكأه إيكاءً: نصب له متكأ ـ أتكاه: أجلسه ومكنه في مجلسه.

(٨) مخضب: خضب الشجر يخضب واخضوضب اخضر، خضبت الأرض طلع نباتها. والخضب: الجديد من النبات والمخضب: المركَنُ.

(٩) صُفْر: الصُّفْرُ بالضم من النحاس والذهب.

(١٠) «خيّره الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عنده...» «السيرة النبوية جـ ٤ ص ٢٤٤».

وعرف أنّه يريد نفسه ﷺ، فبكى أبو بكر وقال: بل نَفْديك بآبائنا وأمّهاتنا، فقال: «عَلَى رِسْلكَ يا أبا بَكْر، انْظُرُوا إلى هذهِ الأبوابَ اللاّفِظَةَ[1] إلى المَسجِدِ فَسُدُّوها إلاّ باب[2] أبي بكرٍ وإنّي لا أعْلَمُ أحداً كانَ أفْضَلَ عِنْدي[3] في الصُّحْبَةِ منه[4]، ولو كنتُ مُتَّخذاً خليلاً غير ربّي لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خليلاً، ولكنْ صحبةٌ وإخاءُ إيمانٍ حَتَّى يَجْمَعَ الله بَيْنَنا عِنْدَهُ» هذا من رواية محمد بن إسحٰق.

وروى الواقديّ أنّه قال: «سُدُّوا هذه الأبواب الشوارع إلى المسجد إلاّ باب أبي بكر فإنّ أمَنَّ الناسِ في صحبتهِ وماله أبو بكر، ورُوي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قال: دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت عائشة فتشدّد لنا وقال: «حيَّاكم الله، وآواكم، وأُوصيكم لتقوى الله وأوصي الله بكم، واستخلفُه عليكم إنّي لكم نذيرٌ مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده، فإنّه قال: **﴿تلكَ الدارُ الآخرةُ نجعلُهَا للذينَ لا يُريدونَ عُلُوًّا في الأرضِ، ولا فساداً، والعاقبة للمتّقين﴾** [القصص: ٨٣] قلنا: يا رسول الله متى أجلُك؟ قال: «قد دنا الفراق، والمنقلَب إلى الله عزّ وجلّ، وإلى جنّة المأوى، وسدرة المنتهى[5] والرفيق الأعلى» وكان رسول الله ﷺ أمّر أُسامة بن زيد على جيش، وأمره أن يُوطيء الخيلَ أرضَ البلقاء[6]، فتكلّم الناس فيه، وقالوا: أمّر غلاماً حدثاً على جلّة المهاجرين والأنصار، فلما استوى على المنبر قال: «أنْفِذوا[7] جيش أُسامة، أنْفِذوا جيش أُسامة، أنْفِذوا جيش أُسامة، ثلاثاً، ولَعَمْري لَئِنْ قُلْتُمُ في إمَارَتِهِ لقد قُلْتُمْ في إمَارَةِ أبِيهِ[8]، وإنّهُ لَخَليقٌ للإمارَةِ وإنْ كانَ أبُوه خَلَيْقاً لها»[9] ثمّ نزل، وانكمش[10] الناسُ في جهازهم، وضرب أسامة

---

(١) في السيرة النبوية: اللافظة في المسجد جـ ٤ ص ٢٤٤.
والّلافظة إلىٰ المسجد: النافذة إليه.

(٢) في السيرة النبوية: بيت جـ ٤ ص ٢٤٤.

(٣) «كان أفضل في الصُّحبة عندي يداً منه...» «السيرة النبوية جـ ٤ ص ٢٤٤».

(٤) «فإني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً...» «السيرة النبوية جـ ٤ ص ٢٤٤».

(٥) سدرة المنتهىٰ: السدر شجر النّبق، الواحدة بهاءٍ (ج) سدرات وسدر، وسدرة المنتهىٰ في السماء السابعة.

(٦) البلقاء:

(٧) «أيها الناس، انفذوا جيش أسامة، فلعمري...» «السيرة النبوية جـ ٤ ص ٢٤٥».

(٨) إمارة أبيه من قبله «السيرة النبوية جـ ٤ ص ٢٤٥».

(٩) لخليقاً لها «السيرة النبوية جـ ٤ ص ٢٤٥».

(١٠) انكمش الناس في جهازهم: أي أسرعوا في الإعداد للخروج، وانكمش في أمره تشمّر وجدّ.

عسكره على فرسخ، من المدينة وسائرُ الناس ينتظرون ما يقضي الله في رسوله ﷺ.

وروى الواقديّ عن الشعبيّ، عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: لما اشتدّ وَجَعُ رسول الله ﷺ، قال: «ائتوني بدواةٍ وصفحة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»، فتنازعوا ولا ينبغي التنازع عند رسول الله، فقال بعضهم: ما لكم؟ أهجرَ فاستعيدوه، وقال عمر: قد غلبهُ الوجع من لفلانة وفلانة حسبُنا كتاب الله، فلمّا لغطوا عنده قال: «دعوني دعوني، أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوُفود بمثل ما رأيتموني أُجيزهم، وأنْفذوا جيش أسامة، قوموا» فقاموا، وقُبض رسول الله ﷺ، قال ابن عبّاس: كلُّ الرَّزِيّة مَن حالَ بين رسول الله، وبين أن يكتُب ذلك الكتاب قالوا: واستعر برسول الله ﷺ المرضُ، وناداه بلال بالصلاة فقال: «مُر[1] عمر فليصلِّ بالناس» فخرج عبد الله بن زَمْعَة بن الأسْود بن المطّلب، فقدّم عمر لأنّ أبا بكر كان غائباً، فلمّا كبّر عمر، وكان مجهراً[2] سمع رسول الله، فقال: «أيْنَ أبُو بَكْرٍ؟ يَأبَى الله[3] ذلكَ والمُسْلِمُون» وبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلّى عمر تلك الصلاة فصلّى بالناس.

ورُوي عن عائشة أنّها قالت: لما استعر رسول الله بالمرض قال: «مُروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناسِ» فقلتُ: إنّ أبا بكر رجُلٌ ضعيف الصوتِ، كثير البكاء، إذا قرأ القرآن، فقال: «مُرُوا[4] أبا بكر فليُصَلِّ بالناسِ» قالت: فعُدْتُ لمقالتي، فقال: «إنكُنّ[5] صُوَيْحبات يُوسُف مُرُوا أبا بكر فليُصلِّ بالناسِ» قالت: والله ما أقول ذلك إلاّ أنّي كنت أُحبّ أن يصرفَ عنه ذلك، وقلت إنّ الناس لا يحبّون رجلاً قام مقام النبيّ سيتشاءمون به.

وروى ابن إسحٰق عن الزُهريّ فقال: حدثني أنَس، أنّه كان يوم الإثنين الذي قُبض فيه رسول الله ﷺ خرج إلى الناس وهم يصلّون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، ووقف على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم فرحاً لما رأوْا رسول الله، فأشار إليهم أن اثبتوا وتبسّم سروراً بما رأى من صلاتهم وانصرف.

قال ابن إسحٰق: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، أنّه: لما كان يومُ الإثنين

---

(١) في السيرة اللنبوية: «مُرُوا من يُصلّي بالناس» جـ ٤ ص ٢٤٦.

(٢) مجهراً: مرتفع الصوت.

(٣) في السيرة النبوية ردّدها الرسول مرّتين جـ ٤ ص ٢٤٧.

(٤) في السيرة النبوية: «مروه فليصلِّ بالناس» جـ ٤ ص ٢٤٧.

(٥) في السيرة النبوية: «إنكنّ صواحب يوسف فمروه فليصلِّ بالناس» جـ ٤ ص ٢٤٦.

خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسَهُ بين العبّاس وعليّ إلى صلاة الصُّبح، وأبو بكر يُصَلِّي بالناس، فتفرّج الناسُ، وعلم أبو بكر أنّهم لم يَصْنَعُوا ذلك إلاّ لرسولِ الله فَنَكَص عن صلاته، فدفع رسول الله في ظهره، وقال: «صَلِّ بالنَّاسِ» وجَلَسَ إلى جنبه، فصلّى على يمين أبي بكر، فلما فرغ أقبل على الناس فَكَلَّمهم رافعاً صَوْتَهُ، حتّى خرج صوته من باب المسجد، وقال: «أيُّها النَّاسُ، سُعِّرَتِ النَّارُ وأَقْبَلَت الفِتَنُ كَقِطَع اللَّيْلِ المُظْلِمِ وإنّي واللهِ ما تُمَسّكُونَ عَلَيّ بشَيْءٍ، إني لم أحِلَّ إلاّ ما أَحَلَّ القُرآنُ وَلَمْ أُحَرِّمْ إلاّ ما حَرَّم القُرآنُ» وقال أبو بكر: إنّي أراك قد أصْبَحْت من الله بخير واليوم يوم ابنة خارجة فآتيها؟ قال: نَعَمْ، فخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[1]، وانصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، وتفرّق الناس. وروى الواقديّ أنّ رسول الله ﷺ لما انصرف دعا فاطمة فسارّها فبكَتْ، ثمّ دعاها فسارّها فضحِكَتْ، فسُئِلَتْ عن ذلك بعد موت النبيّ ﷺ قالت: قال لي: «إنَّ القرآن يُعرَضُ عليَّ في كلِّ عامٍ مرّةً وعُرض عليَّ العامَ مرّتين ولا أراني إلاّ مَيْتاً في مرضي هذا» قالت: فبكيتُ ثم دعاني ثانياً وقال لي: «أنتِ أسرعُ أهلي لحوقاً بي» فضحكتُ، فمكثَتْ[2] بعده ستّة أشهُر، ويقال: مائة وخمسين يوماً، والله أعلم.

[وفاة النبيّ]:

قالت عائشة: ولمّا رَجَعَ رسول الله ﷺ من المسجد يوم الإثنين اضطجع في حَجْري، ثم وجدته يَثْقُل فذهبتُ أنظر إلى وجهه، فإذا بصَرُه قد شَخَص إلى السماء، وهو يقول: «بَلِ الرَّفِيقَ[3] الأعْلى» وكان يقول لنا: «لم يُقبَض نبيٌّ إلاّ خُيِّر فقلتُ: خُيِّرتَ فاخترتَ، فقُبض رسول الله بين سَحْري[4] ونَحْري[5] حين اشتدّ الضُّحَى من يوم الإثنين لإثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة عشر من الهجرة وشهرين، واثني عشر يوماً، قالت: فمن سَفَهي وحَدَاثة سنّي وضعتُ رأسه على وسادة، وقمتُ أَلْتَدِمُ[6] مع النساء، وأَضرِب وجهي، قالوا: وارتجّت المدينة بالصُّراخ والبُكاء، واقتحم الناسُ يقولون: مات رسول الله محمّد

---

(١) السُّنْح: موضع فيه مال لأبي بكر، وهو بستان من نخيل علىٰ الأرجح.

(٢) توفيت بعده بأربعين يوماً، وقيل: سبعين يوماً، وقيل غير ذلك «مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٨٩».

(٣) في السيرة النبوية: بل الرفيق الأعلىٰ من الجنّة» جـ ٤ ص ٢٤٩.

(٤) السحر: الرئة وما يتصل بها إلىٰ الحلقوم أي أعلىٰ الصدر.

(٥) النحر: المنحر أي أدنىٰ العنق إلىٰ الصدر.

(٦) ألتدم: أضرب صدري.

مات محمّد، فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام على الباب وقال: إنّ المنافقين يزعمون أنّ محمّداً قد مات، وأن رسول الله لم يمُتْ، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلةً، ثم عاد إليهم بعد أنْ قيل: قد مات وليرجعنّ رسول الله كما رجع موسى، فليُقْطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله قد مات، وقال عمر: نظنّ أنّ رسول الله ﷺ لا يموت، حتّى يفتح الأرض لوعد الله، فلذلك قال ما قال، وبلغ الخبرُ أبا بكر، فأقبل مُسرعاً على فرس، وعُمَر يكلّم الناس، فلم يلتفت إليه حتّى دخل بيت عائشة، فإذا رسول الله ﷺ مُسَجىً[1] عليه بُرْدُ حِبَرةٍ[2] فكشف عن وجهه وَقبّله، وقال: بأبي أنت وأمّي، أمّا المَوْتَةُ التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَها، فلا تذوق بعدها أبداً، ثم خرج إلى الناس وعمر يكلّمهم، فقال: على رِسْلكَ يا عُمر، أَنْصِتْ، فأبى إلاّ أنْ يتكلّم، فلمّا رآه أبو بكر لا يُنصِتُ إليه أقبل على الناس، فلما سمع الناسُ كلام أبي بكر تركوا عمر، وأقبلوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ ﷺ ثم قال: يا أيُّها الناس، إنّ الله قد نعى نبيّكم إلى نفسه وهو حيٌّ بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم، فقال: ﴿إنّكَ ميّتٌ وإنّهم ميّتون﴾ [الزمر: ٣٠] فعلم الناس حينئذ أنّ رسول الله قد مات.

ورُوي عن عمر أنّه قال: فما هو إلاّ أنْ سمعتُها من أبي بكر، فعُقرتُ حتّى وقعتُ على الأرض ما نقلني رِجْلايَ ثم تلا أبو بكر: ﴿ومَا محمّدٌ إلاّ رسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِهِ الرُّسُل أفإن ماتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُم على أعقَابِكُم ومَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئاً وسَيَجْزي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ثم قال: يا أيّها الناس، من كان يعبد الله، فإنّ الله حيٌّ لا يموت، ومن كان يعبد محمداً أو يراه إلٰهاً، فإنّ محمّداً قد مات، ووعظ الناس، وحضّهم على التقوى، ونزل عن المنبر، وأخذوا في جهاز رسول الله ﷺ ودَعْوا من يحفر له قبره، وكان أبو طلحة الأنصاري يلحد[3] في القبر وهو عمل الأنصار، وكان أبو عبيدة بن الجرّاح يُسوّي في القبرِ وهو عمل المهاجرين، فبعثوا إليهما، وقال العبّاس: اللّهمّ فيّض لنبيّك ما ترضاه، فسبق الرسول إلى أبي طلحة، فجاء واختلفوا أين يدفنونه فقال قوم: في البقيع مع أصحابه، وقال آخرون: بل في مسجده فقال أبو بكر: سمعتُه يقول: «ما مات نَبيٌّ إلاّ دُفِنَ حيثُ قُبِض» فخطّ حول الفراش على قدره، ثم حُول عنه رسول الله، وأخذوا يحفرون له

(١) مسجّىٰ: اي غُطّي وجهه وستر بثوب.

(٢) الحبرة: نوع من الأقمشة اليمنية مخطط.

(٣) يلحد: اللّحْدُ: شقّ يكون في جدار القبر، يوضع فيه الميت (ج) لحود. ولحد الميت: دفنه.

ووقع الإختلاف في الناس، فانحاز هذا الحيُّ من الأنصار إلى سَعْد بن عُبادة سيّد الخزرج، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وانحاز عليٌّ، وطلحة، والزُّبير في بيت فاطمة، وانحاز سائر المهاجرين إلى أبي بكر، كلّ يدّعي الإمارة لنفسه، فجاء المغيرة بن شعبة فقال: إنْ كان لكم بالناس حاجةٌ فأدركوهم، فتركوا رسول الله ﷺ كما هو وأغلقوا الباب دونه، وأسرع أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجرّاح إلى سَقيفة بني ساعدة، فقالت الأنصار: نحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر العرب رَهْطٌ منّا، وقد دَفّتْ دَافّة[1] من قومكم يُريدون أنّ يحتازونا من أصلنا، ويكسروا الأمر، فقال أبو بكر: أمّا ما ذكرتم فيكم من خَيْرٍ فأنتم له أهلٌ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش: أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيَّهما شئتم، وأخذ بيد عمر وأبي عبيدة بن الجرّاح فقال الحبابُ بن المنذر: أنا جُذَيْلها[2] المُحكَّكُ وعُذَيْقُها[3] المُرَجَّبُ منّا أميرٌ ومنكم أمير، فكثُر اللغَطُ، وارتفعت الأصوات، حتّى خيف الإختلافَ، فقال عُمَر لأبي بكر: أبسُطْ يَدَكَ أبايعْك، فبسط يده، فبايعه المهاجرون، والأنصار، ونَزَوْ على سعد ابن عُبادة، فضربوه فقال قائلهم: قد قتلتم سعد بن عُبَادة، فقال عمر رضي الله عنه: قتل الله سَعْدَ بن عُبادة.

ثم عادوا إلى المسجد وصعِد أبو بكر المنبرَ، فقام عمر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس، إنّي كنتُ قلتُ لكم بالأمس مقالةً ما وجدتُّها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عَهِدَهُ إليَّ رسول الله، ولكنّي كنتُ أرى أنّ رسول الله سَيُدبِّرُو أمرنا، ويكون آخرنا، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسوله، فمن اعتصم به هداه كما كان هداه له، وإن قد جمع أمركم على خيركم صاحِبِ رسول الله، ﴿ثاني اثنين إذْ هما في الغار﴾ [التوبة: ٤٠] فقوموا فبايعوه، بيعة العامّة في المسجد بعد السقيفة، فبايعوه ولم يبايعْه عليٌّ ستّة أشهُر.

[بيعة أبي بكر رضي الله عنه]:

قال ابن إسحق: لمّا ثقُلَ رسول الله ﷺ قال العبّاس بن عبد المطّلب لعليّ: انطلِق بنا

---

(١) الدافّة: الجماعة من الناس تأتي من بلدها إلىٰ بلد آخر أو تأتي من البادية إلىٰ الحاضرة.

(٢) جُذيلها المحكك: جذيل تصغير جذل وهو عود ينصب وسط الإبل في مبركها تحتك به.

(٣) عُذيقها: العُذيقى تصغير عذق وهو في النخل كالعنقود في العنب فهو الذي تتفرع الشماريخ التي تخمل التمر.

إلى رسول الله فإنْ كان هذا الأمر فينا عرفناه وإنْ كان في غيرنا أوصى المسلمين بنا فقال عليّ عـم: إنّي والله لا أفعل لئن منعناه لا يُؤتيناه أحدٌ بعده قال ابن إسحٰق: ولولا مَقالةٌ قالها عمر عند وفاته لم يَشُكَّ المسلمون أنّه استخلف أبا بكر، ولكنه قال عند وفاته: إنْ أَسْتَخلِفْ فقد أَستَخْلَفَ مَنْ هو خير منّي، وإنْ أَتْرُكْهُمْ فقد تركهم من هو خير منّي، فعرف الناس أنّ رسول الله لم يستخلف أحداً، وكان عمر غَيرَ مُتَّهَمٍ على أبي بكر، قالوا: ولمّا فرغ عمر من مقالته قام أبو بكر خطيباً بعدما ضربوا على يده، فقال: الحمد لله فأحمدوه، وأستعينكم على أمره كلّه سرّه وعلانيّته، ونعوذ بالله ممّا يأتي في الليل والنهار، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده، وأنّ مُحمّداً عبده ورسوله أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً قُدّام الساعة، مَن أطاعه رشد، ومن عصاه هلك.

أمّا بعدُ فإنّي قد وِلّيتُ أمركم، ولستُ بخيركم، فأعينوني، وإنْ زُغتُ فقوّموني، الصِدْقُ أمانةٌ، والكذب خيانة، لا يَدَعُ قومٌ الجهادَ إلاّ ضربهم الله بالذُلّ، ولا تَشِيعُ الفاحشة في قومٍ إلاّ عَمّهُمُ الله بالبلاء، فأطيعوني ما أَطَعْتُ الله ورسولَه، فإذا عَصَيْتُ الله ورسوله فلا طاعةَ لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

فصلّوا ثم أخذوا في جهاز رسول الله.

قال الواقدي: كانت بيعة العامّة يوم الثلاثاء بعدما دُفن وقال بعضهم: بُويعَ ثمّ دُفن، واختلفوا في الوقت الذي دُفن فيه، فروى ابن إسحٰق أنّه دُفن ليلة الأربعاء وقال الواقديّ والثبتُ عندنا، أنّه دفن يوم الثلاثاء عند زوال الشمس، والله أعلم وأحكم.

[غُسل رسول الله (ﷺ)]:

قالوا غسله عليٌ والعبّاسُ، والفَضْلُ، وقُثَم، وأُسامة، وشُقْرانُ أمّا عليٌّ، فأسنده إلى صدره، وجعل العبّاسُ، والفضل، وقُثَم يقلبونه معه، وكان أُسامة وشُقْرَانَ يَصُبّانِ عليه الماءَ، وغُسِل رسول الله ﷺ في قميصهِ، ولم يُجرّد من ثيابه، وكُفن في ثلاثة أثواب سحوليّةٍ[1] ثوبَيْنِ مَنْبَجانيَّيْنِ وبُرد حِبَرَة أُدرج فيه إدراجاً، ليس فيها عمامة ولا قميص، ثمّ وضعوه على السرير وجعل الناس يدخلون ويصلّون إرسالاً، صلّى الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان، ودُفن صلّى الله عليه، وكان الذي دخل القبر عليّ، والفضل بن العبّاس،

(١) سحوليّة: السّحْلُ: ثوب لا يبرم غزله وهو أبيض من القطن.

وشقران.

رُوينا عن شقران أنّه قال: أنا الذي طرحْتُ القطيفة[1] تحت رسول الله في القبرِ ونُضد[2] عليه اللَّبِنُ[3] والإذخر[4]، وهالوا التراب هَيْلاً، وسطحوا قبره، ورشّوا عليه الماء ﷺ، واختلفت الرواية في سنّهِ ومُدّة عمره إلاّ أنّ الأكثر الأشهَر أنّه توفّي وهو ابن ثلاث[5] وستّين سنةً، وُلد يوم الإثنين وهاجر يوم الإثنين، وتوفّي يوم الإثنين ﷺ، وروى أصحاب الأخبار شيئاً كثيراً من الشعر في مراثيه، فمن ذلك قول عربيّ إلى فاطمة رضي الله عنها:

[بسيط]

قَدْ كَانَ بعدك أنبياءٌ وهنْبَثةٌ[6] ... لَوْ كنتَ شاهَدْتَها لم تكثُرِ الخُطَبُ

إنَّا فَقَدْنَاكَ فَقْدَ الأرض وابلَها ... وٱختلَّ قومك فٱرْجع ثمّ لا تَغِبُ

وقال حسّان بن ثابت:

[طويل]

بطَيْبةَ رَسْمٌ[7] للرَّسولِ ومَعْهدُ ... مُنيرٌ وقَدْ تعفُو[8] الرسومُ وتَهمُدُ[9]

فلا[10] تمتحي الآياتُ من دارِ مربعٍ[11] ... بها منبرُ الهادي الذي كان يصعَدُ

وواضحُ آثارٍ وبَاقي معالمٍ ... ورَبْعٌ لهُ فيه مُصَلًّى ومَسْجِدُ

مَعَارِفُ لم تُطْمَس على النأي[12] أنها ... أتاهَا البِلَى والآيُ منها مُجدَّدُ[13]

---

(١) القطيفة: وثار مخمّل.

(٢) نضد: نضد متاعه ينضده جعل بعضه فوق بعض.

(٣) اللِبن: المضروب من الطين مربعاً للبناء.

(٤) الإذخر: الحشيش الأخضر الطيب الرائحة.

(٥) وقد روي عن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قبض وهو ابن خمس وستين سنة، وقد قيل: إنه قبض وهو ابن ستين. «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١».

(٦) وهيمنة «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣١١».
الهنبثة: الأمر الشديد والإختلاط في القول.

(٧) الرسم: الآثار الباقية (ج) رسوم.

(٨) تعفو: تمّحي.

(٩) تهمد: تبلىٰ.

(١٠) في السيرة النبوية: ولا جـ ٤ ص ٢٥٩.

(١١) في السيرة النبوية: حَرْمةٍ جـ ٤ ص ٢٥٩.

(١٢) في السيرة النبوية: العهد جـ ٤ ص ٢٥٩.

(١٣) في السيرة النبوية: تجدّد جـ ٤ ص ٢٥٩.

ظَلِلتُ بها أبكي الرسولَ وأسعدَتْ[1] | عيونٌ ومِثلاها من الجِنّ[2] تُسْعِدُ
فبوركتَ يا قبرَ الرسولِ وبُوركتْ | بلادٌ ثوَى فيها الرشيدُ المُسَدَّدُ
وبُورك لَحْدٌ منكَ ضُمِّن طَيِّباً | عليه بنَاءٌ من صَفيحٍ مُنَضَّدُ
وهَلْ عَدَلَتْ يوماً رَزِيَّةُ هَالِكٍ | رَزِيَّةَ يَومٍ ماتَ فيه مُحَمَّدُ
وما فَقَدَ المَاضُونَ مثلَ مُحمَّدٍ | ولا مِثْلُهُ حتَّى القِيَامة يُفْقَدُ
تَقَطَّع عنهم[3] منزلُ الوَحْي والهُدى[4] | وقد كانَ ذا نُورٍ يغُور[5] ويُنْجِدُ[6]

في قصيدة طويلة:

(١) في السيرة النبوية: فأسعدت جـ ٤ ص ٢٥٩.
(٢) في السيرة النبوية: الجفن جـ ٤ ص ٢٥٩.
(٣) في السيرة النبوية: فيه جـ ٤ ص ٢٥٩.
(٤) في السيرة النبوية: عنهم جـ ٤ ص ٢٥٩.
(٥) يغور: يقصد الغور وهو الأرض.
(٦) ينجد: يقصد المناطق المرتفعة أي كان يعم الناس أينما كانوا.

الفصل الثامن عشر

في ذكر أفاضل الصحابة، وأولى الأمر من المهاجرين، والأنصار، وصفة حُلاهم، ومدّة أعمارهم، وابتداء إسلامهم، وذكر أولادهم، ومن أعقب منهم ومن لم يُعقِبْ

إعلم أنّ هذا باب من صناعة أصحاب الحديث، وهو علم برأسه منفرد بمعرفته صاحبُه مَرْجِعَهُ إلى جودة الحفظ، وكثرة الروايات، وقد وضعوا فيه كُتباً كثيرةً موسومةً بِسماتٍ مختلفة كالتواريخ، والطبقات، والمعارف، وما أعْلَمُ أحداً منهم، وإنْ غَزُر علمه واتّسعت درايته أنّه ضبط أسماء الصحابة كلّهم، أو حصر أيّامهم وأخبارهم، ولا أعلم ذلك ممكناً لأنّ آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ غزوة تبوك، وقد صحِبه فيها ثلاثون ألف رجُلٍ سوى من خلّفه، وتخلّف عنه، وسنذكر المشهورين منهم المعروفين بالإمارة والولاية، والتقدّم، والآثار المذكورة إنْ شاء الله، ونبتدىء بذكر من بدأ بالإسلام وسبق إليه، فإنّ كثيراً من المصنفّين قد خرّجوهم على حروف المُعَجم تقريباً من الفهم، وحيلةً في تسهيل الحفظ، اختلف[1] الناسُ في أوّل من أسلم، فقال بعضهم: أوّلهم خديجة، وقال آخرون: أوّلهم عليّ وقيل: أبو بكر وقيل: زيد بن حارثة، وقد مضى خبر زيد وخديجة في باب أزواج النبي ﷺ، وباب مواليه وأخبرني أحمد بن مالك قال: حدثني القتبيّ عن إسحق بن رَاهوَيْه أنّه قال الخبر في كل ذلك صحيح: أمّا أوّل من أسلم من النساء فخديجة، وأوّل من أسلم من الموالي، فزيد بن حارثة وأوّل من أسلم من الصبيان فعليّ عم، وأوّل من أسلم من الرجال فأبو بكر رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أنظروا «مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٨٤».

علي بن[1] أبي طالب عليه السلام

ابن عبد المطّلب بن هاشم، وأمّهُ فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أوّل هاشمّية وُلدت لهاشميّ، وأسلمت وماتت بمكّة قبل الهجرة، قال ابن إسحق: أسلم عليّ، وله عشر سنين وذلك أنّه كان في حجر النبيّ عـم قبل الوحي لأنّ قريشاً لمّا أصابتهم الأزمة، قال النبيّ ﷺ للعبّاس بن عبد المطّلب: «إنّ أبا طالب رجلٌ ذو عيالٍ، فانطلِق بنا نخفّف من عياله» فأخذ النبيّ عـم عليّاً، وأخذ العبّاس جعفراً، وبقي عنده عَقِيلاً وطالباً، فلما بعث الله محمداً آمن به واتّبعه.

وروى الواقديّ: أنّ عليّاً أتى النبيّ وهو يُصلّي عند خديجة فقال: ما هذا يا مُحمّد؟ فقال: «دين الله الذي اصطفاه لنفسه أَدْعُوك إليه»، فقال عليٌّ: إنّ هذا دين ما سمعتُ به ولستُ بقاطعٍ أمراً حتّى أذاكر أبا طالب، فكرِه النبيّ ﷺ أنْ يُفشي أمره، فقال: «إنْ لم تُسلم فاكتُم»، فمكث عليّ تلك الليلة وألقى الله في قلبه الإسلام، فغدا على رسول الله، فأسلم، ثمّ إنّ أمّهُ فاطمة بنت أسد أنكرت شأنه، واختلافه إلى رسول الله فقالت لأبي طالب: أنّي أرى ابنك قد صبأ[2].

وكان النبيّ وخديجة وزيد يخرجون إلى شِعاب مكّة، فيصلّون مُستخفين من الناس فتبعهم أبو طالب حتّى عثر عليهم وهم يُصلّون، فقال: ما هذا يا ابن أخي؟ فقال: دين الله الذي ارتضاه لنفسه، وبعث به رُسُله أدعوك إليه، فقال: إني أكرهُ أنْ أفارق دين آبائي ولكن إمض لما أردتّ، فلا يخلص إليك أحدٌ بما تكره، فقال لعليّ: الزَمْهُ فإنّه لم يَدْعُك إلاّ إلى خير، وقد قيل: أنّ عليّاً أسلم وهو ابن ستٍّ سنين واختلفوا في حِلْيته، قال الواقديّ: كان آدَمَ شديد الأدمة عظيم البطن عظيم العينين إلى القِصَر ما هو، وقد تسمّيه الشيعة الأنزع البطين، قال الحارث الأعور: وكان عليٌّ أفطس الأنف، دقيق الذراعَيْن كأنّ على كاهله سنامَ ثورٍ لم يصارع أحداً إلاّ صرعه ورُوي عن الحسن أنّه قال: رأيتُ عليّا أسود الشعر أبيض اللحية قد ملأت لحيتُه ما بين منكبَيْه، ورُوي أنّ امرأة رأته، ولم تعلم من هو،

---

(١) أنظر «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٥٩».

(٢) صبأ: يُقال صبأ الرجل إذا خرج من دين إلى دين. وقد كان المشركون يسمون الرسول (ﷺ) الصابىء.

فقالت: من هذا الذي كُسِر وجُبر على عيب؟ واختلفوا في سنّهِ فقال ابن إسحق: قُتل عليّ وهو ابن ثلاث وستّين سنةً كان في مثل سنّ النبيّ ﷺ، وأبي بكر يوم ماتا وهذا يصحّ على مذهبه لأنّه قد أسلم، وهو ابن عشرة سنين وعاش في الإسلام ثلاثاً وخمسين سنةً، وقُتِل سنة ثلاثين من وفاة النبي ﷺ، وقال بعضهم: مات وهو ابن ثمان وخمسين[1] سنة.

[أولاد عليّ بن أبي طالب عليهم السلام]

كان له من الولد ثمانية وعشرون ولداً، أحدَ عشر ذكراً وسبعة عشر أنثى، منهم من فاطمة عليها السلام خمسة الحسن، والحسين ومحسّن، وأمّ كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى، والباقون من أمّهات والباقون من أمّهات شتّى من الحرائر والإماء، فمنهم محمد بن عليّ أمّه خولة بنت جعفر بن قيس، ويقال: أُمُّه سَوْداء من سَبْي اليمامة، ولذلك يقال له: محمد بن الحنفيّة لأنّ خالد بن الوليد كان سباها من بني حنيفة في الرِدّة، ومنهم عُمر ورُقيّة من أمته، ومنهم أبو بكر وعُبيد الله من ليلى بنت مسعود النهشليّة، ومنهم يحيى من أسماء بنت عُميس ومنهم عبد الله، وجعفر، والعبّاس، وأمّ كلثوم الصغرى، ورملة وأمّ الحَسَن، وجُمانة، وميمونة، وخديجة، وفاطمة، وأمّ الكرام ونفيسة وأمّ سلمة، وأمامة، وأمّ أبيها.

الحَسَن بن عليّ رضي الله عنهما

أكبر ولد عليّ، ويُكنّى أبا محمّد، وكان يومَ قُبض النبيُّ ﷺ ابن سبع سنين لأنّه وُلد في سنة ثلاث من الهجرة، ومات سنة سبع وأربعين، فكان عمره خمساً وأربعين سنة، ورَوى عن النبيّ حديثَيْن مَنْ صلّى الغداة، وجلس في مجلسه حتّى تطلع الشمس ستره الله من النار، والثاني التخلية مَنْ إذا ذُكرتُ عنده، فلم يُصلِّ عليَّ، وكان أرخى ستره على مائتي حُرَّةٍ وقال عليّ عليه السلام: لا تزوّجوا ابني هذا، فإنّه مِطْلاقٌ وولدُ الحسن سبعة أنفار الحسن بن الحسن، والحسين بن الحسن، وزيد بن الحسن وطلحة بن الحسن، وأمّ عبد الله بنت الحسن، وأُمّ الحسن بنت الحسن.

الحُسَين بن عليّ رضي الله عنهما

وكان أصغر من الحسن بعشرة أشهر وعشرين يوماً، وقُتل يوم عاشوراء سنة اثنتين

---

(١) استشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٥٨».

وستّين بعد الحسن بسبع عشرة سنة، وهو ابن ثماني وخمسين سنة، وولد الحسين أربعة نفر عليّاً الأكبر، وعليّاً الأصغر، وفاطمة، وسُكَيْنة، وعقبُ الحسين من عليّ الأصغر، فأمّا الأكبر، فإنّه قُتل مع أبيه، وقد رُوي أنّ الحسين قُتل معه سبعة عشر نفراً من أهل بيته، والله أعلم فأمّا محسّن بن عليّ، فإنّه هلك صغيراً.

مُحمّد بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم

كان أسْود شديد السواد كثير العلم فاضلاً شجاعاً، ومات بالطائف زمنَ الحّجاج، وكان يقول: الحسن والحسين أفضل منّي، وأنا أعلم منهما، وولد ثمانية ذكورٍ منهم عبد الله بن مُحمّد أبو هاشم، كان عظيم القدر عند الشيعة فلما حضرته الوفاةُ بالشام أوصى إلى محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس وقال: أنت صاحب هذا الأمر وولدك، وليس لأبي هاشم عَقبٌ.

[بنات عليّ بن أبي طالب عليهم السلام]

زوّج عليٌّ أمَّ كلثوم الكبرى من عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فولدت له زيد بن عمر، وفاطمة بنت عمر وزوّج زينب الكبرى من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له أولاداً، وكان سائر بناته عند ولد عقيل وولد العبّاس ما خلا أمّ الحسن، فإنّها كانت عند جعدة بن هبيرة المخزوميّ.

[أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه]

عَتيقُ بن أبي قُحافة، وكان اسمه في الجاهليّة عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله عبد الله تيّمناً باسم أبيه وعتيقٌ[1] لقبه لحُسْن وجهه وعِتْقه. واسم أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة وتَيْم أخو كِلاب بن مُرّة فهو في العدد إلى مُرّة لأنّ كلّ واحد ينتهى إلى مرّة عند السابع من آبائه.

[حلية أبو بكر الصديق رضي الله عنه]

كان أبيض البشرة، مُشرَباً حُمرةً، نحيف الجسم، خفيف العارضين، معروق الوجه،

---

(١) لقبه عتيق، لبشارة رسول الله (ﷺ) إياه أنه عتيق الله من النار، وقيل: إنما سمي عتيقاً لعتق أمهاته.

غائر العينين، ناتىء الجبهة عاري الأشاجع[1]، أَحْنَىٰ، لا يستمسك إزارُه، ويسترخي عن حَقْوَيْه[2]، وكان من مياسير قريش، وذوي الفضل منهم، والصنيعة فيهم مُحبَّباً في قومه مألوفاً وأنفق جُلَّ ماله على رسول الله ﷺ.

[أبو بكر وأمّه وإخواته].

أبوه أبو قحافة أسلم يوم فتح مكّة، وقد كُفَّ بصرهُ وبقي إلى زمن عمر، ومات أبو بكر فورثه، وأمّ أبي بكر أمّ الخير سَلْمى بنت صَخْرٍ ابنة عمّ أبي قحافة، ولا يُعرَف لأبي بكر أخ ولكن له أُختان أمّ فروة بنت أبي قحافة، تزوّجها تميم الداريّ ثمْ لمّا رجع الأشْعث بن قيس إلى الإسلام بعد رِدّته زوّجها منه أبو بكر وقريبة بنت أبي قحافة، كانت تحت قيس بن سعد بن عُبادة.

[إسلام أبي بكر عليه السلام]

زعم بعض الرُواة أنّه كان في تجارة له بالشام فأخبره راهبٌ بوقت خروج النبيّ بمكّة وأمرهُ باتّباعه، فلما رجع سمع رسول الله ﷺ يدعو إلى الله، فجاء وأسلم، فلذلك قال: ما أحدٌ عرضتُ عليه الإسلام إلاّ وجدتُ عنده كبوةً إلاّ أبا بكر، فإنّه لم يتلعثم[3]، وزعم آخرون أنّه رأى رُؤيا وقيل: هتف به هاتف، فلما أسلم أبو بكر دعا عشيرتَه، وأقاربه، فأسلم بُدعائه رهطٌ منهم عثمان بن عفّان، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد ابن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم.

[أولاد أبي بكر رضي الله عنهم]:

كان له من الولد ستّة نفر، عبد الله بن أبي بكر، وإسماء بنت[4] أبي بكر، أمّهما سدة من بني عامر، وعبد الرحمن، وعائشة أمّهما أمّ رومان ومحمّد بن أبي بكر، أمّه أسماء بنت عُميس، وأمّ كلثوم أمّها بنت زيد بنت خارجة.رجلٌ من الأنصار، أمّا عبد الله بن أبي بكر فإنَّه

---

(١) الأشاجع: الأشجع واحد الأشاجع، وهي عروق ظاهر الكفّ.
(٢) حقويه: الحَقْوُ: الخصر، و ـ الإزار أو معقده.
(٣) يتلعثم في كلامه، تمكّث فيه وتوقّف.
(٤) أسماء ذات النطاقين: وهي أم عبد الله بن الزبير، وعمرت مائة سنة حتىٰ عميت. «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٠٩».

هلك في خلافة أبيه، ولا عقب له؛ وأمّا عبد الرحمن، فمات بمكّة بعد وقعة الجمل، وكان شهدها وله عقبٌ، وأمّا محمّد بن أبي بكر فكان ممّن أعان على عثمان، وبعثه عليّ بن أبي طالب والياً على مصر، فقاتلهُ أصحاب عمرو بن العاص، وقتلوه، وجعلوا جُثّته في حمار ميّت، ثم أحرقُوه، ومن ولده القاسم بن محمّد بن أبي بكر فقيه أهل الحجاز.

[بنات أبي بكر]:

أمّا عائشة فكانت عند رسول الله ﷺ، وقصّتها مشهورة ولا عقب لها، وأمّا أسماء فإنّها يقال لها: ذات النطاقين، وذلك أنها شقّت نطاقها، وشدّت به السُفْرة التي كانت هيّأتْها لهجرة رسول الله ﷺ، وأبي بكر إلى المدينة، ويقال: لمّا نزلت آية الخمِار، ضربَتْ يدها إلى نطاقها، فشقّته نصفين واختمرت بنصفه، وتزوّجها الزبير بن العوّام بمكة، فولدت له عِدّة وَلَد، وولدت بالمدينة عبد الله بن الزبير أوّل مولولد وُلد في الإسلام، وعاشت حتّى عمِيتْ، وماتت بعد قتل ابن الزبير ببُرهة وأمّا، أمّ كلثوم، فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكرهته، ونكحها طلحة ابن عُبيد الله، فولدت له.

[وفاة أبي بكر رضي الله عنه]:

اتّفقوا أنّه مات ابن ثلاث[1] وستين سنة، وكان أصغر سناً من رسول الله ﷺ بقدر خلافته، وهو سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليالٍ، وقال ابن إسحق: مات[2] يوم الجمعة لسبع ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وقال أبو اليقظان: مات يوم الإثنين واختلفوا في سبب موته، فقال قوم: سُمّ فمات، وقال قوم: بل اغتسل في يوم بارد، فحُمّ، فمات رضي الله عنه.

عثمان بن عفّان رضي الله عنه:

عثمان والنبيّ ﷺ في العدد سواءٌ، وكان حَبْراً[3] فَاضلاً، تقول قُريش: أحبّك الرحمن حُبَّ قريش عثمان، وزوّجه النبيّ ﷺ ابنتَيْه رُقيّة، وأمّ كلثوم.

---

(١) مات أبو قُحافة وهو ابن تسع وتسعين سنة. «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٠٧».

(٢) توفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٠٤».

(٣) حبراً: السّرور. و ـ النعمة وسعة العيش. و ـ العالم الصالح.

[ذكر حِليته]:

كان رجلاً رَبْعةً، حسن الوجه، رقيق البشرة، ريّان[1] الخدّ، أسمر اللون، عظيم اللحية، بعيد المنكبين وكان يشدّ أسنانه بالذهب.

[أبو عثمان وأمه وأخوته]:

أمّا عفّان فإنّه هلك في تجارة الشام، وأمّ عثمان أروَى بنت كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس، وأخوات عثمان أمة بنت عفّان، ولا يعرف لها عقبٌ.

[إسلام عثمان]:

قال الواقديّ: إنّ عُثمان وطَلْحَة أسلما معاً ذُكر أنّ عثمان قال: أقبلتُ من الشام في تجارة حتى إذا كنّا بين معان[2] والزرقاء، ونحن كالنيام إذا منادٍ يُنادي: أيُّها النيام هُبُّوا فإنّ مُحمّداً قد خَرَجَ، فلما رجع دخل على رسول الله ﷺ، فأسلم وأخذه الحَكَم بن أبي العاص، وأوثقه رباطاً، وقال: لا أحلّك حتى تدع دينك، فقال عثمان: والله لا أدَعُه أبداً، فلمّا رأه لا يدعه تركه، قال: وراغمته أُمُّه، وقالت: والله لا ألبس لك ثياباً، ولا أذوق لك طعاماً ولا شراباً، حتّى تدع دين محمّد، وتحوّلت إلى بيت أختها حَوْلاً، فلما رأت عثمان لا يدع دينه رجعت إلى منزله.

[أولاد عثمان رضي الله عنهم]:

كان له من الولُد الذُكران عشرة نفر، عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وخالد، وأبان، وعمرو، وسعيد، والمغيرة وعبد الملك، والوليد، وعُمر، ومن البنات ثلاثٌ أمّ أبان، وأمّ عمرو وأمّ سعيد، وقد يقال لإحداهنّ: عائشة أو رابعة، فأمّا عبد الله الأكبر، فإنّه كان يلقَّب المُطرَّف لحُسنِه وجمالِه، وأمّا عبد الله الأصغر، فإنّه كان من رُقيّة بنت رسول الله ﷺ، وهلك في صِغَره، وأمّا أبان بن عثمان، فكان أبرص، وكانت أُمّه حمقاء تجعل الخنفساء في فيها، ثم تقول بأحاجِيكَ ما في فمي، وأمّا سعيد بن عثمان، فقتله الرهائنُ الذين حملهم من سَمَرْقَنْد في حائطه بالمدينة وقتلوا أنفُسَهم، وأمّا الوليد بن عثمان، فكان

(١) ريّان الخدّ: كثير اللحم.

(٢) معان:

صاحب شراب ولهوٍ وقُتل عثمان، وهو علق في حجلته، ورحم الله من نظر في كتابنا هذا بعين الإنصاف، فبسط عذرنا فيم اشترطنا من الاختصار والإيجاز.

[مقتل عثمان]:

اختلفوا في يوم قتله، فقال ابن إسحق: قُتل يوم الأربعاء، ودُفن يوم السبت، وقال الواقديّ: قُتل[1] يوم الجمعة سنة خمس وثلاثين، وهو ابن إثنتين وثمانين سنة، وقيل: قُتل وهو ابن تسعين سنة، وقال غيره: قُتل وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ودُفن بالبقيع.

[طلحة بن عُبيد الله بن عثمان]:

طلحة بن عُبَيْد الله بن عُثمان بن عَمْرو بن سَعْد بن تَيْمِ بن كَعْب بن تَيمْ بن مُرّة.

ويكنّى أبا محمّد، ويقال له: طلحة الخير، وطلحة الفيّاض وطلحة الطلحات لجوده وكثرة خيره، وأُمُّه الصعبة بنت الحضرميّ، .

إسلام طلحة:

وذلك أنّه كانَ جَالساً في نادي قريش، فتذاكروا إسلام أبي بكر ومخالفته دين آبائه، فائتمروا بينهم بالفتكِ به فانتُدب طلحة له، وكان شديداً أيّداً[2]، فأتاه وأخذه بضبعه، وقال: قم يا أبا بكر، قال: إلامَ، قال: إلى عبادة اللات والعُزّى؟ قال: ومن اللات والعزّى؟ قال: بنات الله، قال أبو بكر: ومن أُمُّهم؟ فسكت طلحة وعلم أنّه باطلٌ، ثمّ أتى النبيَّ ﷺ، فأسلم، وروى الواقديُّ عن طلحة أنّه قال: كنتُ بسُوق بُصْرَى، فسمعتُ راهباً في صومعته يقول: سَلُوا أهل هذا الموسم، هل ظهر أحمد؟ فقلتُ له: ومن أحمد قال: ابن عبد الله هذا شهر خروجه، قال: فقدمتُ مكّة، فسمعتُ الناسَ يقولون تنّبى محمّدُ بن عبد الله، وتبعه ابنُ أبي قُحافة، فأتيتُ أبا بكر، فأخذني إلى رسول الله ﷺ، فأسلمتُ فلمّا خرجا من عنده أخذهما نوفل بن حارث، وكان أشدّ قريش، فشدّهما في حبل فلذلك سُمّي أبو بكر وطلحة القرينَيْن.

---

(١) أنظر «مروج الذهب للمسعودي جـ ٢ ص ٣٤٠».

(٢) أيّداً: قوياً شديداً.

[سنّ طلحة وحليته]:

قيل: كان أبيَض، مربوعاً، يضرب إلى الحمرة، ضخم القَدَمين لا أخمص لهما حسن الوجه، دقيق العِرْنِين[1]، ويقال: كان آدِمَ كثير الشعر، وقتله مروان بن الحكم يوم الجمل بسَهْم رماه به وهو ابن ستّين سنة وقال الواقدي: ابن أربع وستين سنة.

ذكر ولده:

كان له عشرة بنين، وأربع بنات لأمّهات شتّى، منهم محمّد بن طلحة أمّه حمنة بنت جحش، وأُمّ حمنة أميمة بنت عبد المطّلب عمّة النبيّ ﷺ، وكان يُقال له: السَّجّاد لكثرة صلاته، وشهِد الجمل مع أبيه، فنهى عليٌّ عن قتله، فقتله رجُلٌ وأنشأ يقول: [طويل]

وأشعثَ قوّام[2] بآيات ربّهِ — قليل الأذى فيما ترى العَيْنُ مُسْلِم
يُنَاشِدني[3] حَاميم[4] والرمحُ شاجرٌ — فهلّا تلا حاميم قبْل التقدُّم

الزُّبير بن العَوَّام:

بن خُوليد بن أسد بن عبد العزّى ويكنّى أبا عبد الله، وهو ابن أخي خديجة، وقُتل أبوهُ في الفجّار[5]، وأمّه صفيّة بنت عبد المطّلب.

[إسلام الزبير]:

قال الواقديّ: كان إسلام الزُّبير بعد إسلام أبي بكر رابعاً أو خامساً، ولم يَذكُر فيه سبباً ولا قصّةً، ورأيتُ في بعض الأخبار، أنّ الزبير أسلم وهو ا بن ثمان سنين أو عشر، فجعل عمُّه يعذّبه بالدُّخان على أن يترك دينه، فلمّا يئس منه تركه.

---

(١) العرنين: الأنف كله أو ما صَلُب من عظمه حيث يكون الشمم (ج) عرانين.
(٢) في مروج الذهب: سجّاد جـ ٢ ص ٣٧٤.
(٣) في مروج الذهب: يذكرني حاميم والرمح شارعٌ جـ ٢ ص ٣٧٥.
(٤) حاميم: (آل حاميم) و(ذوات حاميم) سور من القرآن الكريم تبدأ بـ(حم).
(٥) سميت هذه الحرب بحرب الفجّار لأنها كانت في الأشهر الحرم ومن قاتل في هذا الشهر الحرام قيل إنه قد فجر ولم يقاتل الرسول (ﷺ) في هذه الحرب إلا أنه كان ينبل أي يرد النبل عن أعمامه. «السيرة النبوية جـ ١ ص ١٥٩».

[حلية الزبير]:

قال الواقديّ: كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير خفيف اللحية، أسمر اللون، كثير الشعر، ويقال: كان طُوالاً تخطّ رِجْلاه الأرض إذا ركب، وقُتل سنة ستّ وثلاثين وهو ابن اربع وستين[1] سنة،

[أولاد الزبير]:

له سبع بنين غير البنات، منهم عبد الله بن الزبير يكنى أبا بكر، قتله الحجّاج بمكّة بعد فتنة سبع سنين ومُصْعَب بن الزبير، قتله عبد الملك بن مروان، وكان شجاعاً سخياً تزوّج عائشة بنت طلحة بن عُبيد الله، فأعطاها ألف ألف درهم، والمنذر بن الزبير، كان سيّداً حليماً، وكان يقول: ما قلّ سُفهاءُ قوم إلاّ ذَلّه، وإذا مشى في الطريق أُطْفِيت النيرانُ والمصابيح تعظيماً له وعُروة بن الزبير، كان فقيهاً فاضلاً وَرِعاً، ووقعت الأُكلة[2] في رِجْله فقُطعت وكويّتْ، ومنهم عبيدة بن الزبير، وعاصم بن الزبير.

سَعْد بن أبي وقّاص:

هو سعد بن مالك بن وهب بن أُهيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرّة، ويكنى أبا إسحق، وأمّه حمنة بنت سفيان بن اميّة بن عبد شمس، وله أخوان عُتبة وعُمير فأمّا عتبة، فهو الذي ضرب النبيّ ﷺ يومَ أُحُد، وأمّا عُمير فاستُشهِد يومَ بدر، وسعد من العشرة المشهود لهم بالجنّة، وتُوفّي سنة خمس وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنةً، أو بضع وثمانين سنة، وهو الذي فتح العراق وما يليها.

إسلام سَعْد رضي الله عنه:

روى الواقديّ عنه أنّه قال: أتى عليّ يوم وإنّي لثُلِثُ الإسلام قال: وكان سبب إسلامه أنّه رأى في المنام قال: كأنّي في ظلام فأضاء قمرٌ فاتّبعته، فإذا أنا بزيد وعليّ قد سبقاني إليه، ورُوي فإذا أنا بزيد وأبي بكر قال: ثم بَلَغَني أنّ رسول الله يدعو إلى الإسلام مستخفياً، فجئتُ إليه، فلقيتُه بأجياد، فأسلمتُ ورجعتُ إلى أمّي وقد سبق إليها الخبر، فأجِدُها على

---

(١) قتل الزبير وله خمس وسبعون سنة «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٧٢».

(٢) الأُكلة: مرضٌ يُحسُّ معه صاحبه برغبةٍ في حكّ جسمه.

باب تصيحُ وتصرخ، ألا أعوان من عشيرته وعشيرتي؟ فأجلسه في بيتٍ، وأطبقُ عليه الباب، حتّى يموت أو يدع هذا الدين المُحْدَث، قال: وأسلمتُ وأنا ابن سبع عشر سنة.

[حلية سعد وسنه]:

قالوا: كان رجلاً قصيراً دحداحاً[1]، غليظاً ذا هامة شَثْن الأصابع، جعد الشعر، وذهب بصره في آخر عمره واختلفوا في مُدّة عمره، فالذي يدلُّ عليه تأريخ إسلامه أن يكونَ زيادةً على سبعين سنة، وروى شعبةُ: أنّ سعداً والحسن بن عليّ ماتا في يوم واحد قال: ويرَوْن أنّ معاوية سمَّهُما.

ذكر ولده:

مُصعَب بن سعد، ومحمّد بن سعد، وعمر بن سعد قاتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه، فقتله المختار بن أبي عُبَيْد.

سعيد بن زيد بن عمرو:

ابن نفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن رياح بن قرط بن عديّ ابن عمّ عمر بن الخطّاب، وقال نفيل ولد عمراً والخطّاب قال الواقديّ: كان سعيد رجُلاً آدِم طُوالاً أشعر وأسلم قبل عُمر بن الخطّاب، وتُوفّي سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، ودُفن في المدينة وأبوهُ زيد ابن عمرو، ومن ولده مُحمّد بن سعيد يقول: ليزيد بن معاوية يوم الحّرة.

[خفيف]

لستَ منّا وليس خالك منّا ... يا مُضيعَ الصلاة في الشهوات

وعَقْبُ سعيد رضي الله عنه في الكُوفة كثيرٌ.

عبد الرَحْمَن بن عوف:

ابن الحارث ويُكنّى أبا مُحمّد وهو من العشرة المشهود لهم بالجنّة، والستّة المذكورين في الشُورَى.

---

(١) دحداحاً: الدحداح: القصير الغليظ البطن.

حلية عبد الرحمن:

قال الواقديّ: كان رجلاً طوالاً، حسن الوجه، رقيق البشرة، فيه خال[1] أبيض، مُشرباً حمرةً، وقال غيره: كان أعين[2] أقنى، جعد الشعر، ضخم الكفّين، ومات في خلافة عُثمان، وهو ابن خمس وستّين سنة لأنّه وُلد بعد الفيل بعشر سنين، ومات لسبع من سنيّ عثمان، وبلغ ثمن ماله ثلثمائة وعشرين ألفاً، وقُسم لأربع نسوة لكلّ واحدة ثمانون ألف درهم.

ذكر ولده:

محمد بن عبد الرحمن، وزيد وإبراهيم، وحميد، وعثمان، والمِسْوَر، وأبو سلمة الفقيه الذي يُروى عنه الحديث، ومُصْعَب، وكان شجاعاً شديداً وسُهَيل بن عبد الرحمن، وهو الذي تزوّج امرأة يقال لها: الثُريّا من بني أميّة الصُّغرى، فقال عُمر بن أبي ربيعة: [خفيف]

أيّها المُنكِحُ الثُريّا سُهيلاً عمرك اللهُ كيف يلتقيانِ
هي شاميةٌ إذا ما ٱستقلّت وسُهيلٌ إذا ٱستهلَّ يمانِ

أبو عُبيدة بن الجَرّاح:

هو عامر بن عبد الله بن الجَرَاح، فنُسب إلى جدّهِ، ورُوى أنّهُ سمع أباه يسبّ النبيَّ، فقطع رأسه وجاء به إلى النبيّ، وأخبَرهُ الخَبَر، وفتح الشام في أيّام أبي بكر، ومات بالطاعون في أيّام عُمر، ولا عقب له.

حليته:

قال الواقديّ: كان رجلاً طُوالاً نحيفاً، معروق الوجه، خفيف العارضين، أثرم الثنيّتين[3] وذلك أنّه انتزع نصلاً من جبهة النبي ﷺ يوم أُحُد بأسنانه فهُتم[4]، قال الواقديّ:

---

(١) خال: الخال شامةٌ سوداء في البدن، وقد تكون في الخدّ.
(٢) أعين: الأعين الذي عَظُم سواد عينه في سعة.
(٣) أثرم الثنيتين: الثنية من الأضراس: واحدة الأربع التي في مقدّم الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل، وانثرمت ثنيته: انكسر بعضها فصارت ثرماء.
(٤) هُتم: هتم فمه: ألقىٰ مقدّم أسنانه، همّ ثنيته: كسرها من أصلها.

أَسْلَمَ أبو عُبيدة بن الجرّاح، وعبيدة بن الحارث بن المطّلب، وعثمان بن مظعون، وأبو سلمة بن عبد الأسد كلّهم معاً.

[عمر بن الخطاب رضي الله عنه]:

إعلم إنّ عمر أخّرهُ تأخيرهُ في الإسلام، وقدّمَتْهُ فَضَائله عن درجته، وذلك أنّه أسْلَمَ بعد إسلام أربعين سوى من هاجر إلى الحبشة، لأنّه أسلم سنة ستّ من النبوّة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهو عُمر بن الخطّاب بن نُفيل بن عبد العُزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رياح بن عدي بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب، ينتهي إلى الشجرة التي منها النبيّ ﷺ، وأبو بكر، وعثمان بثمانية آباءٍ، ويكنّى أبا حَفْص، وأُمّه حنتمة بنت هاشم بن المُغيرة المخزوميّ.

إسلام عمر رضي الله عنه:

رُوي أنّ النبيّ دعا فقال: «**اللهُمَّ أَعِزَّ الإسلامَ بأبي جهل بن هشام، أو بعُمَر ابن الخطاب**» وكان عمر رجلاً شديد[1] الشكيمة لا يُرام ما وراء ظهره وقد أسلمت أُخته فاطمة بنت الخطّاب، وهي تحت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكان خبّاب بن الأرتّ يتنابُها ويُقرئها القرآن، قال: فتذاكرت قريش في ناديها، أمرَ النبيّ ﷺ وما يحدث من التفرّق والإلتيام، فانتدب عمر له وخرج من بينهم متوشّحاً بسيفه، وهو يُريد رسول الله، وقد ذُكر أنّه في بيت الأَرْقَم بن الأرْقم عند الصفا، فلقِيه نُعيم بن عبد الله النحّام، فقال له: أين تريد يا عمر؟ قال: أُريد هذا الصبيّ الذي فرّق أمر قريش فأقتُله، فقال له. نعيم: لقد غرَّتْك نفسُك، أترى أنّ بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلتَ ابن عمّهم؟ أفلا ترجع إلى أهلك فتُقيم أمرهم؟ قال عمر أيُّ أهلي؟ قال: أُختُك وخَتَنك، فعدل عمر عن الطريق إليهما، فإذا عندهم خبّاب يُقرئهم القرآن، ومعه صحيفةٌ فيها سورة طـه، فلما أحسُّوا بعمر غيّبوا خبّاباً وخَبّئوا الصحيفة، فقال عمر: ما هذه الهَيْنمة التي سمِعتُها وأنا على الباب؟ قالوا: ما سمِعت إلاّ خيراً، قال: بلى، وإنّي قد أخبرتُ أنّكما صبَوْتُما، وبطش بخبّاب، فقامت أختُه تكفّه عنه، فأصابتها شجّة[2]، فدبرا لذلك، وأظهرا إسلامهما، وقالا: بَلَى قد

---

(١) شديد الشكيمة: يُقال: فلان شديد الشكيمة؛ أي: شديد النفس أبيّ حازمٌ. (ج) شكائم.

(٢) شجّة: الشجّة: الجرح في الرأس أو الوجه.

أَسْلَمْنَا فاصنع ما بدا لك، فارْعَوى[1] عمر، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة أنظرُ ما فيها، وكان عمر كاتباً، فقالت: إنّي أخشاكَ عليها فأعطاها عهدَ الله، وميثاقه أنّه يرُدّها، فقالت: إنّك نجسٌ وإنّه لا يمسُّها إلاّ طاهر، فقام عمر فاغتَسَل، وأخذ الصحيفة، وقرأ صدراً من السورة، فأُعجب به، وألقى اللهُ في قلبه الإسلامَ، فخرج إليهِ خَبَّاب وقال: يا عمر إنّي لا أرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوةِ نبيِّه قال عمر: فأينَ محمّد يا خبّاب؟ قال: في دارِ الأرْقَم عند الصفا، فجاء عمر حتّى قرع عليهم الباب، فقام رجلٌ من الصحابة فَنَظَر من خلل الباب، فرجع وهو فزِعٌ مذعورٌ، فقال: هذا عمر متوشحاً بسيفه، فقال حمزة بن عبد المطّلب: إنْ كان جاء يريدُ خيراً بذلناه، وإنْ كان يُريد شَراً قَتَلْنَاه بسيفهِ، فأذن له، ونَهضَ رسول الله ﷺ، فلقيهُ وأخذ بُحجْزته[2]، ثُمّ جَذَبَهُ جذبةً شديدةً، فقال: «ما جاء بك يا ابن الخطّاب؟ فوالله ما أراكَ تنتهي حتّى يُنزل الله بك قارعةً»[3] قال: جئْتُ لأومِنَ بالله ورسوله، فقال النبيُّ «الله أكبر»، وأسلم عمر، وقال: كم أنتم؟ قال: أربعون، قال: والله لا نعبد الله بعده سِراً فخرج إلى الناس، وأظهر الإسلام، فقال ابن مسعود إنَّ إسلامَ عُمرَ كان فتحاً، وإنَّ هجرته كانت نصراً، وإنَّ خلافته كانت رحْمَةً، وما كُنّا نقدرُ أنْ نُصلّي عند الكعبة، حتّى أسلم عُمَرْ.

حلية عمر وسنّه:

اختلفوا في ذلك، فروى أهل الحجاز أنّه كان «أبيض أمهق طوالاً تعلوه حُمرة، وروي أهل العراق أنّه كان آدم شديد الأدمة[4]، ولا يختلفوا أنه كان أعْسَرَ يَسَرَ، وهو الأضبط[5] الذي يعمل بكِلْتَي يدَيْه، وإنّه كان أروَح، وهو الذي إذا مشى يتدانى عِقباه، وإنّه كان طُوالاً، حتّى كأنّه راكبٌ، والناس يمشون واستُشْهد سنة ثلاث وعشرين، قال ابن إسحق: وهو ابن خمس وخمسين سنة، وزعم قوم أنّه مات ابن ثلاث وستّين سنة، والله أعلم.

---

(١) ارعوىٰ: ارْعَوىٰ عن القبيح والجهل ارعِواءً: كفّ عنه ورجع: فهو (مَرْعَوٍ).
(٢) حجزته: الحجزة من الإزار ونحوه: موضع شدِّهِ من الوسط.
(٣) قارعة: القارعة: القيامة، و ـ: المصيبة الكبيرة الشديدة الوقع.
(٤) الأدمة: السُّمرة.
(٥) الأضبط: ضبط ضبطاً: عمل بيساره كعمله بيمينه فهو أضبط؛ أي: يعمل بكلتا يديه.

[أولاد عمر بن الخطاب]:

عبد الله بن عمر، وعُبيد الله بن عمر، وعاصم بن عمر وزيد بن عمر، ومُجبّر بن عمر، وأبو شحمة بن عمر، أمّا عبد الله فإنّه يُكنّى أبا عبد الرحمٰن، أسلم مع أبيه بمكة وهو صغيرٌ، وشهد المشاهد غيرَ بَدْرٍ وأحُد، لأنَّه رُدّ لصِغَرِه، وتوفي بمكة زمن الحجّاج وهو ابن أربع وثمانين سنةً، سنة ثلاث وسبعين من الهجرة في العام الذي قُتل فيه عبد الله بن الزُبير، ويقال: أنَّ الحجَّاج دَسَّ إلى رجُل، فسمَّ زُجَّ رُمْحه، ثمّ طعن به في ظهر قَدَمه، فمات، وله بنون وبنات منهم، عبد الله بن عبد الله بن عمر، أمُّه صفّية بنت أبي عُبيد أُخْت المختار بن أبي عُبيد، وعاصم وواقد، وبلال، وحمزة وسالم كان فقيهاً فاضلاً، وفيه يقول عبد الله بن عمر: وكان مُحباً له: [طويل]

يلـومـونّـني فـي سـالِـمٍ وألُـومُـهـم وجِلدُه بين العَيْن والأنْفِ سالِمُ

وأمّا عُبيد الله بن عمر بن الخطّاب، فكان شديد البطش وجرّد سيفَه يومَ قُتل عمر، واستعرض العجم بالمدينة، فقتل الهُرْمُزانَ، وابنته، وأبا لؤْلؤَةَ، وجُفَيْنَةَ رجلاً، فلما صارت الخلافة إلى عليّ عـم أراد أنْ يقتصَّ عنه، فهربَ إلى معاوية، وقُتل بصفّين، وأمّا عاصم بن عمر بن الخطّاب، فولد أولاداً منهم أُمُّ عاصم تزوّجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له عمر بن عبد العزيز، وأمّا زيد بن عمر فأمُّه أُمّ كلثوم بنت عليّ عـم مات هو وأُمّ كلثوم في يومٍ واحد، وأمّا أبو شحمة بن عمر، فقتله الحَدُّ في الشراب، ومجبرّ ابن عمر مات، فهؤلاء العشرة الذين شهد لهم النبيُّ ﷺ بالجنّة والرضا، ومنهم الخلفاء القائمون بالحقّ، والعاملون به، ونَعُود الآن إلى تقديم من قدّمه إسلامُه.

عَمْرو بن عبسة:

هو أبو نجيح السُلَميّ من بني سُلَيْم رَوَى الواقديّ أنه قال: كنتُ ثالثاً في الإسلام، أوْ رابعاً، وكان سببُ إسلامه أنّه كان يرغب عن عبادة الأوْثان والأصنام، فسأل حِبْراً من الأحبارِ عن دين يدين به الله عزّ وجلّ، فأخبره أنّه سيخرج نبيٌّ بمكة يدعو إلى دين الله، فلما سمع بالنبيّ ﷺ جاءَ فقال: «من أتبعك على هذا الأمر؟ فقال: حُرٌّ وعبدٌ، أراد، بالحُرِّ أبا بكر، وبالعبد بلالاً، فأسلم، ورجع إلى بلاده، فلمّا قُبض النبيّ عم سكن بالشام وبها تُوفّي».

أبو ذَرّ الغِفَاريّ:

اسمه جُنْدَبُ بن السَكن، ويقال: بن جنادة وروى الواقديّ أنّه قال: كنتُ خامساً في الإسلام، وكان رجلاً شجاعاً نصِب في الطريق يقطع على أهله وَحْدَه، ويُغير على

الصِرمة[١] في عماية الصبح، ويسبق على قدميه الراكبَ، وكان يتألّهُ في الجاهليّة ويقول: لا إله إلا الله قَبْلَ ظهور النبيّ ﷺ بالدعوة فمرّ به رَكْبٌ[٢] من ضلّةٍ، فقالوا: يا أبا ذرّ، إنّ ابن عبد المطلب يقول كما تقول، فأخذ شَيْئاً من بهش يعني المُقل، وتزوّده حتّى قدم مكة، قال: فانتهى إلى النبيّ ﷺ وهو راقد، فنبّه، فقال: أنعم صباحاً، فقال النبي ﷺ: «ما أقول الشِعْر، ولكنّهُ قُرآنٌ أقرأُهُ» فقال: اقرأ، فقرأ عليه سورةً، فشهِد أبو ذرّ شهادةَ الحقّ، فأسلم ورجع إلى بلاده، فجعل يعترض لعيرات[٣] قريش، فيقطعها، ويقول: والله لا أرُدُّ عليكم شيئاً ما لم تشهدوا بالحقّ، فمن أسلم رِدّ عليه مالَه، ولم يشهد بدراً ولا أُحُداً لأنّه قدم المدينة بعدهما، وكان مختصاً بالنبيّ ﷺ فقال: «ما أقلّت الغبراءُ، ولا أظلّت الخضراءُ على ذي لهجة أصدقَ من أبي ذرّ، كيف بك أذا أُخرجتَ عن المدينة لقول الحق»؟ وقال: «إذا بلغ البناءُ سيفاً من المدينة، ولا أظنُّ أمراؤك يدعونك»، قال: أفلا أضرب بسيفي؟ قال: لا، ولكن تسمع، وتُطيع، فلمّا بلغ البناءُ سيفاً خرج إلى الشام، فمال الناس إليه يقولون: أبو ذرّ أبو ذرّ، فكتب معاوية إلى عثمان أنّ الشام ليست لي بأرض ما دام أبو ذرّ فيها، فكتب إليه عُثمان أنّ أقدم، فقدم، وقال: أخِفْتَني، قال: أقم عندي تغدُو عليك اللقاح، وتروح. قال: لا حاجة لي فيها ائذن لي، فأتى الربذة فسيّره إليها، فمات بها لقول النبي ﷺ: «تعيشُ وحدك. وتموت وحدك»، قالوا: ولمّا حضرَتْه الوفاةُ قال لإمرأته وغلامه: إذا أنا مُتُّ فأغسلوني وكفّنوني، واحملوني حتّى تضعوني على قارعةِ الطريق، فأيُّ رَكْبٍ طلع عليكم، فقولوا: هذا أبو ذَرٍّ صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا بدفنه، قالوا: ففعلا ذلك، فكان أوّل ركب طلع عليهم، عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه، فقال: صدق رسول الله ﷺ، قال في غزوة تَبُوك: «تموت وحدك، وتعيش وحدك»، فنزل وصلّى عليه، ووَارَاه، وكانت وفاته سنة إثنتين وثلاثين ولا يُعرف مبلغ سنّه، ولا عقبَ له.

خالد بن سعيد بن العاص[٤]:

ابن أميّة روى الواقديُّ قال: كنتُ خامساً في الإسلام، وهو من المهاجرين الأوّلين

---

(١) الصرمة: القطعة من الإبل ما بين العشرين إلىٰ الثلاثين أو إلىٰ الخمسين والأربعين أو ما بين العشرة إلىٰ الأربعين أو ما بين عشرة إلىٰ بضع عشرة.

(٢) ركْبٌ: الراكبون وهنم العشرة فما فوتها.

(٣) عيرات: العير القوم معهم حِمْلهم من المسيرة. يُقال للرجال وللجمال معاً.

(٤) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي، وامرأته أُمينة بنت خلف.

إلى أرض الحبشة وكان يكتب لرسول الله ﷺ بمكّة والمدينة، واستعمله على صدقات أهل اليمن، فتُوفّي رسول الله ﷺ قبل أن يرجع إليه فلمّا رجع لم يبايع أبا بكر ثلاثة أشهُرٍ، ثمّ بايع، وقُتل بأجنادين في أيّام أبي بكر رضي الله عنه، وزعم أبو اليقظان أنّه أسلم قبل أبي بكر وكان سببُ إسلامه أنّه رأى في المنام أنّه على شفير نارٍ، وأبوه يدفعه فيها، ومحمد يدفعه عنها، فلما أصبح عبر على أبي بكر، فقصّها عليه، فقال: هذا رسول الله، فاتَّبعه وكان أبوه أبو أُحَيْحة سعيد بن العاص مريضاً، فدخل عليه، وذكر له الرُّؤيا، فقال: لَئِن رفعني الله من مضجعي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكّة، فقال: خالد، فقلتُ: اللهُمَّ لا ترفَعْهُ، ثُمّ جئتُ إلى النبيّ ﷺ، فأسلمتُ، ولم يرفع الله أبا أُحيْحة حتّى هلك.

وممّن تقدّم إسلامُه أبو سلمة بن عبد الأسد اسمه عبد الله كان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، وهاجر قبله إلى المدينة بسنةٍ.

مصعب بن عمير:

ابن هاشم بن عبد مناف، كان فتَى قُريش جمالاً وشباباً وعِطراً، وكان رسول الله ﷺ في دار الأرْقَم، فجعلت أُمُّه تعذّبهُ بأنواع العذاب ليدَعَ دينه، فما تركه حتّى ظهر به الشُحوب وأثّر فيه الجُوعُ، فهاجر إلى الحبشة، ورجع، ثُمّ بعثه النبيّ ﷺ مع الأنصار إلى المدينة يُعلّمهم القرآن، فيقال: إنّه أوّل من جمع بالمدينة وأستُشهد بأُحُد، وقيل: أنّ فيه نزلت ﴿وأمّا من خافَ مقامَ ربّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى. فإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

قال الواقديّ ما نظر إليه رسول الله ﷺ إلاّ دمعَتْ عيناه.

عبد الله بن مَسْعود:

ابن الحارث بن سمح بن مَخْزوم من هُذيل رُوي عن إبراهيم النخعيّ، أنّهُ كانَ رجلاً قليلاً قضيفاً[1] فَطِناً يكادُ الجلوس تُواريه، وهو أوّل من أفْشَى القرآن بمكّة، وذلك أنّ أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: إنَّ أحدنا يشري نفْسَه لله، فيجهَرُ بهذا القرآن حتّى تُقرَّ في أسماع قريش، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنا أفعل ذلك، وكان حسن الصوت، فتوجّه إلى الكعبة، ورفع صوته بسورة الرحمن، ثمّ انصرف وفي وجهه ما شاء الله، وهو

(١) قضيفاً: نحيفاً.

الذي جاء برأس أبي جهل بن هشام يوم بدرٍ، وتُوفّي في المدينة سنة اثنتين في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، ومن ولده عبد الرحمن، وعُتْبة، وأبو عبيدة، وقد نسلوا وأعقبوا، ولعبد الله أخٌ يقال له: عُتْبة بن مسعود، وهو أيضاً قديم الإسلام، ومن ولده عَوْنَ بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، كان صاحب فقه وحديث وهو الذي قال: [وافر]

وأوّل ما نفارقُ غيرَ شكٍّ نفارق ما تقول المُرجِئُونا

وممّن سبق إسلامه من بني هاشم:

أسلم بمكّة، وشهد بدراً حمزةُ بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسول الله رضي الله عنه، ويكنّى أبا عُمارة وأبا يعْلَىٰ، واستُشهد بأُحُد رضي الله عنه قتله وَحْشيٌّ غُلام حرب بن مطعون، وكان له ابنٌ يقال له: عُمارة مات، ولم يُعقب.

قال الواقديُّ: كان حمزة رجُلاً قانصاً، كان يوماً في مَصْيَده ورسول الله ﷺ قد خرج إلى الحَجُون[1] في حاجة له، إذ تبعه أبو جهل في رجُلٍ من سُفهاء قُريش، فنالوا منه وآذوْه، وذرّ أبو جهل التراب على رأسه ووَطِيءَ برجله على عاتِقه، فلما نزل حمزة نادَتْه امرأته، يا أبا عُمارة، لو رأيت ما نال عَمْرُو بن هشام من ابن أخيك، فأقبل حمزةُ مُغْضَباً حتّى وقف على ناديهم، فلما نظر إلى أبي جهل ضربه بالقوس فأوضحت في رأسه الشَجّة[2]، وقال: واشهد أنّ محمّداً رسول الله فاصنعوا ما بدا لكم، فلما أسلم حمزة عَزَّ به الدِينُ، والنبيّ ﷺ.

جعفر بن أبي طالب ذو الجناحين:

أسلم وهو دون ابن عشرين سنة وكان أمير القوم في الهجرة الثانية إلىٰ الحبشة، وقدم على رسول الله ﷺ، وهو بخيبر فاستقبله، وقبّل ما بين عينيه، وقال: لا أدري بأيّهما أفرحُ، بفتح خيبر أو بقدوم جعفر، وقُتل بمؤتَةَ رحمه الله ورضي عنه، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وولدت له أسما بنت عُميس الخثعميّة بالحبشة، أحمدَ بن جعفر، وعديَّ بن جعفر، وعبد الله بن جعفر، وقد قال بعضُ الناس: أنّ إسلام جعفر أقدم من إسلام حمزة، وأما

---

(١) الحَجُون: جبل بأعلىٰ مكة عنده مدافن أهلها. وقال الكسري: مكان من البيت علىٰ ميل ونصف، وقال الأصمعي الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة علىٰ شعب الجزارين.

(٢) الشجّة: الجرح في الرأس أو الوجه.

عُقيل بن أبي طالب فإنّه أُسِرَ يومَ بدر مع العبّاس رضي الله عنه، ثمّ أسلم.

وممن سبق إلى الإسلام من بني عبد مناف:

أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد مناف أسلم وهاجر إلى الحبشة، ومعه امرأته سهلة بنت سُهَيل بن عَمْرو، فولدت له مُحمّد بن أبي حُذيفة فرخ قُريش، وهو الذي ألَّب على عثمان، وذلك أنّه كان تكفّل به، فلما أفضى الأمرُ إلى عثمان خرج محمد بن أبي حُذيفة إلى مصر عارّيا وتنسّك وأظهر الطعن على عثمان، ثم قتله معاوية، ولا عقبَ له.

وممن سبق إسلامه:

من الناس المِقْداد بن الأسود بن عبد المطّلب مات بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة، ورُوي أنه ما كان من المسلمين من فرس يوم بدر إلا فرس المقداد بن الأسود.

عمّار بن ياسر:

يكَنى أبا اليَقْظَان، قال الواقديّ: أسلم عَمّار وصُهَيْب بعد إسلام بضعة وثلاثين رَجُلاً في دار الأَرْقَم بن الأرْقَم، وكان أبوه ياسر قدم من اليمن، وحالف بني مخزوم، ثُمّ أسلم وأسلمت أُمّه سُميّة فجعل بنو مخزوم يعذّبونهم بالرمضاء[1]. إذا حميت الظهيرة، ويمرُّ بهم رسولُ الله ﷺ، فيقول: «صبراً يا آل ياسر فإنَّ موعدَكم الجنّة» فقتلوا ياسراً وشدّوا رِجْلَ سُميّة بين بعيرَيْن، ووجَؤُوا[2] قُبلها بالرماح حتّى قتلوها بعد ياسر بزمانٍ، طويل، وعمّارُ أعطاهم بلسانه ما طلبوا، وفيه نزلت ﴿إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطمئِنٌ بالإيمان﴾ [النحل: ١٠٦] وقُتل بصِفّينَ[3]، ومن ولده محمد بن عَمّار، وله عقب.

وأمّا صُهيب بن سنان:

ابن مالك، فزعم بعض الناس، أنّه من النَمِر ابن قاسط، وزعم آخرون أنّ أباه كان

---

(١) الرمضاء: شدة حرّ الشمس.

(٢) وجؤوا قُبلها: وجؤوا: ضربوا. قُبلها: القُبُل من كل شيء: مقدّمُهُ أو جهته الأمامية. والقُبل من الرجل والمرأة العورة الأمامية.

(٣) صفّين: أرض قرب الرقة على شاطىء الفرات، كانت بها المعركة العظمى بين عليّ ومعاوية سنة ٣٧ هـ.

غلاماً عاملاً لكِسْرَى على الأُبُلّة[1]، فأسَرَتْهُ الرومُ أعني صُهيباً، ونشأ عندهم، ثمّ اشتراهُ عبد الله بن جُدْعان، وبعث به إلى النبيّ ﷺ، وكان مزّاحاً فكِهاً، ولمّا هاجر النبيّ ﷺ إلى المدينة أُهْدي إليه تمرٌ، فوقع صُهيب يأكل وبه رَمَدٌ، فقال النبيّ عـم: «**أتأكل التمر وبك رَمَدٌ**»؟ قال: إنّما أمضَغُ بالناية الأُخرى، فضحك النبيّ ، وله عقبٌ.

خبّاب بن الأرتّ:

وهو من بني سعد بن زَيْدِ مناةَ، أصابه سَبْيٌ فبيع بمكّة، وأُمُّه كانت ختّانةً، وقيل: مُقطعةُ البظور، وخبّاب من فقراء المسلمين وخِيارهم، وكان به برصٌ، وابنه عبد الله بن خبّاب قتلته الخوارجُ، فبذلك استحلّ عليٌّ عـم قَتْلَهم.

الأَرْقَم بن الأَرْقَم المَخْزُومِيُّ:

هو الذي آوَىٰ رسولَ الله ﷺ في داره عند الصفا، حتّى تكاملوا أربعين، وكان آخِرُهم إسلاماً عمر بن الخطّاب وأرقم ممّن هاجر، وشهد بدراً.

بِلاَلُ بن رَبَاح:

وأُمّه حمامةُ، أسلم فجعل مولاه أُميّةُ بن خلَف الجُمحيّ يعذّبه، ويطرحه على ظهره في نصف الظهيرة، ويضع صخرة عظيمة على صدره، ويقول: لا تزال هكذا حتّى تموت أو تكفُرَ بمحمّد وربّه، وهو يقول: أَحَدٌ أحدٌ، فمّر به أبو بكر يوماً، فقال: إلى متى تُعذِّب هذا المسكين؟ قال أُميّة بن خلَف: أنت أفسدتّه فأَنقِذْه، قال: نعم عندي غلامٌ على دينك أَجْلَدُ منه وأقوى، فخُذه مكانَه، فأخذه أبو بكر فأعتقه، وكان رجلاً أَسْود جَهْوريَّ الصوت، ومات بدمشق سنة عشرين.

أبو موسى الأشعريّ:

واسمه عبد الله بن قيس قدِم على رسول الله ﷺ في الأشعريّين من اليمن، فأسلموا. قال ابن إسحق فيما يروي زياد بن عبد الله البكائيّ عنه: أنّه أسلم، وهاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأوّلين، وتُوفّي سنة إثنتين وخمسين، ويقال: سنة إثنتين وأربعين، وله أولادٌ

---

(١) الأُبلة: بلدة علىٰ شاطىء دجلة البصرة العظمىٰ في زاوية الخليج الذي يدخل إلىٰ مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة.

منهم أبو بُردة بن أبي موسى، وكان قاضياً، وبلال ابن أبي بُردة، وكان قاضياً بالبصرة، وفيه يقول ذو الرُّمة: [طويل].

فقُلْتُ لصَيْدح انتجعي بلالا

العلاءُ بن الحضرميّ:

واسم الحضرميّ عبد الله بن ضَمار، وبعثه رسول الله ﷺ إلى صاحب البحرين المُنْذِرِ بن ساوى، فأسلم وعبر العلاءُ إلى دارين[1]، فخاض البحر على فرسه، وانتجع أسياف فارس، وحمل من مال البحرين إلى رسول الله ﷺ مائة ألف وثمانين ألف درهم، وتُوفّي في أيّام عُمر رضي الله عنهما.

عُثْمان بن[2] مَظْعُون:

من بني جُمَح، يكنّى أبا السائب، قديم الإسلام وهو الذي أفتتح الأبلّة في خلافة عمر، واختطّ البصرة، وأسّس مسجدها، ورُوي عنه أنّه قال، رأيْتني وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، وما لنا طعامٌ إلاّ ورق الشجر حتّى قَرِحَتْ أشداقُنا[3]، فما أصبح منّا اليوم أحدٌ حيّاً إلاّ وهو أميرٌ على مِصْرَ، فهؤلاء المشهورون من مهاجري الصحابة السابقين إلى الإسلام والهجرة.

ورُوي عن قتادة أنّه قال: من صلّىٰ إلى القبلتين فهو من المهاجرين الأوّلين.

وممّن تأخّر إسلامُه من الصحابة:

النعمان بن مقرّن أمير المسلمين يومَ نهاوند[4]، وبها قُتل ونبت الشقائق على قبره،

---

(١) دارين: فُرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند. والمسلمين اقتحموا إلىٰ دارين البحر مع العلاء بن الحضرميّ فأجازوا ذلك الخليج يمشون علىٰ مثل رملة ميثاءَ مؤتها ماء يغمر أخفاف الإبل. وبين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفر البحر.

(٢) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمع بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي.

(٣) أشداقنا: الشّدق: جانب الفم من باطن الخدّ (ج) أشداق.

(٤) نهاوند: هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، سميت بنهاوند لأنهم وجدوها كما هي، ويُقال إنها من بناء نوح، عليه السلام، وكانت وقعة نهاوند سنة ٢١ أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأمير المسلمين النعمان بن مقرّن المزني فقُتل بها.

فقيل: شقائق النُّعمان.

جرير بن عبد الله البجلي:

كان يُنقل في ذِروَة البعير لطول قامته ويقال له: يوسف هذه الأُمّة لجماله، وكماله، وحُسْن فعاله.

عثمان بن العاص الثقفيّ:

كان يكتب لرسول الله ﷺ، واستعمله على الطائف، وهو الذي أفتتح أسياف فارس وبنى تَوَّج[1] بفارس وبها ولد.

عُكاشة بن محصَن الأسديّ:

وهو ممّن يدخل الجنّة بغير حساب وقتله طُليحة يوم بُزَاخَة[2].

المُغيرة بن شُعْبة:

من ثقيف، وكان أَعْوَرَ من دواهي العرب، ومات بالكوفة بالطاعون، وكان أميرَها من قِبَل معاوية، وكان يزعم أنّه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ لأنّه أَلْقَى خاتمه في قبره ثم نزل ليأخُذَه، وكذّبه عليّ وابن عبّاس، وقال: بل كان ذلك قُثم ابن العبّاس لأنّه كان أصغر القوم، ومن ولد المغيرة عُرْوة من أُمّ الحجّاج بن يوسف كانت تحته، والعقّار، وحمزة ابنا عروة بن المغيرة وأخو المغيرة عروة بن مسعود أسلم ودعا قومه، فقتلوه فقال النبيّ عـم: «وهو من الساقين».

العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه:

يكنّى أبا الفضل كان وُلد قبل الفيل بثلاث سنين وعاش تسعاً وثمانين سنة، ثُمّ كُفّ بصرُه، ومات بالمدينة في زمن عُثمان بن عفّان، وكان قصير القامة، طويل اللحية، وأُسر يوم بدر، فافتُدِي وأسلم، وولد إثنَي عشر نقيباً، قال أبو صالح: ما رأَيْنا بني أبٍ قطُّ أَبْعَد

---

(١) توّج: وهي أرض أردشير خرّه، وهي متاخمة إلىٰ أرّجان.

(٢) بُزاخة: ماء لطيء بأرض نجد، وقال أبو عمرو الشيباني: ماءٌ لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر مع طليحة بن خويلد الأسدي.

قبوراً من بني العبّاس، مات الفضل بالشام، ومات عبيد الله بالمدينة، ومات عبد الله بالطائف، ومات قُثم بسمرقند.

عبد الله بن العبّاس رضي الله عنه:

بَحْرُ هذه الأُمة يكنّى أبا العبّاس، وتوفّي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة ويقال: ثلاث عشرة وعاش ثلاثاً وسبعين سنة، ومات بالطائف في فتنة ابن الزُّبير بعد ما كُفَّ بصرهُ سنة ثمان وستّين، فضرب محمّد بن الحنفيّة فُسطاطاً[1] على قبره، وروى طائر جاء حتّى دخل في كفنه، فقيل فيه: [خفيف].

إنمـــا الطيـــرُ عِلمُـــه زال مَعْـــه ذاك فينـــا اليقيـــنُ والبُـــرْهـــانُ

وولدُ عبد الله بن العبّاس ثمانية نفر، منهم عليّ بن عبد الله أبو الخلفاء واختلفوا في مولده، فرُوي أنّه ولد في ليلة قُتل فيها عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ورُوي أنّه وُلد قبل ذلك، فحنكه[2] عليّ بيده وسمّاه عليّاً، وقال: هاك أبو الأملاك، وكان سيّداً شريفاً يصلّي كلّ يوم ألف ركعة تحت الشجر، وذلك أنّه كان له حائطٌ فيه خمسمائة أصل زيتون، فجعل يصلّي كلّ يوم إلى كلّ أصل ركعتين، وكان يُسمّى ذا الثفنات، وضربه الوليد بن عبد الملك بالسياط مرتّين لقوله: إنّ هذا الأمر سيكون في ولدي، وولد عليّ بن عبد الله بن العبّاس محمّداً، وعبد الله، وكان بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة فولد محمّد بن عليّ أبا العبّاس السفّاح، وأبا جعفر المنصور من الحارثية وهي امرأة من بني الحارث بن كعب.

عمرو بن العاص الثقفيّ:

أبو الأبناء المشهورين، أسلم هو وخالد بن الوليد سنة ستّ من الهجرة، وكان سبب إسلام عمروٍ أنّه لما خرج إلى الحبشة في شأن جعفر، ومن هاجر معه من المسلمين فقال للنجاشيّ: ادفع إليّ هؤلاء لأضرب أعناقهم، فقال النجاشي: تسألني أن أعطيك رَهْط نبيّ الله الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران عليه السلام لتقتلهم؟! فوقع في قلبه الإسلامُ، فلما كان وقت إسلامه خرج قاصداً إلى النبيّ ﷺ، فلقيهُ خالد بن الوليد، وهو يريد

---

(١) فسطاطاً: الفسطاط: بيت يُتخذ من الشعر. و ـ مدينة مصر العتيقة التي بناها عمرو بن العاص قرب القاهرة في موضع خيمته أو فسطاطه.

(٢) حنكه: دلك حنكه.

الإسلام، فقال: إلى أينَ يا أبا سليمان؟ قال: لقد استقام أمر الميم، وإنّ الرجل لنبيّ الله، فأسلم، فقال عمرو: والله ما جئتُ إلاّ لذلك، فقدِما المدينة، فأسلما، وبايعا، وكان عَمْرو من دواهي العرب، ومات سنة اثنتين وأربعين بمصر في أيام معاوية ويقال: إحدى وخمسين، وهو ابن ثلاث وتسعين، فصلّى عليه ابنه عبد الله بن عمرو يوم الفِطْر، ثمّ صلّى بالناس العيد.

عبد الله بن عمرو:

ابن العاص بن وائل بن سهم بن هصيص بن كعب بن لؤي، وكان يقرأ بالسّريانيّة، ويضرب بسَيْفيْن، ومات بمكةّ، ويقال: بمصر، ومن ولده مُحمّد بن عبد الله بن عمرو، ومن ولد مُحمّد شُعيب بن مُحمّد، ومن ولد شعيب عمرو بن شعيب يَروي الحديث عن أبيه عن جدّه.

وممن أسلم عام الفتح وبعده:

عتّاب بن أسيد بن العيص بن أبي العيص بن أُميّة، أسلم عام الفتح، واستعمله النبيّ ﷺ حتّى خرج إلى حُنين[1]، ومن ولده عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد يعسوب قريش، شهِد الجَمَل مع عائشة، واحتملت عُقاب كفّه لمّا قُطع وطرحته باليمامة، فعُرف بخاتمه، ومات عتّاب يوم مات أبو بكر رضي الله عنه.

أبو سفيان:

صخر بن حَرب بن أُميّة بن عبد شَمْس، أسلم قبل الفتح وذهبَتْ إحدى عينَيه بحُنين، والأُخرى باليرموك، ومات بالمدينة في خلافة عثمان بن عفّان، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ومن ولده معاوية بن أبي سفيان، أسلم عام الفتح، وولي الشام لعُمر وعثمان عشرين سنة، وأمر عليها عشرين سنة، ومات بدمشق سنة ستين من الهجرة، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، فيما يروي ابن إسحق، وقد قيل: ابن إثنين وثمانين سنة.

---

(١) حُنين: يجوز أن يكون تصغير الحنان، وهو الرحمة، ويجوز أن يكون تصغير الجِنّ، وقال السُّهيلي: سمي بحُنين بن قانية بن مهلائيل، وهو اليوم الذي ذكره عزّ وجل في كتابه الكريم، وهو قريب من مكة، وقيل: هو وادٍ قبل الطائف، وقيل: وادٍ بجنب ذي المجاز، وقال الواقدي: بينه وبين مكة ثلاث ليالٍ.

والمؤَلفة قلوبهم:

كلّهم أسلموا عام الفتح وبعده، ومنهم أبو سفيان ومعاوية، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العُزَّى، وصفوان بن أميّة، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام، وعُيينة بن حصن بن بَدْرٍ، والأقرع بن حَابس، والعبّاس بن مِرْداس، وجُبير بن مُطْعم، والزِّبرقان، وقيس بن مخرمة.

وممّن أسلم في الوفود:

حُجْر بن عدي وفد على رسول الله ﷺ وشهد القادسيّة، والجمل، وصفّين، وكان من شِيعة عليّ، فقتله معاوية بعدما أعطى الحسن بن عليّ الأمان لشِيعة عليّ ولحُجر خاصّة.

عدَي بن حاتم الطائيُّ

شهد مع عليّ الجمل، ومات أيام المختار بن أبي عبيد، وقد بلغ من السنّ مائة وعشرين سنة.

لبيد بن ربيعة العامريّ:

الشاعر وَفَدَ، فأسلم، ولم يُقل بعد الإسلام بيتاً من الشعر، ومات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة.

عمرو بن معدي كرب:

وفد فأسلم، ثُمَ ارتدّ بعد وفاة النبيّ ﷺ وقُتل بنهاوند رحمه الله ورضي عنه.

الأشعث بن قَيس:

من كندة، وفد فأسلم، ثُمّ ارتدّ، ثم أسلم، وزوّجه أبو بكر أُخْتَه أُمّ فَرْوة بنت أبي قحافة، وابنه عبد الرحمن بن الأشعث خرج على الحّجاج بن يوسف، وخرجت القرامطة، وكان الأشعث أُسِر، فافتُدِي بثلاثة آلاف بعير، ومات سنة أربعين.

قيس بن عاصم المنقريّ:

سيّدُ بني تميم، وفد على الرسول، فأسلم وقال له النبيّ ﷺ: «أنت سيّدُ أهل الوَبَر» وفيه يقول الشاعر: [طويل].

وما كان قيسٌ هُلْكه هُلْكُ واحد ... ولكنّه بُنيانُ قوم تهدما

عمرو بن الحمق:

أسلم في حجّة الوَداع، وكان من شيعة عليّ عتم قتله عاملُ معاوية بالموصل.

عبد الله بن عامر:

بن كُريز ابن خالة عثمان بن عفّان، وهو الذي افتتح عامّة فارس وخراسان وكابل، واتّخذ النباج[١] والقريتين[٢] بالمدينة وروَي عن النبيّ ﷺ حديثاً واحداً وهو: «من قُتل دون ماله، فهو شهيد».

يعلى بن منية:

ويقال: ابن أميّة، فأُميّة أبوه، ومنية أُمّه، وأسلم عام الفتح، وجاء بابنه إلى النبيّ ﷺ، فقال: بايعْه على الهجرة، فقال: «لا هجرة بعد الفتح».

إسلام سلمان الفارسيّ رضي الله عنه:

وهو يكنّى أبا عبد الله، ومات بالمدائن في خلافة عثمان، وكان والياً عليها، روى ابن إسحق والواقديّ وغيرهما أنه قال: كنتُ ابن دهقان قرية جَيّ من أصبهان؛ وبلغ من حُبّ أبي إيّاي أن حبسني في البيت كما تُحْبس الجارية، واجتهدتُ في المجوسيّة، حتّى صرتُ قطِن بيت[٣] النار، قال: وأرسلني أبي يومئذٍ إلى ضيعة له، فمررتُ بكنيسة النصارى، فدخلتُ إليهم فأعجبني صلاتُهم، فقلتُ: دين هؤلاء خيرٌ من ديني، فسألْتُهم أين أصلُ هذا الدين؟ قالوا: بالشام، فهربتُ من والدي حتّى قدمتُ الشام ودخلتُ على الأُسقف، وجعلت أخدُمه، وأتعلّم منه حتّى حضرَتْه الوفاة، فقلتُ: إلى من تُوصي بي؟ فقال: قد هلك الناس، وتركوا دينهم إلى رجل بالموصل، فألحق به، فلما قضى نَحْبَهُ لحقتُ بالرجل الذي أَوْصَى به، فلم يلبثْ ذلك إلاّ قليلاً، حتّى مات، فقلت إلى من توصي بي؟ قال: ما

---

(١) النِّباج: قيل: بين مكة والبصرة للكُرَيزيين وهي التي استنبط ماءها عبد الله بن عامر بن كريز، شقق فيها عيوناً وغرس نخلاً وولده به. وقيل: النباج قرية في بادية البصرة على النصف من طريق البصرة إلى مكة.

(٢) القريتين هما مكة والطائف: قريبة من النباج في طريق مكة من البصرة، قال السكوني: هما قرية عبد الله بن عامر ابن كُريز وأخرى بناها جعفر بن سليمان وبها حصن يقال له العسكر.

(٣) قطن بيت الدار: درجة في الكهنوتية المجوسية تُطلق على الموكل بحفظ النار.

أعلم رجلاً بقي على الطريقة المستقيمة إلاّ واحداً بنصيبين، قال: فلحقتُ بصاحب نصيبين، وتلك الصومعة اليوم باقيةٌ بعدُ، وهي التي تعبّد فيها سلمان قبل الإسلام، قال: واحتُضرِ صاحب نصيبين، فبعثني إلى رجل بعمُّورية من أرض الروم. قال: فأتيته، فأقمتُ عنده، واكتسبتُ بُقَيراتٍ وغُنَيماتٍ فلما نزل به سلطان الموت. قلت له: بمن تُوصي بي؟ قال: قد ترك الناس دينهم وما بقي أحدٌ منهم على الحقّ، وأنّه لقد أظلّ زمانُ نبيّ مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرضِ العرب مهاجراً إلى أرض بين حَرَّتَيْن بها نخلٌ، قلتُ: وما علامتُه؟ قال: يأكل الهديّة ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوّة، قال: ومرّ بي رَكْبٌ من كلب، فخرجتُ معهم، فلمّا بلغوا وادي القُرى، ظلموني وباعوني من يهوديّ، فكنت أعمل له في زَرْعه ونخله، فبينا أنا عنده إذ قدم ابنُ عمّ له، فابتاعني منه، وحملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلاّ أن رأيْتها فعرفتُها، وبعث الله محمّداً بمّكة، ولا أسمع بشيءٍ منه، فبينا أنا في رأس نخلة، إذْ أقبل ابنُ عمّ لسيّدي، فقال: قاتَل الله بني قَيْلَةَ قد اجتمعوا على رجل بقُباءَ قدم عليهم من مكّة، يزعمون أنّه نبيٌّ فأخذتني العُرواءُ[1] و الانتغاض، ونزلتُ عن النخلة، وجعلتُ أستقصي في السؤّال، قال: فما كلّمني سيّدي كلمةً بل قال: أقبل على شأنك ودَعْ ما لا يَعْنيك. قال: فلمّا أمسيت أخذتُ شيئاً كان عندي من التمر، فأتيتُ به النبيّ ﷺ، فقلت: بلغني أنّك رجلٌ صالحٌ، وأنَّ لك أصحاباً غرباءَ ذوي حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأَيْتُكم أحقَّ به من غيركم، فقال النبيّ ﷺ: «كُلوا» وأمسك، فقلتُ، في نفسي: هذه واحدةٌ، وانصرفتُ، فلما كان من الغد أخذتُ ما كان بقي عندي من التمر، فأتيتُ به وقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدّية مني فقال عليه السلام: «كلوا» وأكل معهم، فعلمت أنّه هو، فأكببتُ عليه أُقبّله وأبكي، فقال: «ما[2] لك» فقصصت عليه القصّة، فأعجبه ثمّ قال: «يا سلمان[3] كاتب صاحبَك» فكاتبته على ثلاثمائة[4] نخلةٍ أحييها بالفقير وأربعين أُوقيّة فقال رسول الله ﷺ: «أعينوا أخاكم» فأعانوني بالنخل، حتّى اجتمَعتْ لي ثلاثمائة وَدِّية[5]، فقال: «يا سلمان[6] اذهب ففَقِّرْ لها؛ ثم اذنّي» ففقّرت ثم آذنته، فجاء

(١) العُرواء والإنتفاض: الرعدة من البرد والإنتفاض.

(٢) في السيرة النبوية: «تحوّل» جـ ١ ص ١٨٨.

(٣) في السيرة النبوية: «كاتب يا سلمان» جـ ١ ص ١٨٨.

(٤) أي على ثلاثمائة غرسة غرسة (فسيلة) من النخل يزرعها له فيأتي بها ويحفر لها ويعتني بها حتىٰ تستمسك جذورها.

(٥) الودّية: غرسة النخيل قبل أن تصير فسيلة أي أصغر من الفسيلة.

(٦) «أذهب يا سلمان ففقّر لها؛ فإذا فرغت فأتني الحن أنا أضعها في يدي» ـ «السيرة النبوية جـ ١ =

فوضعها بيده، فوالله ما ماتَتْ منها وَديّةٌ وأتاه من بعض المغازي مالٌ، فأعطاني منه، فقال: «أدِّ كتابَك» فأدّيتُ وعتقتُ، وفاتني بدرٌ، وأُحدٌ لشُغْلي برقّي، وشهدتُ الخندق[1]، وزعم قومٌ أنّ سلمان عاش مائتي سنة ونيفاً، وسأم اليهوديّة والمجوسيّة والنصرانيّة.

إسلام أبي هُريرة:

أتى النبيّ ﷺ بخيبر سنة سبع من الهجرة فأسلم، واختلفوا في اسمه، فقال الواقديُّ: اسمه عبد الله بن عمرو وقال غيرهُ: عبد شمس، وقيل: عبد الرحمٰن بن صخر، ويقال غير ذلك ولُقِب أبا هُريرة بهِرةٍ صغيرة كان يلعب بها، فاستعمله مروان بن الحكم على المدينة، ومات في أيّام معاوية، وكان يقول: «نشأتُ يتيماً وهاجرتُ مسكيناً، وكنت لبِشْر بن غزوان أجيراً بطعام بطني وعقبة رجَلي، فكنتُ أخدم إذا نزلوا وأحدو إذا ركبوا، فروّحنيها الله فالحمد لله الذي جعل الإسلام قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً.

[من أسلم من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين]:

أوّلهم أسعد بن زُرارة أسلم عند العقبة بمنى[2]، وقُطبة بن عامر، ومُعاذ بن عفراء، وعوف بن عفراء، وعُقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله هؤلاء الستّة، ثُمّ أسلم في العام القابل اثنا عشر نفراً، أوّلهم أبو الهيثم بن التيهان، وأبو عبد الرّحمٰن بن ثعلبة، وذكوان بن عبد القيس، ورافع بن مالك، وعُويم بن ساعدة.، وعُبادة بن الصامت، ثم قدم في العام الثالث سبعُون رجلاً منهم رئيسهم البراءُ بن معرور، فأسلم، وبعث النبيّ ﷺ معهم مُصْعَب بن عُمير، وكان يقال له: المهدي فأوّل من أسلم بدُعائه بالمدينة سعدُ بن معاذ، وأُسيد بن حُضير، ونشأ الإسلام بالمدينة.

= ص ١٨٨». فقَر لها: أحفر لها.

(١) سلمان الذي أشار علىٰ الرسول (ﷺ) بحفر الخندق وهو شيء لم تكن العرب تعرفه أو تفعله، لكنه كان معروفاً في بلاد فارس، وكان الرسول (ﷺ) قد شاور أصحابه في أمر حرب الأحزاب التي اجتمعت فيها غطفان وقريش بمؤامرة مع اليهود لمهاجمة المدينة المنورة. «السيرة النبوية جـ١ ص ١٨٩».

(٢) منى: هي بليدة علىٰ فرسخ من مكة، طولها ميلان، تعمّر أيام الموسم وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها وعلى رأس منى من نحو مكة عقبة تُرمىٰ عليها الحجرة يوم النحر.

وأسْعَدُ[1] بنُ زُرَارة:

من الأنصار أسلم عند العقبة، وبايع على النُصرة وهو رأس النقباء، وكان يقول في الجاهليّة بالتوحيد، فلمّا قدم النبيُّ ﷺ المدينة لم يلبث إلاّ قليلاً حتّى مات، فأوصى ببناته إلى النّبي ﷺ فكُنَّ في حجرهِ حتّى أدركنَ، وزوّجهنّ، قال الواقديُّ: خطب نبيط بن جابر الفارعة بنت أسعد بن زُرارة، فزوّجه رسول الله ﷺ، وجهّزها، وقال: «لهم ليلة الزفاف قولوا: آتيناكم آتيناكم فحيُّونا نحيّيكم ولولا الحِنْطة السمراء لم تسمن عذاريكم، ولولا الذهب الأحمر لم نحلُل بواديكم».

سعد بن عُبادة:

سيّد الخزرج كان يسمّى الكامل في الجاهليّة لأنّه كان يُحسن الكتابة، والرَمْيَ، والعَوْمَ، وهو الذي تلكّأ عن بيعة أبي بكر واعتزل في سقيفة بني ساعدة، وقال: منّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ ثُمّ خرج إلى الشام. ومات بها في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، ويقال: نهشه الحيّةُ، ومن ولده قيس بن سعد بن عبادة الداهي الشجاع الفَطِن، وهو من شيعة عليّ عليه السلام، وكان للنبيّ ﷺ بمنزلة الشرطيّ يهابه الناسُ ما لا يهابون غيَره، وكان صاحب راية الأنصار يوم بدر.

سعد بن مُعاذ:

أصابه يوم الخندق نُشَّابةٌ، فقطعت منه الأكحل، فلما قضى في بني قريظة بقتل الرجال وسبي النساء، انفجر عليه، وانبعث حتّى مات، وقال ﷺ: «لقد اهتزّ العرشُ لموت سَعْد».

عُبادة بن الصّامت:

عقبيٌّ بدريٌّ أُحُدِيٌّ، مات بالرملة زمنَ معاوية -جابر بن عبد الله.

قال جابر: أنا وأخي وخالي من أصحاب العقبة وذهب بصره في آخر عمره، وهو آخرُ من مات بالمدينة من الصحابة في قول بعضهم.

---

(١) أسعدُ بن زُرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو أبو أمامة «السيرة النبوية جـ ٢ ص ٦٧».

[من أسلم من الأنصار بعد مقدم النبي ﷺ]:

روى الواقديُّ أنَّ زيد بن ثابت، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن إحدى عشر سنة، وأوّل هديّة دخلت على رسول الله ﷺ، قصعة مثرودة خبزاً وسمناً ولبناً بعثتها أُميّ، فوضعتُها بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «بارك الله فيك» قال: وأمره أن يتعلّم كتاب يهود، فعلمه في بضع عشرة ليلة، وكتب لأبي بكر وعمر، ومات في زمن معاوية ومن ولده خارجةُ بن زيد بن ثابت، قال: رأيتُ في المنام كأنّي بنيتُ سبعين درجة لي قد أكملتُها، فمات بالمدينة.

أبيّ بن كعب الأنصاري:

يكنّى أبا المنذر، كان يكتب في الجاهليّة والإسلام، وتُوفّي في خلافة عثمان فصلّي عليه وقيل اليومَ مات سيّد المسلمين.

أبو طلحة الأنصاريّ:

اسمه زيد بن سهل، قَتل يومَ حُنين عشرين، وهو يقول: [رجز].

أنا أبو طلحة واسمي زيدُ وكلّ يوم في سلاحي صيدُ

وكانت أمّ سُلَيم أمّ أنس بن مالك تحته، ومات أبو طلحة في خلافة عثمان بالمدينة.

أنس بن مالك:

كنّاه رسول الله ﷺ أبا حمزة، قال أنَسُ: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، فخدمته عشر سنين ومات وأنا بن عشرين سنة، وعاش أنس مائة وأربع سنين، وهو آخر من مات بالبصرة في أيام الحجّاج بن يوسف، ولم يُمتْ حتى رأى من صُلْبه مائةَ ذكرٍ.

أبو أيُّوب الأنصاري:

خالد بن زيد، بركَتْ ناقةُ النبيّ ﷺ ببابه فنزل عليه سبعة أشْهُر حتّى بني بُيوتَه، ومات بأرض الروم غازياً مع يزيد بن معاوية أشْقى الأشقياء، فدُفن في أصل سُور القسطنطينيّة، فالروم إذا قحطوا كشفوا عن قبره، فيمطروا، وله عقب.

عويم بن مالك:

مات بالشام زمن عثمان، وكان آخر داره إسلاماً.

مُعاذ بن جبل الخزرجي:

شهِد بدراً، ومات بالشام في طاعون عمواس وهو ابن ثمان وستّين سنة، وكان سبب إسلامه أنّ عبد الله بن رواحة كان أخاً له في الجاهلية، وكان لمعاذ بن جبل صنمٌ فأتى عبد الله منزلَ مُعاذٍ ومُعاذٌ غائبٌ، ففلذ[1] صنمه فِلذاً، فلما رجع معاذٌ وجد امرأته تبكي، فقال: ما وراءك؟ فأخبرتْه بصنيع ابن رواحة بإلَهِهِ، فتفكّر معاذٌ في نفسه، وقال: لو كان عند هذا طائلٌ لامتنع، ثمّ جاء إلى عبد الله بن رواحة، وقال: إنطلق بنا إلى رسول الله، فانطلق به، فأسلم ولم يبقَ من عقب معاذ أحدٌ.

عبد الله بن سلام:

اسمه الحصين، وسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله وهو من شيعة عثمان بن عفان، رُوي عنه أنّه قال: كان أبي يُدرّسني التوراة، فأتينا على ذكر رسول الله ﷺ، فقال لي: إن كان من بني إسرائيل، فاتّبِعْه، وإن كان من العرب فلا تتبعه، قال عبد الله: فلما نظرتُ إلى وجه رسول الله ﷺ علمتُ أنّه ليس بوجه كذّاب فجاءَ وسأل النبيّ عن ثلاثة أشياء، عن أوّل نُزل أهل الجنّة، وعن السواد في وجه القمر، وعن آية الشَبَه من أين هو؟ فقال النبي ﷺ: «أمّا نُزل أهل الجنّة فلام ونون، وأمّا السواد الذي في القمر فإنّهما كانا شمسَيْن، فمحاه الله عزّ وجلّ، أمّا آية الشَبَه، فأيُّ النُطفتَيْن سبقَتْ إلى الرحم، فالولدُ شبيهٌ به». فأسلم عبد الله، ثمّ قال: يا رسول الله إنّ اليهود قومٌ خُبُثٌ بُهْتٌ[2]، وإن علموا بإسلامي بهتوني عندك، فدعا رسول الله ﷺ أحبارَ يهود، وغيّب عبد الله عنهم، وقال: «كيف[3] عبد الله بن سلام فيكم»؟ قالوا: سيّدُنا، وحَبْرُنا، وعالمنا، قال: «فإنْ أسلم تُسلمون» قالوا: هو لا يترك دينه، فقال: «أخرُج يا عبد الله بن سلام»، فخرج وقال: أشهدُكم الله أتعرفون كذا وكذا يُقررُهم بأُمورٍ؟ فقالوا: قد ذهب عقلُك.

حسّان بن ثابت الأنْصاريّ:

شاعرٌ: وأبوه شاعر، وابنُ حسّان عبد الرحمن شاعر، وابن عبدالرّحمن سَعْد شاعر،

---

(١) فلذ: فلذ الشيء فَلْذاً: قَطَعَهُ.

(٢) بُهْتَ: البهتان والكذب.

(٣) «أي رجل الحُصين بن سلام فيكم» «السيرة النبوية جـ ١ ص ١٣٤».

وانقرض ولده، وكان حسّان يضرب بعَذَبَة لسانه. ورَوْثة أَنْفه، وعاش مائة وعشرين سنة، ستّين في الجاهلّية، وستّين في الإسلام، ولم يشهد حرباً قَطُّ من جُبنه.

سهل بن حُنيف الأنصاريّ:

وهو الذي لمّا قدم النبيّ ﷺ المدينة أمره أن يكسّر الأصنام، فجعل يكسرها، ويستوقد بها، وكان من شيعة عليّ عـم، ومات بالكوفة، وصلّى عليّ عليه، وكبّر ستّاً، أو خمساً، وأخوه عثمان بن حنيف استعمله على البصرة، وكان سهلٌ بعثه عمر رضي الله عنه على العراق، فمسحها، وجعل الخراج عليه.

خوّات بن جُبير:

صاحب ذات النحيَيْن الخزرجيّ، وأخوه عبد الله ابن جُبير أمير الرُماة يوم أُحُد، وقال النبي ﷺ لخوّاتٍ: «ما فعل بعيرُك الشاردُ؟» قال: ما شرد منذَ أسلمتُ.

محمّد بن مسلمة الأنصاريّ:

قاتِل كعب بن الأشرف، واتّخذ سيفاً من خشب بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولم يشهد شيئاً من حروب الفِتَن إلى أن مات، وله من البنين عشرة، ومن البنات ستّ وقد قلنا لك. يرحمك الله في صدر هذا الفصل: أنّ هذا من صناعة أصحاب الحديث وإنَّ استيفاء عددهم غيرُ ممكن وإنّما أتينا بما أتينا به لحاجة الناظر في الفصول التي تتلو هذا الفصل في أيّام الخلافة، وحوادث الفِتَن إلى معرفة أسماء من ذكرنا قصّته وخبره وإلاّ لذهب بهاءُ ذلك الكلام، وانقطع نظامه، وخرج عن القصد الذي أردناه من الإيضاح والإيجاز، فليعرفِ الناظرُ مُرادَنا في سَوْق هذه الأسامي، والله الموفّق، والمُعين، ويتبع هذا الفصل اختلاف أهل الإسلام في مذاهبهم، وتباين مقالاتهم وآرائهم ليبيّن بعده تأريخ الخلفاء من الصحابة وأيّام بني أميّة، وولد العبّاس ويكون خاتمة الكتاب على موجب الحال إن شاء الله تعالى.

الفصل التاسع عشر

في مقالات أهل الإسلام

إعلم أنَّ الإختلاف في هذه الأُمّة وقع مُبتدِئاً من الصدر الأوّل، ثُمّ هلُمّ جرّا إلى يومنا هذا، ولا يُدْرَى ما هو كائنٌ بعدُ.

ظهور رسول الله ﷺ:

وأهل الأرض كُفَّار على إختلاف ما بينهم من اليهوديّة، والنصرانيّة، والشِرْك، والإلحاد إلاّ بقايا متفرّقين بقيَتْ منهم بقيّة من الذين يمسكونها، وأفراد يدركوا ما هم فيه من الضلالة، وجعلوا يطلبون ديناً، فمنهم من لم يُخترم حتى أدرك ما طلب مثل أبو الهيثم بن التيّهان، وأسعد بن زُرارة، وأبي ذرٍّ الغفّاريّ، وسلمان الفارسيّ، وأبي قيس صرْمة بن أبي أَنَس، ومنهم من مات على هُدىً، مثل زيد بن عمرو بن نُفيل، وورقة بن نوفل، وقسّ بن ساعدة، وبحيرا، وأرباب، وعدّاس سمِعوا منادياً ينادي قبل مبعث النبيّ ﷺ، خيرُ أهل الأرض أرباب وبحيرا الرّاهب وآخرُ لم يأتِ بعدُ يعني النبيّ ﷺ، ومنهم من طلب وتنصّر، ثُمّ غلب عليه الشقاوة، فارتكس[1] وعاد إلى الضلالة مثل أبي عامر الرّاهب، وأبي حنظلة العُقَيْليّ، وأُميّة بن أبي الصّلت الثقفي، ولكلّ واحد قصّةٌ نذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى، فلما خرج رسول الله ﷺ، ودعا الخلق إلى الله آمن من أجابه، وكفر من ردّه، وصاروا فرقتين مؤمنٌ وكافر، ثُمّ لمّا خرج إلى المدينة حسده قومٌ، فنافقوه، فأظهروا الإسلام وأسرّوا الكفر، فصار الناسُ ثلاث فِرَقٍ كافر، ومؤمن، ومنافق وارتد قومٌ في عهد النبيّ ﷺ مثل عبد الله بن أبي سرح القُرَشيّ ومَقيس بن صبابة الفِهْريّ، وكعب بن الأشرف، وادّعى قومٌ النبوّةَ مثل مُسيلمة الكذّاب، والأسود العَنْسيّ، هذا ما كان في عهد النبيّ ﷺ، وكلّه باقٍ إلى يومنا هذا الكفر، والنفاق والتنبيّ، فلمّا قُبض النبيّ ﷺ إختلفوا في الإمامة،

(١) ارتكس: انتكس.

فتنازعها المهاجرون، والأنصار ثمّ رجعوا إلى قول أبي بكر رضي الله عنه: أنّ الأيمّة من قريش إلاّ سعد ابن عُبادة فإنّه قال: والله لا أبايع قُرَشيّاً أبداً وبقي ذلك الإختلاف إلى يومنا هذا، فمنهم من يُجيز الإمامة من أفناء الناس، ومنهم من يقصُرها على قريش، ثُمّ الخلاف الثاني وقع في شأن الرِدّة، فرأىٰ أبو بكر رضي الله عنه جهادهم بالسيف، ورأى المسلمون خلاف ذلك، ثم رجع أكثرهم إلى قول أبي بكر، وبقي الخلاف، فإنّ من الناس من يقول: كان قتالهم خطاءً، ثم الخلاف الثالث زمن عثمان رضي الله عنه أعانه قوم، وقعد عن نُصرته قوم، ورأوا قَتْلَه حقاً، فهذا الخلاف باقٍ، ومن العثمانيّة من يُفضلونه على أبي بكر وعمر، ثم الخلاف الرابع وقع في خروج طلحة، والزُّبير، وعائشة، وأم حبيبة، وزيد بن ثابت، والنعمان بن بشير، وكعب بن عجرة، وأبو سعيد الخُدْريّ، ومحمّد بن مسلمة، والوليد بن عُقبة، وعمرو بن العاص في بيعة عليّ عـم، وقولهم: لا نراك أهلاً لهذا الأمر، فلمّا انقضى أمر الجمل، وقُتل طلحة، والزّبير بن العوّام، بايعوه كلّهم إلاّ معاوية، وعمرو كان من أمرهم ما كان.

ذكر فِرَق الشيعة:

منهم الغالية، والغرابية، والكرنبيّة، والرونديّة، والمنصوريّة، والربعيّة، والزيديّة، واليعفوريّة، والشمطيّة، والسراجيّة، والكيسانيّة، والسبائيّة، والقحطبيّة، والخطّابيّة، والجعفريّة، والبيانيّة، والقطعيّة، والطيّارة، والحلاّجية، والمختاريّة، والخشبيّة، والكامليّة، والواقفيّة، والمُسْلمِيّة، ومنهم الباطنيّة، والإسماعيليّة، والقرامطة، والشرامحة، والكاغذيّة، والرميّة، والمبيِّضة، والكياليّة، ويجمعهم كلّهم الزيديّة، والإماميّة ولقبهم المذموم الرافضة.

تفصيل هذه المراتب وتفسيرها:

إعلم أنّ الشيعة أتَوا في حياة عليّ ابن أبي طالب ثلاث فِرَق، فرقةٌ على جملة أمرها في الإختصاص به والموالات له مثل عمّار بن ياسر، وسلمان، والمقداد، وجابر، وأبي ذرٍّ الغَفّاريّ، وعبد الله بن العبّاس، وعبد الله بن عمر، وجرير بن عبد الله البجليّ، ودِحية بن خليفة، ونُظرائهم من الصحابة الذين لا يُظنّ بهم غير الحقّ، ولا نجد للطعن فيهم موضعاً، وفرقة تغالوا قليلاً في أمر عثمان، وتميل إلى الشيخَيْن رضوان الله عليهم بعض الميل مثل عمرو بن الحمق، ومحمّد بن أبي بكر، ومالك الأشتر، وقد قال الفضل بن العبّاس بن عُتبة

بن أبي لهب، يخيّب الوليد بن عُقبة. [طويل].

وكــان ولــيَّ الأمــر بعــد محمّــد عليٌّ وفي كُلّ المواطن صاحبه

وكانوا يُظهرون هذا المقدار في زمن أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، وفرقةٌ تغلو غُلواً شديداً، وتقول قولاً عظيماً، وهم أصحاب عبد الله بن سبا، يقال لهم: السبائيّة، قالوا لعليّ: أنت إلهُ العالمين أنت خالقنا، ورازقنا، وأنت مُحْيينا، ومميتنا، فاستعظم عليٌّ ذلك من قولهم وأمر بهم، فأُحرقوا بالنّار، فدخلوا النار، وهم يضحكون، ويقولون: الآن صحّ لنا أنك إلهٌ، إذ لا يُعذِّب بالنار إلاّ ربّ النّار، وزعم إخوانهم بعد ذلك أنهم لم تمسّهم النارُ، وإنّما صارت عليهم برداً وسلاماً كما صارت على إبراهيم عليه السلام، وعند ذلك قال رضي الله عنه: [رجز].

إنّــي إذا رأيــتُ أمــراً مُنْكــراً أجّجــتُ نــاراً ودعَــوْتُ قنبــرا

فلمّا استشهد عليّ رضوان الله عليه، افترقت الشيعة، فقالت فرقة من الإماميّة: كان الإمامُ بعد النبي ﷺ عليٌّ، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علي بن الحسن، ثم علي بن الحُسين، ثم مُحمّد بن علي، ثمّ جَعْفَر بن مُحمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ مُحمّد بن علي، ثم علي بن مُحمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ المهدي، وهو الذي يذكره الحسين بن منصور المعروف بالحلاّج في كتابه الموسوم بالإحاطة، والفُرقان، ثم نسق الأئمّة نسق الأهلّة إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، وفيه أُنشِدْتُ لبعضهم: [كامل].

أديــنُ بــديــن المصطفــى ووصيّــه والطــاهــرَيْــن وسيّــد العُبّــاد
ومُحمّــد وبجعفــر بــن مُحمّــد وسَمِــيّ مَبْغــوث بشــطّ الــوادي
وعلي المرضيّ ثم مُحمّد وعليّ المعصــــوم ثــــمّ الهــــادي
حســن وأكــرم بعــده بـإمــامنــا بــالقــائــم المستــورِ للمِيعــادِ

وأُنشدْتُ أيضاً: [رمل].

أنا مولىً للنبيّ ثُمّ للهادي عليّ وثمانٍ بعد سِبْطَيْه ومستورٍ خَفيّ

فهؤلاء جُلُّ الإماميّة يقولون بالأئمة الإثني عشر وأنَّ الأمّة كفرت كلّهم بردّ عليّ عليه السلام إلاّ ستّة نفر سلمان، والمقداد، وجابر، وأبو ذرٍّ الغَفّاريّ، وعمّار، وعبد الله بن عُمر، وأنّ علياً يعلم كلّ ما يحتاجُ الناسُ إليه، وكذلك هؤلاء الأئمّة، وكلّهم معصومون لا

يجوز عليهم السَهْوُ والخطاءُ والغَلَطَ وفيه يقول الشاعر الناشي: [رجز].

أحـاط بـالعِلْـم ولا يصلـح أن يسُوسَ أمراً مَنْ بِعِلْم لم يُحِط

ويرَوْن أنّ الدار دارُ كُفْر حتّى لو رمى رام في جامع من جوامع المسلمين لم يقع على مُسلمٍ، وأنّ سكوتهم للتقيّة والمُداراة، وينتظرون خروج الثاني عشر، فيخرجون على الأُمّة بالسيف والسَبْي، ويتأوّلون قوله تعالى: ﴿يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربِّكَ لا ينْفَعُ نَفْساً إيمانُهَا لم تكُنْ آمنَتْ من قبلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. إنّما هو قيام المهديّ، ولهم في ذلك أشعار كثيرة وأسطار بعيدة، فمنها قول دِعبِل: [طويل].

فلولا الذي نرجوه في اليوم أَوْ غدِ تَقَطَّعُ نَفْسي إثْـرَهُـمُ حَسَـراتـي
خـروج إمـام لا محـالـةَ خـارجٌ يقـوّم علـى اسـم الله البـركـاتِ
فإنْ قرّب الرحمٰنُ من ذاك مُدّتي وأخّـر مـن عُمـري ووقـت وفـاتـي
شغبـتُ، ولـم أتـرُكْ لنفسـيَ رَيْبـةً وروّيـتُ منهـم مُنْصُلـي وقنـاتـي

ومنهم القطيّعة، قطعوا الإمامة عند وفاة موسى بن جعفر، وأثبتوا لعليّ بن موسى، فسُمّوا القطيّعة، ومنهم الواقفيّة وقفوا عند موت موسى بن جعفر. قالوا: إنّهُ لم يمُتْ، وهو القائم، ومنهم الكرنبيّة أصحاب ابن كرنب الضرير، زعم أنّ الإمام بعد عليّ الحسن، ثم مُحمّد ابن الحنفيّة، وأنّ مُحمّداً لم يمُتْ، ولا يموت حتّى يملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئَت جوراً، واحتجّ بالخبر لو لم يبق من الدنيا إلا عصرٌ، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطيء اسمُه اسمي يملأُ الأرض عدلاً كما مُلئت جوْراً، قالوا: وهو مقيم بجبل[1] رضْوَى بني أسد. قالوا: وثَمّ يخبر شأنه إلى وقت خروجه يأتيه رزقُه بُكرةً وعشياً، ومنهم من يقول: أنّ للأسد عقوبةً لركوبه إلى عبد الملك بن مروان وفيه يقول الشاعر: [وافر].

ألا قُـلْ لـلإمـام فَـدتـكَ نَفْسـي أطَلْـتَ بـذلـك الجبـل المُقَـامَـا
أضـــرّ بمعشـــر وإلاّ آل منّـــا وسمـــوُّك الخليفـــة والإمـــامـــا
وعـادَوْا فيـك أهـل الأرض طُـراً مقـامـك عنـدهـم سبعيـن عـامـا
وقـالـوا والمقـال لهـم عـريـضٌ: أتَـرْجُـونَ أمْـرَ ألْقَـى الحمـامـا؟

---

(١) جبل رضوىٰ: وهو من ينبع علىٰ مسيرة يوم ومن المدينة علىٰ سبع مراحل، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية وهو الجبل الذي يزعم الكيانية أن محمد بن الحنفية به مقيم حيّ يُرزق.

وما ذاق ابنُ خَولةَ طَعْمَ مَوْتٍ ... ولا وارَتْ لـه أرْضٌ عِظاما
لقد أمسى وضلَّ بِشعْب رَضْوى ... تُراجعُه الملائكةُ الكراما

وأمّا السرّاجيّة: فهم أصحاب حسّان السرّاج، وهم يزعمون أنّ ابن الحنفيّة ميّتٌ بجبال رَضْوى، وأنّه يُبعث إذا بُعثَ الخَلْقُ، ويملأ الأرض عدلاً حينئذٍ بالرجعة، وأمّا الناوُوسيّة، فأصحاب ابن ناوُوس البصريّ يزعمون أنّ جعفر بن محمّد لم يمُتْ، ولا يموت، وهو المهديّ وأمّا السبائيّة، فإنّهم يقال لهم: الطيّارة يزعمون أنّهم لا يموتون وإنّما موتهم طيرانُ نفوسهم في الغَلَس[1]، وأنّ عليّاً لم يمُتْ وإنّه في السحاب وإذا سمعوا صوت الرعد، قالوا: غَضِبَ عليٌّ، وقال عبد الله بن سَبَأ للذي جاء يَنْعِي عليّاً: لو جئتَنا بدماغه في صُرّة لعلمنا أنّه لا يموت، حتّى يسوق العربَ بعصاه، ومن الطيّارة قومٌ يزعمون أنّ رُوح القُدُس كانت في النبيّ كما كانت في عيسى، ثُمّ انتقلت إلى عليّ، ثم إلى الحسن، ثم إلى الحُسين، ثُمّ كذلك في الأئمّة وعامّة هؤلاء يقولون بالتناسخ والرجعة، ومنهم من يزعم أنّ الأئمّة أنوارٌ من نور الله تعالى، وأبعاضٌ[2] من أبعاضه، وهذا مذهب الحلاّجيّة وأنشدني أبو طالب الصوفيّ لنفسه: [بسيط].

كادوا يكونون * * * ... لولا ربوبيّة الرحمٰن لم يكُن
فيا لها أعيناً بالغيب ناظرةً ... ليسَتْ كأعْيُن ذات الماق[3] والجفَنِ
أنوارُ قُدْسٍ لها بالله مُتَّصلٌ ... كما يشاءُ بلا وهم ولا فِطَن
هم الأظلّة والأشباح إنْ بُعثوا ... لا ظِلَّ كالظلِّ من فيء ومن سكن

فأمّا المُغِيرية: فأصحاب المُغيرة بن سعيد، أثبتوا له النبوّة، وزعموا أنّ مُحمّد بن الحنفيّة لو شاء أحْيَا الخَلْقَ، حتّى عاداً وثموداً، فأخذه خالد بن عبد الله، فقتله وصلبه، وأمّا البيانيّة، فإنهم أقرّوا بنبوّة بيانٍ، وهو رجلٌ من سواد الكوفة تأوّل قول الله عزّ وجلّ ﴿هذا بيانٌ للناس﴾ [آل عمران: ١٣٨]. أنّه، هو وكان يقول بالتناسخ والرجعة، فقتله خالد بن عبد الله القَسْريّ، وفيهما يقول الشاعر: [كامل].

طال التجاوزُ عن بيانٍ واقفاً ... وعن المُغيرة عند مرج العاشر

(١) الغَلَس: ظُلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.
(٢) أبعاض: بعض الشيء. طائفة منه (مذ). (ج) أبعاض.
(٣) مآق: مجاري الدمع.

يـا لَيْتَـه قـد شـال جِـذْعَـا نخلـةٍ بأبي حنيفةَ وأبن قيس الماصر

وأمّا البزيغيّة: فأصحابُ بزيغ الحائك، أقرّوا بنبوّته، وزعموا أنّهم كلّهم أنبياءُ يُوحي الله إليهم، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذْن الله﴾ [آل عمران: ١٤٥]. يعني يُوحي الله، وزعموا أنّهم لا يموتون ولكنّهم يرفعون إلى الملكوت، وادّعَوْا رؤية موتاهم كما يدّعيه الهُنود، وزعم بزيع أنّه صعِد إلى السماء، وأنّ الله مسح على رأسه، ومجّ في فيهِ، وأنّ الحكمة تنبتُ في صدره كما تنبتُ الكمأة في الأرض، وأنّه رأى عليّاً قاعداً على يمين الربّ جلّ جلاله.

وأمّا الكيسانيّة: فأصحاب المختار بن أبي عُبيد الثقفيّ، وكان يلقّب بكيسان، وكان يدّعي أنّه يُوحَى إليه، وأنّه يعلم الغيب، ويقولون بإمامة مُحمّد بن الحنفيّة، ويحتجّون بأنّ عليّاً دفع الراية إليه بالبصرة.

وأمّا الخطابيّة: فهم أصحاب ابن الخطّاب يرون الشهادة بالزور على من خالفهم بالدماء والأموال، ومن هاهنا لم يجز الفقهاءُ شهادة الخطابيّة، ومنهم المنصوريّة:

وهم أصحاب منصور الكسف يزعمون أنّه هو الذي قال. الله تعالى: ﴿وإن يروا كِسْفاً من السّماء ساقطاً﴾ [الطور: ٤٤]. وأمّا الغُرابيّة، فيزعمون أنّ عليّاً أشبه بالنبيّ عليه السلام من الغراب بالغراب، فغلِط جبريل لشبهه به، وأمّا الرَونديّة أصحاب أبي هريرة الرونديّ، ويقال: هم الهريريّة زعموا أنّ الإمام بعد النبي ﷺ العبّاسُ عليه السلام، ثُمّ بنوه لأنّ العمّ أولى من ابن العمّ، ونبغت فرقةٌ منهم في أيام أبي جعفر المنصور بمدينة الهاشميّة، وجعلوا يطوفون بقصره، ويقولون: أنّ أبا جعفر خالقهم ورازقهم، وأنّ روح آدم صار في عُثمان ابن نَهِيك وأنّ جبريل هو الهيثم بن معاوية، فأخذ المنصور جماعة منهم وحبسهم، فنقِم الباقون، واستعرضوا الناس يمرجونهم بالسيف، فخرج إليهم المنصور، فاصطلمهم[1]، ومضَتْ طائفةٌ منهم إلى حلب، واستغوا ذَوي العقول الضعيفة، وزعموا أنّهم بمنزلة الملائكة، وخيّطوا الحرير على مثال الأجنحة، وغرزوا فيه الريش وصعِدوا تلاًّ عظيماً بحلب، وطاروا منه، فتكسّروا وهلكوا.

وأمّا اليمانيّة: فإنّهم أصحاب يمان بن رباب، زعموا أنّ الله عزّ وجلّ على صورة إنسان يُهلك كلّ شيء إلاّ وجهه، وكفروا بالقيامة، وزعموا أنّ الدنيا لا تَفْنَى، واستحلّوا

(١) اصطلم: اصطلم القوم: أبادهم من أصلهم.

الميتةَ والخمر، وزعموا أنّها أسماءُ رجال كره الله ولايتّهم، يعنون أبا بكر، وعمر، وعثمان.

وأما الهشاميّة: فإنّهم أصحاب هشام بن الحكم يقولون بالجبر والتشبيه، وأنّ الله عزّ وجلّ نوراً يتلألأ على صورة المصباح، وهو من متكلّميهم وشُطّارهم، ومنهم الشيطانيّة:

أصحاب شيطان الطاق قريبٌ قولُه من قول هشام، ومنهم الجعفرية:

أجهروا القول بأنّ جعفر هو الله، وأنّه ليس بالذي يُرى، ولكنّه يُشبه الناس بهذه الصورة الذميمة القبيحة للإستئناس.

وأمّا القرامطة: فأصحاب القِرمِط وهو رجل من سواد الكوفة أباح لهم قَتْلَ من خالفهم، فلذلك خرجت القرامطة على الحجّاج غير مرّة.

وأمّا الزيديّة: فإنّهم أصنافٌ منهم الجاروديّة أصحاب سليمان بن جرير الجارود، قالوا: أنّ النبيّ نصَّ على عليّ بالوصف لا بالتشبيه، ثمّ الحسن، ثم الحسين، فكلُّ من خرج من هذين البطنَيْن شاهراً سَيْفَه عالماً بالكتاب والسُنّة، فهو الإمام، ومنهم الجريريّة:

أصحاب سليمان بن جرير الرّقي قالوا: كانت الإمامة لعليّ وأنّ بيعة أبي بكر وعمر كانتا خطاءً من جهة التأويل، فلا يستحقّانِ الكُفَر والفِسْق، ولكن من حارب عليّاً، فهو كافر.

وأمّا الزيديّة: يزعمون أنّ أبا بكر وعمر كانا مستحقّين للإمامة لأنّ [illegible] إليهما، ووقعوا في عثمان.

وأمّا الرّونديّة: فإنّهم قومٌ يقولون أنّ الأُمّة كفرت بدفع عليّ.

وأمّا الخشبيّة: فإنّهم أصحاب إبراهيم بن مالك الأشتر قتلوا عُبيد الله بن زياد، وكان عامّة سلاحهم ذلك اليوم الخشب.

وأمّا الباطنّية: فأصنافٌ وفِرَقٌ واسماءُهم مختلفة لدعوة كلّ ناجم منهم إلى نفسه، وعامّتهم يُظهرون الإمامة، ويدعون للقرآن تأويلاً باطناً، ومن أراد الظهور على وهن مذهبهم وخطاء دعواهم، فلينظر في كتبهم، فإنّه يجد الوقت الذي ضربوه لخروج ملّتهم، واعتلاء شأنهم قد فات منذ ثلاثين سنة وللمسلمين عليهم مستخفٌ بجوابهم لأن عقائد الناس، إمّا كفر، وإمّا إيمان، وهم يريدون أن يتّخذوا بين ذلك سبيلاً، فأيُّ أمرىءٍ يعجز عن تأويل ما غيّروه عن ظاهره إلى ما أحبّ وأراد، وما بلغ أحدٌ منهم ما بلغ ابن رزام، فإنّه

أظهر عورتهم، وملأ جلودهم مساءةً وعيباً، ويذكر قومٌ أنّ بدو أمرهم ظهر في أيّام أبي مُسلم، فإنّ الخُرَّميّة، احتالوا في إزالة الملك إلى العجم، فمّوهوا هذه النِحْلة وزيّنوها للجُهّال، ودَعَوْا إليها في السرّ، ومحصول أمرهم التعطيل والإلحاد، وأمّا اليعفوريّة والشمطيّة والأقحطيّة، فأصنافٌ منسوبون إلى يعفور والأشمط والأقحط.

[فِرَق الخوارج]:

منهم الأزارقة، والنَجَدات، والراسبيّة، والإباضيّة، والقطويّة، والمبهوتيّة، والصِفْريّة، والعجرديّة، والكوزيّة، والإياديّة، والبيهسيّة، والحازميّة، والخلفيّة، والأخنسية، والمعبديّة، والصَلْتيّة، والخمبرية، والمكرميّة، والبدعيّة، والسابيّة، والثعلبيّة، ويجمعهم كلّهم اسم الخوارج والشُراة، والحَرُوريّة، والحكميّة، ولقبهم المذموم المارقةُ، وأصل مذهبهم إكفار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والتبُّرءُ من عثمان بن عفّان رضي الله عنه في الستّ سنين، والتكفير بالذنب، والخروج على الإمام الجائر.

تفصيل هذه المذاهب وتفسيرها:

روى أبو سعيد الخُدريّ أنّ رسول الله ﷺ كان يقسم قسماً، فجاء ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمي، فقال: ما عدلْتَ منذ اليوم، فقال عُمَر: إئذن لي أضرب عُنُقَه، فقال: «دَعْه يا عمر»، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرُقون من الدين كما يمرق السهمُ من الرَميّة، يَؤُمُّهم رجلٌ أسودُ له ثَدْيٌ كثَدْي المرأة ويروي وفيهم نزل ومنهم **﴿من يلمزك في الصدقات فإن أُعْطُوا منها رَضُوا﴾** [التوبة: ٥٨]. ورُوي عن أبي سعيد أنّه قال: أشهد أنّي سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أنَّ عليّاً حين قتلهم جِيءَ بالرجل على النعت، وكان بدؤُ أمرهم حين حكّم عليّ الحكمَيْن بصِفّين، فنادت الخوارج لا حُكم إلاّ الله، فلما رجع عليّ إلى الكوفة اعتزل عبد الله بن الكوّاء، وشبيب بن ربْعي في اثني عشر ألفاً ويقال في ستّة آلاف، فنزلوا حَرُوراء[1] قرية من السواد، وبها سُمُّوا الحرورية، فبعث عليّ عبد الله بن العبّاس إليهم، فكلّمهم وناظرهم بأنّ الله عزّ وجلّ قد حَكّم في فدية أرنب ذوي عدلٍ، فما يضُرّ إنْ حكّم في

(١) حروراء: قيل: قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

دماء المسلمين، فرجع عبد الله بن الكّواء في ألفي رجل وبقي الباقون، وأمّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبيّ، ثمّ سُمُّوا الراسبيّة، ثم أخذوا في الفساد، فقال عليّ عليه السلام: دَعُوهم حتّى أخذوا الأموال وسفكوا الدماء، فمّروا بالمدائن، ولقيهم عبد الله بن خبّاب بن الأرتّ، وكان والياً عليها، فقالوا له: حدِّثْنا عن رسول الله ﷺ، فحدّثهم بحديث في الفِتَن يُوجب القعود عن الحرب وأن يكون الرجل عبد الله المقتول، ولا يكون عبد الله القاتل، فتأوّلوا عليه أنّه يدين بتخطيتهم في الخروج، فقتلوه وبقروا عن بطن امرأته، وقتلوا نسوةً وولداناً، فخرج عليّ إليهم، وقال: ادفعوا إلينا قَتَلةَ إخواننا، ونحن تاركوكم، فأبَوا عليه، وثاروا به، فتهيّأ عليٌّ لقتالهم، ودعا المسلمين إليهم فقتلهم بالنهروان، ولم يُخْطِيء السيف منهم عشرة آلاف، وكان المخدج ذو[1] الثُّدَيَّة قد دخل تحت القنطرة والتاط بسقفها، فقال عليّ: اطلبوه، فوالله ما كذب رسول الله فحمحمت[2] البغلة، فنظروا فإذا هو تحت القنطرة، فأخرج وقُتل ورجع عبد الله بن وهب قبل القتال، وخرج مسعَرُ بن فدكي إلى البصرة، ومرّ أبو مريم السعديّ إلى شهرَزُورَ[3]، ومرّ فروة بن نوفل ألى بندنيجين[4]، وهو يقول: ومن هاهنا ثبت مذهب الخوارج في الأرض. [وافر].

كـرهـنـا أنْ نُـريـقَ دمـاً حـرامـاً	وهيهـات الحـرامُ مـن الحـلال
وقلنـا فـي التـي * * بقـولٍ	معـاذَ الله مـن قيـلٍ وقـالِ
نقـاتـلُ مـن يقـاتلنـا ونـرضـى	بحُكـم الله لا حُكـم الـرجـال
وفـارقْنـا أبـا حسـنٍ عليّـاً	فمـا مـن رَجْعـةٍ إحْـدى الليـالِ
فحكّـم فـي كتـاب الله عمـراً	وذاك الأشعـريَّ أخـا الضـلالِ

ومنهم الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق أخذوا الناس بالبراءة ممن قصد عسكرهم، وأمّا البَيْهسيّة أصحاب أبي بَيْهس هيصم بن جابر، كان يرى الدار دار شرك، واستحلّ دماء

---

(١) المخدّج ذو الثدية: ناقص اليد ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل ثدي المرأة، عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معقفة، وعلىٰ عضده لحم مجتمع علىٰ منكبه كثدي المرأة، عليها شعرات سود إذا مدت اللحمة امتدت حتىٰ تحاذي بطن يده الأخرىٰ، ثم تُترك فتعود إلىٰ منكبه. «مروج الذهب جـ ٢ ص٤١٧».

(٢) حمحمت: حمحم الفرس: صوّت دون الصهيل.

(٣) شهرَزُورَ: هي في الإقليم الرابع، طولها سبعون درجة ونصف وربع، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان أحدثها زور بن الضحّاك.

(٤) بندينجين: بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد.

أهل القبلة وهرب من الحجّاج إلى المدينة، فأخذه عامل الوليد بن عبد الملك، فقطع يديه ورجليه، وأمّا الميمونيّة، فإنّهم يُجيزون نكاح بنات الإبن وبنات البنات وبنات بني الأخوة وبنات بنات الأخوات قالوا: لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وأُحِلَّ لكُمْ ما وراءَ ذُلِكُم﴾ [النساء: ٢٤]. وقالوا ليسَتْ سورة يوسف من القرآن ولا حاميم عين سين قاف.

وأمّا البدعيّة، فإنّهم يزعمون أنّ الصلاة صلاتان بالغداة ركعتان وبالعَشِيّ ركعتان لا غير، وأمّا الحمزيّة، فإنّهم أصحاب حمزة الشاري، وحمزة غَرِق في وادي[1] كرِمان، ويزعمون أنّه راجعٌ إليهم بعد مائة وعشرين سنة، وأمّا العجارديّة، فهم أصحاب ابن عجرد يزعمون أنّه يجب البراءة من الطفل حتىّ يبلغ، فإذا بلغ وجب أن يُدْعى إلى الإسلام، فإن أجاب تولى حينئذٍ وأمّا المعلوميّة، فإنّهم يقولون: من لم يعلم الله بجميع أسمائه فإنّه كافر، ومنهم الأباضيّة أصحاب الحارث بن أباض، ومن ولده ماهرت سُلّم عليه بالخلافة، والصَلْتية أصحاب الصلت بن أبي الصلت، والأخنسيّة أصحاب الأخنس، وكلّ فرقة منهم منسوبة إلى إمامهم الذي يتوالونه، فمنهم من يقول: لا حجّة إلاّ لله على خلقه في التوحيد إلا بالخير، ومنهم من يقول: من قال بلسانه أنّ الله واحدٌ وعنى المسيحَ فهو صادق بلسانه مُشْرك بقلبه، وأفضلهم النّجدات، وهم أصحاب نجدة الحنفيّ، كان من نافع بن الأزرق، فلما أخذ نافع الناس بالبراءة والمحنة فارقه، وقال: إذا أخطأ الرجل في حكمٍ من الأحكام من جهله، فهو معذور وإذا أذنب رجلٌ منهم خرج من الإيمان، وإن كان من غيرهم كفر، ومن نظر نظرة أو كذب كذبة بإصرارٍ، فهو مُشرك، وإن زنا أو سرق من غير إصراراً، فهو مُسلم قالوا: وأطفال المشركين في الجنّة وهذا لا يقبله من الخوارج غيرُهم.

ذكر فِرَق المشبّهة:

الهِشاميّة، والمُغيريّة، واليمانيّة، والمقاتليّة، والكرّاميّة، والجواربيّة، وكثير من أصحاب الحديث، وأصحاب الفضاء وعامّة النّصارى واليهود إلاّ العنانيّة.

تفصيل هذه المذاهب:

أمّا هشام بن الحكم، فإنّه يزعم أنّ الله جسمٌ طويل عريض، نورٌ من ا لأنوار، له قَدْرٌ

(١) وادي كِرمان: كرمان في الإقليم الرابع، طولها تسعون درجة، وعرضها ثلاثون درجة، وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان.

من الأقدار، مُصْمَتٌ ليس مُجوَّفاً، ولا متخلخلاً، كأنّه سبيكة تلألأ من جميع جهاتها ومثل ذلك من الدُرّة تكون من كلّ أطرافها واحدةٌ وأن لونه هو الطعم، وهو الرائحة، وهو المُحَسُّ وأنّه قد كان لا في مكان، ثُمّ حدث المكان بحدوث الحركة وإنه ذو أبعاض وأجزاء وإنّه سبعة أشبار.

وأمّا المغيريّة. فإنهم أصحاب المغيرة بن سعد زعم أنّ الله عزّ وجلّ. على صورة رجل من نور عليه تاجٌ من نور، وله من ا لأعضاء ما للرجل، وله جوف، وقلب ينبعُ منه الحكمةُ وأنّ حروف أبي جادٍ على عدد أعضائه، فالألف موضع قدمَيْه، والميم موضع رأسه، والسين صورة أسنانه، والعين والغين صورة أذنيْه، والصاد والضاد صورة عينَيْه، وزعم أنه عرج إلى السماء، فمسح الربُّ رأسه وقال: اذهب يا بُنيّ إلى الأرض وقُلْ لهم أنّ عليّاً، يميني وعيني.

وأمّا اليمانية. فهم أصحاب يمان بن زياد زعم، أنّ الله على صورة إنسان يهلك كلّه إلاّ وجهه.

وأما الجواربيّة. أصحاب داود الجواربيّ زعم أنّ الله جسم مُنصف من فمه إلى صدره أجوف ومن صدره إلى أسفله مُصْمَتٌ، وأمّا المقاتليّة، فهم أصحاب مقاتل ابن سليمان زعم أنّ الله جسم من الأجسام لحم ودمٌ، وإنّه سبعة أشبار بشِبْر نفسه.

وأمّا الكرّاميّة. فإنّهم أصحاب محمّد بن كرّام وهم سُكّان الخانِقة(١)، يزعمون أنّ الله تعالى جسم لا كالأجسام مُماسٌ على العرش، وأصحاب الفضاء يزعمون أنه جسم لا كالأجسام بسيطٌ مكانَ الأشياء كلّها، وأمّا أصحاب الحديث فإنّهم يصفونه بكلّ ما جاء في الخبر، ودلّ عليه القرآن من اليد والرِجْل والجَنْب والعين والأصابع والسمع والأذن وغير ذلك. ومن الصوفيّة من يزعم أنّه رُبَّما يَلْقَاه في بعض الطُرُق ويُعانقه ويقبّله، جلّ الباريء عن صفةٍ لا تليق به ﴿ليس كمِثْلِهِ شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ﴾ [الشورى: ١٩]. سبحان الله عمّا يقول الظالمون عُلواً كبيراً وقد مضى من النقض على أهل التشبيه في فصله ما فيه كفايةٌ، وما أحسن ما يقوله الناشيء: [بسيط].

ما في البريّة أَخْزَى عند فاطرها ... ممّـن يقـول بـإجبـارٍ وتشبيـهِ

(١) الخانقة: متعبّد للكرّامية بالبيت المقدس؛ عن العمراني.

[فرق المعتزلة]:

منهم العبّاديّة، والذّميّة، والمكاسبة، والبصريّون، والبغداديّون، وأصل مذهبهم القول بالأُصول الخمس وهي التوحيد، والعدل، والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمنزلة بين المنزلتين، فمن خالفهم بالتوحيد سَمُّوه مشركاً، ومن خالفهم في الصفات سمّوه مُشبِّهاً، ومن خالفهم في الوعيد سمّوه مُرجِئاً، وإنّما سُمُّوا معتزلةً لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصريّ رحمه الله، وذلك أنّ الناس اختلفوا في مرتكبي الكبائر، فقالت الخوارج: كلّهم كُفّارٌ، وقالت المرجئة: هم مؤمنون، وقال الحسن: هم منافقون، فاعتزل واصل بن عطاء، ومن تبعه، وقالوا: هم فُسّاقٌ وليسوا بمؤمنين ولا منافقين ولا كافرين، وهذه المنزلة بين المنزلتين وأجمعت المعتزلة على أنّه لا يجوز القول بجواز الرؤية على الله عزّ وجلّ إلاّ أبا بكر الإخشيذيّ صاحب أبي عليّ الجُبّائيّ، فإنّه قال بالرؤية من غير تحديد وتكييف، وأجمعوا أنه لا يجوز القول بأنّ القرآن غير مُحْدَث إلاّ رجلاً يقال: له عبد الله بن مُحمّد الأبهريّ كان قاضي نهاوند يزعم أنه لا يجوز القول بأن القرآن محدَث، وأجمعوا بأن الله عزّ وجلّ، ما قدّر المعاصي ولا قضاها إلاّ جعفر بن حرب، فإنّه أجاز القول، بأنّ الله أراد الكفر على معنى أنّه أراد أن يكون الكفر مخالفاً للإيمان، وأن يكون قبيحاً غير حسن.

وأمّا العبّادية: فإنّهم أصحاب عبّاد بن سليمان كان يزعم أنّ الأعراض لا تدُلّ على الله عزّ وجلّ وإنّما الأجسامُ هي التي تدلّ عليه وكان يمنع من القول بأنّ الله عزّ وجلّ لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها لأنّ المعدوم عنده ليس بشيء وما ليس بشيء، فلا يجوز أن يُعلم، ويرى قتل من خالفه إنْ أمكن.

وأمّا الذميّة: فإنّهم أصحاب أبي هاشم وأبي عليّ الجُبّائي، يزعمون لو أنّ رجلاً أصرّ على مائة ذنب، فتاب وانتزع من تسعة وتسعين منها أنّ توبته غير مقبولة ما لم يرجع عن جميعها وهو مستحقّ للذم على توبته.

وأمّا المكاسبة: فإنّهم قومٌ لهم ذريّات في حدود مهرجان قذق لا يرَوْن الكسب لأنّ الدار عندهم دار كفر، وأمّا البصريّون فإنّهم الذين أصّلوا هذا المذهب مثل واصل بن عطاء، وعمرو بن عُبيد، وأبي الهذيل ابن العلاّف، وأبي إسحق النظّام والبغداديّون يخالفونهم في أشياء من اعتلالهم دون الأصول، منهم ثمامة بن أشرس والجعفران، وزعم ابن الرونديّ في

كتاب فضائح المعتزلة، أنّ جعفر العتبيّ منهم يحلّ الخضخضة، وأن عفار منهم يحلّ شحم الخنزير، وتفخيذ الصبيان وحدّثتُ عن أبي عثمان الجاحظ أنّه كان يقول الكلام للمعتزلة والفقه لأبي حنيفة والبهتُ للرافضة وما بقي فللعصبية وأُنشدتُ لأبي مُحمّد بن يوسف السُوريّ: [بسيط].

ما ملّة فوق ظهر الأرض من مِلَلٍ إلاّ تُهَيِّبُ عن تسآل مُعتزل
قومٌ إذا ناظروا صالوا بعلمهمُ صَوْل البُزَاةِ على الدُرّاج والحَجل
لله دَرُّهُمُ فهماً ومعرفةً وفطنة بلطيف القول والجَدَل

[فرق المُرجئة]:

منهم الرّقاشية، والزياديّة، والكراميّة، والمعاذيّة، وأصل مذهبهم تَرك القطع على أهل الكبائر إذا ماتوا غير تائبين بعذاب أو عفو، وأرْجؤوا أمرهم إلى الله عزّ وجلّ ولهذا سُمُّوا المُرجئة، ومنهم صِنْفٌ يقولون بتحرير الخصوص، وذلك أنّ كلّ آية نزلت في وعيد أهل الصلاة قالوا: يجوز أن يكون في المستحلّين لها دون غيرهم وصنف يقولون بالإستثناء ومعناه أن يكون الوعيد مقروناً بالإستثناء عند الله عزّ وجلّ لم يظهره لخلقه كأنّه قال: ﴿**ومن يقتُلْ مؤمناً مُتعمّداً فجزاءُهُ جَهنَّمُ خالداً فيها**﴾ [النساء: ٩٣] إن جازاه وان لم يتُبْ.

فأمّا الرقّاشية: فإنهم أصحاب الفضل الرقّاشيّ قال: لا يعذّب الله أحداً من أهل التوحيد على ذنب، وهو قول المُعاذيّة أصحاب يحيى بن مُعاذ الرازيّ يرَون أنّ الله عزّ وجلّ من جوده وفضله ورحمته لا يعذّب أحداً على ذنب ما لم يبلغ الكفر.

وأمّا الزياديّة: فإنّهم أصحاب محمّد بن زياد الكوفيّ، زعم أنّ من عرف الله عزّ وجلّ وأنكر الرسول، فهو مؤمن كافر مؤمن بالله عز وجلّ وكافر بالرسول.

وأما الكراميّة: فإنهم أصحاب محمّد ابن كرام يزعمون أنّ الإيمان قولٌ مُجَّرد، والمنافق مؤمن، ثُمّ يفترقون، فمنهم الصواكية، ومنهم المعيّة، ومنهم الذميّة، وليس في ذكرهم وذكر مذهبهم كثيرُ فائدةٍ أو معنى وقالوا كلّهم: لو أنّ الله عفا عن واحد من مرتكبي الكبائر عفا عن كلّ من هو في مثل حاله، وكذلك إن عاقب واحداً منهم عاقب كلّهم، إلاّ أنّ أبا حنيفة فإنّه يقول: يجوز أن يغفر لبعض، ويُعاقب بعضاً، وقال عَوْن بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود:

وأوّلُ ما نفارق غير شكّ نفارق ما تقول المُرجِئُونا

وقـــالـــوا مـــؤمـــنٌ دَمُـــه حـــرامٌ وقـد حـرمـت دمـاء المـؤمنينـا
هـــو ا لقـــرآن حقـــاً غيـــر خَلْـــقٍ كـــلامُ الله ربّ العـــالمينـــا
وإنّ الله حــــرم كــــلّ خمـــرٍ إذا غطّـــتْ عقـــول الشـــاربينـــا

[فرق المجبرة والمجوّرة]:

منهم الجهميّة، والضِراريّة، والنجّاريّة، والصبّاحيّة، فأمّا الجهمّية، فأصحاب جهم بن صفوان الترمذيّ قتله بمرو سلم بن أحوز قاتل يحيى بن يزيد رحمه الله، وكان لا يقول إنّ الله شيءٌ لأنّ الشيء عنده مُحدَث، ولكنّه مُنشىءُ الشيء، وأنّ علمه شيء غيره، وهو مُحدَث، وأنّ الجنّة والنار يفنيان لا يدومان والإيمانُ بالمعرفة والقلب فقط دون الإقرار والعمل، ولا فِعْلَ لأحدٍ في الحقيقة إلاّ الله عزّ وجلّ، وأن العباد فيما يُنْسب إليهم من الأفعال كالشجرة تُحرّكها الريح، وهي فعل الله عزّ وجلّ على الحقيقة، فأفعالها منسوبة إليهم على المجاز.

وأمّا الضراريّة: فإنهم أصحاب ضِرار بن عمرو يقول بفعل فاعلين على الحقيقة، وأنّ الله خلق فعل العبد، والعبدُ فاعله على الحقيقة دون المجاز الذي يقول جهمُ.

وأمّا النجّاريّة: فهم أصحاب الحسين، النجّار يقول بفعل فاعلين الله فاعله، والعبد مكتسبه، وأمّا الصباحيّة، فهم أصحاب الصبّاح بن السَمْرقَنْديّ، زعم أنّ الخلق والأمر من الله لم يزالا كما لم يزل الخالق، ومثّل ذلك بالنائم يرى أنّه بالشام، أو بمكّة، أو يأكل، أو يشرّب من غير أن يكون شيءٌ من ذلك، قال: وكلّ هؤلاء مُجمِعون أنّ الكفر والمعاصي بقضاء الله وقدره، ومشيّته، وعلمه، وقدرته لا يرضاه، ولا يجيبه إلاّ رجلاً من المتأخرين يقال له: مُحمّد بن بشير الإشعري، فإنه يزعم أنّ الله يرضى، وجعل قوله ولا يرضى لعبادة الكفر على الخصوص، وأنشدتُ أبا العبّاس السامريّ بمرو، وكان يجهر القول بأن الله عزّ وجلّ خلق كافراً ومؤمناً حين خلق: [خفيف].

إصْفَـــعِ المُجبـــرّ الـــذي بقضـا السُـوء قـد رَضِـي
فـــإذا قـــال لِـــمَ صَفَعْـ ـتَ فقُـل هـاكـذا قُضِـي

وأنشد [طويل].

بلـى ربُّنـا الجبّـارُ والجَبْـرُ فعلُـه ومجبوره في الخلق يلقى به الحَشْرَا

[فرق الصوفية]:

منهم الحسنيّة، والملامتيّة، والسوقيّة، والمعذوريّة، وجملةُ أَمرهم أنّهم لا يحملون على مذهب معلوم، ولا عقيدة مفهومة لأنّهم يدينون بالخواطر والمخائيل وينتقلون من رأي إلى رأي فمنهم من يقول بالحلول كما سمعتُ واحداً منهم يزعم أنّ مَسّكنه بين عوارض المُرْد، ومنهم من يقول بالإباحة والإهمال ولا يُدْعون للَوْم اللائمين، ومنهم من يقول بالعُذْر، ومعنى ذلك أنّ الكفّار عندهم معذورون في كفرهم وجُحودهم لأنّه لا يتجلّى لهم، واحتجب دونهم، ومنهم من يقول: أنّ الله لا يُعذّب أحداً ولا يعبأ بخلقه، ومنهم من يقول بالتعطيل المَحضْ والإلحاد البَحتْ، ومرجُوع أمرهم إلى الأكل والشُرب والسماع وإتّباع الهوى، ومتابعة النَفْس.

[فِرق أصحاب الحديث]:

ويُلقّبون بالحشويّة، والمخلوقيّة، واللفظيّة والنصفيّة، والفاضليّة والصاعديّة، والساويّة، والمالكيّة، ويجمعهم القول بأنّ الإيمان قولٌ وعملٌ ومعرفةٌ، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصيّة وأنّ خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ عليهم السلام واختلفوا بعد ذلك، فروي عن أحمد بن حنبل أنّه قال: فلو قال قائل، ثم عليّ لرجوتُ وذهبتُ إلى حديث ابن عمر وأنّ معاوية خال المؤمنين وخليفة رب العالمين وأنّ من قال القرآن مخلوق، فهو كافر بالله عزّ وجلّ.

وأما المخلوقية: فيزعمون أنّ الإيمان مخلوق، وحدّثني مُحمّد بن خالَويْهِ بالسُوس قال: حدّثني أحمد بن حنبل، عن أبيه أنّه قال: من قال القرآن مخلوقٌ، فهو كافر بالله لأنّ الإيمان من القرآن.

ورُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال: ومن يكفر بالإيمان قال بالله.

وأما النصفيّة: فيزعمون نُصْفَه مخلوق.

وأما اللفظيّة: فإنّهم أصحاب الحسين الكرابيسي يزعمون أنّ اللفظ بالقرآن غير مخلوق.

وأما الفاضليّة: فإنهم يفضّلون النبيُّ ﷺ على القرآن.

وأما الصاعديّة: فهم أصحاب ابن صاعد يُجيزون خروج أنبياء بعد نبيّنا ﷺ لأنّه روي

لا نبيّ بعدي إلاّ ما شاء الله .

والمالكيّة : يقولون بمحاش النساء .

والسراويّة : يكرهون أنّ يزيدوا الوِتر على الركعة الواحدة لأنّ فيها مخالفةٌ للسُنّة .

والساويّة : يقولون نحن مؤمنُون إن شاء الله فيعقدون الإستثناء على المراضي ويُلقب هؤلاء بالشُكّاك .

وأمّا البربهاريّة : فإنّهم يجهرون بالتشبيه والمكان ، ويرون الحكم بالخاطر ، ويكفّرون من خالفهم .

والكلابية : أصحاب أبي عبد الله بن كلاب مُناظرهم ولسانهم وصدرهم وأنشدتُ لبعضهم : [بسيط]

وجاهل يدّعي عِلْماً وليس له عِلْمٌ يوازن عندي قِشْرَةَ البَصَلِ
يقول من جهلهِ الإيمان أجمعُه بالله ليس سِوَى قول ولا عَمَل
لو كان حقًّا نجا إبليسُ من لَهَب بقوله : ربِّ أَنْظِرْني إلى أَجَل

تمّ الفصل التاسع عشر بتوفيق الله وحسن تأييده .

الفصل العشرون:

في مدّة خلافة الصحابة وما جرى فيها من الحوادث والفتوح إلى زمن بني أميّة

خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

قالوا: ولمّا قُبض رسولُ الله ﷺ انتقض نظام الجماعة وتشتّت الكلمة، واضطرب حبلُ الألفة، وانحاز هذا الحيّ من الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة، وقالوا: منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، واعتزلَ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وطلحة، والزبير بن العوّام في بيت فاطمة عليها السلام، فأتاهم أبو بكر قبل أن يُفرغ من جهاز النبيّ عليه الصلاة والسلام، وقد ذُكرَتْ قصّةُ البَيْعة في ذكر وفاة النبيّ، وارتدّت العربُ قاطبةً إلا ثلاثة مساجد المدينة، ومكّة، والبحرين، وناساً من نخع وكندة، فمنهم من أبىٰ أن يُعطى الزكاة، ومنهم من أنكر الزكاة، ومنهم من أنكر كفره وناصب المسلمين.

سريّة أُسامة بن زيد رضي الله عنه:

وكان رسول الله ﷺ عقد لأُسامة لواءً، واستعمله على المهاجرين والأنصار، وأمره أن ينتهي إلى حيثُ قُتل أبوه، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فيُغيرَ عليهم، فيقتُلَ ويُحْرقَ ويسبي، فتربّص الناس بذلك لشكوى النبيّ ﷺ من مرضه فتكلّموا فيه، وقالوا: استعمل غلاماً حَدَثاً على جِلّة المهاجرين والأنصار، فخرج رسول الله ﷺ في مرضه وقال: «أيُّها الناسُ انفذوا جيش أُسامة»، فلما نبغ الكفرُ واشرأبَّ النفاقُ، ورمتهم العرب عن قوس واحدةٍ. قالوا لأبي بكر: لو حبستَ جيش أُسامة يكون رِدْءًا للمسلمين، فإنّا لا نأمن على المدينة الغارة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لو لم يبقَ بها غيري ما حبستُه، لأنّه كان ﷺ يقول: أنفذوا جيش أُسامة، والوَحْيُ ينزل عليه، ولكن أُكلّم أُسامة أن يخلّف عُمَرَ، وكان عمر ممّن خرج مع تلك السريّة، فتخلّف عمر، وسار أُسامة في ثلاثة آلافٍ، حتّى

أوطأ الخيلَ أرض البلقاءِ، وشنّ الغارة على فِلَسْطينَ، وقتل قَتَلَة أبيه، وأصاب من العدوّ ونكى فيه، وذلك في شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة من الهجرة، فرجع، فبعثه في إثْر خالد بن الوليد إلى اليمامة، فلحقه وشهد معه القتال.

ذكر الرِدّة:

ولمّا ارتدّت العرب انتُدبَ أبو بكر لقتالهم، فقال له أصحابُ رسول الله ﷺ: كيف تُقاتل قوماً يشهدون بالحقّ؟ ورسول الله ﷺ يقول: «أُمِرْتَ أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها عصموا منّي دماءَهم وأموالهم إلاّ بحقّها»؟ فقال أبو بكر: لأُقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقاً لقاتلتهُم، ويُروي عِقالاً، فرجع المسلمون إلى قوله استصوبوا رأيه قال سعيدُ بن المسيّب، وكان أفقههم، وأمثلهم رأياً يعني أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه.

قصّة الأسْود بن كعب العَنَسي الكذّاب:

روى أبو هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام كأنّ في يدي سِوارَيْن من ذهب فكرهتهُما، فنفحتهما، فطارا، فوقع أحدهُما باليمامة، والآخَرُ بصنعاءَ» قالوا: فما أوّلتَهما يا رسول الله؟ قال: «كذّابَيْن يخرجان بهما» فأمّا الأسْود فإنّه قُتل في أيّام النبيّ ﷺ في قول بعض أهل العلم وروي عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنه قال: سمِعتُ النبيَّ ﷺ في مرضه يقول: قَتلهُ الرجل الصالح فيروز الديلميّ وقال بعضهم: بل قُتل بعد موت النبيّ ﷺ بسنين، وأمّا مُسيلمة فإنّه ورد على النبيّ ﷺ في وفد بني حنيفة، وكاتبه، ثمّ قتله خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وكان العنسيُّ يَدّعي النبوّة، ولا ينكر نبوّة مُحمّد ﷺ ويقال له: ذا الخمار، وذلك أنّه كان يُلقي خِماراً دقيقاً على وجهه ويُهمهم فيه، ويزعم أنّ سحيقاً وشقيقاً ملكين يأتيانِه بالوحي، وجعل يتلو عليهم، والمايسات مَيْساً، والدارسات درساً يحجّون عُصَباً وفُراداً على قلائص حُمر، وصُهْب، وكان له حمارٌ يقول له: اسجُد فيسجد ويقول: اجثُ فيجثو فافتتن الناسُ بخماره وحماره، وتبعه خلق كثير وسار إلى نجران، فغلب عليها، واستنكح المرزُبانة إمرأة بآذان غصباً وهي من الأبناء أبناء هرن، ثمّ صار إلى صنعاء، فخرج الأبناءُ وكانوا قد أسلموا عند ورود كتاب رسول الله ﷺ مع بانومه فقاتلوا قتالاً شديداً، ثمّ فرجوا له إذْ لم يقاوموه، قالوا: ووقع العنسيُّ في الخمر يشربها ولا يصلّي ولا يغتسل من جنابة، وكان يزعم أن سحيقاً يقول له: لا غُسْلَ عليك في وادي صنعاء، واحتالت المرزبانةُ، وكانت مُسْلمة ديّنة، فعملت سرباً تحت الأرض يفضي إلى خارج

القصر، وواعدت فيروز الديلميّ ليلةً، وسقت العنسيَّ حتّى امتلأ خمراً، فجاء فيروزُ، وداود، وقيس بن المكشوح المُراديُّ للميعاد، فدخل فيروز من البيت، فإذا العَنْسيُّ ثَمِلٌ نائمٌ والمرزبانة قاعدة على رأسه، وكان يحرسه ألف رجل كلّ ليلة قال: فأشارت المرزبانة، أين السَيْفُ؟ قال: وكنتُ نَسِيتُه، فقُلت في نفسي ارجعُ فأحملُ السيف، فاستيقظ عند ذلك العنسيُّ، وعيناه تبصّان، قال: فبركت على صدره، وأخذتُ برأسه ولحيته، فجعلتُ وجهه في قفاه، وذلك أنّي كنت أخافُ أن يصيحَ، ثمّ أردتُ أن أخرُجَ فقالت المرزبانة: أنشدك الله أنْ تخرجَ وتَدَعَني، فإنّي لا آمنُ على نفسي قال: فخرجت بها من السَرَب، وحملتها الى حصن غُمْدان ودخل قيسُ بن مكشوح، فحزّ رأسه، وخرج، فرمى به إلى الناس وأُذّن بصلاة الفجر، وفرغ الله من الكذّاب العنسيّ، وكفى المسلمين شرّه وضرّه، قال الواقديُّ: الثبت عندنا أنه قُتل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

ذكر رِدّة الأَشْعَث بن قيس الكنديّ بحضرموت:

كان وفد على النبيّ ﷺ وكان النبي عليه السلام بعث زياد بن لبيد مُصدِّقاً عليها، فلما أتاهم خبرُ وفاة النبيّ ﷺ، ارتدّ الأَشْعَث بن قيس، ومنع الزكاة وقال فيه الحارث بن سُراقة ابن معدي كرب: [طويل]

أَطَعنـا رسـول الله مـا دام بَيْننـا ... فيا قـوم ما شـأني وشـأنَ أَبي بكـرِ
أَيُـورِثها بكـراً إذا كـان بعـده ... وتلـك لَعمـرُ الله قـاصمـة الظَهْـرِ

فقاتلهم زياد بن لبيد، وقتل منهم مقتلةً عظيمة، واستأمن الأَشْعث ابن قيس، فبعثه إلى أبي بكر مُوثقاً في الحديد، فقال: والله ما كفرتُ بعد إسلامي، ولكن شححتُ بمالي، فأطلق لي أسارِي واستبقِني لحربك، وزوّجني أُختك أُمّ فروة بنت أبي قُحافة، ففعل أبو بكر ذلك، ثمّ خرج الأَشْعَث مع سعد بن أبي وقّاص إلى العِراق، فشهد القادسيّة، وشهد مع عليّ رضي الله عنه صِفّين، وهو الذي دعا إلى الحَكَمَيْن.

خروج أبي بكر رضي الله عنه:

لقتال أهل الرُدّة، واشتدّ رُعْبُ المسلمين بالمدينة لإطباق العرب على الردّة، فآووا الذراري والعيال إلى الآطام[١] والشعاب[٢]، وخرج أبو بكر مع أصحابه من المهاجرين

---

(١) الآطام: الأُطم: الحصن والقصر والبيت المرتفع.
(٢) الشعاب: الطريق في الجبل. و ـ: الإنفراج بين جبلين. و ـ: ميل الماء في بطن الأرض.

والأنصار حتى نزل ذا القَصّة[1] وهي على أميال من المدينة، فكلّمه عليّ في الرجوع ليكون فِئَةً للمسلمين، فأمّر خالدَ بن الوليد على الناس، وبعثه في أربعة آلاف وخمس مائة رجُل وأمره أن يقتُل أهل الردّة بالسيف، وأن يُحرقهم بالنار وأنْ يسبي الذراري، ويقسم الأموال، فسار خالد بن الوليد، ورأى خارجةُ بن حِصْن بن حُذيفة بن بدرٍ الفزاريُّ قِلَّتهم مع أبي بكر بذي القَصّة، فحمل عليهم في الفوارس، فانهزموا، ولاذ أبو بكر بشجرة، فأرقى طلحةُ بن عُبيد الله على شرفٍ، فنادى أيُّها الناسُ، هذه الخيلُ، فتراجع الناسُ، وانكشف خارجةُ ورجع أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة، وفيه يقول الحُطَيْئَة: [طويل]

فِدىً لآبن بدرٍ يومَ قدّم خيلَه وقد جام أقوامٌ طريفي وتالِدِي
ليمحُوَ ما منّتْ قُريشٌ نُفوسَها فوارسُ أبطال طوال السواعدي

قصّة طُلَيْحة بن خُويلد الأسديّ:

وكان ممّن وفد إلى النبيّ ﷺ ثمّ تنبيَّ، وزعم أنّ ذا النون يأتيه بالوحي، وآمن به عُيَيْنةُ ابن حِصْن، واتّبعه، وكان يتلو عليهم إنّ الله لا يضيعُ تعفيركم وتذليل وجوهكم، وقَبْح أدباركم شيئاً اذكروا الله عزّ وجلّ اعفه قياماً فإنّي أشهد أنّ الصريح تحت الرغْوَة يعني بذلك الركوع والسجود، فسار خالدُ حتّى دنا من بزاخة، وبعث عُكّاشة بن محصن، وثابت ابن أقرم طليعةً، فخرج اليهما طليحة، فقتلهما وفيه يقول: [طويل]

زعمتم بأنّ القوم لا خيرَ عندهُمْ أليس وإن لم يسلموا برجال؟
عشيّةَ غادرْتُ آبنَ أقْرَم ثاوياً وعُكاشةَ العيميَّ عند مجالي
نصبتُ له صدر الحُمالة إنّها مُعوّدة قولَ الكُماة نَزالِ
فيوماً تراها في الجلال مصُونةً ويوماً تراها غير ذاتِ جلالِ
ويومانِ يوم المشرفيّة نحرها ويوماً تراها في ظلالِ عوالي

فأناخ خالدٌ بزاخة، وناوشهم القتالُ، وضربهم الجَدَلُ، فجاء عُيَيْنةُ ابن حصن إلى طُليحة، فقال: هل أتاك ذو النون؟ قال: نعم قال: فما قال لك قال: قال إنّ لك يوماً سَتَلْقاه

(١) ذا القَصّة: ذو القصة موضع بين زُبالة والشقوق. وذو القصة جبل في سلمان من جبلي طيء عند سقف وعضور. وقال نصر: ذو القصة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو طريق المرّبذة، وإلىٰ هذا الموضع بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلىٰ بني ثعلبة بن سعد. والقصة: مدينة بالهند.

ليس لك أوّله ولك آخِرُه ورحاه، وحديثاً لن تنساه، فقال عُيَيْنة: سيكون لك حديثاً لن تنساه يا بني فزارة، إنّ هذا الرجل كذّاب ما بورك له ولا لنا فيه، فانصرف عُيينة وفزارة، وركب طليحة فرسه، وأردف نزارَ امرأته، فقال له الناس: ما تأمرنا فقال: من استطاع منكم أن يفعلَ كما فعلتُ، فليفعلْ، ونجا بأهله وقدِم الشأم، فأقام بها إلى أنْ مات أبو بكر رضي الله عنه، ثم خرج مُحْرِماً بالحجّ، وأسلم إسلاماً لم يَغْمِص عليه واستُشهد بنهاوند، وكان قال في قَتْلِهِ عُكَّاشةَ: [طويل]

نـدمـتُ علـى مـا كـان مـن قتْـل ثـابـت ... وعُكّـاشـةَ الغَنْمـيِّ ثُـمّ ٱبْـنَ مَعْبـدِ
وأعظـمُ مـن هـذَيْـن عنـدي مُصيبـةً ... رجـوعـي عـن الإسـلام رَأْيَ التعمُّـد
فهـل يقبـلُ الصِـدِّيـقُ أنّـي مُـراجـعٌ ... ومُعْـطٍ بمـا أَحـدثـتُ مـن حَـدَثٍ يـدي
وإنّـيَ مِـنْ بعـد ٱلضـلالـة شـاهـدٌ ... شهـادةَ حـقٍّ لَسْـتُ فيهـا بمُلحـدِ
بـأنْ إلـٰـهَ النـاس ربّـي وإنّنـي ... ذليـلٌ وإنّ الـديـن ديـنُ مُحمّـدِ

[مقتل مالك بن نويرة اليربوعي]:

قال: وسار خالد بن الوليد حتّى أحاط ببُوتات مالك بن نُويرة، وهم مسلمون، وكانت لمالك امرأةٌ وسيمة، فمال إليها خالد، وأمر بقتل مالك، فنهاه عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاريّ، فأحضر خالدٌ المالك، وقال: ألست القائل؟: [طويل]

ألا علّـلانـي قبـل جيـش أبـي بكـر ... لعـلَّ ٱلمنـايـا قـد دَنَـوْنَ ومـا نـدري

فقال مالكٌ: ما قلتُ ذاك، ولو سمعني صاحبكم أقوله ما قتلني، فقال خالد: تقول لرسول الله صاحبكم وليس بصاحبك اضْرِبوا عُنُقَه، فالتفت مالك إلى امرأته، وقال: يا خالد هذه قتلَتْني، ولمّا قدم خالد قال عُمر رضي الله عنه لأبي بكر: اقتُلْه فإنّه قتل وزنا قال: تأوَّل فأخطأ قال: اعزِلْه قال: ما كنتُ لأشِيمُ[1] سِيفاً سَلَّهُ الله تعالى.

قصّة مُسيلمة بن حبيب الكَذَّاب:

ويكنّى أبا ثمامة، كان هذا رجُلاً يُحسِن شيئاً من الشَعْوذة والنيرنجات، وكان يصل جناح الطير، ويُدخل البَيْض في القارورة، وكان يدّعي النبوّة، ورسول الله بمكة قبل أن

(١) أشيم سيفاً: سلّه أو اغمده (ضد).

يُهاجر، ويسمَّى برحمان اليمامة، وكان يبعث بناسٍ إلى مكّة فيسمعون القرآن ويأتونه، فيقرأوه على الناس، ثمّ وفد على النبيّ ﷺ في وَفْد بني حنيفة، فذكر للنبيّ ﷺ أنّه يقول: لو جعل الأمر لي بعده لآتّبعتُه، فجاءه رسول الله ﷺ وفي يده مَسحةٌ من نخل قاله الواقديُّ وقال ابن إسحٰق: عَسِيبٌ[1] من سعف النخل في رأسه خُويصات[2]، فقال: «إنْ أقْبلتَ ليغفرنّ الله لك، ولَئِن أدبرتَ ليقطعنّ الله دابِرَك، وما أَراك إلاّ الذي رأَيْتُه» يعني رؤياه، «ولو سألتني هذه[3] الشطبة[4] ما أعطيتُك» فلما أراد الوفدُ الرجوعَ أجازهم رسول الله ﷺ، وقال: «هل بقي منكم أحدٌ؟» قالوا: رجُلٌ تنصّر، وخالفنا قال: «ليس[5] ذاك بِشَرِّكم مكاناً» وأمر له بمثل ما أمر لهم، فلمّا انصرفوا ادّعى الشركةَ في النبوّة، واحتجّ بقوله: «إنّه ليس بشرّكم مكاناً» فلما شهِد له الرحالُ بنُ عنفوة، وافتتن الناسُ به، فكتب إلى النبيّ ﷺ: إلى مُحمّد رسول الله: من مُسَيْلمة رسول الله، سلامٌ عليك، أمّا بعدُ؛ فإنّي قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك، وإنّ لنا نِصْفَ الأرض، ولقُريش نصفُها، ولكنّ قُريشاً يعتدون؛ وكتب إليه رسولُ الله ﷺ «من محمّد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب، سلامٌ على من اتبعَ الهُدى، أمّا بعدُ؛ فإنّ الأرض لله يُورثُها من يشاءُ من عباده، والعاقبة للمتقّين» فلما ورد عليه الجوابُ افتعل كتاباً يزعم أنّه جواب كتابه إلى محمّد ﷺ أنه جعل له الأمرَ من بعده، وكان يزعم أنَّ جبريل يأتيه من عند الله ويتلو عليهم من أسجاعه المزوَّرة. سَبِّح ٱسْمَ رَبِّكَ الأعلى الذي يسّر على الحُبْلَى، فأخرج منها نَسَمةً تَسْعَى، من بين أحشاءٍ وتَبْلَى، فمنهم من يموت ويُدَسُّ إلى الثرى، ومنهم من يبقى إلى أَجَلٍ مُسَمّى، والله يعلم السِرَّ، وأَخْفَى مع أشباهٍ ونظائر كثيرة، وكان يدّعي الشركة في النبوّة، فلما قُبض النبيّ ﷺ سار إليه خالد بن الوليد، والتقى المسلمون، وبنو حنيفة، واقتتلوا قتالاً شديداً لم يكن في الإسلام يوماً أشدَّ منه، حتّى كسروا بنو حنيفةَ جُفُونَ سيوفهم، وقُتل من المسلمين ألفان ومائتان، وجُرح أكثرُ من بقي، وقُتل زيد بن الخطّاب صاحب راية المسلمين، وانهزموا حتّى خلص بنو حنيفة إلى فسطاط خالد بن الوليد، وكان البراءُ بن مالك إذا حضرت الحربُ أَخَذتْهُ العُرَوَاءُ، حتّى يقعد عليه الرجال، فإذا رقد وبال مثل نُعاعة الحِنّاءِ، ثمّ ثار كالأسد، فأصابه ذلك، ثم حمل عليهم،

---

(١) عسيب: جريد النخل وقد أُزيلت الخوص عنه.

(٢) حويصات: أي بقيت بعض الأوراق في طرفه.

(٣) في السيرة النبوية: «هذا السيب ما أعطيتكه» جـ ٤ ص ١٨٢.

(٤) الشطبة: خطٌّ يمُدّ علىٰ الغلط الواقع في المكتوب (مو).

(٥) في السيرة النبوية: «أما إنه ليس. . . .» جـ ٤ ص ١٨٢.

فانكشفوا، وتبِعهم حتّى أدخلهم حديقة الموت، ثم غلقوا الباب دونه، فقال البراء: احملوني دَرَقَةً وألقوني فيهم، فضاربهم حتى فتح الباب، ودخل المسلمون، فقتلوا وقتلوا مسيلمة، وكان رُوَيْجِلاً أُصَيْغر أُخَيْنِس شرك في قتله وحشيٌّ، وعبد الله بن زيد، فمرّ به رجُلٌ، فقال: أشهد أنّك لا نبيٌّ، ولكنّك شَقِيٌّ، وفتح الله ذلك على المسلمين، وقتلوا محكم بن الطُفَيْل سيّد بني حنيفة وقائدهم، وكان ثُمامة بن مالك قال لمسيلمة لمّا ادّعى الشركة في النبوّة: [سريع]

مسيلمــــة أرجـــع ولا تمحـــكِ ... فــإنّــك فــي الأمْــر لــم تُشْــرَكِ
كــذبْــتَ علــى الله فــي وَحْيــه ... هــواك هَــوَى الأحمــق الأَنْــوَكِ
فمـا فـي السمـا لَـكَ مِـن مصعـدٍ ... ومـا لـك فـي الأرْض مـن مبـركِ

ورثى رجلٌ من بني حنيفة مسيلمة بعد ما قُتل [كامل].

لهفــي عليــك أبــا ثمــامــهْ ... لهفــي علــى رُكْنــى شمــامَــهْ
كـــم آيـــةٍ لـــك فيهـــمُ ... كـالشمـس تطلـع فـي غَمـامَـهْ

حديث الرحّال بن عنفوة:

قالوا: إنّه قدم المدينة وتعلّم السُنَنَ، وقرأ سورةً من القرآن، إذْ مرّ بهم رسول الله ﷺ، فقال: أحدُ هؤلاء في النّار، فلمّا ادّعى مسيلمة الشركة في النبوّة شهِد له الرحّال بن عنفوة بذلك، فافتتن به أهل اليمامة، وفيه يقول الشاعر: [خفيف].

يــا سُعــاد ألفـؤاد بنـت أُثــال ... طــال ليلـي بفتنــة الــرحّــالِ
إنّهـا يـا سُعـادُ مـن حَـدَث ألـدهـ ... ـرِ عليكـمْ كفتنــة الــدجّــالِ

قصّة سجاح وتُكنّى أمّ صادر:

وزوجها أبو كحيلة كان كاهن اليمامة قال: وتنبّتْ سجاحُ، وكانت ساحرةً، وتبِعها الزِبْرِقانُ بن بَدْرٍ، وعُطارد ابن حاجب وناس كثير من تميم، وقالت: إنَّ ربّ السحاب يأمركم أن تغزوا الرباب، فغزَتْهم، فهزّموها، فذلك الذي يقول عمرو بن لجأ: [هزج].

تَقُــودُهــم سجــاحُ تــرامَيتِهــا ... فشــدِّدْ يــا سجــاحُ مــن تقــودُ

ثمّ أتت سجاح مُسيلمةَ، فقالت له: ما أُوحي إليك؟ فتلا بعض أساطيره المزوّرة،

فقالت: وماذا أيضاً؟ فتلا عليها إنَّ الله خلق النساءَ أفراجاً، وجعل الرجال لهُنَّ أزواجاً، فَنُولِجُ فيهِنَّ إيلاجاً، فيُنْتَجْنَ لنا سخالاً إنتاجاً، فقالت: أشهد أنّك نبيٌّ، فقال: فهل لكِ أَنْ أتزوّجْكِ، فآكلُ بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم، قال: [هزج].

قُومي وأدخلي المُخْدَعْ فقد هُيِّء لك ٱلمَضْجَعْ
فإنْ شَئْتِ سلقناك وإن شئْتِ على أربعْ
وإنْ شئتِ بثُلثَيْه وإن شئتِ به أجْمَعْ

فقالت: بل به أجمع، فهو للشّمل أجمع وأَجْدَر أنْ ينفع، فتزوّجها وأقامت عنده ثلاثاً، وأصدقها ترك صلاتَي الفجر والعشاء الآخرة، ورخّصَتْ سجاح للمرأة في زَوْجَيْن على النصف ممّا للرّجل، وأذّن شبث بن الربعي، بأنّ مسيلمة نكح سجاح، وأصدقها ترك صلاتَينْ، وفيها يقول عُطارد بن حاجب: [بسيط].

أَضْحَتْ نبيَّتُنَا أُنثى نُطيفُ بها وأصبحَتْ أنبياءُ الله ذُكرانا

واختلفوا في هلاكها، فقال قومٌ ماتَتْ، وقال آخرون: قُتلَتْ.

[الفتوح في أيام أبي بكر]:

بعث العَلاء بن الحضرميّ إلى البحرين، فافتتح حصن[1] جُواثا، وأجلى المخارق بن النعمان عاملَ كسرى عنها وعن أراس[2]، وحاصر الخليج، وافتتحه، ولم يزل يركض على الفرس راسباً في البحر، حتّى مات، وكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد لمّا فرغ من اليمامة يأمره بالمسير إلى العراق، فمرّ بالمذار، ففضّ جنودها ومرّ بنهر المرأة، فصالحه جابان الفارسيّ، وصار إلى هرمزجرد[3]، فافتتحها، وأتى الحيرة، فخرج إليه عبد المسيح بن صلوبا الغسّانيّ، وكان أتى عليه أكثر من مائتي سنة، فصالحه على الجزية، وأدّى إليه مائة ألف درهم، وصالح أهل بلقاء على ألف ألف درهم، وطيلسان وهذه النواحي التي كان ينظر فيها، ويحُومُ حولها من آطار البادية، وحافّاتها، وبعث أبو بكر أبا عبيدة بن الجرّاح في

(١) حصن جُواثا: حصن لعبد القيس بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
(٢) أراس: من مياه أبي بكر بن كلاب.
(٣) هرمزجرد: ناحية كانت بأطراف العراق غزاها المسلمون أيام الفتوح.

سبعة آلاف وسبع مائة من الصحابة إلى الشام وهِرَقْل بحمص في جنوده، فكتب يستمدّه، فأمدّه بعمرو بن العاص، ثم كتب يستمدّه، فكتب إلى خالد بن الوليد، وهو بالحيرة يأمره بالمسير إليهم، فسار واستخلف على العراق المثنىٰ بن حارثة الشيبانيّ، فأتى بُصْرى، فافتتحها، وهي أوّل مدينة افتُتِحتْ من مدائن الشأم، ثمّ اجتمع مع أبي عبيدة وعمرو بن العاص، وحاصروا دمشق، وبها نسطاس[1] البطريق في جمع كثيف، فهزموهم، وهذا فتح جاذر[2] من أرض فلسطين وهرب هِرَقْل حتّى صار إلى أنطاكية، فنزلها، فهذا ما كان من الفتوح في زمن أبي بكر، ثم مرض خمسة عشر يوماً، ثم مات رضي الله عنه وأرضاه وخلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيّام، ويقال: أربعة إلاّ عشرة أيّام.

استخلاف عمر رضي الله عنه:

ولمّا مرِض أبو بكر شاور الناس في الأمر، وكانوا لا يشكّون أنّ عمر هو الذي يلي الخلافة بعده إلاّ أنّ منهم من كان يكره ذلك لشدّته وعُنْفه، فدعاه أبو بكر، وعهد إليه واستخلفه على الناس، فلما خرج من عنده قال: اللّهم أنّي وليته بغير أمر من نبيّك، ولم أُرِدْ بذلك إلاّ صلاحَهم، فقال له بعض القوم: فماذا تقول لله عزّ وجلّ إذا لقِيتَه وقد ولّيتَ أمر المسلمين فظاً غليظاً؟ قال: أقول اللهُمّ لم آلُهم خيراً، وتوفي سنة ثلاث عشرة[3] من الهجرة فرثاه حسّان بن ثابت: [بسيط].

إذا تـذكّـرتَ شجـواً مـن أخـي ثقـةٍ — فـاذكـر أخـاك أبـا بكـر بمـا فعـلا
خيـر البـريّـة أتْقـاهـا وأعـدلهـا — بعـد النبـيّ واوفـاهـا بمـا حمـلا
الثـانـي التـالـي المحمـود شيمتُـه — وأول النـاس طُـراً صَـدَّق الـرُسُـلا

خلافة عمر رضي الله عنه وأرضاه:

فلما دُفن أبو بكر بايعه الناس، وسُمّي أمير المؤمنين، وكان أبو بكر يقولون له: خليفة رسول الله أوّلُ من سَمَّي بأمير المؤمنين عُمَرَ عُديٌّ بن حاتم الطائيُّ، وأوّل من سلّم عليه بالإمارة المُغيرة بن شعبة، ففتح الشام، ومصر، والجزيرة، والعراق والجبَل،

---

(١) نسطاس البطريق:
(٢) جاذر: من قرىٰ واسط، ينسب إليها أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ابن معاذ يُعرف بالجاذري. .
(٣) توفي سنة ثلاث وعشرين «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣١٢».

وأرمنية، والأهواز، وفارس[١] وإصطخر، والريّ، وآذربيجان وأصبهان، ودوّن الدواوين، وأرّخ التاريخ، وجنّد الأجناد وأوّل من دعا له على المنبر بالصلاح، أبو موسى الأشعريّ، وصار إليه خاتم النبيّ ﷺ، ورداؤه وفي سنة سبع من خلافته فرض للناس العطايا، وفضّل بعضهم على البعض، فبدأ بالعبّاس، ففرض له في اثني عشر ألفاً، ولعليّ بن أبي طالب في ثمانية آلافٍ، ثمّ الأقرب، فالأقرب من بني هاشم وخلفائهم ومواليهم واعدادهم، ثم سائر بني عبد مناف، ثم قبائل قُريش، ثم المُهاجرين، ثم الأنصار ومواليهم ممّن شهد بدراً لكلّ واحد منهم في خمسة آلاف، وفرض لأزواج النبيّ ﷺ لكلّ واحدة في اثني عشر ألفاً، وفرض لمضر ثلاثمائة، ولربيعة في مائتين وخمسين، وقال: إنّما هاجروا من أطناب[٢] بيوتهم، وفرض لأشراف العجم لكلّ واحد في ألفَيْن.

وقعة الجسر:

ولمّا أفضَتِ الخلافةُ إلى عُمر سار إليه المثنّى بن حارثة، فقال: إنّا قد قاتلنا الفُرْس، واجترأنا عليهم، فابعث معي ناساً من المهاجرين والأنصار نجاهدهم، فقام عمر خطيباً، فقال: أيُّها الناس، إنّكم قد أصبحتم في غير دار مقامةٍ بالحجاز، وقد وعدكم الله على لسان نبيّكم كنوز كسرى وقيصر، فسيروا إلى أرض فارس، فسكت الناسُ لما سمِعوا من أمر فارس، فقام أبو عُبيد بن مسعود بن عمرو الثقفيّ، فقال: أنا أوّل من ينتدبُ، فانتدب الناسُ بعده، فأمّره عليهم، وساروا إلى العراق مع المثنّى بن حارثة، فلما سمِعَتْ به بوران دُخت بنت كسرى، وكان الملِكُ يزدجرد إلاّ أنّه صبيّ لم يُطِق الحرب أرسلَتْ إلى رُسْتَم أصفهبذ أذربيجان تدعوه إلى محاربة العرب، فإنْ هو ظهر زوّجَتْه نفسها، فأرسل رستم جالينوس في جيش عظيم، فهزمهم أبو عُبيد، ثمّ بعث رستم ذا الحاجب في أربعة آلاف مُجفجفٍ دارعٍ ناشبٍ وفيلٍ مُقاتلٍ، فأمر أبو عبيد حتّى عقدوا جسراً على الفرات، وجاز بالناس، وأخذوا في القتال، فهال المسلمين أمرُ الفيل وما يصنع، فشدّ عليه أبو عبيد وقال: أما لهذه الدابّة من مَقْتَلٍ؟ قالوا: بلى إذا قُطع مِشْفَرُها لم تعِشْ، فضربه على خرطومه، فقطعه. وبرك الفيلُ عليه، فقتله وقُتل يومئذٍ من الأنصار سبعون رجلاً، وانهزم الباقون حتّى رجع فَلُّهم إلى المدينة، فقال لهم عمرُ: لا تجزعوا أنا فئتكم إنما الحريم إليّ وفيه يقول حسّان بن

---

(١) إصطخر: بلدة بفارس من الإقليم الثالث. وبها كان مسكن سلك فارس.
(٢) أطناب: الطُّنُبُ والطُّنْبُ: جبلٌ طويل تشدّ به الخيمة والسرادق ونحوهما.

ثابت: [طويل].

لقد عظُمَتْ فينا الرزيّة إنّنا جِلادٌ على رَيْب الحوادث والدهرِ
على الجِسْر يومَ الجسر لهفي عليهمُ غداةَ إذٍ ماذا لقينا على الجسرِ

وقعة القادسية[1]:

ثم بعث عمرُ سعد بن أبي وقّاص في ثلاثة آلاف رجل إلى العراق، وبعث بعصمة بن عبد الله في جيش وكتب إلى المثنّى بن حارثة بأن يجتمع إلى سعد، وكتب إلى العلاء بن الحضرميّ، وهو بالبحرين يأمره بالمسير إلى سواد بابل، فسار العلاء، واستخلف أبا هريرة على البحرين، فمات في الطريق، ومات المثنّى بن حارثة، وبعث عمر عُتبة بن غزوان إلى ناحية البصرة، فافتتح الأبلّة، وجاء سعدٌ فيمن معه من الجموع، فنزلوا، فشربوا مما يلي سواد الحيرة، وشتّوا به، وجعلوا يُغيرون على السواد، وتضربُ خيلَهم إلى سُوق بغداد وإلى باب ساباط[2]، فتوجّه رستم في جمع عظيم للقائهم، وكتب سعدٌ إلى عُمر بالخبر يستمدّه بالرجال، فبعث إليه المغيرة بن شعبة في أربعمائة، وأمدّه بقيس بن مكشوح في سبع مائة، وكتب إلى أبي عبيدة بن الجرّاح: أنْ أمدّ سعداً بألف رجل، ففعل ذلك واجتمعوا إليه وجاء سعدٌ، فنزل ما بين العُذَيْب[3] إلى القادسيّة، وجاء رستم، فنزل الحيرة في ستّين ألفاً من المقاتلة سوى الأشياع، والأتباع، والشاكريّة، واستولى على كلّ ما كان صار بأيدي المسلمين ممّا افتتحوه صُلْحاً وعَنْوةً، حتّى ضاق الأمر على المسلمين في الطعام والعُلوفة، ثمّ بعث سعدُ بن أبي وقّاص رُسُلاً إلى يزدجرد، ومنهم حنظلة بن ربيعة الأسديّ، والنعمان بن مقرّن المُزنيّ، وعمرو بن معدى كرب الزبيديّ، وطليحة بن خويلد الأسدي، والمغيرة بن حبيب بن زرارة، وفرات بن حيّان، وشرحبيل بن السِّمْط، ولبيد بن عطارد، فجوّزهم رستم إلى المدائن مع صاحب له فوقفوا بباب يزدجرد ببرودٍ على خيل وإبل عليهم نعالٌ وسلاح رثّةٌ، فخرج الآذِنُ، فقال لهم ابن كسرى: ما كانت أُمّة في الأرض أبعدَ عندنا ممّا

---

(١) كانت وقعة القادسية في المحرم سنة أربع عشرة مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٢١.

(٢) باب ساباط: بالمدائن وهي موضع معروف، وساباط بليدة معروفة بما وراء النهر قرب أشروسنة على عشرة فراسخ من خجند وعلى عشرين فرسخاً من سمرقند.

(٣) العُذيب: وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. وقيل: هو وادٍ لبني تميم. وقيل: هو من منازل حاج الكوفة، وقيل: هو حد السواد.

طلبتم، وما كان يخطر لنا ببالٍ أنكم تعرضون بمثل هذا، وظننتُ الذي حملكم على هذا سُوءُ الحال، وضِيقُ العيش، فانصرفوا فإنّي أحسن إليكم وآمر لكم بحُمْلان وطعام وكسوة، فقال النعمان بن مقرن وهو أميرهم: ليس لما عرضتَ علينا أتيناك ولكن ندعوك إلى دين الإسلام، قال: هذا دِينٌ لا أدخل فيه قال: فالجزية تُؤدّيها وأنت صاغِرٌ قائم، والسَوْطُ على رأسك قال: لولا أنّكم رُسُلٌ لقتلتُكم، قالوا: فإنّا نأخذ أرضك ونجليك عنها قال: وما عِلْمكم؟ قالوا: أخبر بذلك نبيّنا ﷺ وما أخبرنا بشيء قط إلاّ وكان كما قال فراطن بعض شاكريّته، فجاء يسعى ومعه مِكْتَلٌ فيه تُراب، فقال: خذوا هذا فليس لكم عندي غيره، فبسط عمرو بن معدى كرب رِداءَه، فأخذه وخرجوا، فقال له أصحابه: أخذت تراباً، فقال: قد أمكنكم الله من أرضه، فجاء به إلى سعدٍ وتفألوا به وأرسل يزدجرد إلى رستم أن ناهض القومَ، فقد فشَتْ غارتهم على الناس، فبعث رستم إلى سعد أن ابعث إليّ رجُلاً أُكلّمه، فبعث المغيرة بن شعبة، فجاء وقد فرّق شعره أربع فرقٍ، فقال له رستم: إنكم كنتم معشر العرب أهل شقاء وجهد، وكنتم تواتوننا من تاجر وأجير، فأكلتم من طعامنا، وشربتم من شرابنا، فذهبتم، فدعوتم أصحابكم، فإنّما مَثَلكم مَثَلُ رجُل له حائطٌ، فرأى فيه ثعلباً، فقال: وما ثعلب واحدٌ فذهب الثعلب وجمع الثعالب في حائطه، فجاء صاحبه، فسدّ عليه الحُجْر، فقتلهُنّ جميعاً، وقد نعلم أنّ الذي حملكم على هذا الجُهْدُ والمشقّة، فانصرفوا نوفر لكم براذتكم ونأمر لكم بكسوة، فقال المغيرة، لم تذكر شيئاً من جُهدنا إلاّ وقد كنّا في أشدّ منه كنّا نأكل المَيْتة، والدم، والعظام حتى بعث الله فينا نبياً ﷺ، فأمرنا أن نقاتل مَنْ خالفنا، وندعو الناس إلى متابعته والإيمان به، فإن آمنتَ كان لك بلادُك لا ندخلها عليك إلاّ بإذْنك، وإن أَبيتَ، فالجزية وإلاّ قاتلناك حتى يحكم الله بيننا قال رستم: ما ظننتُ أنّي أعيش حتى أسمع مِثْلَ هذا ولا أمسي غداً أُفْرِغَ منكم، وأمر بالعتيق فسُكر وطمّ الوادي بالتراب والقصب حتى صار طريقاً واسعاً، ثمّ زحف إليهم في ستّين ألفاً مدجّجين شاكّين في السّلاح التامّ، والآلة المُعَدَّة عليهم الذهبُ، والحريرُ، واليلامق، والديباج، وعامّة جُنَن المسلمين براذع[1] الرِحال قد عرّضوا فيها الحرائر، ولوَوْا على رؤوسهم الأنساع[2]، والأعاجم قد

(١) براذع: ما يوضع على الحمار أو البغل ليُركب عليه، كالسّرج للفرس.

(٢) الأنساع: النِّسْعُ: سيرٌ مضفورٌ تشدّ به الحقائب أو الرّحال. وقد تُجعل النُّسعة زماماً للبعير وغيره، أو تُنسج عريضة، وتُجعل على صدر البعير.

قدّموا الفِيَلة، وبثّوا الحسك[1]، واستعمل سعد ذلك اليوم خالد بن عُرفطة لأنّه كان به جراحٌ، فقامت الحربُ بينهم أربعة أيّام، وقتلوا من المسلمين ألفين وخمس مائة، فلمّا كان اليوم الرابع حمل هلال ابن علَّفة التيميّ على رستم، فانهزم وولّت الفُرس، واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى امتنع الناسُ من شرب الماء بالقادسيّة ثلاث ساعات لما كان يجري فيه من الدم، وقتل زُهرة بن حاوّية جاليونس صاحب جيش الفُرْس، وباع مِنْطقته بثلاثين ألفاً، واختلفوا في من قتل رستم، فقيل: هلال بن علفة، وقيل: قتله عمرو بن معدي كرب وذلك أنّ رستم كان على فيل، فعقره عمروٌ، فسقط عنه رستم، وسقط من تحته خُرْجٌ فيه أربعون ألف دينار، وقيل: غرق في العتيق، وجمعوا من الأموال مثل الآطام والتِلال، وأصاب رجلٌ من بني نَخَع راية كانت للفُرس تسمَّى دِرَفْش كاويان موصولةً بالدُرّ واليواقيت، فقوّمت ألفَيْ ألف درهم، وهي التي يذكرها البُحترُيّ في قصيدته: [خفيف].

والمنـــايـــا مَـــواثـــلٌ وَأَنُـــوشَـــرْ وانُ يُزجي الصفوف تحت ٱلدِرَفْشِ

وكتب سعدٌ إلى عمر بالفتح، وبعث إليه بالغنائم والأموال، وصفَتَ له السوادُ إلاّ المدائن، فإنّ يزدجرد تحصّن، ونزل المسلمون الأنبارَ، فاحتوَوْها، فكتب عمر إلى سعد، إنّ العرب لا يصلح لهم إلاّ ما يَصْلح للبعير والشاء، فانظر إلى فلاةٍ، فانزِلِ المسلمين بها، وأقم مكانك، وابعَثْ جُنداً إلى أرض الهند يعني البصرة، وجنداً إلى الجزيرة، واتّخذْ منزلك دار هجرتك، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً، فطلب سعد حتّى نزل الكوفة اليوم، وهي رمالٌ، ومصّرها وخطّ مسجدها، وبعث عتبةَ بن غزوان في خيل إلى البصرة، فاختطّها وأسّس مسجدها، ثم استخلف عُتبةُ المُغيرة بن شعبة على البصرة وسار إلى عُمر، فمات في الطريق، وأقرّ عمر المغيرة على البصرة، ثم شهد عليه أربعةٌ بالزنا خالف أحدُهم، وهو زياد بن عُبيد، فأمر عمر، فجلدوا وعزل المغيرة عن البصرة، واستخلف عليها أبا موسى الأشعريَّ، فافتتح الأهواز وتُستَر[2] والسوس ورام[3] هُرمُز، وبعضَ نواحي فارس، وكان سعد لما بعث عتبة بن غزوان إلى البصرة بعث أبا موسى إلى الجزيرة، فافتتح الموصل ونصيبين صُلحاً، وعاد إلى سعدٍ، وبعث عثمان بن أبي العاص الثقفيَّ إلى أرمينيّة

---

(١) الحسك: نبات عشبيّ بريّ شائك من الفصيلة السذابيّه. أزهاره عطرية وثماره قابضة والحسك من الحديد: ما يُعْمل علىٰ مثال الحسك وكان يُلقىٰ حول العسكر فينشب في حوافر الخيل.

(٢) تستر: أعظم مدينة بخوزستان اليوم.

(٣) رام هُرمز: وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان. تجمع النخل والجوز والأترنج.

وأذربيجان، فصالحهم على الجزية، وأقام سعدٌ بالكوفة ثلاث سنين، ثم كان فتح المدائن، وكان سعد يوم القادسيّة في قصرٍ لجراحٍ كان به، فقال رجلٌ من المسلمين: [طويل].

ألَـمْ تَـرَ أنَّ الله أنـزل نصـرَهُ ... وسعـدٌ ببـاب القـادسيّـة مُعصـمُ
فـأُبنـا وقـد آمـت نسـاءٌ كثيـرةٌ ... ونسـوةُ سعـدٍ ليـس فيهـنَّ أيِّـمُ

فقال سعد: اللهُمّ اكفِني لسانَه ويدَه، فزعموا أنّه خرِس لسانُه وشُلّت يدُه، وقال جرير: [رجز].

أنـا جـريـرٌ كنيتـي أبـو عَمْـرو ... قـد نصـر الله وسعـد فـي القصـر

فقال سعد: [وافر].

ومـا أرجـو بحيلـةٍ غيـر أنّـي ... أؤَمِّـلُ فَـوزهـم يـومَ الحسـاب

فتح المدائن:

ولمّا استولى المسلمون على العراق، وساروا إلى ساباط نقل يزدجرد خزائنه من الذهب، والفضّة، والجوهر، والسلاح وقطع الجُسورَ، وعبّأ السُفُن، وأغلق أبواب المدائن، فأتى سعداً قومٌ من الفُرس، فدلّوه على موضع من دجلة قليل الغَمْر يُقال له: ديلسا، فانتدب أربع مائة فارس، فاقتحموا دجلة، وخرجوا من الفرْضَة، ولم يغرق منهم إلاّ رجُلٌ واحدٌ، وأخذوا السُفُن المعبّأة ليزدجرد، وعبّروا المسلمين، وحاصرهم سعدٌ سبعة أشهرُ، فلما اشتدّ عليهم الحصارُ تحملوا ليلاً بما خفّ من أموالهم، وخرج يزدجرد إلى حُلوان، وخلّف بجلولا[1] خرزاذ بن هرمز في جمع عظيم ليدافع عنه العرب إن لحقوا به، وافتتح سعد المدائن، وأصاب من الخزائن ما بقي من الأموال، وأواني الذهب، والفضّة أربع مائة جمل، فبعث بها إلى عمر مع سبي كثير، فأمر بها عمر، فصُبّتْ في صحن المسجد، وجمع المسلمين، وقال: ألا صدقكم رسول الله ﷺ؟ إذْ قال: «إنَّ كنوزَ كسرى وقيصر تُنفَق في سبيل الله» ثمّ نظر إلى سوار كسرى، فقال: لسُراقة بن مالك أنشدك الله ألا قمتَ إلى ذلك السوار فلبستَه؟ وكان ذِراعاه شعحتين شَعْرَاوَيْن، فقال عمر رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ قال: كأنّي أنظر إلى سوار كسرى في يدَيْ سُراقة بن مالك، وإنّ

---

[1] جلولاء: وهو نهر عظيم يمتد إلىٰ يعقوبا ويجري بين منازل أهل يعقوبا ويحمل السفن إلىٰ باجسرا، وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦.

عجائب المعجزات للنبيّ ﷺ، كانت بعد موته أكثر ممّا كانت في حياته ﷺ وعند ذلك تبيّن الناسُ صِدْقَ قول رسول الله ﷺ، ومواعيده عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقعة جلولا:

ولمّا مرّ يزدجرد إلى حُلوان، وخلّف خورزاذ بجلولا ليدفع من يأتيه من العرب من ورائه، بعث سعدُ اثني عشر ألفاً، فقاتلوا خورزاذ، وهزموه وأصابوا من صامت أموالهم ما بلغ سهمُ الفارس ثلاثة آلاف درهم، وثمانية أرْؤُسٍ من الدوابّ والجارية سوى سائر الآثار، والأواني، والفُرش، وسِوَى ما أُخرج من الخُمس وكانت أمّ الشعبيّ من سبي جلولا، فلما انتهت الهزيمةُ إلى حُلوان بعث يزدجرد الهرمزان في جيش عظيم إلى الأهواز ليشغل العرب ويكون رداءً للفُرس، وخرج يزدجرد من حلوان إلى أصطَخْر وتحصّن بها، وصار الهرمزان إلى الأهواز، ونزل تستر لأنّها أحسن مُدنُها، فقصده أبو موسى الأشعريُّ من البصرة، وحاصره حتّى ينزل على حكمه، فقال له الهرمزان أنا لا أنزلُ على حكمك، ولكن على صاحبك، فكتب أبو موسى الأشعريّ إلى عمر بذلك، فكتب بالجواب أن استنزله على حكمي.

فتح تستر وخروج الهرمزان:

فنزل الهرمزان على حكم عمر رضي الله عنه، فبعث به إلى المدينة، فلما دخل المدينة لبس التاج والديباج، وأخذ منطقته، وسِوارَيْه، وطَوْقه، وقد طوّل شاربَهُ وقصّر لحيّته على زيّ العجم، وهذا كلّه تصنُّعٌ منه للقاء عمر، فانتهى إليه وهو قاعدٌ في ناحية المسجد عليه بُرْدٌ خلَقٌ، وبين يديه دِرّةٌ، فقال الهرمزان: من هذا؟ فقالوا: أمير المؤمنين، فسقط الهرمزان في يده لما كان من التزُّين والتصنُّع، ثم تكفر لعمر، فقال: هذا لا يصلح في ديننا، فقال له عمر: أأسْلمتَ؟ قال: لا قال: إن لم تُسلم قتلتُك، قال: لا تقتلني حتى تسقيني الماء، فأتى بقدح من خشب عظيم، فقال: لو مُتُّ عطشاً ما شربتُ من هذا ما لكم قدحٌ من زجاج، وذلك أن الفرس لا يأكل في الخشب والخزف لقبولهما النجاسات، فأخذه ويده ترعدُ وهو مرعوبٌ، فقال له عمر لا بأس عليك ولستُ بقاتلك حتّى تشربه، فألقى القدح من يده، فانكسر، فظنّ عمر أنّه سقط من يده، فقال: ائتوه بقدح آخر. قال: لا حاجة لي في الماء قال عمر أسلم وإلاّ قتلتُك. قال: أمّا ديني فلستُ أدَعُه، وأمّا أنت فلقد أمنتني، فقال عمر: لم ائمنْك يا عدوّ الله، فقيل له: بلى قد آمنته فقال: أخذ منّا أماننا، وما نشعرُ،

فأقام بُرهةً، ثم رغِب في الإسلام فأسلم، ففرض له عمر في من فرض من العجم، ثم لمّا قُتل عمر رضي الله عنه اتّهمه عُبيد الله بن عمر في ذلك، فقتله وشكى أهلُ الكوفة سعداً، وقالوا: إنّه لا يُحسن الصلاة، فعزله عمر، واستعمل عمّار بن ياسر على الصلاة، وعثمان بن حنيف على الخراج، وعبد الله بن مسعود على القضاء، وبيت المال، وفرض لهم في كلّ يوم شاة واحدة بين ثلاثتهم.

فتح الفتوح بنهاوند:

قالوا: واجتمعت الأعاجم والأساورة وعظماء الفُرس، وعزموا على غزاة عُمر في عُقر داره، وتعاقدوا على ذلك، وتحالفوا وجمعوا من الجموع ما لا يبلغه الإحصاء والعددُ وبلغ ذلك عمر، فجمع المهاجرين والأنصار، فاستشارهم وأراد الخروج بنفسه، فأشار عليه عليّ بن أبي طالب بالمقام بالمدينة وتوجيه من يقوم بمناظرتهم، فبعث حينئذٍ جَيْشاً عظيماً، واستعمل عليهم النعمان بن مقرن المزني، وقال: إنْ أُصيب النعمانُ، فأمير الناس حُذيفة بن اليمان، وإن أُصيب حُذيفة، فأمير الناس جرير بن عبد الله البجلي، فإن أصيب جرير، فالمُغيرة بن شعبة، فالأشعث بن قيس، وكتب إلى عمّار بن ياسر، أن استنفر ثُلُثَ أهل الكوفة، وكتب إلى أبي موسى الأشعريّ، أن استنفر ثُلث أهل البصرة، فاجتمعوا وساروا حتّى نزلوا على فرسخين من نهاوند، وبها جموع الفُرس يقال: مائة ألف، ويُقال: أربع مائة ألف، وعليهم ذو الحاجب مردانشاه، وقد تحالفوا على الصبر والثبات، فارتبط بعضهم ببعض، وجعلوا لكلّ عشرة سلسلة لكيلا يهربوا، وألقوا الحَسَك، وأقاموا الفِيَلة بينهم وبين المسلمين، فناهضهم المسلمون يوم الأربعاء ويوم الخميس، فلما كان يوم الجمعة قال المغيرة بن شعبة: إنّ العدوّ قد سَئِمَ القِتالَ وضَعُف، فنبادرهم القتال، فقال النعمان: نصلّي الظهر، ثم نلقى عدوّنا، فإنّ أبواب السماء تُفتح مواقيت الصلاة، فلمّا صلّى قال لهم النعمان: إذا أنا كبّرتُ، فاركبوا، فإذا كبّرت الثانية، فسُلُّوا السيوف وأشرعوا الرماح، وأوتروا القِسِيَّ، فإذا أنا كبّرتُ الثالثةَ، فاحملوا عليهم حملةَ رجُلٍ واحدٍ، وأخذ الرايةَ النعمانُ، وتقدّم، وكبّر، فلما كان في الثانية والثالثة حملوا عليهم. فهزموهم، وقُتل النعمان بن مقرن، فأخذ الرايةَ حُذيفة بن اليمان، وقتلوا منهم ما الله أعلم به، وأصابوا من الغنائم والأموال ما لم يُذكر في كتابٍ مبلغُها، وقُتل ذو الحاجب مردانشاه، ولم يكن للأعاجم بعد ذلك جماعةٌ فسُمّي ذلك فتح الفتوح، واستُشهد ذلك اليوم النعمان بن مقرن، وعمر بن معدى كرب، وطُليحة بن خويلد في نفرٍ من الصحابة، واستصفى عمر من أموال

الفرس ما كان لكسرى وأهل بيته، وبلغ خراجُه سبعة آلاف ألف درهم، حتّى إذا كان يوم الجماجم أحرق الديوان، فأخذ كلّ إنسان ما يليه، قالوا: واحتال المغيرة بن شعبة على عمّار بن ياسر، فرفع إلى عمر أنّه يخاطر بالديكة، فعزله عمر وولى الكوفة المغيرة ابن شعبة، فافتتح آذربيجان صُلحاً، ويقال: افتتحها هاشم بن عتبة.

[فتوح عمر في بلاد الفرس]:

وكان يزدجرد مُقيماً باصطَخْر في هذه الوقائع، فوجّه عمرُ عثمانَ بن أبي العاص الثقفيّ، وكان ولاّه رسول الله ﷺ الطائف إلى البحرين وعزل عنها أبا هريرة، وكان وافاها مع العلاء بن الحضرميّ مُؤذِّناً له، فلمّا سار إلى العراق استخلفه على البحرين، فدوّخ عثمان البلادَ بالأزْد وعبد القَيْس، ثم عبر بهم البحر إلى أسياف فارس وجعل يركض على كُورها وقُراها ويُغير عليها، ومصّر توج وجعلها دار هجرة ويزدجرد لما رأى من غلبة العرب بعث بخزائنه وكنوزه إلى الصين، وعزم على قصده إن هزم ووجّه شهرك للقاء عثمان ابن أبي العاص الثقفيّ، وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري، بأن يلتقي مع عثمان، فاجتمعا، وواقعا شهرك، وكان في مائة وعشرين ألف رجل، فهزماه، وقتلا من أصحابه زُهَى ثلاثين ألفاً، وفتحوا كورة[1] أردشير، وهذا هو الأصطخر الأولى ولم يفتح أصطخر، ويقال: أنّ الذي فتحها قُرط بن كعب الأنصاريُّ، وأصبهانَ فتحها عثمان بن أبي العاص بعد حصار ثلاثة أشهر، وكاتب الرجال من الأهواز، وأميرُها المُغيرة بن شعبة.

[ما افتتح من الشأم في أيام عمر رضي الله عنه]:

قالوا: وكان أبو عُبيدة بن الجرّاح، وخالد بن الوليد بأرض الشام عند موت أبي بكر رضي الله عنه يركضون ويُغيرون، فلما صار الأمر إلى عمر حاصروا دمشقَ ستّة أشهرُ حتى افتتحوها صُلحاً، وكذلك حمص وبعلبكّ، ثم كانت وقعة اليرموك.

وقعة اليرموك:

وكان هِرَقْل ملك الشام والروم بأنطاكية ألجاه إليها المسلمون في حياة أبي بكر، فجمع الجموع، واستمدّ من الرُوميّة والقُسطنطينية، وجاءَه جَبَلة بن الأيهم الغسّاني في من

---

(١) كورة أردشير: وهي كورة قديمة، رسمها نمرود بن كنعان ثم عمرها سيراف بن فارس، وأكثرها ممتد على البحر شديدة الحر، كثيرة الثمار.

معه من لَخْم وجُذام، فتكاملوا أربع مائة ألف يزعمون، وأمّر عليهم هرقل دُمستُق ماهان، فلقيهم أبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد في أيّام ذي ضباب، ورَذاذٍ بموضع يقال له: اليرموك، فهزموهم وفضّ الله جموعهم، فتساقط في هوّةٍ ثمانون ألفاً لا يشعر آخرهم بما لقي أوّلهم، فغدَوْا من الغد بالقصب، وسُمّيت تلك الهوّة هوّة اليرموك، وقتلوا بالسَيْف سبعين ألفاً، وكان المسلمون يومئذٍ خمسة وثلاثين ألفاً، وانتهت الهزيمة إلى هرقل، وهو بأنطاكية، فخرج إلى القسطنطينيّة بأهله ورحله وماله، وأشرف على الشام، فقال: السلامُ عليكم سلامَ مودّع لا يرى أنّه يرجع إليك أبداً، واستُشهد الفضل بن العبّاس باليرموك.

فتح بيت المَقْدس:

وافتتح أبو عبيدة بعد اليرموك الجابية من أعمال دمشق وقِنّسرين[1]، وحاصر أهل مسجد إيليا، فأبوا أن يفتحوا له، وسألوه أن يُرسِل إلى صاحبه عمر ليقدّم، فيكون هو الذي يتولّى مصلحتهم، فكتب بذلك أبو عبيدة إلى عمر، فوافى الشام، واستخلف عثمان بن عفّان على المدينة، وصالح أهل إيليا على أن لا يهدم كنائسها، ولا يُجلي رهبانها، وبنى بها مسجداً، وأقام أيّاماً، ثمّ رجع إلى المدينة، وفي أيّامه افتتح شرحبيل بن حسنة سَرُوج والرُّها صُلحاً، وافتتح عياض بن غنم داراً والرّقة وتل موزن صلحاً، وافتتح عمرو بن العاص الثقفي مِصْرَ عنوةً، وافتتح الإسكندريّة صلحاً ويقال: عنوةً، وصالح أهل برقةَ، وافتتح أيضاً بالس[2]، وافتتح معاوية عسقلان[3] وقيساريّة[4] صلحاً، وأغْزَى عمر عُمير بنت سعد الأنصاريّ، فقطع دروب الروم، وأوغل في بلادهم حتّى انتهى إلى عموّريّة، وهو أوّلُ من خرّبها ودخلها، وبه يضرب المثل أخْرَبُ من جوف الحمار، فهذا ما كان من الفتوح في أيّام عمر رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) قنسرين: مدينة طولها تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، في الإقليم الغربي، وكان فتح قنسرين علىٰ يد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

(٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة، سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام وكانت علىٰ ضفة الفرات الغربية.

(٣) عسقلان: هي في الإقليم الثالث من جهة المغرب خمس وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة، وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين علىٰ ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، وعسقلان قرية من قرىٰ بلخ.

(٤) قيسارية: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم وهي كُرسي مُلك بني سلجوق ملوك الروم.

طاعون عمواس[1]:

وعَمواس موضع في سنة سبع عشرة من الهجرة، وخمس من خلافة عمر، وقع الطاعون قد اشتعل بالشام، وخرج عمر لقتال الروم حتى بلغ سرغ فقيل: أنّ الطاعون قد اشتعل بالشام، فرجع عمر، فقال له أبو عبيدة: أفراراً من قَدَر الله؟ قال: نعم أَفِرُّ من قَدَر الله إلى قَدَره، ومات في ذلك الطاعون من المسلمين بضع وعشرين ألفاً، منهم أبو عبيدة بن الجرّاح، ومُعاذ بن جبلٍ، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وفيه يقول الشاعر: [خفيف].

رُبّ خِرْقٍ مثل الهلال وبيضا ... ءَ حَصان بالجَزْع من عَمَواسِ
قد لقُوا الله غير رادٍ عليهم ... وأقاموا في غير دار أساسِ

عام الرمادة:

وهو عام الجوع والقَحْط، وفي هذه السنة كانت الرمادة، وهي القحط والجَدْب والمجاعة، حتى [ ][2] رعيها وعُطلت النَعَم، فقال كعب الأحبار لعمر: إنّ بني إسرائيل كان إذا أصابهم مِثْلُ هذا استسقوا بعَصَبة الأنبياء، فقال عمر: هذا العبّاس عمُّ النبيّ ﷺ، وصِنْوُ أبيه، وسيّد بني هاشم، فمشى إليه، وكلّمه، وخرج معه الناس إلى المُستمطر[3] ودعا عمر والعبّاس رضي الله عنهما، فسُقُوا، وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت: [كامل].

سَألَ الإمامُ وقد تتابع جَدْبُنا ... فسقى الغمامُ بغُرّة العبّاس
عمّ النبيّ وصِنْو والده الذي ... ورِث النبيّ بذاك دُون الناس
أحْيا البلاد به الإلهُ فأصبَحتْ ... مُهتَزَّة الأجناب بعد إياسِ

فتح السوس[4]:

قال: وحاصرهم أبو موسى الأشعريّ، حتّى أجهدهم الحصار، فاستأمن دهقانهم

---

(١) عمواس: ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ومنها كان إبتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٢) [ ] في الأصل بياض.
(٣) المستمطر: استمطر: طلب المطر واحتاجه. فهو مستمطر. و ـ الله: طلب منه المطر.
(٤) السوس: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام.

لمائة نَفْس، وقال أبو موسى الأشعريّ، اللهمّ أنسِه نَفْسَهُ، فلما نزلوا قال له: اعزِل المستأمنين، فعزل مائة، ولم يعزل نفسَه، فأمر به أبو موسى، فضُرب عُنُقه، وأصابوا جُثّة دانيال في تابوت من رُخام يستصرخون به ويستمطرون، فكتب إلى عمر بذلك، فكتب في الجواب، إنّي أراه نبياً فادفِنْه حيثُ لا يُشعر الناس به، قال أَنَسٌ في روايته، فكان طول أَنْفه ذراعاً، وقام رجلٌ يقاومه، فكانت رُكبته مُحاذيةً رأسَه، فدفنوه تحت الماء ووجدوا معه صُحُفاً بيعت بأربعة وعشرين درهماً، فوقعت إلى الشام وحجّ بالناس عمر عشر سنين متوالية، ثم صدر إلى المدينة، وقُتل سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وكانت ولايته عشر سنين وستّة أشهر وخمس ليالٍ رضي الله عنه.

مقتل عمر رضي الله عنه:

قالوا: وكان للمغيرة بن شُعبة غلامٌ نصراني يقال له: أبا لؤلؤة عليه لعاينُ الله تَتْرَى مرّة بعد أُخرَى، فجاء إلى عمر يشكوه مولاه المغيرة في ضربه، وتثقيل وظائفه، ويسئله أن يكلّم المغيرة في التخفيف عنه، فإنّه ذو عيال، فقال له عمر: اتّقِ الله ورسوله وأطِعْ مولاك، ثمّ لقي المغيرةَ، فأوصاه به خيراً، وعاد الغلام شاكياً وسائلاً، فقال له مِثل مقالته الأولى، وسئله أن ينصِبَ له رحىً، فقال الغُلام: لأَنْصِبَنّ لك رَحىً يتحدّث بها العربُ، فقال عمر: لولا أنّ الناس يقولون هابَهُ عمر لقُلتُ يُوعِدُني هذا الكلبُ، وضَغِنَ عليه أبو لؤلؤة حيثُ لم يسامحْه المغيرة: وظنَّ ذلك من فعل عمر، فاتّخذ خنجراً له رأسانِ والمقبضُ بينهما، وأزمع على قتل عمر، ورأى عمر تلك الليلة في المنام كأن ديكاً أبيض نقره نَقْرتَيْن، فأصبح مهموماً، وقال: ما الديك إلاّ عجميّ: وما النقرة إلاّ طعْنُه، ثمّ تطهّر وخرج لصلاة الصبح، فجاء أبو لؤلؤة الملعون لعنه الله حتّى وقف في الصفّ ممّا يلي عمر، فلما افتتح عمر الصلاة طعنه في خاصرته طعنتَيْن[1] أجافَتْ وخرق أمعاءه، فقال عمر رضي الله عنه: آه والتأث المسلمون به، فحملوه، وقبضوا على أبي لؤلؤة الملعون بعد ما قتل رجلاً أو رجلين وجرح جماعةً، وقال عمر: مُرُوا عبد الرحمٰن بن عوف، فَلْيُصلِّ بالناس، فصلَّى بهم، وقرأ في الركعة الأولى بقُلْ: يا أيُّها الكافرون وفي الثانية بقُلْ هو الله أحد، ثمّ دخل إليه ودخل الناس، وجُرْحُه ينبعثُ دماً، فقال لابن عبّاس: اخرُج، فانظر من قتلني، فخرج، ثم دخل،

---

(١) فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته. وقتل اثني عشر رجلاً من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقي ستة. «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٢٩».

فقال: هذا أبو لؤلؤة الملعون النصرانيّ، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل خَصْمي ذا سجدتَيْن، ثم دعا له بطبيب لينظُرَ، فسقاه نبيذاً، فخرج ولم يُدْرَ أهو نبيذٌ أم دمٌ، ثم دعا بطبيب آخر، فسقاه لبناً، فخرج اللبن لبناً، فقال: اعهد يا أمير المؤمنين، فجمع الناس للشورى.

قصّة الشورى وموت عمر:

قالوا: فلمّا أيقن عمر بالموت، دعا بعهده وجعل الأمر فيه إلى ستّة نفر، وهم عثمان بن عفّان، وعليّ بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوّام، وطلحة بن عبيد الله، ثم جعل معهم عبد الله بن عمر، وقال: ليس له في الإمارة نصيبٌ، وإنّما له الإختيار والرأي، وجعل أجَل اختيارهم ثلاثة أيّامٍ، وقال: يُصلّي بالناس صُهيبٌ، حتى يصطلحوا على أحدهم، وأمر عدّة من الأنصار أن يستحثّوهم على ذلك كيلا يتفرّق كلمة المسلمين، وقال: إن اجتمع ثلاثة على واحد وأبى اثنان، فخذوا بقول الثلاثة، وإن كانوا ثلاثةً ثلاثةً، فخذوا برأي الثلاثة الذي فيهم عبد الرحمن بن عوف، وكان قال لعبد الله بن عباس: اذكُرْ لي من أعهد إليه، فقال عثمانُ: فقال: ذاك كِلْفٌ بأقاربه يحمل بني ابن أبي مُعَيطٍ على رقاب الناس قال: فعبد الرحمن بن عوف قال: مسلمٌ ضعيفٌ وأميرتُه امرأتُه، قال: فسعدٌ، قال: ذاك فارس يكون في مِقْنَبٍ[1] من مقانبكم، قال: فالزُّبير، قال: مؤمن الرضا كافر الغضب قال: فطلحة، قال: فيه بأْوٌ وعُجْبٌ، قال: فعليٌّ، قال: فيه دُعابةٌ وإنّه لأَخْلَقُهم أن يحملهم على المحجّة، ثمّ جعل الأمر في هؤلاء الستّة باختيارهم، وقال: إنّ بيعة أبي بكر كانت فَلْتةً وَقَى الله شرَّها، فمن عاد إلى مثلها من غير مَشْورةٍ، فاقتلوه، ومات عمر رضي الله عنه وأرضاه يوم الجمعة لأربع بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين، وكان طُعِنَ يوم الأربعاء، فمكث بعده ثلاثاً، هذا في رواية الواقدي، فلما أخرجوه ليصلّي عليه الناس، قام عليٌّ عند رأسه، وقام عثمان عند رجلَيْه، فقال عبد الرحمن بن عوف: ما أسْرَعَ ما اختلفتم تقدَّمْ يا صُهيب، فتقدّم فصلّى عليه، ثمّ دفنوه في حُجرة عائشة مع النبيّ ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه، فانصرفوا عنه، وتنازعوا الأمر، واختلفوا فيه وجاءت الأنصار يستحثّونهم، وبنو هاشم، وبنو أُميّة يخطُب كُلّ قومٍ إلى صاحبهم، فقال عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح: إنْ أردتم أن لا يختلف قُريش، فولّوها

---

(١) مقنب: المقنب جماعة من الفرسان والخيل دون المائة تجتمع للغارة (ج) مقانب.

عثمان، فقام عمّار بن ياسر، فقال: إنّ أردتم أن لا يختلف الناس، فولّوها عليّاً، ثمّ قال لعبد الله بن سعد بن أبي سرح: يا فاسق بن فاسق. أأنتَ ممّن تستنصح المسلمين؟! أو يستشيرونك في أمورهم؟! واستسبَّ بنو هاشم، وبنو أميّة وارتفعت الأصوات حتى تخوّف الإختلافَ، فكان في الشورى ثلاثة أيّام وعليٌّ يناشدهم بالرحم أنْ يُخرجوه من هذا الأمر، فلما كان اليوم الثالث بايعوا عثمان.

[بيعة عثمان بن عفّان رضي الله عنه]:

قالوا: وأقبل عبد الرحمن بن عوف إلى عليّ بن أبي طالب، فقال: عليك عهد الله وميثاقه، وأشدّ ما أخذ الله على النبيّين من عهد. وعقد إن أنا ولّيتك هذا الأمر لتعملن بكتاب الله وسنّة نبيّه، فقال: نعم طاقتي وجُهدي ومبلغ رأيي، ثم أقبل على عثمان، فقال له: عليك عهد الله وميثاقه، وإشدّ ما أخذ الله على النبيّين من عهد وعقد إنْ أنا ولّيتك هذا العمل لتعملنّ فيه بكتاب الله وسنّة نبيّه، قال: نعم لا أزول عنها ولا أَدَعُ منها شيئاً، وبسط يده وكرّر عبد الرحمن هذه الكلمة على عليّ مراراً، وعلى عثمان مراراً كلّ ذلك يُجيبانه مِثْل الأوّل، وبسط عثمان يده، وبنو هاشم، وبنوا أُميّة ينتظرون ما يكون، فضرب عبد الرحمن على يد عثمان وبايعه على الأمر، ثم تتابع الناسُ على ذلك، وخرج عثمان، ووجهُه يتهلّل، وعليّ كاسف اللون أرْبَدُ لم يبايعه، ودخل منزله ورفع عمّار عقيرته يقول: [رجز].

يا ناعِيَ الإسلام قُمْ فانْعِهِ قد مات عُرْفٌ وأتي مُنْكَرُ

هكذا رأيته في بعض التواريخ، وما أظنّه حقاً، والله أعلم، وقد رُوي أن سلمان جعل يقول ذلك اليوم:

كردند نكردند كردند نكردند

ثم قام عثمان على المنبر خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وأُرتِجَ عليه الكلامُ، فقال: إنّ هذا مقامٌ ما كنّا نرى أن نقومَه، وإنّ أوّل مركب صعبٌ، وإنّ مع اليوم أيّاماً وما كنّا خطباء، وسيعلّمنا الله ولا آلو أُمّةَ محمّد خيراً، ونزل ومشى أهل الشورى إلى عليّ، وقالوا: قُم فبايِع، قال: فإن لم أفعل، قالوا: نجاهدك، فجاء فبايع، ولمّا طعن أبو لؤلؤة عمرَ أخذه الناس، فقتلوه وسلّ عبيد الله بن عمر السيف، فقتل ابناً لأبي لؤلؤة، وقتل الهُرمُزانَ، وأراد أن يستعرض السبي بالمدينة، فمنعه المهاجرون والأنصار، وممّا رُثي به عمر بن الخطّاب

قول الشمّاخ: [طويل].

أبَعْدَ قتيل بالمدينة أصبحتْ	له الأرضُ تهتزُّ العِضَاهُ بأَسْوُقِ
جَزَى الله خيراً من أمام وباركت	يدُ الله في ذاك الأديم الممزّق
فمن يَسْعَ أو يركب جناحَي نعامة	ليُدرك ما قدّمَتْ بالأمْس تُسبَقِ
وما كنتُ أخْشى أن يكون وفاتُه	بكفّي سبنتي أزرق العين مُطْرِقِ
قضيتَ أموراً ثم غادَرْتَ بعدها	نوافج في أكمامها لم تُفَتَّقِ

ويُروى عن بعضهم، عن رجل من الرافضة أنّه قال: رحم الله أبا لؤلؤة، فقيل: سبحان الله ترحّم على رجل مَجُوسيٍّ قتل عمر بن الخطّاب، فقال كانت طَعْنَتُه إسلامُه.

خلافة عثمان بن عفان:

بايعه الناس، وصار إليه خاتمُ رسول الله ﷺ ورداؤه، وأوّل فتح كان في خلافته ماه البصرة، وما كان بقي من حدود أصفهان والريّ على يد أبي موسى الأشعري، ثم بعث عثمانُ عبد الله بن عامر بن كريز إلى أصطخر وبها يزدجرد، فخرج يزدجرد إلى دار[1] أبجرد، وخلّف مَاهَك الأصفهبذ على أصطخر، فنزل عبد الله بن عامر بن كُريز يقاتل ماهك، وأرسل مجاشعَ بن مسعود السُلميَّ في أثر يزدجرد، فركب يزدجرد المفازة[2] إلى كرمان، وفتح مجاشع دار أبجرد صُلحاً، وسار في أثر يزدجرد إلى كرمان، فافتتحها وأخذ يزدجرد على طريق سجستان حتّى أتى مرو الشاهجانَ يُريد الصينَ، وقد قدّم إليها ذخائره وخزائنه، وذكر ابن المقفّع أنه كان في تلك الذخائر من الذهب التي كان قباذ ضربها سبعة آلاف آنيةٍ، كلّ آنية اثنا عشر ألف مثقال سوى ما كان من ضرب سائر الملوك ومواريثهم، وأنّه كان فيها ألف حمل سبائك غير المضروبة، وجاء مجاشع إلى سجستان، فأصاب منها، وافتتح سجستان، ثم انصرف لمّا لم يُدرك يزدجرد، وعاد إلى فارس، وافتتح عبد الله بن عامر ابن كريز أصطخر الثانية، وسار إلى خراسان حتّى أتى الطوسَ فافتتحها صلحاً، وبلغ الخبرُ يزدجرد، فاشتدّ خوفه، واستمدّ التُرك، فجاءه التُرك وطرخان التركي لنُصرته، فقال له وزيرهُ خُرزاذ: إن أمر العرب شيء ظاهر، فدَعْني أصالحهم على مالٍ يَدَعُوا لك بعض

---

(١) دار أبجرد: ولاية بفارس؛ يُنسب إليها كثير من العلماء. وهي قرية من كورة، إصطخر، وبها معدن الزيبق وهي كذلك موضع بنيسابور.

(٢) المفازة: الصحراء الواسعة التي لا ماء فيها.

ممالكك، قال: إفعل، فكتب خرزاذ الوزير إلى عبد الله بن عامر يُراوده على الصلح عن كور[1] الجبل وخراسان على ثمانين ألف ألف درهم، فأراد ابنُ عامر أن يُجيبَه إلى ذلك إذْ ورد عليه خبرُ قتل يزدجرد.

مقتل يزدجرد:

قالوا: ولمّا ورد مَرْوَ سبّ ماهُوي مرزبان مروَ بما مضى من المسلمين، وبالغ في الإستقصاء عليه، وأظهر السَخَط، فخافه ماهوي على نفسه، وكان ورد ترك طرخان مدداً له، فاستخفّ بهم يزدجردُ، وطردهم لكلام تكلّم به بعضُهم، فتصدّى القومُ لمحاربته، فواقعهم وهزمهم، وخرج في أثرهم، فأرسل ماهوي إلى طرخان، أن كُرَّ عليهم، فإني أظاهرك وآتي من ورائه، وخرج ماهوي في أساورته، وأمر ابنه برار أن يُغلق أبواب المدينة دونه كي لا يدخُلها، فكرّ على يزدجرد طرخانُ، فولى ظهره يريد المدينة، فاستقبله ماهوي، فمزّقه كلّ ممزَّق، وانهزم يزدجرد لا يهتدي لوجهه، فطرح نفسه في مرغاب، ثم اختلفوا في هلاكه، فزعم أنّه غَرِق في الماء، وزعم آخرون أنّه لحِقَتْه الخيل، فقتلوه وحملوه في تابوت إلى أصطخر، وفي كتاب خذاي نامه، أنّ يزدجرد انتهى إلى طاحونة بقرية زرق من قُرى مرو، فقال للطحّان: اخفِني، وغُمَّ مكاني. ولك منطقتي، وسوارى، وخاتمي، وكان فيها خراج فارس، فقال الرجل: إنّ كري الطاحونة كلّ يوم أربعة دراهم، فإن أعطيتَني أربعة عطّلتُ الطاحونة، وإلاّ فلا، فقال يزدجرد: قد قيل لي أنّك تحتاج إلى أربعة دراهم، ولا نقدر عليها، فبينا هو في مراجعته غشيَتْه الخيل، فقتلوه، ولم يكن بمرو يومئذٍ أحدٌ من المسلمين، وكان معه ثلاث آلاف رجُلٍ من الحشم، منهم ألف أسوارٍ وأبناء الأساورة وألف مُغَنٍّ، وألف طبّاخ، وفرّاش، وابنان له فيروز وبهرام، وثلاث بنات أدرك، وشهره، ومرواريذ، وقُتل سنة إحدى وثلاثين من الهجرة وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وكان ملكه عشرين سنة في تشتُّتٍ واضطراب، فلمّا قُتل تفرّقت الحشمُ، فنزلت الأساورةُ بلخَ، ونزل المغّنون هراة[2]، وأقام الفرّاشون بمرو، وبعث ماهوي بخزائنه، وما كان له من الأموال إلى عبد الله بن عامر، وبقي ما كان قدّمه إلى الصين في أيدي أهله، ووّجه عبد الله

---

(١) كور الجبل: كور جبل معروف وقيل: ثنية الكور في أرض اليمن كانت بها وقته لها ذكر في أيام العرب وأشعارهم.

(٢) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. وهراة أيضاً مدينة بفارس قرب إصطخر كثيرة الخيرات.

بن عامر الجيوش إلى خراسان، فافتتح أميرشهر[1] صلحاً، وسار ابنُ عامر حتّى أتى نيسابور فافتتحها صلحاً، وبنى في قهندزها الجامعَ، وكتب إلى عثمان، فأرسل عثمان أثواباً خلعاً للجامع، فكُسِينَه، فمنها إلى اليوم شظايا باقية، وصالح أهل سَرَخْس على مال، وصالح دهقان هراة على مائة بدرة، وبعث الأحنف بن قيس إلى قتال الهياطلة، وهم أهلُ جوزجان[2]، وبلخ، وطخارستان[3]، فجاء، فصالح أهل مرو، وأهل طالقان وصالح كيلان مروَ الرّوذ على ستّين ألف درهم، وبنى بمرو الروذ قصراً يُقال له: قصر الأحنف، ثم ولّي عبد الله بن عامر قَيس بن الهيثم السُلميّ خراسان، وتوجّه مُحرِماً بالحجّ إلى مكّة، فلم يَعُدْ إلى خراسان، وفي أيّام عثمان افتتح جرير بن عبد الله البجلي الأرمينية وغزا سعيد بن العاص طبرستان، ومعه الحسنُ والحسُين ابنا عليّ عليهم السلام، فافتتحها صلحاً، وافتتح أبو موسى الأشعريُّ ما بقي من أعمال الريّ وطالقان ودماوند[4] صلحاً، وانتقضت الإسكندريّة في أيّام عثمان، فافتتحها عمرو بن العاص، وبعث بسبيها إلى المدينة، فردّهم عثمان إلى ذمّتهم لأنهم كانوا صلحاً، ولأنّ الذُريّة لم تنقُضِ العهدَ، فهذا بدْوُ الشرّ بين عثمان و عمرو، فانتزعه من مصر، وأمّر عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه لأمّه، فغزا أفريقية وافتتح طرابلس، وهي من القيروان على سبعين ميلاً، وسار حتّى بلغ دُمقُلَة مدينة السودان، فأصاب من الأموال ما بلغ سهم الفارس من العين ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف دينار وحدّثني هارون بن كامل بمصر قال: كان مع عبد الله بن سعد سبعون ألفاً من فارس. وراجل وفي أيّام عثمان غزا معاوية قبرص وأنقِرَةَ من أرض الروم، فافتتحها صلحاً، وكان بعث عثمان معاوية إلى فارس مع عبد الله بن عامر، فأصاب من أطرافها، فافتتح بعض كُورها ونواحيها، فهذا ما كان من الفتوح في زمن عثمان بن عفان.

---

(١) أمير شهر:

(٢) جوزجان: وهو اسم كورة واسعة من كُور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ، ومن مدنها الأنبار وفارياب وكلّار، وبها قُتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه.

(٣) طخارستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى.

(٤) دُماوَنْد: جبل قرب الري وكورة.

[حصار عثمان]:

حُوصِرَ عشرين يوماً، وقُتل في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وكان سبب ذلك أنَّ الناس نقِموا عليه أشياءَ، فمن ذلك كلفه بأقاربه كما قال عمر رضي الله عنه، فآوى الحَكَم بن أبي العاص بن أمية طريدَ رسول الله ﷺ، وكان سيّره إلى بطن وَجّ، ولأنّه كان يُفْشي سِرَّ رسول الله ﷺ، ويُطلع الناسَ عليه، ومنها أنّه أقطع الحارث بن الحكم مهرقته موضع شرقي المدينة، وكان النبيّ ﷺ لما قدم إلى المدينة، ووصل إلى ذلك الموضع ضرب برجله، وقال: «هذا مُصلاّنا، ومستمطَرُنا، ومخرجنا، لأضْحَانا، وفطرنا، فلا تنقُضوها، ولا تأخذوا عليها كِري لعن الله من نقض من بعض سُوقِنا شيئاً» ومنها أنّه أقطع مروان بن الحكم فَدَكَ قرية صدقة رسول الله ﷺ، وأعطاه خُمس الغنائم من أفريقية، فقال عبد الرحمن بن حنبل الجُمحيُّ: [متقارب].

أحلِّــفُ بـــالله ربّ العِبـــا	د مـا تـرك الحـقُّ شيئاً سُـدَى
ولكـــن خُلِقْـــتَ لنـــا فتنـــةً	لكـــي نُبتلـــي بـــك أو تُبتلَـــي
فمـــا أخـــذا درهمـــاً غِيلَـــةً	ولا أعطيـا درهمـاً فـي هَـوَى
وأعطيتَ مروان خُمس العباد	فهَيْهـاتَ شـاؤُك ممّـن سَعَـى

ومنها أنه أعطى عبد الله بن خالد بن آسيد بن رافع أربعمائة ألف درهم، وأعطى الحكم بن أبي العاص مائة ألف درهم، ومنها أنَّ عُبيد الله بن عمر قتل الهرمزان بأبيه عمر، وقتل إبنين لأبي لؤلؤة عليه اللعنة، فلم يُقِدْهُ، ومنها أنه عزل عُمّال عمر، وولّى بني أميّة، وإنتزع عمرو بن العاص عن مصر، واستعمل عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وانتزع سعد بن أبي وقّاص عن الكوفة، واستعمل الفاسق الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ، وهو أخوه لأُمّه، فوقع في الخمر، فشربها ويصلّي الصلاة لغير وقتها، فصلّى بالناس يوماً الفجر أربعاً وهو ثَمِلٌ، فلما إنصرف قال: أزيدكم فإنّي نَشِيطٌ، فشغب الناسُ، وحصبوه وفيه يقول الحُطَيْئة: [كامل].

شهِـد الحُطيئـةُ يـومَ يلقـى رَبَّـهُ	إنّ الـــوليـــد أحـــقُّ بـــالعُـــذْر
نـــادى وقـــد تمَّـــت صـــلاتُهُـــمُ	أأزيـــدكـــم ثمِـــلاً ومـــا يَـــدْري

فلما شكاه الناسُ عزله، واستعمل عليهم شراً منه سعيد بن العاص، فقدِم رجلٌ عظيم الكبر شديد العُجْب، وهو أوّل من وضع العُشور على الجسور والقناطر، ومنها أنّ ابن أبي

سرح قتل سبعمائة رجل بِدَم رجُل واحد، فأمر بعزله، ولم يُنكرِ عليه، ومنها أنّه جعل الحروف كلّها حرفاً واحداً وأكره الناس على مُصْحفه، ومنها أنه سيَّر عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام لتنزُّهه عن أعماله وسيّر أبا ذرّ الغفاريَّ إلى الرّبذة، وذلك أنّ معاوية شكاه أنّه يطعن عليه، فدعاه واستعتبه، ولم يُعتِب، فسيّره إلى الرّبذة، وبها مات رحمه الله، ومنها أنّه تزوّج نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة، فأعطاها مائة ألف من بيت المال، وأخذ سَفَطاً[1] فيه حُلّي، فأعطاه بعض نسائه، واستسلف من بيت المال خمسة آلاف درهم، وكان اشتُرِط عليه عند البيعة أن يعمل بكتاب الله وسُنّة رسوله وبسيرة الشَيْخَيْن رضي الله عنهما، فسار بها ستّ سنين، ثم تغيّر كما ذُكر ونبرأُ إلى الله من عيب الصحابة قدس الله أرواحهم أجمعين، ومنها أنّه لما وَلِي صعِد المنبر، فتسنّم ذِرْوَتَهُ حيثُ كان يقعد رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر ينزل عنه درجةً تعظيماً لقدر النبيّ ﷺ، فلما وَلِي عُمر نزل عن مقعد أبي بكر بدرجةٍ، فصارت رجلاه في الأرض لأنّ المنبر دَرَجتانِ، فتكلّم الناسُ في ذلك، وأظهروا الطعن، فخطب عثمان وقال: هذا مالُ الله أعطيه من أشاء، وأمتعه من أشاء، فارغم الله أنفَ من رغم أنفُه، فقام عمّار بن ياسر، فقال: أنا أوّل من رغِم أنفه من ذلك، فقال له عثمان: لقد اجترأت عليَّ يا ابن سُمَيَّةَ، فوثبوا بنوا أُميّة على عمّار، فضربوه حتّى غُشي عليه، فقال: ما هذا بأوّلِ ما أُوذِيتُ في الله؟ وضرب عبد الله بن مسعود في مخالفته قرآتَهُ، فسار الأشتر النَخَعيّ في مائتي راكب من أهل الكوفة، وسار حكيم بن جبلة العبديّ في مائتي راكب من أهل البصرة، وسار عبد الرحمن بن عنبس البلويّ، وكانت له صُحبة في ستمائة راكب من أهل مصر فيهم عمرو بن الحمق، ومحمّد بن أبي بكر حتّى نزلوا بذي خُشُب فرسخاً من المدينة، وبعثوا إلى عثمان من يكلّمه ويستعتبه، فقال: ما تنقمون عليّ؟ فقال نَنْقِمُ عليك ضَرْبَك عمّاراً قال: فوالله ما أمرتُ به، ولا ضربتُ، فهذه يدي بعمّارٍ، فليقْتَصَّ قالوا: وننقم عليك إذ جعلت الحروف حرفاً واحداً، قال: جاءني حذيفة، فقال: ما كنتَ صانعاً إذا قيل قراءة فلان وقراءة فلان، فيختلفون كما اختلف أهل الكتاب، فإن يكن صواباً، فمن الله وإن يكن خطاءً، فمن حذيفة، وقالوا: ننقم عليك أنّك استعملتَ السُفهاء من أقاربك، قال: فليقم أهلُ كلِّ مِصْرٍ، فليسألوني صاحبكم، فأوَلِّه عليهم، فبُعث عليٌّ رضي الله عنه إلى ذي خُشُبٍ، فأرضاهم وردّهم، فانصرفوا حتّى بلغوا حِسْمَى مرّ بهم راكبٌ معه كتابٌ إلى ابن أبي سرح بقتل القوم، ولمّا انصرف الراكب تكلّم الناس في أمرهم وأرجفوا

---

(١) سفطاً: وعاء كالقُفّة (مو) و-: وعاءٌ للطيب وأدوات النساء (ج) أسفاط.

بالأراجيف[1]، فخطب عثمان، وقال: قد بلغني ما تحدّثتم، وإنّما جاؤوا في صغير من الأمر، فقال عمر بن العاص: بل جاؤوا في كبير من الأمر، وقد رُكبت ما بك نهابرُ، فإمّا أن تعتدل وإمّا أن تعتزل، فقال عثمان: يا ابن النابغة هذا الآن عزلتُك عن مِصْرَ، قالوا: ولمّا أعطى عثمانُ القومَ ما أرادوا، قال مروان بن الحكم لحمران بن أبان كاتب عثمان، فكان خاتم عثمان مع مروان بن الحكم: إنّ هذا الشيخ قد وَهَن وخَرِف، وقُمْ، فاكتُب إلى ابن أبي سرح أنْ يضرب أعناق من ألَّبَ على عثمان، ففعلا، وبعث الكتاب مع غلام لعثمان يقال له: مدس على ناقة من نُوقه، فمرّ بالقوم وهم نزولٌ بحسمَى[2]، فاتّهموه، وأخذوه، وقرّروه، وأخرجوا الكتاب من إدَاوة له، وانصرفوا إلى المدينة وبَدَؤوا بعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه كان راوضهم وضمِن لهم، فجاء عليّ معهم إلى عثمان، فقالوا: فعلتَ وفعلتَ، فأنكر ذلك، وقال: لعنَ الله الكاتب والمُملّي، والآمر به، فقالوا: فمن تظنّ؟ قال: أظنّ كاتبي غدر، وارتجّت المدينة برجوع القوم، فحنق بنو مخزوم لضربه عمّارَ، وحنق بنو زُهرة لحال عبد الله بن مسعود، وحنق بنو غفارٍ لمكان أبي ذّر الغفاري، وكان أشدَّ الناس طلحة، والزبُير، ومحمد بن أبي بكر، وعائشة وخذلتْه المهاجرون والأنصار، وتكلّمت عائشة في أمره، وأطلعت شعرةً من شعر رسول الله ﷺ ونعلَه وثيابَه، وقالت: ما أسرعَ ما تركتم سُنّةَ نبيّكم، فقال عثمان في آل أبي قُحافة ما قال وغضِب حتّى ما كاد يدري ما يقول، فقال عمر بن العاص: سبحان الله، وهو يريد أن يحقّق طعن الناس على عثمان، فقال الناسُ: سبحان الله، ثم صعد عثمان المنبر، وهو يريد أن يتكلّم بعهده، فقام رجلٌ، فشتمه وعابه، وقال: فعلتَ وفعلتَ، وعثمان يلتفتُ إلى الناس حولَه، فلا يَرُدّ عليه أحدٌ، ثمّ قام الجهجاهُ بن سنام الغفاريُّ، فأخذ القضيب من يده وكسرها، فنزل عثمان وحوله ناسُ من بني أُميّة ودخل داره، فحاصره، فحاصروه عشرين يوماً، فلما اشتدّ الحصار كتب كتاباً، وأطلع رأسه من داره، وترّسوه بالتِرَسة[3]، وقرأه بأعلى صوته إني أنزع عن كلّ شيء أنكرتموه، وأتوب إلى الله عزّ وجلّ من كلّ قبيح علمته كذا وكذا، وأُحذّركم سَفْكَ دمي بغير حقّ، فقالوا: إنْ كنتَ مغلوباً على أمرك فاعتزِلْ وادفع إلينا مروان، فأبىٰ وقال: لا أنخلعُ من قميص قمّصنيه الله تعالى، ولا أَبُلُّكم سعيكم، واستأذنوا غلمانُه في محاربة القوم،

---

(١) الأراجيف: الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والإضطراب (ج) أراجيف.

(٢) حِسْمَي: وهو أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القُرىٰ ليلتان.

(٣) الترسة: قطعة من الحديد مستديرة مسننة.

فناشدهم أن لا يُراق فيه محجمة[1] دم وقال: من كفّ يده فهو حُرٌّ، وكتب إلى عليّ رضوان الله عليه: [طويل].

فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلي وإلاّ فأَدْرِكْني ولمّا أُمَزَقِ

أترضَى أن يُقْتَلَ ابنُ عمّك ويسلبَ ملكُك؟ قال عليّ عليه السلام: لا والله وبعث بالحسن والحسين إلى بابه يحرُسانِهِ، فتسوّر محمّد بن أبي بكر مع رجلين في حائط عثمان من دار رجل من الأنصار، فأخذه محمد بن أبي بكر بلحيته حتّى سُمع وَقْعُ أضراسه قال ابن عثمان: خلِّ يابنَ أخي، فوالله لو رآك أبوك لساءَه مكانك، فتراخَتْ يدُه، وضربه عمرو بن بُديل بُمشْقصٍ في أوداجه[2]، وقتله سنانُ بن عِياضٍ، والمُصْحَفُ في حَجْره لعشر مضينَ من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، ولبِث في داره مقتولاً يوماً أو يومين، ثم دُفِنَ في موضع يقال له: حَشّ كوكب[3]، قال ابن إسحق: قُتل يوم الأربعاء لثمان خلونَ من ذي الحجّة، وقال حسّان بن ثابت فيما يرثيه: [خفيف].

خذلته الأنصارُ إذْ حضر المو تُ وكانت حُماته الأنصارُ
من عذيري من الزبير ومن طـ ـلحة هذا أمْرٌ له إعصارُ

وقال أيضاً في مرثيّته: [بسيط].

ضحّوا أبا شَمَطٍ عُنوان السجود بـ ـه يقطعُ الليل تسبيحاً وقُرآنا
لِتسمعنّ وَشيكاً في ديارهم اللهُ أكبرُ يا ثأراتِ عثمانا

وقال الوليد بن عقبة: [طويل].

بني هاشم، إنّا وما كان بيننا كصَدْع الصفا ما يومض الدهر مشاعِبُه
بني هاشم، كيف الترحُّم[4] بيننا وسيفُ بن أرْوَى عندكم وحرائبُهْ

---

(١) المحجمة: ما يُحجم به.

(٢) أوداجه: الودج عرق في العنق ينتفخ عند الغضب. وهو عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقىٰ معه حياة (ج) أوداج.

(٣) حشّ كوكب: الحشّ البستان وبه سمي المخرج حشّاً. وكوكب الذي أُضيف إليه اسم رجل من الأنصار وهو عند بقيع الفرقد، اشتراه عثمان ابن عثمان رضي الله عنه، وزاده في البقيع، ولما قتل ألقي فيه ثم دفن في جنبه.

(٤) في مروج الذهب: كيف الهوادة بيننا جـ ٢ ص ٣٥٦.

فأجابه الفَضْل بن العبّاس: [طويل]

سَلُوا أهل مِصْرَ عن سِلاح أخيكُمْ[1] فعندهمُ أسلابُه وحرائبُه
وكان وَليَّ الأمر بعد محمّد عليٌّ، وفي كلّ المواطن صاحبُه
وقد أنزل الرحمٰنُ أنك فاسقٌ فما لك في الإسلام سَهْمٌ تطالبُه

[بيعة عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه]:

وكان الناس يُشكُّون أنّ وليَّ الأمر بعد عثمان عليّ بن أبي طالب، وكان يحدُو الحادي لعثمان فيقول: [رجز].

إنّ الأميرَ بعدَه عليُّ ثُمّ الزُبير خَلفَهُ مَرْضِيُّ

فلمّا قُتل عثمان، جلس طلحة في داره يُبايع الناسَ، وكانت مفاتيح بيت المال عنده، وجاءه ناسٌ يهرعون إلى عليّ رضي الله عنه، فدخل داره وقال: ليس ذاك إليكم إلى أهل بدر، فما بقي بَدْرِيٌّ إلاّ أتاه، فجاء عليّ، فصعد المنبر، فبايعوه، وأمر بيوت الأموال، فكُسرت أغلاقُها، وجعل يفرّقها في الناس بالسويّة، ويقال: أنّ علياً لمّا قُتل عثمان أرسل إلى طلحة والزبير إن أحببتما أن أبايعكما بايعتُ، فقالا: بل نُبايعك، فبايعا، ثم نكثا، وبويع عليّ سنة خمس وثلاثين ويقال: أوّل من بايعه طلحة، وكانت إصبَعُه شلاّء، فتطّير منها عليّ، وقال: يدٌ شلاّءُ وأمر لا يتمّ ما أخلقه أنْ ينتكثَ، وتخلّف من بيعة عليّ بنو أميّة، ومروان بن الحكم، وسعيدُ بن العاص، والوليد بن عُقبة، ولم يبايعه العثمانيّة من الصحابة، حسّان بن ثابت، وكعب بن عُجرة، وكعب بن مالك، والنعمان بن بشير، ، ورافع بن خَديج، وزيد بن ثابت، ومحمّد بن مسلمة، ثم بايعوه بعد أيّام، وكانت عائشة تُؤلّبُ على عليّ وتطعن فيه، وترى أنه سينخلع، وكان هواها في طلحة فبينا هي قد أقبلت من الحجّ راجعةً استقبلها راكبُ، فقالت: ما وراءَك؟ قال: قد قُتل عثمان، قالت: كأني أنظر إلى الناس يبايعون طلحة، وأنّ إصبعه يُحسن أيديهم، فجاء راكب آخر، فقالت: ما وراءَك؟ قال: بايع الناسُ علياً، فقالت: واعثماناه ما قتله إلاّ عليٌّ، ولليلةٌ من عثمان خير من عليّ الدهرَ كُلّه، وانصرفت إلى مكّة وضربت فسطاطاً في المسجد، وأراد عليّ أن ينزع معاوية من الشام، فقال له المغيرة بن شُعبة: أقرّه على الشام فإنه يرضى بذلك، وسأل طلحة

---

(١) في مروج الذهب: سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا فهم سلبوه سيفه وحرائبه جـ ٢ ص ٣٥٧.

والزبير أنّ يولّيهما البصرة، فأبى، وقال: تكونانِ عندي أتحمل بكما، فإني أستَوْحِش لفراقكما، واستأذناه في العمرة، فأذن لهما، فقدما على عائشةَ، وعظّما من أمر عثمان، وقالا: ما كُنّا نرى في التألُّب عليه أنْ يُقْتَلَ، فأمّا إن قُتل، فلا توبة لنا إلاّ الطلبُ بدمه، ونقضا البيعة، وأقاما بمكّة، وبثّ عليٌّ عُمّاله، فبعث عثمان بن حُنيف الأنصاريّ إلى البصرة، وانتزع عنها عبد الله بن عامر، وأمّر عُبيد الله بن العبّاس على اليمن، ونزع عنها يعلى بن مُنْية، وأمّر قثم بن العبّاس على مكّة، وولى جعدة بن هبيرة المخزوميّ ابن عمّته على خراسان، وقال لعبد الله بن عمر: سر إلى الشام، قالوا: ولمّا بلغ الخبر معاوية، قال: إنّ خليفتكم قد قُتل مظلوماً، وإنّ الناس بايعوا عليّاً، ولستُ أنكر أنّه أفضلُ منّي وأَوْلَى بهذا الأمر، ولكن أنا وليُّ هذا الأمر، ووليّ عثمان وابن عمّه، والطالب بدمه، وقَتَلَةُ عثمانَ معه، فليدفعهم إليّ أقتلهم بعثمانَ، ثم أُبايعُه، فرأى أهل الشام أنّه قد طلب حقاً، وهم قومٌ فيهم غفلةٌ، وقِلّة فطنة، إمّا أعرابيٌّ جافٍ وإمّا مدنيٌّ مُغْفَلٌ، ثمّ لمّا سمع معاوية بقول عائشة في عليّ ونَقْض طلحة والزُّبير البيعة إزداد قوّة وجُرْأةً وبعثَتْ أمّ حبيبة بنت أبي سُفيان بقميص عثمان مع النعمان بن بشير إلى معاوية، فجعل يُغْرِي الناس ويحرّضهم.

[وقعة الجمل]:

قالوا: ولمّا قدِم عثمان بن حُنيف البصرةَ والياً لعليّ، طرد عبد الله بن عامر قدِم إلى مكة بخير الدنيا، ويعلى بن مُنية بمالٍ كثير، فاجتمعوا عند عائشة، وأداروا الرأي بينهم أن يسيروا إلى البصرة، فإنّهم شيعةُ عثمان، ويطلبوا بدمه، وكتب معاوية إلى الزُبير، إنّي بايعتُك ولطلحة من بعدك، فلا تفوتنّكما العراق، وأعانهما ابنُ عامر، وابنُ مُنية بالمال والظَهْر والكُراع، وخرجوا بعائشة حتى قدموا البصرة، فلمّا بلغوا بحوأب، وهو ماءٌ لبني كلاب سمعَتْ عائشة نباح الكلب، فقالت: ما هذا؟ قالوا الحوأب، قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ما أراني إلاّ صاحبة الحديث، قالوا: وما ذاك يا أُمتاه؟ قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليت شعري أَيّتكُنّ تنبح كلاب الحوأب سائرةً في كتيبةٍ نحو المشرق» وهمّت بالرجوع، فحلفوا لها أنّها ليست بالحوأب، فمّرت ومرّ حتّى قدموا البصرة، فأخذوا عثمان بن حُنَيْف، وهمّوا بقتله، ثم خشَوا غضب الأنصار على من خلّفوا بالمدينة، فنالوا من شَعَره وبَشَرته ونتفوا لحيتَه وشَعرَ حاجبَيْه وأشفاره، وقتلوا من خَزَنة بيت المال خمسين[1] رجلاً،

---

(١) فقتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٦٧».

فانتهبوا الأموال، وقام طلحة والزبير خطيبَيْن، فقالا: يا أهل البصرة توبةٌ لِحَوْبَةٍ إنّما أردنا أن نستعتب أمير المؤمنين، ولم نُرِد قتله، وبلغ الخبر علياً، فخرج من المدينة واستعمل عليها سهل بن حُنيف، وسار في سبع مائة رجل، منهم سبعون بَدْرياً، وأربع مائة من المهاجرين، حتى نزل بذي قار، وكتب إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فجاءه منهم ستّة آلاف رجل وكانت الوقعة بالخُريبة[1] يوم الخميس لعشر خلونَ من جمادى الآخرة سنة ستّ وثلاثين، فبرز القومُ للقتال، وأقاموا الجمل، وعائشة في هَوْدج، واسم ذلك الجمل عَسْكرُ، فقال عليٌّ عتم: لا تبدؤهم بالقتال حتّى يقتلوا منكم، وإن هُزموا، فلا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مُدْبراً، ومن ألقى سلاحه فهو آمنٌ، فقتلوا من أصحاب عليّ ستةً، وشبّت الحربُ بينهم، فخرج عليّ ودعا الزبير، فجاء حتّى وقف قال له عليّ: ما جاء بك؟ قال: ما أراك لهذا الأمر أهلاً قال له: أتذكر قول رسول الله ﷺ؟: «ليقاتلنّك ابنُ عمّتك وهو لك ظالمٌ» فانصرف الزُبير، فجاءه ابنه عبد الله بن الزبير و حثّه واحفظه حتى عاد فوقف في الصف ثم سار عليٌّ حتى أتى طلحة، فقال: جِئْتَ بعِرس رسول الله ﷺ، وخبأتَ عِرْسَك في بيتك، واستعرت الحربُ، فقال عليٌّ: أيُّكم يعرض هذا المُصحف عليهم. ويقول: هذا بيننا وبينكم؟ فأخذه[2] فتىً شابٌّ وتقدّم، فقطعوا يده، وأخذه بيده اليُسْرى، ثم تقدمّ عليٌّ فناشدهم الله عز وجلّ في دمه ودمهم، فأبَوْا إلاّ القتال وارتجزت بنو ضَبّة: [رجز].

نحنُ بنو ضبّةَ أصحابُ الجَمَلْ — ننزلُ[3] بالموت إذا الموتُ نزلْ
نَنْعَى ابن عفّان بأطراف الاسَلْ — رُدوا علينا شيخنا ثم بجلْ[4]

---

(١) الخريبة: موضع بالبصرة، وعندها كانت وقعة الجمل بين عليّ وعائشة.

(٢) فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يُقال له مسلم ومعه مصحف يدعوهم إلىٰ الله، فرموه بسهم فقتلوه «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٧٠».

(٣) في مروج الذهب: ننازل جـ ٢ ص ٣٧٥.

(٤) في مروج الذهب:

ردّوا علينا شيخنا ثم بجَلْ — نعىٰ ابن عفّان بأطراف الأسل
والموت عندنا أحلىٰ من العسل.

جـ ٢ص ٥٧٣.

وارتجزَتْ امرأةٌ منهم: [رجز].

يـا ربِّ فـأعقِـلْ لعلـيٍّ جَمَلـهْ ولا تُبـارك فـي بعيـرٍ حَمَلـهْ

وكان ابنُ عتّاب يقول: [رجز].

أنا آبنُ عتّاب، وسيفي ولـول والمـوتُ دُونَ الجمـل المُجلَّـل

فحمل عليٌّ عليهم، فانكشفوا، وولّى الزبير، فتبعه عمّار بن ياسر، وقال: يا أبا عبد الله ما أنت بجبانٍ، ولكنّي أراك شككتَ، قال: هو ذاك قال: يغفر الله لك، فانطلق حتّى أتى وادي السباع، وولّى طلحة ظهرهَ، فرماه مروان بن الحكم بسهم ومروان منهزمٌ، فشكّ ساقَه بساقه الأخرى، فقتله، وقال لأبان بن عثمان: قد كفيتُك أحد قَتَلة أبيك، وقُتل سبعون على زمام الجمل يأخذه واحدٌ بعد واحد، وقد شكّت السهامُ الهودجَ حتّى صار كأنّه جناحُ نسرٍ، فقال عليّ عـم: ما أراكم يقاتلكم غير هذا الهودج؟ فقال عمّار لمحمّد بن أبي بكر: عليك مقدمه حتى تكون أنت تلقاها، وعطف عمّار على مؤخّر الجمل عن [ ][1] وهذا الناسُ مكانَهُ حتّى وقف عليه، وقال لمحمّد بن أبي بكر: أنظرُ أحيَّتْ هي أم لا؟ فأدخل محمّد رأسه في الهودج، فقالت: من هذا الذي أطلع على حُرمة رسول الله ﷺ؟ فقال مُحمّد: هو أبغضُ أهلِكِ إليكِ، ثمّ أخرج رأسه وقال: ما أصابها إلاّ خَدْشٌ بساعدها، فقال عليّ: صدق رسول الله ﷺ، ثم قال: يا هذه استَفْزَزْتِ الناسَ، وألّبْتِ بينهم في كلام كثير، فقالت: يا ابن أبي طالب إذا ملكتَ، فاسجح، وجاء ابن عبّاس فقال: إنّما سُمّيَتْ أمَّ المؤمنين بنا، قالت: نعم، قال: أولسنا أولياء زوجك؟ قالت: بلى، قال: فِلمَ خرجتِ بغير إذننا؟ قالت: قضاءٌ وأمرٌ وأمّر حُذيفةَ إلى المدينة، وقد رُوينا أنّها قالت: لو علمتُ أن يكون قتالٌ ما حضرتُ، وإنّما أردتُ أن أُصلِحَ بين الناس، وبكَتْ حتّى كُفّ بصرُها، وكانت تقول: ليتني كنت نِسْياً مَنْسيّا، ولم أحضُر الجمل، وبعث الزبير إلى الأحنف بن قيس، وكان اعتزل الفريقين يخُبره بمكانه، فسمع به عمرو بن جُرْمُوز، فأتاه، فلما رآه الزبير [ ][2] وقام إلى الصلاة، فأتاه ابن جُرموزٍ من ورائه، فضربه بسيفه فقتله، وجاء بخاتمه إلى عليّ عـم، فقال عليٌّ: بشّر قاتِلَ ابنَ صفيّة بالنار، وإنّما قال: ذلك، والله أعلم، لأنّ الزبير كان راجع وتاب والباغي إذا ولّى حرمُ دمُه، وأيضاً فإنه

---

(١) [ ] في الأصل بياض.

(٢) [ ] في الأصل بياض.

غدر به حيث آمنَهُ، ثمّ قتله ويُرْوَى أبياتٌ لابن جرموز هذا منها: [متقارب].

لَسِيّانِ عندي قَتْل الزُبير وضَرْطَةُ عَيْرٍ[1] بذي الجحفة

ويُقال: أنّه قَتل في وقعة الجمل اثني عشر ألفاً، والله أعلم، ودخل عليٌّ البصرة، وخطبهم فقال: يا أهل السبخة يا أهل، المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله الرابعة، يا جُند المرأة يا تُبّاع البهيمة رغا، فأجُبتم وعُقر فانهزمتم، أخلاقُكم رِقاقٌ، وأعمالكم نِفاق، وماؤكم زُعاقٌ، ثمّ ولاّها عبد الله بن العباس بَحْر الأمّة، وولّى مصر قيسَ بن سعد بن عُبادة، وولّى خراجها مَاهُوي دُهقان مرو قاتل يزدجرد، وخرج عليّ إلى الكوفة، وفي وقعة الجمل أشعارٌ وقصائدُ كثيرةٌ، فمنها قول بعضهم: [متقارب].

شهِدْتُ حُروباً وشيّبْنَني[2] فلم أرَ يوماً كيوم الجملْ
فليت الظعينةَ في بيتها ولَيْتَكَ عَسْكَرَ لم تُرتَحَلْ

ذكر صِفّينَ:

وهو موضع بين العراق والشام، وقامت الحرب بين الفريقين أربعين صباحاً، قالوا: ولمّا بلغ معاويةَ خبرُ الجمل دعا أهل الشام إلى القتال على الشُورَى والطلب بدم عثمانَ، فبايعوه أميراً غيرَ خليفةٍ، وبعث عليٌّ جرير بن عبد الله البجليَّ رسولاً إلى معاويةَ يدعوه إلى البيعة، فكتب إليه معاويةُ: إنْ جعلتَ لي الشام ومصر طُعْمَة أيّامَ حياتك، وإنْ حضرَتْك الوفاةُ لم تجعل لأحدٍ بعدك في عُنُقي بيعةً، بايعتُك، فقال عليٌّ عليه السلام: لم يكن الله عزّ وجلّ يراني أتّخذ المُضلِّين عَضُداً، وخرج من الكوفة في تسعين ألفاً، وجاء معاويةُ في ثمانين[3] ألف رجل، فنزل صفّين يَسبِقُ علياً إلى شِرْعَة الفُرات، وأمر أبا الأعور السُلميَّ أن يحميَها ويمنعَ أصحاب عليّ الماء، فبعث عليٌّ الأشتر النَخَعيّ، فقاتلهم، وطردهم، وغلبهم على الشِرْعة، فأرسل إليه عليٌّ: لا تمنع عبادَ الله الماء، وجرت الرُسُلُ والمخاطبات بينهما أيّاماً، ثم ناوشوا القتال أربعين صباحاً كلّما وقدت الحربُ رفعوا قميص عثمانَ ويقول معاوية ادعوا لها جوازها حتّى قُتِل سبعون ألفاً، خمسة[4] وعشرون ألفاً من أهل العراق،

---

(١) في مروج الذهب: عنز جـ ٢ ص ٣٧٣.

(٢) في مروج الذهب: فشيبنني جـ ٢ ص ٣٧٨.

(٣) والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفاً «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٨٤».

(٤) من أهل الشام تسعون ألفاً، ومن أهل العراق عشرون ألفاً «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠٤».

وخمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، وكان عليٌ يُخرج كلّ يوم خيلاً قالوا: فخرج يوماً عُبيدُ الله بن عُمر، وكان هرب إلى معاوية خوفاً من قِصاص عليّ. وهو يقول: [رجز].

أنـا عُبيـد الله يَنْمِينـي عُمـرْ   خَيْرُ قُريش مَنْ مضى ومن غَبَرْ
خَيْرُ رسولِ[1] الله والشيخ الأغرّ   قد أبطأتْ في قصر عثمانَ مُضَرْ

والـرَّبَعيّـون، فـلا أُسقـوا المَطَـرْ

فناداه عليٌّ: على ماذا تقاتلني؟ فوالله لو كان أبوك ما قاتلني، قال: طلباً بدم عثمان بن عفّان، قال عليّ عليه السلام: والله يطلُبك بدم الهُرمُزان، فخرج إليه الأشتر النَخعيُّ وهو يقول: [رجز].

إنيّ أنـا الأَشْتَرُ معـروفُ الشَتَرْ[2]   إنـى أنـا الأفعـى العـراقـيُّ الـذَكَـرْ
وأنـت مـن خيـر قـريـش مَـنْ نَفَـرْ   هَـذْر مشـائيـم مـن أولاد عُمـر

فانصرف عُبيد الله وكرِه مبارزتَه، ثم قُتل بعد ذلك، وخرج عمّار فقتله أبو عامر[3] العامليُّ، وقد ذُكِرَتْ في فصل الصحابة قِصّتُه وقيل فيه[4]: [بسيط].

يـا للـرِّجـال لِعَيْـنٍ دَمْعُهـا جـاري   قَـدْ هَـاجَ حُـزْنـي أبـو اليقظـان عَمَّـارُ
قـال النبـيُّ لـه تَقْتُلَـكَ شِـرْذَمَـةٌ   سِيطَـتْ لحـومُهُـمْ بـالبَغْـي، فُجَـارُ
فـاليـومَ يعلـم[5] أهـلُ الشـام أنهـمُ   أصحابُ تلك وفيها الخَزْيُ[6] والعارُ

فلما قُتل عمّار انتبه الناسُ وكادوا يختلفون على معاوية، فقال معاوية: إنما قتله عليٌّ حيثُ عرّضه للقَتْل، ثمّ خرج[7] عليٌّ، فقال: علام يُقْتَلُ الناسُ بيني وبينك؟ أحاكمك إلى الله عزّ وجلّ، فأيُّنا قتل صاحبه استقام الأمرُ له، فقال عمرو بن العاص له: أنصفك والله يا معاوية، فقال معاوية: تعلم والله أنه لم يُبارزه أحدٌ إلاّ قتله، فيزعم قومٌ أنّ معاوية قال:

---

(١) في مروج الذهب: غير نبي الله والشيخ الأعز جـ ٢ ص ٣٩٠.
(٢) في مروج الذهب: السير جـ ٢ ص ٣٩٠.
(٣) فقتله أبو العادية العاملي وابن جَون السكسكي «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٩١».
(٤) الأبيات للحجاج بن عُزية الأنصاري «مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٩٢».
(٥) في مروج الذهب: يعرف جـ ٢ ص ٣٩٢.
(٦) في مروج الذهب: النار جـ ٢ ص ٣٩٢.
(٧) أنظر «مروج الذهب: جـ ٢ ص ٣٩٧».

فأبرُزْ أنت يا عَمْرُو، فلبِس مدْرَعَةً[1] ذات فَرجَيْن من قدّامها وورائها، وبارز علياً، فلما حمل عليه، وتمكّن من ضربه رفع عمرو رِجْلَه، فبدَتْ عورتُه، فيصرف عنه عليٌّ وجهه ويتركه، قالوا: وخرج يوماً عليٌّ في كتيبة، وعلى مقدّمته الأشتر النَخَعيٌّ، فصدقوهم القتالَ حتّى لم يبقَ لأهل الشام صفّ إلاّ انتقض، وقتلوا منهم جماعةً كثيرةً، وكسفت الشمسُ، وأشرف عليٌّ عليه السلام على الفتح، فقال عمرُو لمعاوية: إنّي لأعلم كلمة لو قلتّها لاستقام لك الأمرُ، أفتجعل مِصْرَ لي طُعْمةً؟ فقال: قد أطعمتُك، قال مُرهُمْ فلينشروا المصاحفَ، ففعلوا ونادى ابن [ ][2] يا أهل العراق بيننا وبينكم كتاب الله ندعوكم إليه، فقالوا: قد أنصفك معاوية، فقال عليٌّ عليه السلام: وَيْحَكم هذا مكرٌ. إنّما قاتلناهم ليدينوا بحكم كتاب الله، قالوا: لا بُدَّ لنا من الموادعة والإجابة إلى كتاب الله، وكان ناشدهم في ذلك الأشعث بن[3] قيس وهو يقول: [طويل].

فأصبح أهلُ الشام قد رفعوا القَنَا ... عليهـا كتـابُ الله خَيْـرُ قُـرآنِ
ونـادَوْا عليّـاً: يـا ابـنَ عـمّ محمّـد ... أمـا تتّقـي أن يَهْلِـكَ الثَقَـلانِ؟

قال عليٌّ عليه السلام: هذا كتاب الله فمن يحكم بيننا؟ فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، فقال عليٌّ عليه السلام: هذا ابنُ عبّاس، فقال الأشعث بن قيس: لا نَرْضَى به والله لا يحكم فينا مُضَرِيٌّ أبداً، فقال الأحنف: إنّ أبا موسى رجل قريب القَعَر اجعلني مكانه آخذُ لك بالوثيقة، وأضَعُك من هذا الأمر بحيثُ تحبّ، فلم يرضَ به أهلُ اليمن، وفيه يقول الشاعر: [بسيط].

لـو كـان للقـوم.. يعصمـون بـه ... عند الخطوب رَمَوْكمْ بأبن عبّاس
لكن رمَوْكمْ بوَغْرٍ من ذَوي يمنٍ ... لم يَدْرِ ما ضربُ أخماسٍ لأسْداس

فكتبوا القضيّة على أن يحكم الحَكَمان[4] بكتاب الله والسُنّة والجماعة غير الفُرقة، فإن فعلا غير ذلك، فلا حكم لهما، وصيّروا الأجل شهر رمضان على أن يجتمع الحَكَمان في موضع عَدْلٍ بين الكوفة والشام ويحكما بذلك القضيّة، فخرج الأشعث بن قيس، وجعل

---

(١) مدرعة: ثوب من الصوف.
(٢) [ ] في الأصل بياض.
(٣) وفي ذلك يقول النجاشي بن الحارث «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠٠».
(٤) الحكمان هما: أبو موسىٰ الأشعري وعمرو بن العاص.

يقرؤها على الناس، فمرّ به عُروة بن أُديّة التميمي، فسلّ سيفه وضرب به عجز دابّته، وقال: تحكمون الرجال ولا حُكم إلاّ لله، وفيه يقول الشاعر: [خفيف].

أعَلَى الأشعث المعصَّب بالتا ج شهرتَ[1] السلاح يا ابن أديَّة؟

[خروج الخوارج[2] على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه]:

وأمر عليٌّ بالرحيل من صفّين، فما ارتحلوا، حتّى فشا فيهم التحكيم، ورحل معاوية إلى الشام، وقد أصاب ما أراد من إيقاع الخلاف والفُرْقة بين أصحاب عليّ عليه السلام، فلما دخل عليٌّ الكوفة اعتزله اثنا عشر ألفاً من القُرّاء، وزالوا براياتهم حتى نزلوا حَرُوراء ـ وهي قريةٌ من السواد ـ وأمّروا على القتال شبث[3] بن ربعي، وعلى الصلاة عبد الله بن الكوّاء، فناظرهم عليٌّ عليه السلام ستة أشهرُ وهم ينادونه: جزِعتَ من البلّية، ورضيتَ بالقضيّة، وقبلتَ الدنّية، ولا تُحكِم إلاّ الله عزّ وجلّ، فيقول عليّ، عليه السلام: انتظرُ بكم[4] حكم الله، فيقولون: لئن أشركتَ ليحبطنّ عملك، فيقول: فاصبر إنّ وعد الله حقٌّ.

ثم بعث عليّ عبد الله بن عبّاس وصعصعة بن صُوحان يدعونهم إلى الجماعة، فقال عليٌّ: أنا مُوادعكم إلى مُدّة نتدارسُ فيها كتاب الله عزّ وجلّ، لعلّنا نصطلح، فمادّوه تسعة عشر ليلة، ثم قال: ابعثوا إليّ خُطباء يقومون بحّجتكم، فبعثوا فقام عليٌّ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لم أكن أحرصَكم على هذه القضيّة والتحكيم، ولكنّكم وهنتم في القتال، وتفرّقتم عليّ ودعاني القومُ إلى كتاب الله عزّ وجلّ، فخشيتُ أن يتأوّلوا على قوله تعالى: **﴿ألم تَرَ إلى الذين أوتُوا نَصيباً من الكتابِ يُدْعونَ إلى كتابِ الله لِيَحكُمَ بينهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَريقٌ منهم وهُم مُعرِضون﴾** [آل عمران: ٢٣] قالت خُطباءُ الحَرُوريّة: دَعَوْتَنا إلى كتاب الله عزّ وجلّ، فأجبناك حتّى قَتلنا وقُتلنا بالجمل وصفّين، ثمّ شككتَ في أمرك وحكّمت عدوَّك، فنحن على أمرك الذي تركتَ، وأنتَ على غيره، ولا نرجع إلاّ أن تَتُوبَ وتشهدَ على نفسك بالضلالة، فقال: معاذَ الله أن أشهدَ علي نفسي بالضلالة، وبنا هداكم الله عزّ وجلّ،

---

(١) في مروج الذهب حملت جـ ٢ ص ٤٠٤.

(٢) أنظر «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠٥».

(٣) وجعلوا عليهم شبيب بن ربعي التيمي. «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠٥».

(٤) حُكْمَ الله أنتظر فيكم. فيقولون: «ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك. لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٠٥».

واستنقذكم من الضلالة، وإنّما حكّمتُ الحَكَمين أن يحكما بكتاب الله عزّ وجلّ والسُنّة الجامعة غير المفرّقة، فإن حكما بغير ذلك لم يكن عليّ ولا عليكم، وإنّما تَقَعُ القضيّةُ في عامٍ قابلٍ، فقالوا: نخشى أن يُحدِث أبو موسى شيئاً يكون كُفْراً. قال: فلا تكفروا أنتم العامَ مخافة كُفْر عامٍ قابلٍ، فرجع بعضهم إلى الجماعة، ثم بعث إليهم ابنَ عبّاس رضي الله عنه، فقال: ما نقِمتم على ابن عمّ رسول الله؟ قالوا: ثلاث خصالٍ إحداهُنّ: أنّه حكّم الرجال في دين الله، والله يقول ﴿إنِ الحُكمُ إلاّ لله﴾ [الأنعام: ٥٧] والأخرَى. أنّه غيّر اسمَه من إمارة المؤمنين، وإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين، والثالثة أنّه قتل ولم يَسْبِ ولم يَغْنَم، فإن كانوا كفّاراً حلّ سَبْيُهم، وإن كانوا مؤمنين، فلِمَ قتلتم؟ فقال ابن عبّاس رضي الله عنه: أمّا قولكم: حكم الرجال في دين الله، فإن الله عزّ وجلّ قد حكّم في أرنب قيمتُه رُبْعُ درهم مسلمَيْن عَدْلَيْن، وحكّم في نشوز امرأة مسلمَيْن عدلَيْن، فأناشدكم الله عزّ وجلّ، أحُكْم الرجال في أرنب أفضلُ أم حكمهم في دماء الأمّة وإصلاح ذات البين؟ وأمّا قولكم: إنّه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، فإن الله تعالى يقول: ﴿النبيُّ أوْلى بالمؤمنينَ من أنفُسِهِمْ وأزواجُهُ أمّهاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فهل كنتم تسبُون أمتكم وتستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها؟ وأمّا قولكم: إنه أخرج اسمه من إمارة المؤمنين، فإنّ رسول الله ﷺ أخرج اسمه يومَ الحُديبية من النبوّة، ووالله لرسول الله أفضل من عليّ، فرجع منهم ألفان مع عبد الله بن الكواء، وأمّر الباقون عبد الله بن وهب الراسبيّ عليهم، وأخذوا في الفساد، فقال عليّ عليه السلام: دَعُوهم حتّى يأخذوا مالاً، ويسفكوا دماً، وكان يقول: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فالناكثون أصحاب الجمل، والقاسطون أصحاب صفّين، والمارقون الخوارج، فوثبت الخوارجُ على عبد الله بن خبّاب، فقتلوه وبقروا بطنَ امرأته، وقتلوا نِسْوةً ووِلْداناً، فقال لهم عليّ: ادفعوا إلينا قَتَلة إخواننا، وأنا تارككم، فثاروا به وناوشوه القتال، فقال عليّ عليه السلام: إنْ يغلب منهم عشرة وإنْ يُقتَل منهم عشرة، فكان كذلك، وهو يوم النهروان بموضع يقال له: رُمَيْلة الدسكرة، وقُتل المخدَجُ ذو الثدية، وقد ذكرت هذه القصّة في فصل مقالات أهل الإسلام، فذكر قوم أنه قُتل يوم النهروان أربعة آلاف، وقيل: جملة من قتل عليٌّ من الخوارج بالنهروان وغيره ستّون ألفاً، فهذا ما كان من أمر الخوارج، وقد قال السيّد الحِمْيريّ: [بسيط].

إنـي أدِيـنُ بمـا دان الـوصـيّ بـه	يـومَ الخُـرَيْبـة مـن قَتْـل المُضلّيـن
ومـا بـه دان يـومَ النهـر دِنْـتُ بـه	وشـاركَـتْ كفُّـه كفّـي بصِفّينـا

تلك الدِماءُ معاً يا ربِّ في عُنُقي ثُـمّ إسقِنـي مِثْلَهـا آميـنَ آمينـا

[خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه]:

ولمّا قُتل عثمان رضي الله عنه بويع عليّ عليه السلام بيعة العامّة في مسجد رسول الله ﷺ، وبايع له أهل البصرة وأهل الكوفة مع أبي موسى الأشعري، وبايع طلحة والزُبير بالمدينة، ولم يبقَ أحدٌ إلاّ بايعه إلاّ معاوية بالشام في أهلها، ثمّ نكث طلحة والزبير، وخرجا بعائشة إلى البصرة، فسار إليهم عليٌّ عليه السلام، فقاتلهم وهي وقعة الجمل، ثم صار إلى أهل الشام بصِفّين، ثمّ حكّموا الحكَمْين، وانصرفوا، وخرجت عليهم الخوارج، فقتلهم بالنهروان، وكان عليٌّ بعث قيس بن سعد بن عبادة إلى مصر والياً عليها، فأجهض معاوية بدهائه ومكايدته، ولم يكن لعمرو بن العاص التوصُّل إليها، وقد أطعمها إيّاه معاوية عند تعليمهم التحكيم، فاحتالوا في إزالة قيس عنها، وذلك أنّ معاوية كتب إلى بعض بني أميّة، أن جزى الله قيس بن سعد عنّا خيراً، فإنّه قد كفّ عن إخواننا من أهل مصر الذين قاتلوا في دم عثمان، واكتموا ذلك علياً، فإنّي أخاف أن بلغه ذلك عَزَله، فشاع ذلك في الناس، فقالوا: بُدِّل قيسٌ. قال عليّ عليه السلام: معاذَ الله قيسٌ لا يُبدَّل، فما زالوا به حتى كتب إليه أن أقدم، فعلم قيس أنّه مَكْر من معاوية، فقال: لولا الكذبُ لمكرتُ بمعاوية مكراً يدخلُ عليه بيته، وأقبل على عليّ، فبعث عليّ الأشتر النَخَعيّ مكانه، فلمّا انتهى إلى عريش كتب معاوية إلى دهقان عريش إن أنت قتلتَ الأشتر، فلك خراجةُ عشرين سنة، فأخرج له سَوِيقاً[1]، وجعل فيه سماً، فلما شربه الأشتر يَبِسَ مكانَهُ، فقال معاوية: لمّا بلغه ما أبردها على الفؤاد إنّ لله جنوداً من عَسَل، وبلغ الخبرُ عليّاً عليه السلام، فبعث محمد بن أبي بكر إلى مصر مكانَه، وبعث معاوية عمرو بن العاص إليها، فاقتتلا بالمسناة[2]، وقُتل محمّد بن أبي بكر، وجعلوا جُثّته في جيفة حمار، وأحرقوه بالنار.

ذكر الحَكَمَيْن:

وكان ذلك بعد صِفّين بثمانية أشهرُ، واجتمع أبو موسى الأشعريّ، وعمرو بن العاص للتحكيم بموضع يقال له: دُومة الجندل بين مكّة والكوفة والشام، واحضروا جماعةً من

---

(١) سَوِيقاً: السّويق طعام يتخذ من دقيق الحنطة أو الشعير (ج) أسوقة.

(٢) المسناة:

الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، والمسوَر بن مخرمة في صلحاء إهل المدينة، وبعث عليٌّ ابن عبّاس من الكوفة في جماعة، فقال ابن عبّاس لأبي موسى: إنّك قد رُميتَ بحجر الأرض وداهية العرب، فمهما نسيت فلا تنسَ أنّ عليّاً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، وليست فيه خصلةٌ واحدة تباعده من الخلافة، وليس في معاوية خصلة واحدة تدانيه من الخلافة، فلما اجتمع أبو موسى وعمرو للحكومة ضربا فسطاطاً، وقال عمرو: يجب أنْ لا نقول شيئاً إلاّ كتبناه حتّى لا نرجع عنه، فدعَيَا بكاتب وكان قال له عمرو قبل ذلك: إبْدَأ باسمي، فلما أخذ الكاتبُ الصحيفةَ، وكتب بسم الله الرحمن الرحيم، بدأ باسم عمرو، فقال له عمرو: امْحُهُ وإبدأ باسم أبي موسى، فإنّه أفضل مني، وأولى بالتقديم، وكانت خديعةً منه، ثم قال: ما نقول يا أبا موسى في قتل عثمان؟ قال: قُتل والله مظلوماً، قال عمرو: اكتب يا غلامُ، ثم قال: يا أبا موسى إنّ إصلاح الأُمّة وحَقْنَ الدماء وإبقاء الدّمَاء خيرٌ ممّا وقع فيه عليّ ومعاوية، فإن رأيت أن نخرجهما ويستخلف على الأُمّة من يرضى المسلمون به، فإنّ هذا أمانة عظيمة في رقابنا، قال: لا بأس بذلك. قال عمرو: اكتب يا غلام.

ثمّ ختما على ذلك الكتاب وقاما ذلك اليوم، وقد تطاول النهارُ وسيم الكلامُ، وقد ظفِر عمرو بما أراد من إقرار أبي موسى بقتل عثمان ظلماً، وإخراج عليّ ومعاوية من الأمر، فلما كان من الغد وقعدا للنظر، قال عمرو: يا أبا موسى قد أخرجنا عليّا ومعاوية من هذا الأمر، فسمِّ له من شئْتَ، قال: أسمّي الحسن بن عليّ قال عمرو: تراه تُخرج أباه من الأمر، وتُجلسُ مكانه ابنَه، قال: فعبد الله بن عمر، قال: هو أوْرَعُ من أن يدخُل في شيء من هذا، وسمَّي أبو موسى عدّة لا يرضيهم عمرو، ثمّ قال: سمّ أنت يا أبا عبد الله قال: معاوية بن أبي سفيان، قال: ما هو أهلٌ لذلك؛ فابني عبد الله بن عمرو، فعرف أبو موسى أنّه يتلعب به فقال[1]: أفعلتها لعنك الله؟! إنما مَثَلُك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقال له، عمرو: بل أنت لعنك الله، إنّما مَثَلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً ثم قال عمرو: إنّ هذا قد خلع صاحبه، وأخرج عمرو خاتمه، وأنا أيضاً خلعتُه كما خلعت هذا الخاتم من يدي، ثم أدخل خاتمه في يده الأخرى، وقال: أدخلتُ معاوية في الأمر كما

---

(١) قال أبو موسىٰ: «مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت؟ إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً» فقال له عمرو: «بل إياك يلعن الله، كذبت وغدرت، إنما مثلك مثل الكلب إن تحمله عليه يلهث أو تتركه يلهث». «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤١٠».

أدخلتُ خاتمي في يدي، وقال قومٌ: خُلِعَ عليًّا ولم يُدخل معاوية حتى أتى الشام، ثم ركب أبو موسى راحلته إلى مكّة، وركب عمرو إلى الشام، وفيه يقول الشاعر: [وافر].

أبا موسى، بُليتَ وكُنتَ شيخاً ... قريبَ القَعْرِ مجرورَ اللسانِ[1]
رَمَى عمرٌو صفاتك يا ابن قيس ... بأمْرٍ لا تَنُوءُ به اليدانِ[2]
فأعطيتَ المقادة مُستجيباً ... فيا للهِ من شيخٍ يمانِ

ولمّا قدم عمرو الشامَ وليَ معاويةَ وبايعوه الناسُ، وبلغ الخبرُ عليًّا، فقال: كنتُ نهيتُكم عن هذه الحكومة، فمن دعا إليها، فاقتلوه، وعزم على المسير إلى معاوية، وبايعه ستّون ألفاً على الموت، فشغلته الخوارج وقتالهم إلى أن قُتل رضوان الله عليه، وأخذ معاوية في تسريب السرايا إلى النواحي التي تليها عُمّال عليّ عليه السلام، وشنّ الغارات وقَتْلِ الرجال، ونهب الأموال، وبعث بُسْرَ بن أرطاة إلى المدينة، وعلى المدينة أبو أيّوب الأنصاريّ، فنخىّ عنها وصعد بُسْرٌ المنبر وتوعّد أهل المدينة بالقتل حتى أجابوا إلى بيعة معاوية، وأتى مكّة وبها عبد الله بن العبّاس، فهابه وخرج نحو عليّ، وقتل بسرٌ جماعةً من شيعة عليّ عليه السلام، وأخذ ابنين صغيرين لعبد الله بن عبّاس، فقتلهما في حجر أُمّهما، وفيهما تقول أمُّهما: [بسيط].

ها مَنْ أحسّ بنيّيَ اللَذَيْن هما ... كالدُّرتين تشظّى عنهما الصَّدَفُ
ها من أحسّ بنيني اللذين هما ... سمعي وعيني، فقلبي اليومَ مختطَفُ
نُبّيتُ بُسْراً وما صدّقتُ ما زعموا ... من قولهم ومن الكذب الذي وصفوا

وبلغ الخبرُ عليًّا، فبعث في إثره جارية بن قُدامة، ففاته ولم يُدركه، وكان لبُسْرٍ هذا ابنان بأوطاس[3]، فخرج إليهما رجلٌ من قريش، فقتلهما وقال فيها: [بسيط].

ما قتلتهما ظُلماً فقد شرِقَتْ ... من صاحبَيك قناتي دون أوْطاس
فاشرَبْ بكأسٍ ذوي ثكل كما شرِبَتْ ... أمُّ الصَّبيَّيْنِ أوْ ذاق ابنُ عبّاس

---

(١) في مروج الذهب: أبا موسىٰ، بليت وأنت شيخ قريب العفو مخزون اللسان جـ ٢ ص ٤١٠.
(٢) في مروج الذهب: ـ وما عمرو صفاتك يا ابن قيس فيالله من شيخ يماني جـ ٢ ص ٤١٠.
(٣) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن فيه كانت وقعة حُنين للنبي (ﷺ) ببني هوازن.

مقتل[1] علي عليه السلام:

قالوا تعاقد ثلاثة نفر من الخوارج على قتل عليّ رضي الله عنه ومعاوية، وعمرو بن العاص، منهم عبد الرحمن بن مُلْجَم عليه لعائنُ الله تَتْرَى مرّة بعد أُخرى. قال: أنا أقتل عليًا، والبُرَكُ[2]. قال: أنا أقتل معاوية، وداود[3] مولى لبني العنبر قال: أنا أقتل عمرَو بن العاص، فاجتمعوا بمكّة، وشرَوْا أنفسهم على أن يُريحوا العِباد من أَئِمّة الضلال ومضَوْا لطِيَّتهم، فامّا داود[4]، فأتى مصرَ ودخل المسجد. وقام في الصلاة، فخرج خارجةُ بن حُذافة، وكان على شُرطة عمرو، وعمرو يشتكي. ، فضربه داود، فقتله وهو ظنّه عمراً، فقال عمرٌو، أَرَدْتَ عمراً، واللهُ يُريد خارجة، فذهبت مَثَلاً، وأخذوا داودَ به، فقُتِل.

وأمّا البُرَكُ واسمه الحجّاج، فإنه مضى إلى الشام، ودخل المسجد، فخرج معاوية، فافتتح الصلاة، فضربه البُرَكُ، وكان معاوية عظيم العَجُز، فأصابت الضربة، فقطعت منه عِرقاً انقطع منه الولدُ، فأخذ البُرَكُ، فقُطعت يداه ورجلاه، وخلّي عنه، فعاش وقدم البصرة ونكح امرأةً، فولدت له، فلمّا كان في أيّام زياد بن أبيه أخذه، فقال، يُولَدُ لك ولم يولَدْ لمعاوية، فضرب عُنُقَه.

وأمّا ابن ملجم عليه لعنة الله فإنّه أتى الكوفة، وجعل يختلف إلى عليّ عليه السلام، وعليٌّ يلاطفه ويواصله ويتوسّم فيه الشرّ وفيه يقول: [وافر].

أريد حياتَه ويريدُ قَتْلي عَذِيرُك من خليلك من مُراد

قالوا وشغُف ابن ملجم عليه اللعنة بإمرأة يقال لها: قَطَامِ من الخوارج، فخطبها، فقالت: الصداقُ قتل عليّ وكذا وكذا، وكان قتل أباها وأخاها بالنهروان، فضمن لها ذلك، وسمّ سيفه وشحذه وجاء فبات تلك الليلة بالمسجد هو، وروي عن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنّه قال: لمّا أصبح اليوم الذي ضربه الرجل فيه، فقال: لقد سنح لي الليلة النبيُّ

---

(١) أنظر «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٢٣».

(٢) اسمه حجاج بن عبد الله الصريمي، ولقبه: البُرَك. «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٢٣».

(٣) ذكر في مروج الذهب: زادويه وهو عمرو بن بكر التميمي جـ ٢ ص ٤٢٣.

(٤) انطلق زادويه إلىٰ عمرو بن العاص، فوجد خارجة قاضي مصر جالساً علىٰ السرير يطعم الناس في مجلس عمرو وقيل: بل صلّى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم، وتخلف عمرو وبه رمقٌ، فقال له خارجة: والله ما أراد غيرك، فقال عمرو: ولكن الله أراد خارجة، وأوقف الرجل بين يدي عمرو، فسأله عن خبره؛ فقصّ عليه القصة. «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٢٩».

ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله، ماذا لقيتُ من أمّتك؟ قال: «ادعُ الله أن يُريحك منهم» قالوا: ودخل عليّ المسجد ونبّه النيام، فركل ابنَ ملجم برجله وهو مُلتَفٌّ بعَباءَةٍ، وقال له: قُمْ فما أراك إلاّ الذي أظنّه، وافتتح ركعتي الفجر، فأتاه ابن ملجم عليه لعائنُ الله، فضربه على صُلْعته حيثُ وضع النبيّ ﷺ يده وقال: «أشْقَى الناس أُحَيْمِرُ ثمود والذي يخضب هذه من هذه» ورُوي أنّه كان ضربه عليه عمرو بن عبد وُدٍّ يوم الخندق، ولم يبلغ الضربةُ مبلغ القتل، ولكن عمل فيه السمُّ، فثار الناسُ إليه، وقبضوا عليه. فقال عليّ: لا تقتلوه فإن عِشْتُ رأيتُ فيه رأياً، وإن مُتُّ فشأنكم به، فعاش ثلاثة أيام، ثمّ مات يوم[1] الجمعة لسبع عشرة من رمضان، وهو اليوم الذي أوحِيَ فيه إلى النبيّ ﷺ، واليوم الذي فتح الله عليه بدراً، فقُتل ابن ملجم عليه لعنة الله، ودُفن عليٌّ رضي الله عنه، واختلفوا أينَ دُفن، فقال قومٌ: دُفن بالغَرِي[2]، وقال قوم: دُفن بالكوفة، وعمى مكانه، وقال قومٌ: جُعل في تابوت، وحُمل على بعير يريدون المدينة، فأخذه طَيءٌ، وهم يظنّونه مالاً، فلما رأوا الميّت دفنوه عندهم، والله أعلم.

وممّا رُثي به عليه السلام قول أُم الهيثم بنت أبي الأسود الدؤلي. [وافر].

ألا أبلــغ معــاويــةَ بــنَ حَــرْبٍ ... فــلا قَــرَّتْ عُيُــونُ الشــامتينــا
أفــي الشهـر الحـرام فجعتمـونـا ... بخيـر النـاس طُـراً أجمعينـا
رُزِئنـا خيـرَ مَـنْ رَكَـبَ المطـايـا ... وخيَّسَهـا، ومـن ركـب السفينـا

وقيل في ابن ملجم وقصّته: [طويل].

فلـم أرَ مهـراً سـاقَـه ذو سمـاحـة ... كمهـر قَطَـامِ بيِّـنٍ غَيـرَ مُبْهَـم
ثــلاثــة آلاف وعبــدٌ وقينــةٌ ... وقتـلُ علـيٍّ بـالحُسـام المصمِّـم
فلا مَهْرَ أغْلَى من عليّ وإن علا[3] ... ولا فتْكَ إلاّ دون فَتْك ابن ملجم

ويقول عمرانُ بن حِطَّانَ في ابن ملجم لعنهما الله: [بسيط].

يـا ضَـرْبـةً مِـن تقِـيٍّ مـا أراد بهـا ... إلاّ لِيَبْلُغَ من ذي العرش رِضْوانا

---

(١) بقي عليٌ الجمعة والسبت، وقُبض ليلة الأحد، ودُفن بالرحبة عند مسجد الكوفة. «مروج الذهب جـ ٢ ص ٤٢٦».

(٢) الغريُ: موضع في ديار بني أسد بنجد وهي جُردية في ديار ناصفة.

(٣) في مروج الذهب: غلا جـ ٢ ص ٤٢٤.

إنـي لأَذكـره يـومـاً فـأحسبـه أوْفَـى البـريّـةِ عنـد الله ميـزانـا

ورُوي أنّ عليًا عليه السلام كان يقْنُتُ على معاوية إلى أن مات، ومعاوية يلعنُ عليًا وولدَهُ، وكتب الوليد بن عُقبة الفاسق إلى معاوية يُهنّئه بقتل عليّ رضوان الله عليه: [وافر].

ألا أبلـغ معـاويـةَ بـن حَـرْبٍ فـإنّـك مـن أخـي ثقـة مُليـم
قطَعْـت الـدهـر كـالسَّـدِم المعنّـى تُهـدِّر فـي دِمَشْـقَ فمـا تـريـمُ؟
ليهنّئـك الإمـارةَ كـلُّ ركْـب بـأنضـاء العـراقِ لهـا رسيـمُ
فـإنّـك والكتـابَ إلـى علـيٍّ كـدابغـةٍ وقـد حَلِـم الأديـمُ

وكانت خلافة عليّ عتم خمس سنين لم يتفرّغ إلى أن يحجّ بنفسه شغلَتْهُ الحروبُ.

خلافة الحَسَن بن عليّ رضي الله عنهما:

ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنهما بالكوفة، وبويع معاوية بالشام في مسجد إيليا، فقدَّم الحسنُ قيسَ بن سعد في اثني عشر ألفاً للقاء معاوية، وجاء معاوية حتى نزل جسر منبج، وخرج الحسنُ حتى ساباط المدائن في أربعين ألفاً قد بايعوا على الموت، وأحبّوه أشدّ من حُبّهم لأبيه، فأَغذّ[1] السَيْرَ حتّى إلى مسكن من أرض الكوفة في عشر ليالٍ، ورجلان يقرآنِ القرآن عن يمينه وعن شماله، وفيه يقول كعب بن جُعيل: [بسيط].

من جسر منبجَ أضحى غِبَّ عاشره في نخل مسكن تُتْلا حولَهُ السُّوَرُ

وقدّم معاوية بُسْر بن أرطاة، فكانت بينه وبين قيس مُناوشةٌ، ثم تحاجزوا ينتظرون الحسن. قالوا: ونظر الحسنُ ما يُسفَك من الدماء وينتهك من المحارم، فقال: لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيت أنْ أسلّمه إلى معاوية، فيكون في عُنُقه تباعةُ هذا الأمر، وأوْزارُه، فقال له الحُسين: أنشدُك الله أن تكون أوّل من عاب أباه ورغِب عن رأيه، فقال الحسن: لتتابعني على ما أقول أو لأشدّنك في الحديد حتى أفرغ منه، فقال له الحسين: فشأنك به وإنّي لكارهٌ، فقام الحسن رضي الله عنه خطيباً، فذكر رأيه وإيثارِه السلامة، فقال الناسُ: هو خالعٌ نَفْسَه لمعاوية، فشقّ عليهم ذلك، وقد بايعوه على الموت، فثاروا به وقطعوا عليه كلامه، وخرّقوا عليه سُرادقه، وطعِنه رجلُ في فخذه طعنةً أشْوَتْهُ، وإنصرفوا عنه إلى

---

(١) اغذّ السير: اسرع فيه.

الكوفة، فحُمل الحسنُ إلى المدائن وقد نُزف دَمُه، فعُولج وبعث إلى معاوية يذكر تسليمَهُ الأمرَ إليه، فكتب إليه معاوية: أمّا بعدُ فأنت أولى بهذا الأمر وأحقّ به لقرابتك وكذا وكذا، ولو علمتُ أنّك أَضْبَطُ له وأحْوَطُ على حريم هذه الأمّة وأكْيَدُ للعدوّ لبايعتك، فاسئلْ ما شِئْتَ، وبعث إليه بصحيفةٍ بيضاء مختومةٍ في أسفلها، أن اكتُبْ فيها ما شِئْتَ، فكتب الحسن أموالاً وضياعاً وأماناً لشيعة عليّ، وأشهد على ذلك شهوداً من الصحابة، وكتب في تسليم الأمر كتاباً على أن يعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الخلفاء الماضين، وأن لا يعهد بعده إلى أحدٍ ويكون الأمرُ شُورَى، وأصحاب عليّ آمنين حيثما كانوا، وقيس ابن سعد نازلٌ وعلى منازلته عازمٌ، فبعث إليه معاوية على طاعة من تنازعني، وقد بايعني صاحبُك، وبعث إليه بصحيفة بيضاء، ووضع خاتمه أسفلها، وقال: سَلْ ما شئتَ، فلم يسأل قيس غير الأمان له ولمن معه، فآمنهم، وانصرفوا، والتقى معاوية مع الحسن على منزل من الكوفة، فدخلا الكوفة معاً، ثم قال: يا أبا محمّد نعرّض به لقد جُدْتَ لشيءٍ لا تجود بمثله نفوس الرجال، فقُمْ واعلم الناس ذلك، فقام الحسن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس لو طلبتم ما بين جابَلَقَ[1] إلى جابُلْصَ[2] رجُلاً جدُّه رسول الله ما وجدتموه غيري وغير أخي، وأن الله تعالى هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنّ معاوية نازعني حقاً لي دونه، فرأيتُ أنّ أمنع الناسُ الحرب، وأسلّمه إليه، وإنّ لهذا الأمر مُدّة وتلا ﴿وإنْ أدْرى لعلّهُ فتنةٌ لكُمْ ومتاعٌ إلى حين﴾ [الأنبياء: ١١١] فلمّا تلا الحسن هذه الآية خشِي معاوية الإختلاف، فقال له معاوية: أقعُدْ، ثم قام خطيباً، فقال: كنتُ شروطاً في الفرقة. أرَدْتُ بها نظام الألفة، وقد جمع الله كلمتنا وأزال فرقتنا، وكلّ شرط شرطْتُه، فهو مردود، وكلّ وعد وعدْتُه فهو تحت قَدَمَيَّ هاتَيْن، فقام الحسن، فقال: إلاّ وإنّي اختَرْت العار على النار ﴿ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]. وسار إلى المدينة، وقام بها إلى أن مات سنة سبعة وأربعين من الهجرة رضوان الله عليه، وكانت خلافته خمسة أشهر، ويقال: ستّة أشهر وصحّت روايةُ سفينة عن ا لنبيّ ﷺ: «الخلافةُ بعدي ثلاثون، ثم يكون الملك» وروى الحسن عن أبي بكر عن النبيّ ﷺ: إنّ ابني هذا سيّد، وسيصلح به بين فِئَتَيْنِ.

---

(١) جابلْقَ: مدينة بأقصىٰ المغرب، وأهلها من ولد عاد.

(٢) جابُلْصَ: مدينة بأقصىٰ الشرق، وأهل جابلص من ولد ثمود.

الفصل الحادي والعشرون

في ولاية بني أُميّة إلى آخر أيّامهم على الإختصار، وما كان فيه من فتنة ابن الزبير والمختار بن أبي عُبيد

ولاية معاوية بن أبي سَفيان:

وصار الأمر إلى معاوية سنة أربعين من الهجرة، وكان ولِي لعُمر وعثمان عشرين سنة، ولمّا سلّم الحسن الأمر إليه ولّي الكوفة المُغيرة بن شُعبة، وولّي البصرة وخراسان عبد الله بن عامر بن كريز، وولّي المدينة مروان بن الحكم، وانصرف معاوية إلى الشام، وفي هذه السنة إفتعل المغيرة كتاباً من معاوية إلى أهل الموسم في الإمارة وحج بالناس، فوقف يوم التروية ونحر يوم عرفة خوفاً أن يفطُنَ الناسُ بكتابه، ثم نزع معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة، وولاّها زياد بن أبيه، ثم لمّا مات المُغيرة بن شعبة جمع له العراقَيْن، وهما الكوفة والبصرة، وهو أوّل من جُمع له العراقانِ.

قصّة زياد بن أبيه:

قالوا: إنّ معاوية أوّل من إدّعى إلى غير أبيه، فإدّعى زياداً أخاً لما رأي من جَلَده ونَفاذه، وزياد هو ابن عُبيد بن ثقيف، وأُمّه سُميّة، وقد قال الحسن والشعبي، إنْ سرّك أنْ لا تكذب، فقُل زياد بن أبيه، وفيه يقول ابن المفرّغ: [بسيط].

العَبْـدُ للعبـد لا أَصْـلٌ ولا شـرفٌ ... أَلْـوَتْ بـه ذاتُ أظفـارٍ وأَنْيـابِ

وكان زياد كاتباً للمُغيرة بن شعبة، ثم كتب لأبي موسى الأشعري، ثم كتب لابن عامر، ثم كتب لابن عبّاس، ثم كتب لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان له من الولد ثلاثة وأربعون، منهم عشرون ذكراً وثلاث وعشرون أنثى، ومات[1] زياد بالكوفة سنة ثلاث

(١) انظر «مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٥».

وخمسين من الهجرة، وذلك أنّه كان غَشوماً ظلوماً هَصُوماً، جَبَى العراق مائة ألف ألف، وجعل يخطب الحجازَ، ويهدّد أهلَه بالقتل، وكتب إلى معاوية، إنّي قد ضبطتُ العراق بيميني، وشمالي فارغةٌ، فضُمّ إليه الحجاز، فاجتمع أهل المدينة في مسجد رسول الله ﷺ ودعَوْا عليه، فخرجَتْ في يده الآكلةُ، فشغله عن ذلك، وكان يناله من عليّ عليه السلام، فضربه النقّاد ذو الرقبة يعني الفالج، فقتله بالكوفة.

[موت المغيرة بن شعبة]:

وقع الطاعون بالكوفة، فهرب المغيرة بن شعبة، ثم لما سكن عاد فطُعِنَ، فمات، فقال أعرابيٌّ: [طويل].

أَرَسْــمَ دِيــارٍ للمغيــرة تعــرفُ	عليــه دوانــي الإنْــس والجِــنّ تَعْــزِفُ
فـإن كنـتَ قـد لاقيـتَ هـامـانَ بعـدنـا	وفـرعـونَ فـاْعلَـمْ أنّ ذا العـرش مُنْصِـفُ

ومات عمرو بن العاص بمصر يوم الفطر، فصلّى عليه ابنُه عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم صلّى بالناس صلاةَ العيد، وخلّف[1] عمرو من المال ثلاثمائة ألف دينار، وخمسة وعشرين ألف دينار، ومن الغَلّة ما يبلغ إرتفاعُها في السنة مائتي ألف دينار، ومن الورَق ألفي ألف درهم، وفيه يقول الشاعر: [طويل].

ألَمْ تَرَ أنّ الدهرَ أذكى[2] عيونَه	على عمرو ٱلسَّهْمّي تُجبَى له مِصْرُ
ولـم يُغْـنِ عنـه كيـده[3] وٱحتيـالُـه	وحيلتُـه[4] حتّـى أُتيـحَ لـه الـدهـرُ

قالوا: وولّى معاوية خراسان الحكم بن عمرو الغفّاريّ، وكانت له صُحْبَة، وافتتح جبال الغور، ومات بمرو، ثم ولاّها عبيد الله بن زياد فغزا طخارستان ومَلِكتها فتح خاتون، فقاتلها، وهزمها، وانتهب مملكتها سبعاً، ثم صارت إلى الصلح، فصالحها على مال، وخلّى لها مُلكها ونواحيها، ثم غزا ما وراءَ النهر، وأغار على بخارا وغنم منها غنائمَ كثيرةً،

---

(١) وخلّف عمرو من العَيْنِ ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار، ومن الورق ألف درهم، وغلة مائتي ألف دينار بمصر، وضيعته المعروفة بمصر بالوهط قيمتها عشرة آلاف درهم «مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٢».

(٢) في مروج الذهب: أخنتْ صروفُه جـ ٣ ص ٣٢.

(٣) في مرج الذهب: حزمه واحتياله جـ ٣ ص ٣٢.

(٤) في مروج الذهب: ولا جمعه لمّا جـ ٣ ص ٣٢.

وعاد إلى البصرة، ثم ولاّها سعيد بن عثمان بن عفّان، وغزا ما وراءَ النهر، وصالح أهل سمرقند على أن يَدْخُلَ باباً من أبوابها، ويخرج من الآخر، وأخذ منهم رهائن أن لا يَغْدِروا به، فدخل وخرج وانصرف بالرهائن، وغدر بهم وحملهم إلى المدينة وجعل يستعملهم في النخيل والطين، وهم أولاد الدهاقين، وأرباب النِعَم، فلم يُطيقوا ذلك العمل وسَئِموا عَيْشَهم، فوثبوا عليه في حائطٍ له، فقتلوه، ثم قتلوا أنفسهم بالحَبْل خَنْقاً، ثمّ ولاّها أسلم بن زُرعة وكان غَشوماً ظلوماً، فأخذ أهل مرو بأن يكفّوا عنه نقيق الضفاضع، فأخبروه بأنّ ذلك غير ممكن، فضاعف عليهم الخراج مائة ألف درهم، وفي أيّام معاوية افتُتح من الروم رُوذُوس، وهو على يومين من القسطنطينيّة، وأقام المسلمون بها سبع سنين، وافتتح من خراسان سمرقند وكش[1] ونسف[2] وبخارا، وافتتح الربيع بن زياد الحارثيّ بلخ وما يليها، وكان والياً من عند معاوية فمات بمرو، فلما حجّ معاوية جاءَه الحسنُ والحسين، وابن عبّاس رضي الله عنهم وسألوه أن يَفِيَ لهم بما ضَمِنَ، فقال: أما تَرْضَون يا بني هاشم أن نِوفّر عليكم دماءكم وأنتم قتلة عُثمان؟ ولم يُعْطِهم ممّا في الصحيفة شيئاً.

وفاة الحسن بن عليّ رضي الله عنهما:

وتوفيّ الحسن في سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين[3] سنة واختلفوا في سبب موته، فزعم قوم أنّه زُجّ ظَهْرُ قدَمه في الطواف بزُجٍّ مسموم، وقال آخرون: أنّ معاوية دسّ إلى جَعْدة بنت الأشعث بن قيس، بأن تسمَّ الحسن ويزوّجها يزيدَ، فسمَّته وقتلَتْه، فقال لها معاوية[4]: إنّ يزيد منّا بمكان وكيف يصلح له مَنْ لا يصلح لابن رسول الله، وعوّضها منه مائة ألف درهم وفي أيّام معاوية ماتت عائشة رضي الله عنها، وأُم سلمة، وأبو هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وأبو أيّوب الأنصاريّ بالقسطنطينية، وكان معاوية قد أذكى العُيون على شيعة عليّ عليه السلام يقتلهم أين أصابهم، فقتل[5] حجر بن عديّ،

---

(١) كش: قرية علىٰ ثلاثة فراسخ من جُرجان علىٰ جبل. ينسب إليها أبو زرعة محمد بن أحمد بن يوسف بن محمد بن الجنيد الكشي الجرجاني.

(٢) نسف: مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرستاق ولها تهندز وربض ولها أبواب أربعة وهي علىٰ مدرج بخارىٰ وبلخ وهي في مستواة والجبال منها علىٰ مرحلتين فيما يلي كش.

(٣) كانت وفاة الحسن ـ وهو يومئذ ابن خمسٍ وخمسين سنة «مروج الذهب جـ ٣ ص ٤».

(٤) إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه «مروج الذهب جـ ٣ ص ٥».

(٥) انظر «مروج الذهب جـ ٣ ص ١٢».

وعمرو بن الحمق في جملة مَنْ قَتَل، وقال سعيد بن المسيّب إن معاوية أوّل من غيّر قضاءَ رسول الله ﷺ، وأوّل من خطب قاعداً لأنّه كان بطيناً بادناً، وأوّل من قدّم الخطبة على الصلاة خشي أن يتفرّق الناسُ عنه قبل أن يقول ما بدا له، وأوّل من نصب المحراب في المسجد، وتُوفّي وله من الأموال التي استصفاها من مال كسرى وقيصر خمسون ألف ألف درهم.

[أخذ البيعة ليزيد بن معاوية]:

ثم دعا الناس إلى بيعة يزيد، فأوّل من بايع يزيد معاوية، وكتب إلى مروان بن الحكم بأخذ بيعة أهل المدينة ليزيد، فغضِب مروان إذْ لم يجعل إليه الأمرَ، فسار إلى الشام، فكلمّه وجعله وليَّ عهدِ يزيد بعده وردّه إلى المدينة، فامتنع أهل المدينة من بيعته، فجاء معاوية حاجاً في ألف فارس إلى المدينة، وتلقّاه الحسين، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، فسلّموا عليه، فلم يردَّ جوابَ سلامهم، وأغلظ بهم في القول، وعنّف وذلك حيلة منه، فتوجّه القومُ إلى مكّة لِما رأوا من جفائه، ودخل معاوية المدينة ولم يبقَ بها أحدٌ لم يُبايعه، وأخذ بيعة أهلها ليزيد، وفرّق فيهم أموالاً عظيمةً، ثم خرج إلى مكّة، فتلقّاه الحسين بن عليّ، فلمّا وقع بصره عليه، قال: مرحباً بأبن رسول الله، وسيّد شباب أهل الجنّة دابّةً لابن عبد الله، ثم طلع عليه عبد الله بن الزبير، فقال: مرحباً بأبن حواريّ رسول الله، وابن عمّته دابّةً لأبي خُبيب، ثم كذلك كلمّا طلع عليه طالعٌ حيّاه وأمر له بدابّةٍ وصِلَةٍ، ثم دخل مكّة وهداياه وجوائزه يروح عليهم ويغدو، حتّى أنماهم الأموال، ثم أمر برواحله، فعُلقت بباب المسجد، وجمع الناس، وأمر بصاحب حرسه أن يُقيم على رأس كلّ رجل من الأشراف رجلاً بالسيف، وقال: إنْ ذهب واحدٌ منهم إلى أن يُراجعني في كلامي، فاضربوا عُنقه، ثم صعِد المنبر، وخطب فقال: إنّ هؤلاء الرهط سادةُ المسلمين وخيارهم ولا يبتزّ أمرٌ دونهم، ولا يُقضى أمرٌ عن غير مشورتهم، وقد بايعوا يزيد، فبايعوه بسم الله، فأمّا الأشراف، فلم يمكنهم تكذيبه ومُراجعته، وأمّا سائر الناس، فلا جُرأة لهم على الكلام، ولا علم لهم بشيءٍ مما يقول، فأخذ البيعة، وركب رواحله، وضرب إلى الشام، وكان يقول: لولا هواي في يزيد لأبصرتُ رُشدي، وفيه يقول بعضهم: [وافر].

فإن تأتوا برَمْلَةَ أو بهند ... نُبايعْها أميرةَ مؤمنينا
إذا مات كِسْرَى قام كسرى ... بنوه[1] بعده مُتناسقينا

---

(١) في مروج الذهب: نعدّ ثلاثة جـ ٣ ص ٣٧.

خشِينـا الغيـظَ حتّى لـو سُقينـا[1] دِمـاءَ بنـي أميّـة مـا شُفينـا[2]

ومات[3] معاوية بدمشق سنة ستين، وهو ابن ثمانين سنة، وكان رجلاً طُوالاً جسيماً بادناً. أبيض، جميل الوجه، قبيح الفعال، إذا ضحك انقلبت شفته العُليا، وبايع أهلُ الشام يزيدَ بن معاوية على الوفاء بما أخذ له معاوية من بيعتهم.

بيعة يزيد بن معاوية:

قالوا: مات معاوية وعلى المدينة الوليدُ بن عُتبة بن أبي سفيان، وعلى العراق عُبيد الله بن زياد، فلمّا ورد نعيُّ معاوية، قال مروان بن الحكم للوليد بن عُتبة: إبعث إلى الحُسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فإن بايعا، وإلاّ، فاضرب أعناقهما، فاستدعاهما في جوف الليل، ونعى إليهما معاوية وأخذهما بالبيعة ليزيد، فقالا: حتّى نُصْبحَ، وانصرفا من عنده وخرجا من تحت الليل إلى مكّة، وأبَيَا أن يُبايعا، وبلغ أهلَ الكوفة تلكُّؤُ الحسين في بيعة يزيد، فكتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وبعثوا بحمل بعير، وكتبوا البيعة، فأرسل الحسين مُسلِم بن عَقيل بن أبي طالب ليأخذ البيعة من أهلها، فجاء حتّى نزل على هانيء بن عُروة، واجتمع إليه خلقٌ كثيرٌ من الشيعة يبايعون الحسين، وخرج الحسين بأهله وولده، وبلغ الخبرُ عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة، فهمَّ إلى الكوفة، فسار إليه الشيعةُ وقاتله حتّى دخل قصرَه، وأغلق بابه، فلما كان عند المساء، وتفرّق الناس عن المسلم بن عقيل، بعث عُبيد الله بن زياد خيلاً في خُفْيَةٍ، فقبضوا على مسلم، وعلى هانيء، ورفعوا مُسلماً بين شُرَف القصر، وقتل أدنا من العضادة، ثم ضربوا عُنقه، وفيه يقول: [طويل].

فإن[4] كنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظُري إلـى هـانـيء فـي السُـوق وابـن عَقيـلِ
تَـرَىْ رَجُـلاً قـد جـدع السيـفُ أَنْفَـه وآخـرَ يهـوِي مـن طَمـارِ قتيـلِ[5]

---

(١) في مروج الذهب: شربنا. جـ ٣ ص ٣٧.

(٢) في مروج الذهب: ما رَوِينَا جـ ٣ ص ٣٧.

(٣) توفي في رجب سنة إحدىٰ وستين «مروج الذهب جـ ٣ ص ١١».

(٤) في مروج الذهب: إذا جـ ٣ ص ٦٩.

(٥) في مروج الذهب جـ ٣ ص ٦٩: ـ

إلىٰ بطلٍ قد هشّمَ السيفُ وجهه وآخـرَ يهـوي في طمـار قتيـل

تَرَىٰ جَسَداً قد غَيَّرَ الشمسُ[1] لونَه و نَضْحَ دمٍ قد سال كُلَّ مَسِيلِ

مقتل أبي عبد الله الحُسين بن عليّ رضي الله عنهما:

ولما بلغ الحُسين قتلُ مُسلم بن عقيل، هَمَّ بالرجوع إلى المدينة، فبعث إليه عبد الله ابن زياد الحرّ بن يزيد التيميَّ في ألف فارس، فلقي الحسين بزُبالة، فقال له الحسين: لم آتِكم حتى انتهَتْ إليَّ كُتُبكم، فإن كان رأيكم على غير ما نطقت به كُتُبكم انصرفتُ، فقال الحرّ بن يزيد: إنّي لم أُؤْمَرْ بقتالك، ولكن أُمرتُ أن لا أُفارقك حتّى تقدَّم الكوفة، فإذا أتيتَ، فخذ طريقاً يُدخلك الكوفة، ولا نزول إلى المدينة حتّى أكتبَ إلى ابن زياد، فانثنى الحُسين عن طريق العُذيب والحرُّ بن زياد يسايره حتى انتهى إلى الغاضريّة، فنزل بها وهو يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرّم سنة إحدى وستّين، وقدِم عليه يوم الجمعة عُمر بن سعد بن أبي وقّاص في أربعة آلاف، وزعم قوم أنّ عبيد الله بن زياد قال له: إن قتلتَ الحسين، فلك عمل الريّ، وبعث معه بشر بن ذي الجوشن، وقال: إن لم يقتله، فأقتلهُ وأنت على الناس، فنزلوا بين نهري كربلا وجَرتِ الرُسُل بينهم وبين الحُسين، ومنعوه ومن معه الماء أن يشربوا، فقال الحُسين لعُمر ابن سعد: أكتب إلى صاحبك، فأعرض أن أرجع إلى الموضع الذي أقبلتُ منه أو آتي ثُغراً من ثغور المسلمين إلى أن ألحِق بالله عزّ وجلّ، أو يبعث بي إلى يزيد بن معاوية، فيرى فيَّ رأيه فإنّ الرَحِم تمنعه قتلي، فكتب عُمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بذلك، فلم يقبل من ذلك شيئاً، وقال: لا إلاّ أن يَنْزِلَ على حكمي، فقال الحسين: والله لا أنزل على حكم ابن مرجانة أبداً يعني عبيد الله بن زياد، وناهضهم القتال يوم عاشوراء، وهو يوم الجمعة، ومعه تسعة عشر إنساناً من أهل بيته، وإنحاز إليه الحرُّ التميميّ تائباً من ذنبه، فقاتل معه، فقُتل الحسين عطشانَ، وقُتل معه سبعة من ولد عليّ عليه السلام، وثلاثة من ولد الحسين، وتركوا عليّ بن الحسين، وهو عليّ الأصغر لأنّه كان مريضاً، فمنه عقب الحسين عليه السلام إلى اليوم، وقتلوا من أصحابه سبعة وثمانين إنساناً، وزعم قوم أن الحسين رضي الله عنه قُتل بعدما قَتل منهم عِدّةً، ولولا الضَعْف الذي أدركه من العطش لكان يأتي على أكثرهم، قالوا: فرماه الحُصَيْنُ بن تميم في حَنَكه، وضرب زرعة بن شريك كفّه، وطعنه سنان بن أنس بالرمح، ثم نزل، فاجتزّ رأسه، وأوطأ الخيل جُثّته، وساقوا عليّ بن الحسين مع نسائه وبناته إلى عبيد الله بن زياد، فزعموا أنّه

---

(١) في مروج الذهب: الموتُ. جـ ٣ ص ٦٩.

وضع رأس الحسين، في طَسْتٍ[1] وجعل ينكتُ في وجهه بقضيبٍ، ويقول: ما رأيتُ مثل حُسَنِ هذا الوجه فقطّ، فقال أنس بن مالك: أمّا إنه كان يُشبه النبيّ ﷺ، ثم بعث به وبأولاده إلى يزيد بن معاوية، فذُكر أنّ يزيد أمر بنسائه وبناته، فأُقِمنَ بدرجة المسجد حيثُ تُوقف الأسارَي ليمنظر الناس إليهنّ ووضع رأسه بين يديه، وجعل ينكت بالقضيب في وجهه، وهو يقول: [رمل].

ليتَ أشياخي ببَدْرٍ شهِدوا جَزَعِ الخزرج من وَقْعِ الأسَلْ
لأَهلّوا واستهلّوا فرحاً ولقالوا يا يزيدُ لا تَسَلْ

فقام أبو بَرْزَة الأسلميّ رضي الله عنه، فقال: أمّا[2] والله لقد أخذ قضيبُك من ثغره مَأخذاً لرُبَّما رأيتُ رسول الله ﷺ يرشُفه، وقُتل الحُسين عليه السلام سنة إحدى وستّين من الهجرة يوم عاشوراء وهو يوم الجمعة وكان بلغ من السنّ ثمانياً[3] وخمسين سنة، وكان يخضب بالسواد رضي الله عنه، ثم بعث يزيد بأهله وبناته إلى المدينة، ورَثَتْهُ ابنةُ عقيل بن أبي طالب، [بسيط].

ماذا تقولون إن قال المليكُ[4] لكم: ماذا فعلتم وأنتم آخِرُ الأُمَمِ؟
بعِتْرتي وبأهلي بعد مُفْتَقَدي منهم أسارَي وقَتْلَى[5] ضُرِّجُوا بدَمِي

قال: وسمع أهلُ المدينة ليلة قُتلِ الحسينُ في نهارها هاتِفاً يَهْتِفُ: [كامل].

مَسَح الرَسولُ جبينَهُ فله بريق في الخدودِ
أَبَواه من عُلْيَا قريش وجَدُّه خير الجُدود

وإعلم أنّ للروافض في هذه القصّة من الزيادات والتهاويل شيئاً غير قليل، وفي مقدار ما بيّنّاه سقطٌ كثير لأنّ من الناس مَنْ ينكر أن يكون يزيد أمر بقتله، أو رضي به، والله أعلم

---

(١) طَسْتٍ: إناءٌ كبير مستدير من نحاس أو نحوه لغسل الأيدي (ج) طسوت.

(٢) «إرفع قضيبك فطالما والله ما رأيت رسول الله (ﷺ) يضع فمه على خمسه يلثمه» «مروج الذهب جـ ٣ ص ٧١».

(٣) قُتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقيل: ابن تسع وخمسين سنة، وقيل غير ذلك «مروج الذهب جـ ٣ ص ٧١».

(٤) في مروج الذهب: النبيُّ جـ ٣ ص ٧٨.

(٥) في مروج الذهب: ونصف ضرّجوابدم جـ ٣ ص ٧٨.

بذلك.

قصّة عبد الله بن الزبير بن العّوام:

وهو ابن صفيّة عمّة رسول الله ﷺ، وأول مولودٍ وُلد بالمدينة في الإسلام، قالوا: ولمّا بُويع يزيد تلكّأ الحسينُ، وعبدُ الله بن الزبير عن بيعته، ولحقا بمكّة، فأمّا الحُسين، فخرج إلى الكوفة حتّى استشهد بكربلا، وأمّا عبد الله بن الزبير، فامتنع بمكّة، ولاذَ بالكعبة، ودعا الناس إلى الشورى، وجعل يلعن يزيد، وسماه الفاسق المتكبّر، وقال: لا يرضى الله بعهد معاوية إلى يزيد، وإنّما ذاك إلى عامّة المسلمين، فأجابه الناسُ إلى ذلك ورأوا الحقَّ فيه، وأظهر ابن الزبير التألّد والتنسُّك[1]، وجعل يصوم ويصلّي حتى أثّر فيه، ومال الناس إليه، وكتب إلى أهل المدينة، أن أخرجوا بني أميّة من أظهركم، فأخرجوهم، وبلغ الخبرُ يزيد، فبعث مُسْلِم بن عقبة المُرّيَّ في جيش كثيف، وجعل يرتجز: [رجز].

أبلغ[2] أبا بكر إذا الجيشُ سَرَى ... ومَرّت الخَيْلُ على وادي القُرى
عشرين ألفاً بين كَهْل وفتي ... أجْمَعَ نشوانٍ من القوم ترى

[وقعة الحرّة]:

قال: فجاء مُسلم بن عُقبة، فأوقع بالمدينة، وقتل أربع آلاف رجُل من أفناء الناس، وسبعين رجُلاً من الأنصار وبَقَر عن بطون النساء، وأباح الحُرمَ، وأنهب المدينة ثلاثة أيامٍ، وبايعهم على أنّه فَيْءٌ[3] ليزيد، وجعل يفعل فيهم ما شاء، وكانت الوقعةُ بالحرّة، وهي ضاحي المدينة، وبتلك سُمّيت الحرّة، وسمُّوا مسلم بن عقبة مُسْرِفَ بن عقبة، وكان يُسمّي ابن الزبير المُلحد، وقد قال محمّد بن أسلم الساعديُّ: [طويل].

فإن يَقْتُلونا يومَ حرّةَ وَاقِمٍ ... فنحنُ على الإسلام أوّلُ من قُتِلْ

ثم سار مسلم نحو مكة يريد ابن الزبير، فطُعِنِ بقُدَيْد لدعوة أهل المدينة، واستخلف على الجيش الحُصَيْنَ بن نُمير اليشكُريّ، أوصاه يزيدُ بذلك، وقال له: يا

---

(١) التنسك: نسك الرجل، أخلص نفسه للعبادة والطاعة لله.

(٢) في مروج الذهب جـ ٣ ص ٧٩: ـ أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرىٰ
وأشرف القوم علىٰ وادي القرىٰ ... أجمع السكران من قوم ترىٰ

(٣) فيء: المكان الذي تنصرف عنه الشمس.

برذعة[1] الحمار لولا أنّ أمير المؤمنين أمرني باستخلافك ما استخلفتُك، فإذا أنا مُتُّ، فامضِ بالجيش عنّي حتّى تُواقي الملحدَّ، ولا تجعل أُذُنك قِمْعاً لقريش، فإنّهم سَحَرة بالكلام ولكن عليك إذا وافيتَ بالوقافِ[2]، ثم النقاف[3]، ثم الإنصراف ومات مسرفٌ، فسار الحُصين حتّى أتى مكّة، وحاصر ابنَ الزبير أيّاماً، ورمي بالمنجنيق[4] والنفّاطات[5] الرُّكنَ، فأحرق الأستار، فبعث الله على أصحاب المنجنيق صاعقةً، فأحرقت منهم بضعةَ عشرَ رجلاً، وكان المختارُ بن أبي عبيد الثقفيّ بايع ابنَ الزبير على أن لا ينفرد برأي، ولا يقضي أمراً دُونَه، فوجّه المختارَ إلى الحُصين وقاتله، فردّهم عن مكّة، فبيناهم كذلك إذْ اتاهم نعيُّ يزيد، فانصرفوا إلى الشام، وكان يزيد وليَّ سَلْم بن زياد بن أبيه خراسان وسجستان، فغزا ما وراء النهر، وامرأةٌ تملك بخارا يقال لها: خاتون، فكتبت إلى طرخان ملك الترك تستمدّه وتستنجده على أن تُزوّجَه نفسها، وجاء طرخانُ في جيش عظيم من الترك والسُغْد، وناهضهم القتال، فهزمهم وغنم من أموالهم وأولادهم ما يفوت الإحصاء، وفي سَلْم يقول يزيد بن معاوية: [طويل].

عتبتُ على سَلْم، فلما فقدتُه وجرّبتُ أقواماً بكيتُ على سَلْم

موت يزيد بن معاوية:

ولما احتُضِر يزيد بن معاوية ولّى ابنه معاوية بن يزيد، وسلّم الأمر إليه، وكان ولد يزيدُ بالماطرون ومات بحوارين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وكان مُلكه ثلاث سنين وثمانية أشهر، وذُكر أنّه تمثّل عند موته بهذين البيتين: [طويل].

فيا ليتني لم أُغْنِ في الناس ساعةً ولم أغْنِ في لذّات عيش مُفاخرِ
وكنتُ كذى طمرين عاش بُبلغةٍ من العيش حتّى صار رَهْنَ المقابرِ

---

(١) البرذعة: ما يوضع علىٰ الحمار أو البغل ليُركب عليه كالسرج للفرس.

(٢) الوقاف: وقف: سكن بعد المشي فهو واقف (ج) وقوف. وقف علىٰ الشيء: عاينه وعرفه. وقف في وجه غيره: قاومه.

(٣) النقاف: نقفه أي ضربه أيسر ضرب.

(٤) المنجنيق: آلة قديمة من آلات الحرب وحصار المدن، كانت ترمىٰ بها الحجارة علىٰ الأسوار فتهدمها.

(٥) النفاطات: النفاطة: أداة من النحاس يُرمىٰ بها النفط والنار.

وفيه يقول الشاعر: [رجز].

يـــا أيُّهـــا القبـــرُ بحَـــوَّارينـــا ضممـــتَ شـــرَّ النـــاس اجمعينـــا

ولاية معاوية بن يزيد بن معاوية:

ولما مات يزيد صار الأمر إلى ولده معاوية بن يزيد، وكان قدرياً لأنّه أشخص عمراً المقصوص، فعلّمه ذلك فدانَ به وتحقّقه، فلما بايعه الناس قال للمقصوص: ما نرى؟ قال: إمّا أن تعتدل، وإمّا أن تعتزل، فخطب معاويةُ، فقال: إنّا بُلينا بكم، وابتُليتم بنا وإنّ جدّي معاوية نازع الأمرَ من كان أولى به وأحقّ، فركب منه ما تعلمون حتّى صار مُرتهناً بعمله، ثم تقلّده أبي، ولقد كان غير خليق به، فركب رَدْعَهُ واستحسن خطاءَه، ولا أُحبُّ أن ألقى الله بتبعاتكم، فشأنكم وأمرَكم ولُّوه من شِئتم، فوالله لَئِن كانت الخلافة مغنماً لقد أصبنا منها حظاً، وإن كانت شراً فحسبُ آل أبي سفيان ما أصابوا منها، ثم نزل وأغلق الباب في وجهه، وتخلّى للعبادة، حتّى مات بالطاعون في سنة أربع وستّين وهو ابن اثنتي وعشرين سنة، وكانت ولايته عشرين يوماً، ويقال: أربعين يوماً، ويقال: ثلاثة أشهر، فوثب بنو أميّة على عمرو المقصوص، وقالوا: أنت أفسدتَه وعلّمتَه، فطمروه ودفنوه حيًّا وكان قيل فيه: [وافر].

تلقَّفهـــا يـــزيـــدُ عـــن أبيـــه فخُـذْهـا يـا معـاوي عـن يـزيـد

وقال آخر: [بسيط].

إنـي أرى فتنـةً تَغْلي[1] مـراجلُهـا والمُلْك بعد أبي لَيْلَى لمن غلبا

فتنة ابن الزبير:

كان يدعو الناس في زمن يزيد بن معاوية إلى الإمارة والشورى، فلما مات يزيد دعاهم إلى البيعة لنفسه وادّعى الخلافة، وظفر بالحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام إلاّ الأُردنّ، فإنهم أرادوا أن يكون الأمر لخالد بن يزيد بن معاوية، ودعوا له على المنابر، وبُويع بالخلافة، فلما تسمَّى ابن الزبير بالخلافة فارقه المختار بن أبي عُبيد من أعماله، وقدِم الكوفة ودعا الشيعة، وقال: أنا رسول أبي القاسم محمد بن عليّ بن أبي

---

(١) في مروج الذهب: هاجت جـ ٣ ص ٨٢.

طالب، وأخذ بيعة الناس له على أن يطلبوا بدم الحُسين رضي الله عنه وخرج الضحّاك بن قيس الفهريّ الخارجيّ، وإستمال الناس وصلّى بهم ينتظر إستقرار الخلافة، وبُويع مروان بن الحكم بالأُردنّ، وبويع خالد بن يزيد بن معاوية بعده، واجتمع أهلُ البصرة على عُبيد الله بن زياد، وكان واليها في أيّام معاوية ويزيد، ونصبوه أميراً، وسألوه أن يُطلِقَ عن الخوارج الذين في السجون، فأطلقهم، وفيهم نافع بن الأزرق، وعبيد الله بن الماحوز، وقطريُّ بن الفُجاءَة المازنيّ، فعاثَوْا في الأرضِ، وأفسدوا، وخافهم عُبيد الله بن زياد على نفسه، فهرب إلى الشام.

[مروان بن[1] الحكم وأخذ بيعة أهل الشام له]:

بويع له بالأردنّ سنة أربع وستّين، وهو أوّل من أخذ الخلافة بالسيف، وكان يُلقَّب خَيْطَ باطل لطول قامته، واضطراب خلقه، وفيه يقول الشاعر: [طويل].

لحى الله قوماً أمَّروا خَيْطَ باطلٍ ... على النَّاسِ يُعْطي من ياء ويمنَعُ

وسار إليه الضحّاك بن قيس، فاقتتلوا بمرج راهط[2] من غوطة دمشق، فقُتل الضحّاك، وخرج سليمان بن صُرَدٍ الخُزاعيُّ من الكوفة في أربعة آلاف من الشيعة يطلبون بدم الحُسين، فبعث إليه مروانُ عُبيدَ الله بن زياد، والحُصَيْن بن نُمير، فالتقَوْا برأس عينٍ، فقتلوا سليمان بن صُرَدٍ، وتفرّق أصحابه، فمالت الشيعةُ إلى المختار ابن أبي عُبيد، وقَوِيَ أمرُه، فأظهر الدعوة إلى مُحمّد بن الحنفيّة، والطلب بدم الحسين، ومات مروان بدمشق، وكانت ولايته سبعة أشهر وأيّاماً، وبايع أهلُ الشام عبدَ الملك بن مروان.

خبر موت[3] مروان بن الحكم:

ذكروا أنّه تزوّج أمّ خالد بن يزيد بن معاوية، وجرى بينه وبين خالد كلامٌ، فقال له:

---

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنّى أبا عبد الملك، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان، وذلك بالأرون، وكان أول من بايعه أهلها وتمت بيعته «مروج الذهب جـ ٣ ص ٩٤».

(٢) مرج راهط: موضع في الغوطة من دمشق وراهط: اسم رجل من قضاعة، ويقال له مرج راهط كانت به وقعة بين قيس وتغلب. وقد حدثت واقعة بين مروان بن الحكم والضحّاك بمرج راهط قُتل فيها الضحّاك بن قيس واستقام الأمر لمروان.

(٣) فمنهم من قال: إنه مات مطعوناً، ومنهم من رأىٰ أنه مات حتف أنفه «مروج الذهب جـ ٣ ص ٩٧».

يا ابن[1] الطُرطُيَّة فأحقِدت المرأة، فسقَتْه سمًّا في الشراب، فأبطأ القضاءُ عليه، فلما كان في الليل وضعتْ وسادةً على وجهه، وقعدَتْ عليها حتّى مات، وصار إلى جهنّم، ومروان يُعدُّ من قَتْلَى النساء، واختلفوا في حِلْيته فقيل: كان طوالاً، وقيل: كان قصيراً، وكان لِدَةَ[2] الحسين بن علي بن أبي طالب، والحسين وُلد بعد الهجرة بسنتَيْن.

[ما جرى بين المختار وبين ابن الزبير]:

قالوا: وغلب المختار على الكوفة، ووجّه عُمّاله على كور الجبل وأرمينيّة، وأفسدت الخوارجُ بالبصرة، فولّى أهلُها المُهلَّب بن أبي صُفْرة قِتالَهم، إذْ لم يكن لهم أميرٌ يدفع عنهم، وبعث عبدُ الله بن الزُبير عبد الله بن المُطيع والياً على الكوفة، فخرج المختار ابن أبي عُبيد في جماعة من القُرّاء، منهم أبو إسحق الثقفيُّ، وجابر الجُعْفيُّ، وواقَع ابن المُطيع، فطرده وانكفى عنهم، وفيه يقول: [رجز].

ابنُ مطيعٍ لجَّ في الشِقاق، يقولُ لمّا ضِيقَ في الحناف
يا قومِ هل لي فيكمُ من واقِ

وبلغ الخبرُ ابنَ الزبير، فأخذ محمّد بن الحنفيّة بالبيعة له والانقياد، فقال محمّد بن الحنفيّة: أنا أولَى بهذا الأمر منك إن كانت خلافة، فجمع أصحاب ابن الحنفيّة، وحبسهم معه في المسجد، وأعطى الله عهداً أنْ يُحرقَهم بالنار إن لم يبايعوه، فكتب محمّد بن الحنفيّة إلى المختار بن أبي عُبيد بالخبر، فأرسل المختار مدداً ومالاً، فدخلوا مسجد الحرام بغتةً لا عِلْمَ لأحدٍ بهم يُنادون: يا ثارات الحسين حتى انتهوا إلى ابن الحنفيّة وأصحابه قد حُبسوا في الحظائر، ووُكِّلَ بهم الحرسُ يحفظونهم، وجمعوا الكثير من الحطب وأعدّ لإحراقهم، فأشعلوا النار في الحطب، وأخرجوا ابن الحنفيّة، وأصحابه معه إلى شِعْب علي بن أبي طالب، واجتمع عليه أربعة آلاف رجُلٍ، فبايعوه ففرّق فيهم الأموال التي حملها المختارُ، ثم وجّه المختار إلى عُبيد الله بن زياد إبراهيم بن الأشتر النخعي في اثني عشر ألفاً، فالتقَوْا بالزاب من أرض الموصل، فقُتل عبيد الله بن زياد، والحصينُ بن نُمير، وشِمْر بن ذي الجوشن، وعُمر بن سعد، وكلّ من شارك في قتل الحسين بن علي عليه السلام، وحُملت رؤوسهم إليه قال: وكان ابن عمر بن سعد قائماً على رأس المختار لمّا دخلوا برأس

(١) في مروج الذهب جـ ٣ ص ٩٧: أتكلمني يا ابن الرّطية!
(٢) لدة: اللدّ الخصم.

أبيه، فقال له المختار: أتعرف هذا الرأس؟ قال: أي والله رأسُ أبي حفص، قال المختار: أَلحقُوا حَفْصاً بأبي حَفْصٍ، فضُرب عُنقه، وفي عُبيد الله بن زياد يقول يزيد بن المفرِّغ: [بسيط].

إنّ الـذي عـاش ختّـاراً بـذمّتـه ... ومـات عبـداً قتيـلُ الله بـالـزاب
العبـدُ للعبـد لا أصـلٌ ولا شَـرَفٌ ... أَلْـوتْ بـه ذاتُ أظفـارٍ وأنيـاب
ما شُقّ حبيبٌ ولا قامَتْكَ نائحةٌ ... ولا بكَتْـكَ جِيـادٌ عِنْـد أسـلابِ

ثمّ بعث ابن الزبير أخاه مُصْعباً على العراق، فقدم البصرة، وأعطاه أهلُها الطاعةَ، وأمضى للمهلَّب بن أبي صُفرة ما كان أهلُها ولَّوْه من قتال الأزارقة، وخرج إلى الكوفة، وكان المختار يحتال في استمالة الناس بضروب من الحيل، وكان يروي الروايات ويستعمل المخاريق[1]، ويدّعي المعجزات، ويزعم أنّ جبريل وميكائيل يأتيانه، ويأمر بعض أصحابه أن يشهد له أنّه رأى الملائكة نزلَتْ لنُصْرته وفيه يقول: [هزج].

ألا أبلـغ أبـا إسحـق عنـي ... بـأنّ الخيـلَ كَمتٌ مُصْمِيـاتِ
أرِى عَيْنَـيَّ مـا لـم تبصـرّا ... كِـلانـا عـالِـمٌ بـالتُّـرّهـات

فزحف إليه مُصْعب بن الزبير، فبيّته المختار، وقتل من أصحابه ستّة آلافٍ، وقُتل عُبيدُ الله بن علي بن أبي طالب، ومحمّد بن الأشعث بن قيس، وكانا محبوسَيْنِ في عسكر مُصْعب، ولم يشعر بهما، فلما كان من الغَدِ جدَّ مُصعبٌ في تاله، فلجأ إلى قصر الكوفة، فحاصره مصعبٌ إلى أن قتله، وقتل من كان معه في القصر، وهم ستّة آلاف وثمان مائة رجُل، وأخذ عمرة بنت النعمان بن بشير، وكانت تحت المختار بن أبي عُبيد، وعرض عليها البراءَة من المختار، فأَبَتْ، فضرب عُنُقها، وفيها يقول عبد الرحمن بن حسّان: [خفيف].

كُتِـبَ القتـلُ والقتّـالُ علينـا ... وعلـى الغـانيـات جـرّ الـذُيُـول

واستولى مُصعب على العراقين، فسار إليه عبد الملك بن مروان، فالتقوا بمسكنٍ، وقُتل مصعب، وبُعث برأسه إلى عبد الله بن خازم بخراسان، وقد بايع لابن الزبير، ودعا له، وكتب، إن بايعتني اطعمتُك خراسان عشر سنين، فكتب إليه ابن حازم: [طويل].

إعَيـشُ زُبيـريَّ الحيـاة فـإنْ أمتْ ... فـإنّـي مُـوصٍ هـامتي بـالتّـزَبُّـر

---

(١) المخاريق: المخراق: المنديل يُلفّ ليضرب به (ج) مخاريق.

واستقام العراقُ لعبد الملك بن مروان، قال عبدُ الملك بن عُمير الليثي: دخلتُ قصر الإمارة بالكوفة، وعبد الملك بن مروان قاعدٌ في الإيوان على سريره، وبين يديه تُرسٌ، وعليه رأسُ مُصعب بن الزبير، فتبسّمتُ، فقال: مِمّ تبسّمتَ؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين أتيتُ عبيدَ الله بن زياد في هذا الإيوان بين يديه رأس الحسين بن عليّ، ثمّ رأيت المختارِ وبين يديه رأس عُبيد الله بن زياد في هذا الإيوان، ثم أتيت مُصعب بن الزبير في هذا الإيوان وبين يديه رأس المختار بن أبي عُبيد، ثم أراك وبين يديك رأس مُصعب، فقام عبد الملك فزِعاً، وأمر بهَدْم الإيوان، فهُدم. قال: وكذلك لمّا بعث المختار برأس عُبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد إلى محمّد بن الحنفيّة لينصبهما في المسجد الحرام. كان محمّد بن الحنفيّة يأكل، فقال محمّد: الحمد لله أُتِيَ ابن زياد برأس الحسين، وهو يأكل، وأتينا برأس ابن زياد، ونحن على هذه الحالة وفي مصعب بن الزبير يقول ابن قيس الرُّقَيّات: [منسرح].

إنَّ الـــرزيّـــةَ يـــومَ مسكِـــ ـــن والمُصيبـــة والفجيعـــة
بـــأبـــن الحـــواريّ الـــذي لـــم يَعْـــدُهُ يـــوم الـــوقيعـــة

ولما قُتل مصعب لاذَ عبد الله بن الزبير بالكعبة، وأظهر الزيادة في نُسْكه وجعل يقول: بَطْني شِبْرٌ، وما عسى أن يُشْبع شبرٌ وهو أَشْرَهُ خلق الله وأحْرَصُه، فقيل فيه: [بسيط].

لو كان بطنُك شِبْراً قد شبعْتَ، وقد أَفْضَلْـتَ فضـلاً كثيـراً للمسـاكيـن
فَـإنْ أتَتْـكَ مـن الأيّـام جـائحـةٌ لم ينل منك شيئاً مِن دُنْيا ولا دين
ولا نقـولُ إذا يـومـاً نُعيـتَ لنـا إلاّ بـآميـن ربّ العـرش آميـن
مـا زال فـي سورةِ الأعـراف يقـرؤهـا حتّى يُوارِي[1] مثل الخزّ في اللِين

وكان يُخرج للنّاس من تمور الصدقة، ويكنز الذهب والفضّة، ويقول: أكلتم تمري وعصيتم أمري، وخرج عبد الملك من الكوفة إلى الشام، وكان الحجاج على شُرطته، فولاه الساقةَ ينزل بنزوله، ويرحل برحيله، فرأى عبد الملك من نفاذه، وجلادته ما أعجب به، وولّي الكوفة خالد بن عبد الله القَسْريّ، وولّي البصرة أخاه بشراً، ورجع إلى الشام ولا همّ له إلاّ ابنُ الزبير، فأتاه الحجاج، فقال: ابعثني إليه فإنه أرَى في المنام كأنّي أقْتُله وأسلخُ

(١) في مروج الذهب: فؤادي جـ ٣ ص ٨٤.

جلدَه، فبعثه إليه، فقتله وسلخ جلده وصلبه، وكانت فتنة ابن الزبير تسع سنين مُنْذ موت معاوية إلى أن مضَتْ ستّ سنين من ولاية عبد الملك.

مقتل ابن الزبير:

قالوا وبعث عبد الملك الحجّاج إلى مكّة، فحاصر ابن الزبير، فنزل ببئر مَيْمون، وفسد على الناس حجُّهم تلك السنة لأنّهم وقفوا بعرفاتٍ، ولم يصلوا إلى البيت، واشتدّ الحصارُ، فقال له أخوه عُروة بن الزبير: إنّ لك في الصُلْح لإسْوَةً بالحسن، فركله برِجْله، وقال: ما أنت بابن أبٍ، وعرض عليه الحجّاج الأمان، وبذل له العهد، فأبى أن يقبله، وكان شحيحاً بخيلاً، فقيل فيه: [طويل].

رأيـتُ أبـا بكـر وربّـك غـالـبٌ   علـى أمْـرِه يَبْغـي الخـلافـة بـالتّمْـر

ثم اقتحم الحجّاج المسجدَ في أصحابه، وشدّوا على ابن الزبير، فقتلوه ومَن معه، وسلخوا جلده، وحَشَوْه تبناً وصلبوه، ويقال: أصابه رَمْيَةٌ، فمات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، ووُلِي الحجّاج الحجازَ، واليمامة، وبايع أهل مكّة لعبد الملك بن مروان.

ولاية عبد الملك بن مروان:

يُكنّى أبا الذُّبان لبَخْر فَمِهِ، ويُلقَّب برشح الحجر لبُخله، وكان معاوية بن أبي سفيان جعله مكان زيد بن ثابت على ديوان المدينة، ثمّ ولاّه أبوه مروان هجَر، ثم جعله وليَّ عهده بعهد، وبُويع سنة خمس وستين بالشام، وبايعه أهل مكّة بعد قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، وكتب إليه ابن عمر ببيعته، وكتب إليه محمّد بن الحنفيّة يستوثق لنفسه وأصحابه، وتُوفّي بدمشق سنة ستّ وثمانين، وكانت ولايته من يوم قُتل ابن الزبير إلى أن ماث تسع سنين وعشرة أيّام، ومن يوم بويع بالشام إحدى وعشرين سنة، وكتب إلى عبد الله بن خازم بخراسان، إن بايعتَني أطعمتُك خراسان عشر سنين، فأبىٰ إلاّ التزبُّر، وكان بعث إليه برأس ابن الزبير، فأخذه وردّه إلى المدينة، فكتب عبد الملك إلى بُكير ابن وشاح خليفة عبد الله ابن خازم على مرو يأمره بالوثوب بعبد الله بن خازم، فسار إليه، فواقعه، فقتله وولّي بكيراً خراسان، وصَفَت المملكة لعبد الملك بن مروان، ومات بشر بن مروان بالبصرة، واشتدّت شوكة الخوارج بالعراق والأهواز، والمهلّبُ يقاومهم ويدافعهم، فولّى عبد الملك الحجّاج بن يوسف العراقين، وكان العراق إذ ذاك من فَم الرّقة إلى أقصى خُجَنْد بخراسان، ومنها

السند والهند.

خبر الحجّاج بن يوسف:

زعم قوم أنّ الحجّاج بلاءٌ صبّه الله عزّ وجلّ على أهل العراق بدعوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قال: اللهمّ إنّ أهل العراق قد ليسوا عليَّ ما ليس لهم، اللّهمّ عجّل لهم الغلام الثقفيّ الذي يحكم فيهم بحكم الجاهليّة، لا يُقبَل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مُسيئهم، فإنّ الشيطان قد باض فيهم وفرّخ، وروى هذ الخبر أبو عرفة الحضرميّ من الشام، وروي أنّ عمر أتاه خبر الغراق وأنهم حصبوا[1] أمامهم، وسمعتُ غيرَ واحدٍ يقول: بل كانت دعوة عليّ عتم قال: اللهمّ كما نصحتُهم وغشّوني وآمنتُهم فحافَوْني أبعث فيهم فَتىً يحكم بحكم الجاهليّة، هكذا الرواية، والله أعلم لأن مثلَ هذا من المُحال إذ لا يجوز لمسلم أن يسأل ربّه الجَوْر والظّلم.

حلية الحجاج ونسبه وحرفته:

قالوا: كان الحجّاج رجلاً أخفش[2] حَمْش[3] الساقَيْن، منقوص الجاعرتين، صغير الجثّة، دقيق الصوت، أكتم الحلق، وهو الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر، من أجلاف ثقيف، وكنيته أبو محمّد، وأمّه سمَّتْه كُليباً، وكان أوّل أمره أن يُعلّم الصبيان بالطائف، وأوّل ولاية وَلِيَها تبالة بالحجاز، فلمّا أشرف عليها احتقرها، وانصرف، فمن ثَمّ يقال في المثل: أهون من تبالة على الحجّاج، ثم ولي على شُرَط أبان بن مروان، ثم جعله عبد الملك على ساقته عند رجوعه إلى الشام، ثم بعثه لقتال ابن الزبير، فقتله وولاّه الحجاز ثلاث سنين، ثم ولاّه العراق.

قدوم الحجّاج العراق وأخباره إلى أن مات:

قالوا: ولمّا دخل الحجّاج العراقَ دخل المسجد مُعتماً بعمامة قد غطّى أكثر وجهه متقلّداً سيفاً متوكّئاً قوساً، فصعد المنبر، وسكت ساعةً حتى قال بعض الناس: قبح[4] الله

---

(١) حصبوا: فرشوا الطريق بالحصباء.

(٢) أخفش: الخفش: ضعف في الإبصار يظهر في النور الشديد (مج).

(٣) حمش الساقين: دقيق الساقين.

(٤) في مروج الذهب: لعن جـ ٣ ص ١٣٣.

بني أميّة حين يستعملون[1] مثل هذا على العراق، وقال عُمير بن ضابيء البرجميّ: ألا أُحصِبه لكم؟ فقالوا: إمهل حتّى ترى، فلمّا رأى عيون الناس إليه حَسَرَ اللثام، ونهض قائماً: [وافر].

أنـا ابـنُ جَـلا وطـلاّعُ الثنـايـا متـى أضـعُ العمـامـة تعـرفـونـي

والله[2] يا أهل العراق إنّي أرى رؤوساً قد أينعَتْ، وحن قطافها، وإنّي لصاحبها، فكأنّي أنظر إلى دماءٍ من فوق العمائم واللُحَى: [رجز].

هذا أوانُ الحرب فاشتدي زِيَمْ[3] قـد لفّهـا الليـلُ بسَـوّاقٍ حُطَـمْ
ليـس بـراعـي إبـلٍ ولا غنـم ولا بجـزّارٍ علـى ظهـر وَضَـمْ[4]
قـد شمّـرتْ عـن ساقهـا، فشـدّوا وجـدّت الحـربُ بكـم فجـدّوا
والقـوس فيهـا وَتَـرٌ عُـرُدُ مثـل ذراع البكـر أو أشـدُّ

إنّي والله ما يُقعقع لي بالشنان[5] ولقد فُرِزْتُ عن ذكاءٍ، وفتشتُ عن تجربة، وإنَّ أمير المؤمنين مثل[6] كنانته، فعجم عيدانها عَوْدا أعور، فوجدني أشدَّها عوداً وأصلبها مكسِراً، فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في مراقد الضلال، والله لأحرصنكم حرص السلمة، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل، فإنّكم لكأهل ﴿قريةً كانت آمنةً مطمئنة يأتيها رزقُها رَغَداً من كلِّ مكانٍ، فكفرت بأنْعُم الله، فأذاقها اللهُ لباسَ الجُوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعونَ﴾ [النحل ١١٢]. وأنّي، والله ما قُلتُ إلاّ وفَيْتُ، ولا أهُمّ إلاّ مضَيْتُه[7]، وإنّ أمير المؤمنين أمرني بإعطياتكم، وأنْ أوجّهكم لمحاربة عدّوكم مع المهلّب بن أبي صُفرة،

---

(١) في مروج الذهب: يولون جـ ٣ ص ١٣٣.

(٢) في مروج الذهب: إني والله لأرىٰ أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاولة، ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني أنا صاحبها، كأني أنظر إلىٰ الدماء ترقرق بين العمائم واللحىٰ». جـ ٣ ص ٣٤.

(٣) زيم: اسم ناقة أو فرس.

(٤) وضم: الوضم خشبة الجزار يقطع عليها اللحم.

(٥) الشنان: الشن القربة الخلَقُ الصغيرة، يكون الماء فيها أبرد من غيرها (ج) شنان.

(٦) في مروج الذهب: نثر جـ ٣ ص ١٣٤.

(٧) «ألا وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وإشخاصكم إلىٰ محاربة عدوكم مع المهلب، وقد أمرتكم بذلك، وأجّلت لكم ثلاثاً، وأعطيت الله عهداً يؤاخذني به ويستوفيه مني أن لا أجد أحداً من بعثِ المهلب بعدها إلا ضربت عنقه، وانتهبت ماله. «مروج الذهب: جـ ٣ ص ١٣٥».

وإني أقسم بالله لا أجِدُ رجلاً يتخلّف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيّام إلاّ ضربتُ عنقَه، يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فقام الغلام، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى من بالكوفة من المسلمين، سلامٌ عليكم، فلم يَقُلْ أحدٌ شيئاً، فقال الحجّاج: يا غلام[1] أكفُفْ يسلّم عليكم أمير المؤمنين، فلا تردّون عليه؟ هذا أدب ابن نهية، أما والله لأؤَدّبَنكم غير هذا، اقرأ يا غلام، فقرأ، ثمّ نزل ووضع للناس إعْطِياتهم، فجعلوا يأخذون حتى أتى شيخ قد انحنى كِبَراً، فقال: أيُّها[2] الأمير، إنّ بي من الضعف ما ترى، وإنّ ابني هو أقوى على الأسفار منّي أفتقبله بدلاً منّي؟ فقال: نفعل أيّها الشيخ، فلمّا ولّى قيل له: هذا عُمير بن ضابيء البرجميُّ دخل على عثمان مقتولاً، فوطِيء بطنه حتّى كسر ضلعين من أضلاعه، فقال: أيُّها الشيخ هلاّ بعثتَ إلى أمير المؤمنين عثمان يوم الدار بدلاً إنّ في قتلك لصلاحاً للمسلمين[3]، يا حرسيَّ إضربا عنقه، وفيه يقول عبد الله بن الزبير الأسديُّ: [طويل].

تَجهَّـزْ فـإمَّـا أن تـزورَ ابـنَ ضـابـيء عُميـراً، وإمـا أنّ تـزورَ المهلَّبـا
همـا خُطتَـا خَسْـفٍ نجـاؤك منهمـا ركـوبُـكَ حَـوْليـاً مـن الثَلْـج أشهبـا

يحذّر الناسَ عن التخلّف إلى الخروج إلى قتال الأزارقة، ونادى الحجّاج في الناس إنّ عميراً أتانا بعد ثالثةٍ قتلناه، فمن وجدناه بات بعد هذه الليلة، فقد بريء الله من دمه، فلم يبقَ أحدٌ إلاّ لحق بالمهلّب وجدّ المهلّبُ في قتال الأزارقة وهم الخوارج إلى أنّ مات نافع بن الأزرق، فولي أصحابه عليهم عبيد الله بن ماحوز، وقال شاعرهم: [كامل].

فلئـنْ أميـر المـؤمنيـن أصـابـه رَيْـبُ المنـون ومـن يُصبْـه يَغْلَـقِ
نِعْـم الخليفـة مـن حـذانـا نعلـه ذاك ابـن مـاحُـوزٍ بقيَّـةُ مـن بَقـي

ولمّا رآهم المهلّبُ بالإمداد التي وردت عليه من جهة الحجّاج أجلاهم إلى حدود الأهواز وفارس، وفيه يقول: [خفيف].

---

(١) في مروج الذهب: اسكت يا غلام جـ ٣ ص ١٣٦.

(٢) في مروج الذهب: جـ ٣ ص ١٣٦: «أصلح الله الأمير، إني شيخ كبير زمِنٌ عليل ضعيف، ولي عدة أولاد فليختر أيهم شاء مكاني، أشدهم ظهراً، وأكرمهم فرساً، وأتمهم أداة» قال الحجاج: لا بأس بشاب مكان شيخ.

(٣) في مروج الذهب: المصرين جـ ٣ ص ١٣٧.

قد نفينا العَدُوَّ أمْسِ عن الجِسـ ـرِ وقد زحزحوا عن الأهواز
وطَعان يهولك القربُ منه وَاشِك الخطف للنفوس العِزاز

وسار المهلّبُ في إثْر الخوارج إلى خراسان، فوقع قطريُ بن الفجاءة المازنيّ إلى طبرستان، وكتب عبد الملك إلى المهلّب بعهده على خراسان، وقد كان وفاها مع الحكم بن عمرٍو الغفاريّ أيّام معاوية ولمّا غَرِقَ شبيب بن يزيد الخارجيّ في دُجَيْل بعدَ إذ افترقت الأزارقة فرقتين، فرقةٌ مع قطريّ بن فجاءة المازنيّ، وفرقة مع عبد الربّ الكبير، ومضوا حتّى أتوا سجستان، وأصل الخوارج بها منهم إلى اليوم، فلحقهم المهلّب، وقاتلهم وقُتِل عبد الربّ الكبير وصار قطريّ إلى سجستان، فبعث الحجّاج سفيان الكلبيّ في إثره حتى قتله، وحمل إليه رأسه، وكان يُكنّى أبا نعامة، وقاتلهم عشرين سنة يدّعي الخلافة، وكان شبيبٌ هذا أحد الرجال المذكورين بالبأس والنجدة، وبلغه تهدُّد الحجّاج إيّاه فجاء مع إمرأته غزالةَ في فوارس دون عشرين، حتّى دخلوا الكوفة، ووقفوا بباب قصر الحجّاج ونادَتْه غزالةُ، يا حجّاج هل لكَ في البِراز؟ فهابها وتحصّن، وكانت غزالة نذرت أن تبول على منبره، فدخلت مسجد الكوفة، وبالت على المنبر، وقام شبيب في الصلاة، فصلّى ركعتي الفجر قرأ في إحدَيهما بالبقرة وفي الأخرى بآل عمران، ولم يَجْسرُ[1] الحجَّاج أن يفتح باب قصره إلى أن انصرفوا، ثم جعل الناس يقولون: [كامل].

أَوْفَتْ[2] غزالةُ نَذْرَها يا ربِّ لا تغفرْ لها

وقيل فيما يُهجاُ به الحجّاجُ بن يوسف: [متقارب].

غزالة في مأتَتي فارس يئطّ[3] العراقانِ منها أطِيطَا
وخَيْلُ غزالةَ تَخوِي النِّهابَ[4] وتسبي السبايا وتجبي النبيطا

وكتب عمران بن حِطّانَ إلى الحجّاج وكان يمشي متوارياً لأنّه كان يطلبه: [كامل].

أسَدٌ عليَّ وفي الحروب نَعامةٌ رَبْداء[5] تُجْفِلُ عن صفير الطائر

---

(١) يجسر: يجرؤ.
(٢) في مروج الذهب: وفت الغزالة نذرها جـ ٣ ص ١٤٧.
(٣) يئط: أطّ صوّت.
(٤) النهاب: نهب الشيء نهباً: أخذه قهراً. النّهب: الغارة والسلب.
(٥) ربداء: ربد رُبدة: اختلط سواده بكدرة فهو أربد وهي ربداء. والرّبدة: الغبرة أو لون بينها وبين=

صدعَتْ غزالةُ قلْبه بفوارسٍ		تركت منابرَهُ كأَمْسِ الداثر
هلاّ خرجْتَ إلى غزالةَ في الوَغَى		أم كان قلْبك في جوانح طائر

وسار المهلّب إلى ما وراءَ النهر، وغزا السُغْدَ، فصالحه مَلِكُهم طرخان على مال، وانصرف عنه، وبعث موسى بن عبد الله بن خازم إلى الترمذ، فأغار عليها، وعلى ما يليها، ووَلِي عبد الملك بن مروان عُبيد الله بن أبي بكرة سجستان، وكان جواداً شجاعاً، فغزا كابل، فدهمهم العدوُّ في مَضيق التجؤُا إلى عَقْر دوابّهم، فأكلوها، وبلغ الرغيف سبعين درهماً، فمات عبيد الله والخلق معه بالجوع والسَيْف، ولم يلقَ جيشٌ في الإسلام ما لقُوا، وفيه يقول أعشى هَمْدان: [كامل].

أسمعتَ بالجيش الذين تمزّقوا		وأصابهم رَيْبُ الزمان الأعْوَج
لبثوا بكابلَ يأكلون جيادَهم		في شرّ منزلةٍ وشر مُعرَّج
لم يلقَ جيشٌ في البلاد كما لقُوا		فلمثلهم قُلْ للنوائح تَنْشُجِ

ثم بعث الحجّاج عبد الرحمٰن بن الأشعث بن قيس على العُمّال التي كان يليها عُبيد الله بن أبي بكرة، وجاء وغزا رتبيل بناحية بُسْتَ وصالحه على مال وغز كابُل، وافتتح قصوراً من قصور العجم، وأصاب سبايا وغنائم، وكتب إلى الحجّاج، فكتب إليه، أن توغّل في البلاد يُريد بذلك هلاكه، فاستعصى ابن الأشعث وجمع الجموع وتوجّه نحو الحجاج.

[خبر عبد الرحمن بن الأشعث]:

جمع الجموع ودعا القُرّاء إلى مناجزة الفاسق الحجاج بن يوسف وصاحبه عبد الملك بن مروان، فأجابه الخلق، وأقبل إلى العراق في جمع مثل عدد النمل فيهم الشعبيُّ، وسعيد بن جُبير، وابن القرّيّة، وابن أبي ليلى، وسُويد بن غفلة، وجابر الجُعْفيُّ، وأبو إسحق السبيعيّ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وأعشى همدان، وغلب على ما وراء دجلة ونفى عُمّال الحجّاج وتسمّى القحطانيّ، وكتب إلى النواحي من عبد الرحمن ناصر أمير المؤمنين وخطب الناسَ، فقال: ألا إنّي قد خلعتُ أبا ذِبّان عبد الملك بن مروان فقيل

= السواد.

فيه: [كامل].

خلع الملوك وسار تحت لوائه   شجرُ القُرىَ[1] وعراعر الأقوام

وسار ابن الأشعث حتّى أتى تُستَر وجاءَه الحجّاج في مثل جمعه، فقاتلهم ابنُ الأشعث، وقتل منهم ثمانية آلاف رجل، وانهزم الحجّاج وعاد إلى البصرة، وقطع القناطر والجسور وخرج إلى الكوفة.

خروج الزنوج بالبصرة:

قالوا: واضطرب الأمر بخروج ابن الأشعث، ونجمت النواجم، وتجمّع السودان، فغلبوا على البصرة، وأحرقوا الأسواق، وانتهبوا الأموال والسلاح، فبعث إليهم الحجاج، فقتلهم وسباهم، ثم سار ابن الأشعث حتى دخل البصرة، وطالت المناهضة بينه وبين الحجاج، فواقعه ثمانين وقعةً بالكوفة والبصرة، وأمدَّ عبد الملك بن مروان الحجاج بأخيه محمّد بن مروان، وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان، فبعث ابن الأشعث بماله وأهله إلى البصرة، وأسر الحجاج من أصحابه ثلاثة آلاف رجل، فضرب أعناقهم صبراً، وهمّ ابن الأشعث إلى سجستان، وانحاز إلى ناحية رُتبيل واستجار به، فقبله وآمنه، قالوا: وبعث الحجاج إلى رُتبيل بألف ألف درهم وأربعمائة ألف درهم مع عُمارة بن تميم في ثلاثين فارساً على أن يُسلّم عليه عبد الرحمن بن الأشعث، فغدر به رُتبيل وسلّمه إليهم، فأوثقوه بالحديد على أن يحملوه إلى الحجّاج، فقال ابن الأشعث: والله لا يتلّعب بي الحجاج تلعُّب الهِرّة بالفأرة، فرمى نفسه من فوق قصر كانوا عليه بالرُّخَّج، فمات فحملوا رأسه إليه، فبعثه إلى عبد الملك بن مروان، فبعثه عبد الملك إلى مصر وفيه يقول الشاعر: [كامل].

يا بُعْدَ مَصْرَعِ جُثّة من رأسها   رأسٌ بمصرَ وجُثّةٌ بالرُّخَّج

ومات المهلّب بخراسان، وقد استخلف ابنَه يزيد بن المهلّب، فعزله الحجّاج، وبعث قُتيبة بن مسلم الباهليّ مكانه، وكان على الريّ، فسار إلى خراسان، وأقبل يزيد حتّى إذا كان ببعض الطريق هلك عبد الملك بن مروان، وصار الأمر إلى الوليد بن عبد الملك، فقبض الحجاج على يزيد، وأكب عليه يُعذّبُهُ، وينتهب ماله، فهرب من حبسه، واستجار بسليمان بن عبد الملك، فشفع له إلى الوليد، فكفّ عنه، وكان يزيد سَرِيًّا وقتيبة شجاعاً،

---

(١) في مروج الذهب: العرىٰ جـ ٣ ص ١٧٥.

وفيهما يقال: [بسيط].

كانت خراسانُ أرضاً إذْ يزيدُ بها وكلُّ بابٍ من الخيرات مفتوحُ
فاستبدلَتْ بعده جعداً أناملُه كأنّما وجهه بالخلّ منضوح
الجُوعُ يَهْبِطُ في عَمْياءِ مُظْلِمةٍ لا متّع الله أهل الجوح، ما الجوح

قالوا: كان رجلاً عَيُوفاً لفوعاً خبيث الولاية، فأقرّ العُمّال على النواحي، وفي ولايته خرج قُتيبة بن مسلم إلى ما وراءَ النهر، وصار إلى مدينة بخارا، وكانوا قد ارتدّوا، فجاشت التُرك والسُغْد والشاشُ وفرغانةُ، وأحدقوا به أربعة أشهر، ثم هزمهم وقِتل منهم خمسين ألف فارس، وافتتح بخارا، ثم مضى حتّى أناخ على سمرقند صيفيّةً. حتى افتتحها صُلحاً، وقتل طرخان التركيّ الذي جاء إلى مرو لنُصْرة يزدجرد، وبعث برأسه ومِنْطقته إلى الحجّاج، وهي المنطقة التي كانت على يزدجرد يوم قُتِلٍ، ثم غزا فرغانة، وعاد منها إلى خوارزم، فبلغ سبي هاتين مائة ألف رجل، وليس في ذكورهم ولا إناثهم كَهْلٌ.

[مقتل سعيد بن جُبير]:

وكان سعيد بن جُبير من أفاضل الناس، وكان من أفاضل التابعين كتب لعبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم كتب لأبي بردة، وهو على القضاء، وخرج مع عبد الرحمن بن الأشعث، فلما انهزم ابنُ الأشعث من دَيْر الجماجم هرب سعيد إلى مكّة، فأخذه خالد بن عبد الله القسريّ، وكان عاملاً للوليد عليها، فبعثه إلى الحجاج، فقال له الحجاج: يا شقيَّ بن كُسَيْر ألَمْ أُولِّك القضاء؟ فضجّ أهل الكوفة، وقالوا لا يصلح القضاءُ إلاّ لعربيّ، فاستقضيتُ أبا بردة وأمرتُه أن لا يقطع أمراً دونك. قال: بلى قال: أوَ ما أعطيتُك من المال كذا وكذا لتُفرِّقَه في ذوي الفاقات وذوي الحاجات، ثم لم أسألك عن شيءٍ منه قال: بلى، قال: فما أخرجك عليَّ، قال: بيعةٌ كانت لابن الأشعث في عُنُقي، فقال: كانت بيعة أمير المؤمنين أَوْلَى بك، لأقتلنّك، فاعتذر سعيد رحمه الله، وتضرّع وترحمه بصغار بناته، فقال: اختَر أيَّ قتلةٍ شئتَ، قال: بل اختَر أنتَ لنفسك، فإنّ القِصاص أمامك، فقتله ثم لم ينتفع بعده بَعْيشٍ إلى أن مات.

موت الحجّاج:

ذُكر أنّه أخذه السِلُّ[1]، وهجرَه الرُّقادُ، فلمّا أُحتُضر قال لمنّجم عنده: هل ترى مَلِكاً

---

(١) وقعت في جوفه الأكلة فمات من ذلك «مروج الذهب: جـ ٣ ص ١٧٣».

يموت؟ قال: أرى ملكاً يموت اسمه كُلَيب، فقال: أنا والله الكُليب بذلك سَمَّتْني أُمّي. قال المنّجم: أنت والله تموت كذلك دلّت عليه النجوم، قال له الحجّاج: لأُقْدِمَنَّك أمامي، فأمره فضرب عنقه، ومات الحجّاج في ولاية الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقد بلغ من السن ثلاثاً[1] وخمسين سنةً وولي الحجاز والعراق عشرين سنة، وكان قتل[2] من الأشراف والرُؤَساء المذكورين مائة ألف وعشرين ألفاً صبراً، سِوَى عوامّ الناس، ومن قُتل في معارك الحروب، وكان مات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، ومات قبل موته ابنُه محمّد بن الحجّاج وأخوه محمّد بن يوسف في ليلة واحدة، فقيل في ذلك: [كامل].

في ليلتيـن وسـاعتيْـن   دفـن الأميـر محمّـديْـن

فلمّا مات الحجّاج، قالت امرأته هند بنت أسماء: [وافر].

ألا يـا أيّهـا الجَسَـدُ المُسجَّـى   لقـد قـرّت بمصـرعـكَ العيـونُ
وكنـتَ قـريـنَ شيطـان رجيـم   فلمـا مُـتَّ سلَّمـك القـريـنُ

وكان الحجّاج إستخلف قبل موته يزيد بن أبي كبشة السكسكيّ، فأقرّه الوليد عليها، وفي أيّام الوليد فتح طارق بن زياد مدينة الأندلس، وعبر عليها من طنجة من البحر، وغزا مدينة طُلَيْطِلة، وأصاب بها مائدة ذكر أهل الكتاب أنّها كانت لسليمان ابن داود عـم كان حملها بعض ملوك العرب من بيت المقدس حين ظهر على بني إسرائيل، وكانت خليطين من ذهب وفضّة بثلاثة أطواق من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، وكان استعمل خالد بن عبدِ الله القسريَّ على مكّة، فأمره أن يحفر بها بئراً، فحفر، فخرج عليه ماءٌ عَذْبٌ، فكتب إلى الوليد، إنّ خليفة الله أكرمُ على الله من رسوله إبراهيم لأن إبراهيم عـم استسقاه، فسقاه ماءً غير عذبٍ، وأمير المؤمنين سقاه ماءً عذباً فُراتاً، ومات الوليد سنة تسع وستّين، وكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر، وخلّف من الولد الذكور أربع عشر نفراً منهم يزيد بن الوليد الناقص، ولّي خمسة أشهر، ومات وكان حسن السيرة محمود الطريقة وإبراهيم بن الوليد ولّي شهرين، ثمُ خلع نفسه ودخل في طاعة مروان، وعُمر بن الوليد يقال له: فَحْل بني مروان وكان يركبون وراءَه ستّون رجلاً لصلبه.

---

(١) أربع وخمسين سنة «مروج الذهب جـ ٣ ص ١٧٥».
(٢) أنظر مروج الذهب جـ ٣ ص ١٧٥.

ولاية سُليمان بن عبد الملك بن مروان:

قالوا: وكان حبراً فصيحاً نشأ بالبادية عند أخواله بني عبْسٍ، فافتتح بخير، واختتم بخير، وردّ المظالم وآوى المسيّرين، وأخرج المحبّسين، واستخلف عمر بن عبد العزيز وعزل ابن أبي كبشة عن العراق، واستعمل عليها يزيد بن المهلّب فاستخلف يزيدُ على العراق مروان بن المهلّب أخاه، وسار إلى خراسان، فهابه قتيبة بن مسلم، فتوجّه إلى فرغانة، فوثب عليه وكيعُ ابن حسّان، فقتله، فولاّه سليمان خراسان، وفيه يقول الفرزدق: [طويل].

ونحـنُ قتلنـا البـاهلـيَّ بْـنَ مُسْلـم ... ونحـنُ قتلنـا قبـل ذاك ابـنَ خـازم
كـأنَّ رُؤُوس النـاس إذْ سمِعـوا بنـا ... مُـدمَّغَـةَ هـامـاتهـم بـالأهـائـم

ثم عزل وكيع بن حسّان عن خراسان، ووفاها يزيد بن المهلّب فافتتح جرجان.

فتح جرجان وطبرستان:

قالوا: وكان أهل جرجان يُصالحون أهلِ الكوفة على مائة ألف، ومائتي ألف، فجاءهم ابن المهلّب، وصالحهم على مال كثير، واستخلف عليهم رجلاً من أصحابه، وصار إلى دهستان وقد كان غلب عليها وعلى جرجان الترك، فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه، فقتل أربعة عشر ألفاً منهم صبراً، ومضى إلى طبرستان، فصالح الأصفهبد على مال عظيم، وأربع مائة حمارٍ موقَّرة[1] زعفراناً، وأربع مائة رجل على رأس كلّ رجل منهم ترسٌ وطيلسان[2] وجام[3] من ذهب، وكذا فعل عبد الرحمن بن سمُرة القرشيُّ لما حاصر زرنج صالحهم على ألف ألف درهم وألف وصيف على رأس كلّ رجل جام من ذهب، وكان عبد الرحمن هذا بعثه أبو موسى الأشعريّ إليها في أيّام عثمان، قالوا: ونقض أهلُ جرجان العهدَ، فحلف يزيد بن المهلّب ألاّ يبرَح حتّى يقتُل المقاتِلة، ويسبي الذراري[4]، وتحصّن

---

(١) موقّرة: محمّلة، الوقر: الحمل الثقيل يُحمل علىٰ ظهر أو رأس، وأكثر ما يستعمل من حمل البغل والحمار.

(٢) طيلسان: كساء أخضر يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ وهو من لباس العجم.

(٣) جام: إناء للشراب والطعام من فضة ونحوها. وقد غلب استعماله في قدح الشراب.

(٤) الذراري: الذرية: النسل (ج) ذراري وذريات.

القوم منه، فأناخ بناحيتهم مُدّة لا يجدُ فيهم حيلةً. قال: فخرج رجل من العسكر يتصيّد، فاتبع وعِلاً[1] يتوقَّل في جبل، حتّى أشرف على عورة البلد، فجاء، فأخبر يزيد بذلك، فلما كان من الليل احتال الرجل في طائفة، فاقتحموا البلدَ من النقرة، وفتحوا باب المدينة، واستولوا عليها، ووكّل يزيد بأبوابها وطُرقها ومنافذها الرجال يحفظونها، وأمر بالجذوع، فنُصبت على الطريق فراسخ، ثم أخرج المقاتلة، فصلبهم كلَّهم، ثم سبي الذراري ونهب الأموال، فلم يبقَ من الناس بجرجان إلاّ من هرب أو توارى إلاّ شيخٌ لا مُنّةَ فيه، ومن المال إلاّ ما دُفن أو لم يُؤْمر به فيُحْمَل.

غزاة مسلمة بن عبد الملك الصائفة:

وجهّز سليمانُ مسلمة، فسار حتّى بلغ القسطنطينية في مائة وعشرين ألفاً، وكان استصحب ألْيونَ المرعشيّ ليدلّه على الطريق والعَوَرات، وأخذ عهودَه ومواثيقه على الوفاء والمناصحة، فعبروا الخليج، وحاصروا القسطنطينية، فلما برّح بهم الحصارُ عرضوا الفِدْية على مسلمة، فأبى أن يفتحها إلاّ عَنْوةً قالوا: فأبعَثْ إلينا اليُون فإنّه رجل منّا ويفهم كلامنا، فبعثه إليهم، فسألوه عن وجه الحيلة، فقد ضاق عليهم الأمرُ، فقال: يا أهل القسطنطينية، إن ملكتموني عليكم لم أفتحها لمسلمة، فبايعوه على المُلْك والأمْرة، فخرج اليون، وقال لمسلمة قد أجَابوني إلاّ أنّهم لا يفتحون ما لم يتنحَّ عنهم، قال مسلمة: أخشى والله إنّ هذا منك غدرٌ، فحلف له اليونُ أنّه يدفع كلّ ما في قسطنطينية من ذهب وفضّة وديباج وسَبْي، فارتحل مسلمة، فتنّحى إلى بعض الرساتيق[2]، ودخل اليون، فلبس التاج، وقعد على سرير الملك، وأمر بنقل الطعام والعلوفات من خارج فملؤوا الأهراء، وشحنوا المطامير، وبلغ الخبر لمسلمة، فعلم أنه كان غدرٌ، فأقبل راجعاً، فأدرك شيئاً من الطعام وأغلقوا الأبواب دونه، وبعث إلى أليون يُناشده الوفاءَ بالعهد، فأرسل إليه أليون ملك الروم، لا يبايع بالوفاء، ونزل مسلمة بِفنائهم ثلاثين شهراً، حتّى أكل أهلُ عسكره الميتة والعَظْم، وقُتل منهم خلقٌ كثير، ثم رحل وانصرف، وتُوفّي سليمان بن عبد الملك بدابق سنة تسع وتسعين، وكان بايع ابنَه أيّوب بن سليمان، فمات قبله، فاستخلف عُمر بن عبد العزيز بن

---

(١) وعلاً: الوعل تيس الجبل وهو جنس حيوان بري جبلي مجتّر قريب الشبه من المعز الجبلية له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين.

(٢) الرساتيق: الرّستاق: الريف والقرىٰ وهو لغة في الرّزادق (ج) رساتيق.

مروان بن الحكم، ولمّا احتُضر سليمانُ قيل له أَوْصِ، فقال: [رجز].

إنّ بنـي صِبْيَـةٌ صيفيُّـون أفلـح مـن كانـت لـه رِبعيّـون
أنّ بنـي صبيـةٌ صغـارُ أفلـح مـن كانـت لـه كبـارُ

وفيه يقول الشاعر: [سريع].

لـم يـأخـذ الـولـيَ بـالـولـي وهـدّم الـديمـاسَ والنَّسِـيّ
يـا أيهـا الخليفـةُ المهـديّ خليفـة سميُّـهُ النبـيّ
وآمـن الشـرقـيّ والغـربـيّ

وكانت[1] ولايته ثلاث سنين.

ولاية عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

وأُمّه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب، رُوي أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، كان يقول: إنّ من ولدي رجُلاً يملأُ الأرض عدلاً، وكثيرٌ من الناس يقولون: إنّه كان المهديّ وفيه يقول الشاعر: [خفيف].

مَنْ أبوه عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوا نَ ومـن كـان جَـدُّه الفـاروقـا

وكان أخوه الأصبغُ بن عبد العزيز عالماً بخبر ما يكون، وابنته حبيبة عالمة بخبر ما يكون، وذلك لعلم وقع إليهم، ويقال لعُمر: أشجُّ بني أُميّة، وذلك أنّه ضربته دابّةٌ في وجهه، فلما رآه الأصبغ أخذه وقال: الله أكبر أشجّ بني مروان الذي يملك قال الأصمعيّ: هو في كتاب دانيال الدَرْدَقُ الأشجّ[2]، فلما بايعوه وصعد المنبر أمر بردّ المظالم، ووضع اللعنة عن أهل البيت رضهم، وحضّ على التقوى والتواصل، وقال: والله ما أصبحتُ وبي على أهل القبلة مُوجِدة إلا على أسراف ومظلمة، ثم تصدّق بثوبه، ونزل، فكتب إليه عمر بن الخارجيّ: [بسيط].

لئن قصدت سبيل الحق يا عُمر أخـاك فـي الله أمثـالـي وأشبـاهـي
وإن لحقْـتَ بقـومٍ أنـت وارثهـم وسِـرْتَ سيـرتَهـم. فـالحكـمُ لله

---

(١) وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليالٍ «مروج الذهب جـ ٣ ص ١٨٣».
(٢) الأشجّ: الذي في جبينه أثر الشجّة.

وعزل عُمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلّب عن خراسان، وطالبه بالأموال التي أصابها من جرجان، وكان يقول: لا أُحِبُّ آل المهلّب لأنّهم جبابرة، ويزيد بن المهلّب كان يقول: إنّي لأظنّه مُرائياً، وولّى خراسان عبد الرحمن بن نُعيم الغفاريّ والعراقَ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب، وكان ينزل خُناصرة من أرض الشام، فلما مرض دخل عليه بعض بني أُميّة، فرآه على فراش من ليف تحته وسادةٌ من أُدْمٍ[1] مُسجّى بشملة، ذابل الشفة، كاسف اللون، فسبّح الله وبكى، وقال: يرحمك الله لقد خوّفتنا بالله عزّ وجلّ وأبْقيتَ لنا ذِكْراً في الصالحين، ومات رحمه الله بدير سمعان، وهو ابن تسع وثلاثين[2] سنةً سنةَ إحدى ومائة وكانت ولايته سنتين وخمسة أشهر وأيّاماً، فقيل فيه: [بسيط].

قد غَيَّبَ الدافنون[3] اللحدَ إذ دفنوا بِـدَيْـرِ سِمْعَـان قِسْطَـاسَ المَـوَازيـنِ
من[4] لم يكن هُمّهُ أرضاً يفجّرُها ولا النخيـل ولا رَكْـضُ البـراذيـنِ[5]

ولمّا مات عمر بن عبد العزيز هرب يزيد بن المهلّب عن حبسه، وصار إلى البصرة واستجاش، ودعا إلى التبّرىء من بني أُميّة والرجوع إلى الكتاب والسُنّة، وفي أيّام عمر بن عبد العزيز تحرّكت دولة بني هاشم.

ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان:

يقال له: أبو خالد عاشر بني مروان صاحب حَبابة، ولمّا ولّي استعمل على العراقين وخراسان عمرو بن هُبيرة الفزاريَّ، وبعث زيد بن مسلمة بن عبد الملك لقتال يزيد بن المهلّب، فقتله، وبعث برأس يزيد إلى يزيد وكان يزيد صاحب لهو وقَصْف وشَعِف لحبابة، واستهتر بذكرها، ثم عزم على الرشَدِ والتشبّه بعمر بن عبد العزيز، فخشيَتْ حبابة على

---

(١) أُدم: الأديم الجلد.
(٢) قيل: إنه قُبض وهو ابن أربعين سنة، وقيل: إحدىٰ وأربعين سنة «مروج الذهب جـ ٣ ص ١٩٢».
(٣) في مروج الذهب: الرامسون اليوم إذ رمسوا جـ ٣ ص ٢٠٥.
(٤) في مروج الذهب: لم يُلهِهِ عمره عينٌ يفجّرُها جـ ٣ ص ٢٠٥.
(٥) البراذين: البرذون ما كان غير أصيل من الخيل والبغال (ج) البراذين. والبراذين حيوانات عظيمة الخلقة جافيتها غليظة الأعضاء قوية الأرجل، كبيرة الحوافز وهي جلدة على السير في الشعاب والوعر.

حظّها منه، فسألت الأحوصَ أن يعمل لها أبياتاً تزيّنَ اللهو والطرب، فقال: [طويل].

ألا لا تَلمُنْــهُ اليــومَ أن يتبلّــدا فقـد غلـب المحـزون ان يَتَخلّـدا[1]
ركبتُ الصِبَى جَهْدي فمن شاء لامني ومـن شـاء آسـا فـي البـلاء وأسعـدا
إذا[2] كنتَ عِزْهاة عن اللهو والصبى فكن حجراً من يابس الصَخْر[3] جلمدَا
فمـا العيـش إلاّ مـا تلـذّ وتشتهـي وإن لام فيـه ذو الشَنّـانِ[4] وفَنّـدَا

فلما غنّته بهذه الأبيات أقبل يُردّدها، وعاد إلى ما كان عليه، ثم خلّي يوماً بحبابة، وقال لحُجّابه وخَدَمه: لا تأذنوا عليّ اليومَ لأحدٍ، ولا تُنْهوا إليّ خبراً، ولا تفتحوا عليّ باب المقصورة، وإنْ أمرتُكم وصِحْتُ بكم لأنفردَ اليومَ وآخُذَ حظّي منها، فلما استقرّ بهما المجلسُ وأخذ الشرابُ منهما غنّته عمرك إني لأحبّ سلعا، فقال: لو شِئْتِ لنقلتُ إليك حجراً حجراً، فقالت: إنّما أحبّ من به لا حجره، ثم فلقَتْ رُمّانة فتنقّل بها، فغُصَّت بحَبّة منها، فماتت، فجعل ينادي الخدم والحشم ويناشدهم وهم عنه مُعْرِضون لأمره الأوّل فبقي معها وهي ميّتة طول نهاره إلى أن أمسى، ثمّ خرج في جنازتها يحملها على عاتقهِ، وعاش بعدها خمسة عشر يوماً، ومات سنة خمس ومائة وكانت ولايته أربع سنين وشهراً.

ولاية هشام بن عبد الملك:

يقال له: أحْوَلُ بني أُميّة، ويُكنّى أبا الوليد، ولمّا بُويع له عزل عمرو بن هبيرة عن العراق، وولاّها خالد بن عبد الله القسريَّ، ثم ولاّها يوسف بن عُمر، وفي أيّامه خرج زيد ابن علي بن أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم.

مقتل زيد بن علي بن الحُسين:

وذلك أنّه قدم الكوفة وأسرعت إليه الشيعة، وقالوا: إنّا لنرجو أن يكون هذا الزمان الزمان الذي يهلكُ فيه بنو أُميّة، وجعلوا يبايعونه سراً، وبلغ الخبرُ يوسفَ بن عمر فأمر زيداً

---

(١) في مروج الذهب: يتجلّدا جـ ٣ ص ٢٠٧.
(٢) في مروج الذهب: إذا كنت لم تعشق ولم تدر ما الهوىٰ جـ ٣ ص ٢٠٧.
(٣) في مروج الذهب: الصَّلدِ جـ ٣ ص ٢٠٧.
(٤) «الشنان» أصله «الشنآن» بفتح النون الأولىٰ فسهل الهمزة بقلبها ألفاً، ثم حذف إحدىٰ الألفين. (٢) في (أبو سلام).

بالخروج، وبايعه أربعة عشر ألفاً على جهاد الظالمين والدفع على المستضعفين، ويوسفُ ابن عمر جادٌّ في طلبه، وتواعدت الشيعةُ بالخروج، وجاؤوا إلى زيد، فقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: ما أقولَ فيهما إلاّ خيراً، فتبرؤوا منه، ونكثوا بيعته، وسعَوْا به إلى يوسف بن عمر، فبعث في طلبه قوماً، فخرج زيد، ولم يخرج معه إلاّ أربعة عشر رجلاً، فقال: جعلتموها حُسَيْنِيَّة، ثُمّ ناوشهم القتالَ، فأصابه سهمٌ بلغ دماغَه، فحُمل من المعركة، ومات تلك الليلة، ودُفن، فلما أصبحوا استخرجوه من قبره، وصلبوه، فأرسل هشام إلى يوسف بن عمر أن حَرِّقْ عجل العراق، فحرّقوه، وهرب ابنُه يحيى بن زيد حتّى أتي بلخ وقال: [طويل].

خليلَـيَّ عَنِـيَ بـالمـدينـة بلغـا بني هاشم أهلَ النُّهَى والتجارب
لكـلّ قتيـلٍ معشـرٌ يطلبـونـه وليس لـزيـدٍ بـالعـراقين طـالـب

وقال الكُميت وكان دعاه زيدٌ عند خروجه إلى نصرته، فلم يُجِبْه: [وافر].

دعاني ابن الرسول، فلم أُجِبْهُ الا يـا لهْـفَ للـرأي الـوثيـق
حـذارَ منيّـةٍ لا بُـدَّ منهـا وهـل دون المنيّـة مـن طـريـق

ورأيتُ في كتاب تأريخ خورزاذ، أنّ شريكاً، قال: رأيتُ سُفْيان الثوريَّ متأبّطاً يحرُسُ جَذْعَ زيد، ورزقه ثلاثة دراهم في كلّ يوم، وكان من أعوان الشُرَط، والله أعلم، ومات هشام برُصافة من أرض قنّسرين سنة خمس وعشرين ومائة وكانت ولايته عشرين سنة إلاّ شهراً.

ولاية الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

ويقال له: الخليع بن الفاسق، وكان صاحب لعب ولهو وهو الذي يقول: [خفيف].

أشهِـدُ الله والمـلائكـة الأبـرارَ والعـابـديـن أصـلَ الصـلاح
أنّني أشتهي السماع وشُرْب البراح والعضّ في الخدود الملاحِ

وقال يوم أتاه نَعِيُّ هشام: [خفيف].

طـابَ نـومـي وطـابَ شـرب السُّلافَـةْ إذْ أتـانـي نعـيٌّ مَـنْ بـالـرَّصـافَـةْ[1]

---

(١) في مروج الذهب جـ٣ ص ٢٢٦: -
طـالَ ليلـي وبـتُّ أسقـىٰ السُّلافـة وأتـانـي نعـيُّ مـن بـالـرُّصـافـة

وكان يكتب إلى الناس: [طويل].

ضمِنتُ لكمْ إنْ لم تُعقني مَنيّتي ... بأنّ سماءَ الضُرّ عنكم ستُقْلعُ

ولما صار الأمر إليه ولّى عُشُور المدينة وسوقها ابن حرملة، وهو مولّى لعثمان بن عفّان، فكان إذا تزوّج رجُلٌ امرأةً أخذ الزكاة من مَهْرها، وإن مات أحدٌ أخذ الزكاة من ميراثه، فقالوا فيه: [طويل].

ولمّا وَليتَ السوقَ أحدثتَ سُنَّةً ... وحيديّة يعتادُها كُلُّ ظالم

وشاركتَ نسواناً لنا في مهورها ... ومن مات منّا من غنيّ وعادم

مقتل يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام:

ولمّا قُتل زيد بالكوفة هرب يحيى بن زيد، حتّى أتى بلخ، فكتب يوسف بن عُمر إلى نَصْر بن سيّار يأمره بطلبه، وأذكى عليه العيون حتّى ظفِر به، وكان نصرٌ يتشيّع سراً، فكتب إلى الوليد * * * *، فسار حتّى إذا كاد يخرج من حدود خراسان خشى اغتيال يوسف بن عمر، فكرّ راجعاً إلى شابور كرد، فاحتشد سلم بن الأعور، وقاتلهم، فهزمهم، وسار حتّى إذا كان بأرض الجُوزجان لحقه سلم، فقتله، وصلبه وحدّثني أبو طالب الصوفيّ باخميم، أنَّ الوليد هذا لعنه الله كان ماجناً سفيهاً قليل الديانة، وكان يستهدف المُصحف ويرميه ويقول: [وافر].

تُهدّدُ[1] كلَّ جبّار عنيد ... فها أنا ذاك جبّارٌ عنيدُ

إذا ما جِئتَ ربّك يومَ حشرٍ ... فقُلْ يا ربّ خرّقني وليدُ[2]

وكان نصر بن سيَّار كتب إليه يخبره أمْرَ عليّ بن الكرمانيّ، واجتماع الشيعة، فكتب في جوابه إن كل خراسان واكفيه، فإنيّ مشغول بالغريض ومَعْبَدٍ وابن عائشة، وكانت ولايته سنة وشهرين.

(١) في مروج الذهب: أَتُوعِدُ جـ ٣ ص ٢٢٨.

(٢) في مروج الذهب: الوليد جـ ٣ ص ٢٢٩.

ولاية يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

وإنما سُمّي الناقصَ لأنّه نقص الجُنْد من أرزاقهم، وكان محمود السيرة، مرضي الطريقة، وكانت ولايته خمسة أشهرُ، ومات، فلما وَلِي مروان استخرجه من قبره وصلبه، ويقال: إنه مذكور في الكتب بحسن السيرة والعدل كما قال بعضهم، يا مُبذّرَ الكنوز يا سجّاداً بالأسحار كانت ولايتك ووفاتك فتنة أخذوك، فصلبوك.

ولاية إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك

وولاية عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك :

بويع إبراهيم، وبويع بعده عبد العزيز، ولم يبايعهما مروان بن محمّد، وطلب الخلافة لنفسه، وكان سبب ذلك أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك جعل وليّ عهده من بعده ابنّه الحكم بن الوليد، فقُتل مع أبيه الوليد يومَ قُتل وكان قال: [وافر].

فـإن أَهْلِـكْ أنـا ولـيُّ عهـدي ... فمـروانٌ أميـر المـؤمنينـا

فقاتلهم مروان وهزمهم، ثم جاء إبراهيم بن الوليد، وخلع نفسه ودخل في طاعة مروان، فلما رأى ذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، بعث يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ إلى السِجْن، وقتل يوسف بن عمر بن هبيرة، بخالد بن عبد الله، وكانت ولاية إبراهيم شهرين ونصفاً.

ولاية مروان بن مُحمّد بن مروان بن الحكم :

يقال له: مروان الجعديّ ويُلقّب بحمار الجزيرة، وكانت بنو أُميّة يكرهون الإماء لأنه بلغهم أن ذهاب ملكهم على رأس أمة، ومروان أُمّه كرديّة، وقيل له: الجعديُّ لأنّ جعد بن درهم الزنديق كان غلب عليه، وفيه يقول الشاعر: [سريع].

أتـاك قـومٌ بـرجـالٍ جُـرْدِ ... مخـالفـاً ينصُـرُ دِيـنَ الجعـدِ
مُكـذّبـاً يجحـدُ يـومَ الـوَعْـد

وبُويع مروان سنة سبع وعشرين، وصار الأمر إلى بني العبّاس سنة اثني وثلاثين ومائة وقُتل مروان في هذه السنة، وكانت ولايته خمس سنين، وخرج عليه الضحّاك بن قيس الخارجيّ من شهرزور، فقاتله واستعمل مروان على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، وأقرّ نصر بن سيّار على خراسان، ثم انتقض أمر بني أميّة بظهور أبي مُسلِم الخرسانيّ.

الفصل الثاني والعشرون

في صفة بني هاشم وعدّة خلفاء بني العبّاس من اثنتي وثلاثين ومئة إلى سنة خمسين وثلاثمائة

ذكر إبتداء أمرهم:

رُوي في بعض الأخبار أنّ النبيّ ﷺ أعلم العبّاس استيلاء ولده على الخلافة، واستأذنه العبّاس في أن يختصى أو يُجَبَّ مذاكيره، فقال: لا فإنّه أمرٌ كائنٌ، والله أعلم بالحقّ والصدق، ومات العبّاس رضي الله عنه في خلافة عثمان بن عفّان، ودُفن بالبَقيع، وجلس عثمان على قبره حتى دُفن، ومات عبد الله ابن العبّاس بالطائف في فتنة ابن الزبير سنة ثمان وستّين، ومن ولده عليّ بن عبد الله أبو الخلفاء، ويقال له: السجّاد لأنّه كان يصلّي كلّ يوم وليلة ألف ركعة.

وروي أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه افتقد يوماً عبد الله بن العبّاس في وقت صلاة الظهر، فسأل عنه فقالوا: وُلد له مولودٌ، فقضى عليٌّ صلاتَه، فقال: امضوا بنا إليه، فأتاه وهنّأه، وقال: ما سمّيته؟ فقال: ما يجوز لي أن أسمّيه حتى تُسمّيه، فأخذه وحرّكه، ودعا له، ثم ردّه إليه، وقال: خذ إليك أبا الأملاك ويقال: هاك أبا الخلفاء، وقد سميّتُه عليًّا وكنيته أبو محمّد، وكان يُدعَى السجّاد ذا الثفنات لأنّه كان له خمس مائة أصل زيتون، وكان يصلّي كلّ يوم إلى كلّ أصل ركعتين، وضربه الوليد بن عبد الملك بالسياط مرّتين إحداهما في تزويجه بنت عبد الله بن جعفر وكانت عند عبد الملك بن مروان، فطلّقها لأنّه عضّ على تُفّاحة ثم رمى بها إليها فأخذت سكّيناً، فقال: ما تصنعين؟ قالت: أُميطُ[1] الأذى عنها، فكان عبد الملك أبْخَر، فطلّقها، فقال له الوليد: لِمَ تزوّجتَ بها. قال: لأنّي ابن عمها، وقد أرادت الخروج من هذا البلد، فزوّجتها لأكون لها محرماً، فقال الوليد: إنّما تتزوّج

---

(١) أميط: أماطه: نحّاه وأبعده، يقال: أماط الأذى عن الطريق، أي نحّاه.

بأمهات الخلفاء لتضع منّا لأنّ مروان بن الحكم تزوّج أمّ خالد بن يزيد ابن معاوية لتضَع منه، والثانية في قوله: إنّ هذا الأمر يكون في ولدي.

قال ابنُ الكلبيّ، فضربه سبع مائة سَوْطٍ، وحمله على بعير ووجههُ ممّا يلي ذنب البعير، وصائحٌ يصيح عليه هذا علي بن الله الكذّاب، فأتاه آتٍ، فقال: ما هذا الذي نسبوه إليك؟ فقال: بلغهم قولي أنّ هذا الأمر سيكون في ولدي. قال: والله ليكوننّ حتى يملكهم عبيدهم الصغار الأَعْيُن العراض الوجوه ـ يعني الترك ـ وقد روى الواقديُّ أنّ عليّ بن عبد الله وُلد ليلة قتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت بنو أُميّة يمنعون بني هاشم من تزويج الحارثيّة للخبر المرويّ أنّ هذا الأمر يتّم لابن الحارثيّة، فلما قام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بالأمر أتاه محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس فقال: إنّي أُريد أن أتزوّج ابنة خالي من بني الحارث بن كعب، أفتأذن لي؟ قال: تزوَّج من شِئْتَ، فتزوّج رَيْطة بنت عبد الله بن عبد المدانِ، فأولدها أبا العبّاس، وكان بين محمد وأبيه عليّ أربعة عشر سنة. قالوا: ودخل عليّ بن عبد الله بن العبّاس على هشام بن عبد الملك، ومعه الخليفتان أبو العبّاس، وأبو جعفر، فقال هشام: إنّ هذا الشيخ قد اختلّ، واختلط، يقول: إن هذا الأمر ينتقل إلى ولده، فسمِع عليٌّ، فالتفت إليه، فقال: والله ليكوننّ ويملكنّ هذان وأشار إليهما، وكان محمّد بن الحنفيّة أخبر محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس أنّ الخلافة صائرة إلى ولده، فقال له: إذا مضَتْ مائة سنة، فوجِّهْ دُعَاتَك واعلم أنّ الأمر يتم لابن الحارثيّة من ولدك، فابتدأ الإمام محمّد بن عليّ في دعاء الناس سنة مائة، فأوّل من استجاب له أربعة نفر من أهل الكوفة، المنذر الهمداني، وأبو رياح النبّال، وأبو عمر البزّاز، ومصقلة الطحّان، وأمرهم أن يدعو الناس إلى إمارته، ولا يجوز الكوفة، فاستجاب لهم نفرٌ بكر بن ماهان المروزيّ، وأبو سلمة الخلاّل، وغيرهما، فاستأذنوه في بثّ الدعوة، فقال محمّد الإمامُ الكوفة شيعة عليّ، والبصرة شيعة عثمان والشام لا يعرفون إلاّ آل أبي سفيان، ومكّة والمدينة قد غلب عليها أبو بكر وعمر لكن عليكم بخراسان، فأنّي أتفأل إلى مطلع الشمس سراج الدنيا، ومصباح الخلق، وكان هذا في سنة مائة من الهجرة في ولاية عُمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه.

وفي سنة إحدى ومائة وجّه أبو رياح النبّال دُعاتَه إلى خراسان يدعون إلى إمامة بني هاشم وولاية أهل البيت، فجعلوا يدعونهم سراً، واستجاب لهم ناسٌ، فلما كان سنة أربع ومائة قدِم أبو عكرمة من خراسان على محمّد بن عليّ الإمام في جماعة من أصحابه، وقد

مهّدوا الأمرَ له وفي هذه السنة وُلد أبو العبّاس، فأخرجه إليهم محمّد في خرقةٍ، وقال: إنّ الأمر يتمّ لهذا ويقوم به، حتّى تُدركوا أثاركم من عدوّكم وكان في ولاية هشام بن عبد الملك بن مروان، وجّه أبو هاشم بكرُ ابن ماهان المروزيُّ أبا محمد الصادق في جماعة من الشيعة إلى خراسان دُعاةً، فنزلوا مَرْوَ الرُّوذ، فاستجاب لهم قوم، فنقبوا عليهم اثني عشر نقيباً، منهم سليمان بن كثير الخزاعيّ، وقحطبة بن شبيب الطائيُّ، ولا هز بن قريظ التميميّ، فوشى بهم واشٍ إلى أسد بن عبد الله القسري أخي خالد بن عبد الله، وكان خليفةً على خراسان لهشام بن عبد الملك، فقبض عليهم، فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وعفا أثرُ القوم إلى سنة سبع عشرة ومائة، ثمّ تحوّلوا، وأفشوا الدعوة، فأخذ أسد بن عبد الله لاهز بن قريظ، فضربه ثلاثمائة سَوْطٍ، وألجم موسى بلجام، ثم جذبه، فحطم أسنانه، وضرب من أصحابه ومن تُبّاعهم، وخلّى سبيلهم.

وفي سنة ثمان عشرة ومائة مات أبو محمّد علي بن عبد الله بن العبّاس بالحميمة من إرض الشام وفي هذه السنة وجه بكر بن ماهان عمّار بن بديل والياً على الشيعة بخراسان، فجاء حتى نزل مرو، وغيّر اسمه، وتسمّى بخداشٍ، فسارع الناسُ إلى الإستجابة له، ثم لم يلبث أنْ غيّر ما دعاهم إليه ومثّل لهم الباطل في صورة الحقّ، فرخّص لبعضهم في نساء بعض، وهو أوّل من أبدأ مذهب الباطنيّة في الأرض، وزعم أنّه أمرُ الإمام محمّد بن علي ودينُه وشريعته، فأخذه أسد بن عبد الله القسريُّ، فقطع يديه ورجليه ولسانه وسمل[1] عينيه، وفعل من ظفر به من أصحابه كذلك، ثم كتبت الشيعة من خراسان إلى الإمام محمّد ابن عليّ بأن يقدَم عليهم والإمام مشمئزٌ منهم لإتباعهم رأي خداش، فكتب إليهم كتاباً، فلما فكّوه لم يجدوا فيه غير بسم الله الرحمن الرحيم، فهالهم ذُلك، وعرفوا أنّ ما جاءهم به خداش باطلٌ، ثمّ وجّه الإمام بكر بن ماهان، وكتب معه، أنّ خداشاً حمل الشيعة على غير منهاجه، فكذّبه من بقي منهم على رأي خداش، واستخفّوا به، فرجع وردّه إليهم ثانياً ومعه عِصِيٍّ، وأمره أن يدفع إلى كلّ رجل من الرؤساء والدُّعاة والنقباء عصىً يكون علامةً بينه وبينهم لأنّ أبا رياح النبّال كان وعدهم ذلك من الإمام، فلمّا أتاهم بها عرفوا أنّه الحقّ تابوا ورجعوا، وفي سنة خمس وعشرين ومائة سار النقباء من خراسان إلى الكوفة، فأتوا يونس بن عاصم العجليّ، وهو في حبس ابن هبيرة وأبو مُسلم غلامُه يخدمه، وقد فهِم الدعوة

(١) سمل: سمل العين: فقؤها بحديدة محماة وقلعها.

وسارع إليها، فلما رأته النقباء وفيه العلاماتُ تفرّسوا فيه ارتفاع الأمر على يديه، ثم سارت النقباء إلى مكّة، فلقوا الإمام إبراهيم بن محمد بن عليّ، فأخبروه بخبر أبي مسلم وأعطوه مالاً كانوا حملوه من خراسان، فقال لهم إبراهيم: إنْ كان أبو مسلم عبداً، فاشتروه، وإن كان حُراً، فخذوه معكم، وفي سنة ثمان وعشرين ومائة في ولاية مروان بن محمّد وجه إبراهيم الإمام أبا مسلم إلى خراسان، وكتب معه إلى الشيعة بتأميره عليهم، فوقعت الفتنةُ بخراسان، وذلك أنّه لمّا قُتل يحيى بن زيد بن عليّ رضي الله عنهم اختلف الناسُ، فحبس نصر بن سيّار عليَّ بن الكرمانيَّ في قُهندِز مرو، واحتال ابن الكرمانيّ، وانسلّ من مجرى الماء، وجمع الناس، واحتشد، وزعم أنّه يطلب الكتاب والسُنّة والرضا من آل محمّد ﷺ، فإنه لا يرضى بنصر وعُمّاله وُلاةً على المسلمين.

[إبتداء خروج أبي مسلم]:

فتشوّشت لذلك واضطربت، فأصاب أبو مسلم الفرصة وجدّ في إقامة الدعوة ونصرُ بن سيّار يُناوش ابنَ الكرمانيّ لا يتفرّغ لأبي مسلم، وقد بثّ الدُّعاة في الأقطار، فدخل الناس أفواجاً أفواجاً، وفشت الدعوة، ثم كتب الإمام إبراهيم إلى أبي مسلم، أنْ يوافي الموسم ويحمل ما جبي من الأموال، فخرج أبو مسلم، وحمل ثلاثمائة وستّين ألف درهم سوى الأمتعة والحمولات، وخرج معه النقباءُ وعدّة من الشيعة، فلقِيه كتاب الإمام في الطريق ولواءٌ عقده له يأمره بالإنصراف إلى خراسان وإظهار الدعوة، فبعث قحطبة بن شبيب بالمال، وعاد أبو مسلم حتى قدِم مرو مستخفياً، وواعد الشيعة في الآفاق والنواحي أن يوافوه يوم الفطر، فخرج وأمر قاسم بن مجاشع أن يصليّ بهم، فصلّى وهي أوّل جماعة بني العبّاس، ثم كتب أبو مسلم إلى الشيعة في الكوفة بإظهار الدعوة ومكاشفة أعمال أعوان بني أمية، وأقبل أبو مسلم حتّى نزل خندق نصر بن سيّار وعند خندق علي بن الكرمانيّ، وكثُرت جموعه، وهو يُظِهر لكلّ واحد منهما أنّه معه ويَعِده النصر على صاحبه، فلما قَوِيَ أمرهُ وتكاشف بؤسه هابه الفريقان، وكتب نصر بن سيّار إلى مروان يخُبره بذلك: [وافر].

أرى[1] خلَلَ الرماد وميضَ جَمْرٍ ... ويُوشِكُ أن يكون لها ضرامُ
فإنّ النار بالعُودَيْن تُذكَيَ ... وإنَّ الشر يُنتجه الكلامُ[2]

---

(١) في مروج الذهب: بين، جـ ٣ ص ٢٥٥.
(٢) في مروج الذهب: وإن الحرب أولها الكلام، جـ ٣ ص ٢٥٥.

أقولُ من التعجّب: ليت شِعْري أَيُقَـــاظٌ[1] أميّـــةُ أم نيـــامُ؟

فكتب إليه مروان، أمّا بعدُ، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فَٱحْسِم الثُؤلُولَ[2] قِبَلَكَ، فقال نصرٌ لأصحابه: قد[3] أعلمكم صاحبكم أنّه لا قوّة عنده، فاحتالوا لأنفسكم، ثم لم يلبث نصر إلاّ قليلاً حتّى خرج هارباً إلى نيسابورَ، وبعث أبو مسلم في أثره، ففاته، وبعث في الليل إلى منازل قُوّاده ونقبائه، فاستحضرهم وضرب أعناقهم، ونصب رُؤُوسهم في المسجد، فلما أصبح الناسُ ونظروا إليها هالهم ذلك ودخلهم رَعْبٌ عظيم وعظُم أبو مسلم في نفوسهم، وانكسرت مُضَر، وبعث قحطبة بن شبيب الطائيّ في أثر نصر بن سيَّار، وخرج قحطبة على طريق جُرجان، وفيها ابنُ حنظلة عاملٌ لمروان، فخرج إليه، فقاتله قحطبة، فقتله وخرج نصر بن سيّار إلى ساوة، فمات بها، وسار قحطبة إلى الريّ، ووافى أبو مسلم نيسابور ليكون رِدْءاً لقحطبة، وجعل يمدّه بالأموال والرجال، فبعث ابنَه الحسن بن قُحطبة إلى نهاوند، فاستنزلهم، وبذل لهم الأمان إلاّ من كان من أهل خراسان، فإنّه قتلهم كلَّهم لأنّهم خرجوا من خراسان عند ظهور أبي مسلم، وسار قحطبة إلى العراق، وجاء يوسف بن عمر بن هبيرة خليفة مروان على العراق حتّى نزل جلولاء، وخندق بها، ونزل قحطبة حُلوانَ، وقدّم ابنَه إلى حانقين، وأبو مسلم يقدّم ابنَ الكرمانيّ في هذه الأحوال كلّها، ويسلّم عليه بالإمارة، ويُريه أنّه يتّبعه ويعمل برأيه استظهاراً منه على ربيعة ومُضَر، فلمّا أفنى ربيعة ومُضر وثب على ابن الكرمانيّ، فقتله وصَفَت المملكة له، وأمدَّ قحطبة بالأموال والرجال، فلمّا ترادفت الأمداد إليه سار إلى جلولاء، وانصرف يوسف بن عمر بن هبيرة إلى العراق، واستولى قحطبة على ما وراء دجلة، وأبو سلمة السبيعي رأسُ النقباء بالكوفة في جمع كثير من العرب، والخراسانية، وهي سنة إحدى وثلاثين ومائة وحجّ في هذه السنة الإمامُ إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، ومعه أخواه أبو العبّاس، وأبو جعفر، وولده، ومواليه على ثلاثين نجيباً عليهم الثياب الفاخرة، والرحال، والأثقال، فشهره أهل الشام، وأهل البوادي، والحرمين مما انتشر في الدنيا من ظهور أمرهم، وبلغ مروان خبرُ حجّهم، فكتب إلى عامله بدمشق الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم يأمره بتوجيه خيل إليه، وكان مروان بأرض الجزيرة يقاتل الشُراة، فوجّه إليه الوليدُ خيلاً،

---

(١) في مروج الذهب: أَيقاظٌ، جـ ٣ ص ٢٥٥.

(٢) التؤلول: بثر صغير مستدير كالحمّصة أو دونها، يظهر على الجلد.

(٣) في مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٥٦: أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده.

فهجموا على إبراهيم فأخذوه، وحملوه إلى سجن حرّان، وأثقلوه بالحديد وضيّقوا عليه الحلقة، حتّى مات، فدُفن بقيده، ولمّا أحسّ إبراهيم بالطَّلَب أوصى إلى أبي العبّاس، ونعى نفسه إليه، وأمره بالمسير إلى الكوفة بأهل بيته، فسار أبو العبّاس، وأخوه أبو جعفر، وعمّاه داود بن عليّ، وعبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، وابن عمّه موسى بن داود بن عليّ ستّة رجال شايعهم يحيى بن جعفر بن شمام ابن العبّاس، حتى قَدِموا الكوفة مستخفين، وجاء الشيعةَ نعيُ إبراهيم الإمام فقال أبو هُدبة: [بسيط].

ناعٍ نعى لِيَ إبراهيمَ قلتُ له ... شلّت يداك وعِشْتَ الدّهرَ حَيْرانا
نعى الإمام وخير الناس كلّهُمُ ... أَثخنَتْ عليه يدُ الجعديّ مروانا

وأنزلهم أبو سلمة في دارٍ، وكتم أمرهم، وقال: ينبغي أن يتربّصوا، فإن الناسَ بايعوا إبراهيم، وقد مات، ولعلّ يحدُث بعده أمرٌ، وأراد أن يَصْرِف الأمرَ إلى ولد عليّ بن أبي طالب لأنّ أوّل الأمر كان دَعوا الناس إليهم، فكانوا في حصنه نحواً من شهرين، وعسكر أبو سلمة بحمام أعْيُن، وفرّق عُمّاله في السهل والجبل، وكتب إلى جعفر بن محمّد، وإلى عبد الله بن الحسين، وإلى عمر بن الحسين بن علي، ودفعها إلى رجل، وأمره أن يَلْقى جعفر بن محمّد، فإن قَبِلَ ما كتب به إليه مزّق الكتابين، وإنْ لم يقبل لقِي عبد الله بن الحُسين بن الحسن، فإن قبل مزّق الكتاب الثالث، فإن لم يقبل لقي عمر بن علي بن الحسين بن عليّ، فقدم الرسول المدينةَ، ولقي جعفر بن محمّد بالكتاب ليلاً، فقرأ الكتاب، وسكت، فقال له الرسول: ما تُجيبُ؟ فقدّم الكتاب من السراج. وأحرقه، وقال: هذا[1] جوابه، فلقى الرسول عبد الله بن الحسين بن الحسن، وأوصل الكتاب إليه، فقبل وأجاب إلى ذلك، فأشار عليه جعفر بن محمّد بالإعراض عنه، فإنّ أبا سلمة مخدوعٌ مقتولٌ، وإنّ هذا الأمر لا يتمّ لكم، فإنّ أبا هاشم أخبرهم أنّه يكون في ولد العبّاس، وفاتَ الوقت الذي كان قومٌ ينتظرونه بخروجهم، فارتاب أهل خراسان، فاجتمعوا إلى أبي سلمة، وقالوا: قد خرجنا من قعر خراسان إليك، وقد مضى من الوقت ما ترى، فإمّا أنْ تُخرج إلينا الإمام الذي دعَوْتَنا إليه، وإمّا أنْ نعود إلى أوطاننا، وكان الناس يُسمُّونهم المسوّدة لسواد ثيابهم، وكتب أبو مسلم إلى قُحطبة أنْ صادِمْ ابن هُبيرة، فالتقيا بفم الزاب، وهو على عشرين فرسخاً من الكوفة، فانهزم ابنُ هبيرة، ومضى إلى واسط، وتحصّن فيها، وفَقِدَ

(١) عرّف صاحبك بما رأيت، «مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٦٩».

قحطبة، فلم يُدْرَ أَقُتل أمْ غرِق، وولي أمر المسوّدة حميدُ بن قحطبة، فسار في أثر ابن هبيرة، فحاصره، وكان أبو مسلم واعد إبراهيم الخروج يومَ كذا من شهر كذا، وبعث معهم القُوّاد والنقباءَ الذين كانوا استجابوا له، وتابعوه إلى الكوفة لذلك اليوم، وبعث معهم بالسواد، والسَّيْف والمراكب، وما يحتاج الإمامُ إليه من المال والفُرْش والأثاث والسلاح، ففات الوقتُ، ولم يَرْوا من ذلك شيئاً لموت إبراهيم وغَدْرِ أبي سلمة، وكان يقال لأبي سلمة: وزير آل مُحمّد، فناظروا بأبي سلمة في ذلك، وألحوّا عليه، فقال أبو سلمة: لا تعجلوا، وجعل ينتظر ورود مَنْ كاتبهم من العلويّة، وكان أبو حميد السمرقنديُّ أحدُ القُوّاد أهدى غلاماً خوارزميّا، يقال له: سابق إلى الإمام إبراهيم، فلقيه في بعض الطريق، فسأله عن الإمام، فأخبره أنّه في دار بني فلان، وأنّ أبا سلمة ينهاه عن الظهور والخروج، فقال له أبو حميد: خُذْني إليه، فقال: لا أفعل إلاّ بإذنه، قال: فأستأْذِنْه وأَعْلِمْني، فذهب سابق إليهم، فأخبرهم بخبر أبي حميد، فخشوا وهابوا، وقالوا: لا نأمن إنْ أظهرنا حميداً على أمرنا أنْ يقتلنا أبو سلمة لأنّه كان يحذرهم الخروج، فقال أبو العبّاس: إلى متى نحنُ خُفْيَةٍ وقد أوعدَنا أبو هاشم أنّ الأمر صائرٌ إلينا؟ فهاتِ أبا حميد، فخرج سابق إلى أبي حميد، فجاء به، فلما بلغ الدارَ. قال له سابق: ألقِ عنك سلاحك وسوادَك، فإنهم يهابونك، فألقى سلاحه، ثم دخل، فلما رأى شيعتهم سلّم عليهم، ووقف وقال مَنْ إبراهيم الإمامُ منكم؟ قالوا: ذاك قد مضى لسبيله، فاسترجع وترحّم عليه وعزّاهم عنه، ثم قال: مَنْ ابن الحارثيّة منكم؟ فأشاروا إلى ابن العبّاس، فسلّم عليه بالخلافة، وقبّل الأرض بين يديه، وقال. هذا إمامكم، وخليفتكم، وخرج، فأخبر القُوّادَ، والنقباءَ، فأسرعوا إليه، وسرّوا به، وسلّموا عليه بالخلافة، وبلغ الخبر أبا سلمة، فانتقض عليه تدبيرُه، وجاءَ، فاعتذر، وقال: إنّما أردتُ بما فعلتُ الخيرَ، فقال له أبو العبّاس: قد عذرناك غير مُعتذر حقّك لدَيْنا مُعظَّمٌ، وسالفتُك في دولتنا مشكورةٌ، وزلّتُك مغفورة، فارجِعْ إلى مُعسكرك لا يدخله خَلَلٌ.

ابتداء خلافة بني العبّاس:

وخرج[1] أبو العباس ليلة الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأوّل في مثل مَوْلِد

---

(١) بويع أبو العبّاس ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليل خلت من ربيع الآخر، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر. وقيل: في النصف من شهر جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، «مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٦٦».

النبيّ ﷺ يومَ هجرته سنة اثنتي وثلاثين ومائة وعليه دُرّاعة سَوّداء، وكساءٌ أسوَدُ، فصلّى المغرب في مسجد بني أيّوبَ، فهي أوّل صلاةٍ صلاّها في الخلافة، ودخل منزله، فلمّا أصبح غدا عليه القُوّادُ في التعبية، والهيبة، وقد أعدُّوا له السواد، والمركب، والسَّيْف، فخرج أبو العبّاس في من معه إلى قصر[1] الإمارة، ثم خرج إلى المقصورة، وصعد المنبر وجلس وصعِد معه عمُّه داود بن عليّ، وكان فصيحاً بليغاً، وقد اجتمع القُوّاد وأعيان الناس، فقال: والله[2] ما قام على منبركم هذا أحدٌ بعد رسول الله ﷺ أحقّ به من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمير المؤمنين هذا ابسُطْ يَدَكَ أُبايعك، فبسط يده، فقال داود: أنا داود بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب، وقد بايعتُك، ثم نزل، فصعد أبو جعفر أخوه، فبايعه، ثمّ بايعه أهل بيته، وبنو هاشم، ثم القوّاد، ثم الرعايا، ولم يزالوا يضربون على يده إلى أن أذّن للصلاة قام أبو العباس، فخطب، وصلّى، ثم ركِب حتى أتى مُعسكر أبي سلمة حفص بن سليمان، فنزل، وجاء أبو سلمة، فبايعه، وبايعه أهل عسكره، فوجّه أخاه أبا جعفر لمعاضدة ابن قحطبة، ووجّه عمَّه عبد الله بن عليّ إلى مروان، وهو نازلٌ بالزاب، وولي خالد بن برمك الخراج، وابن أبي ليلى القضاءَ، وسابق الخوارزميّ الشراب، وأكمن رجالاً، ففتكوا بأبي سلمة، وأرجفوا بأنّ الخوارج قتلَتْه، ثم ارتحل أبو العبّاس من الهاشميّة إلى الحيرة، فنزلها، وبعث الوفود ببيعته في سلطانه، واستأمن ابن هُبيرة، فآمنوه، وقتلوه، وواقع عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس مروان بن محمّد، فهزمه، وانتهب مُعسكره، فمرّ مروان على وجهه حتّى أتى الموصل، فلم يُفتَح له ومضى، فعبر جسر الفرات فوق حرّان، وأحرق السُفُن، فنزل عبد الله بن عليّ على الفرات يصلح السُفُن ليعبرُ، وفتح الوليدُ بن معاوية ابن عبد الملك بن مروان الخزائن، وفرض للناس، واجتمع إليه خمسون ألفاً من المقاتلة بدمشق، وجمع مروان جمعاً عظيماً بنهر فطرُس من أرض فلسطين، وبعث أبو العبّاس أخاه أبا جعفر إلى أبي مسلم بخراسان يخبره بغدر أبي سلمة، ويعتذر من قتله، فبايعه أبو مسلم ببيعة أهل خراسان له، ووصل أبا جعفر بمال له خطرٌ ومقدارٌ، وحمل إلى أبي العبّاس خيلاً ورقيقاً وسلاحاً وهدايا جمّةً، وعبر عبد الله ابن عليّ الفراتَ، وحاصر دمشق، حتى افتتحها، وقتل من بها من بني أُميّة، وهدم سورها

(١) قصر الإمارة:

(٢) إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله (ﷺ) خليفة إلا عليّ عليه السلام وأمير المؤمنين هذا الذي خلفي، «مروج الذهب» جـ ٣ ص ٢٧٠.

حجراً حجراً، ونبش عن قبورهم، فأحرقهم وأحرق عظامهم بالنار، ولم يجد في قبر معاوية عليه اللعنة إلاّ خطاً أسودَ كأنّه رَماد، ولا في قبر يزيد لعنه الله إلاّ فقارة ظهره، فأحرقه، وبعث بمن ظفِر به من أولادهم، ومواليهم إلى أبي العبّاس، فقتلهم، وصلبهم كلّهم بالحيرة، وارتحل عبد الله بن عليّ نحو مروان، فهزمه، واستباح عسكره، ونزل في مُناخ الإستراحة، واجتمع رؤساء بني أُميّة اثنان وثمانون رجلاً جاؤوا يستأذنون على عبد الله معتذرين، فأذن لهم، وقد أكمن رجالاً من المسودّة ومعهم الكافر كوبات، وقال: إذا ضربتُ بقلنسوتي الأرض، فابرزوا ودخل القومُ، فسلّموا عليه بالخلافة، فنادى، يا حسن ابن عليّ، يا حسين بن عليّ يا زيد بن عليّ، يا يحيى بن زيد ما لكم لا تُجيبون؟ وتُجيب بنو أُميّة، فأيقن القوم بالهلاك، وأنشأ عبد الله يقول: [كامل].

حَسِبَتْ أُميّةُ أنّ استرخي هاشمٌ عنها ويذهبُ زيدُها وحُسينُها
كلاّ وربُّ محمدٍ وكتابه حتّى يُشارَ كفورُها وخَؤونُها

ثم ضرب بقلنسوته الأرضَ، وقال: يا ثارات الحُسين، فخرجت المسوَّدة ودقوّهم بالكافر كوبات حتّى شدخوهم[1] عن آخرهم، ثم دعا بالبُسُط والأنطاع[2] وفرشها عليهم، ودعا بالطعام، فأكل فوق هامِهم، وإنَّ منهم لَمنْ يأنُّ أسىً، وقال: ما أكلتُ طعاماً مُذْ سمِعتُ بقتل الحسين أطيبُ من هذا، قالوا: وحلف ناسٌ من أهل الشام أنّهم ما علموا لرسول الله قرابةً غير بني أُميّة، وبعث عبد الله بن عليّ في أثر مروان، فلحِقوه ببوصير من حدود مصر، فقتله، وبعث برأسه إلى أبي العبّاس، فبعثه أبو العبّاس إلى أبي مسلم، وأمره أن يُطاف به في خراسان، وقالوا: ولمّا أيقن مروانُ بالهلاك دفن قضيبَ رسول الله ﷺ ومخصفته[3] في رَمَلٍ كي لا يعثر عليه أحدٌ ولا ينالُ، فدلهم عليه خصيٌ من خِصْيانه، فأستُخرجا وبُعث بهما إلى أبي العبّاس، ويقال: إنّ[4] الذي قتل مروانَ عامرُ بن إسماعيل من أهل مرو.

---

(١) شدخوهم: شدخ الشيء: شجّه وكسره.
(٢) الأنطاع: النطع: بساط من جلد، كثيراً ما كان يُقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل (ج) أنطاع ونطوع.
(٣) مخصفته: المخصف: المخرز.
(٤) قيل: إن ابن عم لعامر يقال له: نافع بن عبد الملك كان قتله في تلك الليلة في المعركة وهو لا يعرفه، «مروج الذهب» جـ ٣ ص ٢٧١.

خروج السفياني على أبي العبّاس:

وفي السنة الثانية من ولاية أبي العبّاس، وهي سنة ثلاث وثلاثين ومائة خرج زيادُ بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بحلب، وبيّضوا ثيابهم وأعلامهم، وادّعى الخلافة، فبعث أبو العبّاس أخاه، فأتاه من جانب الجزيرة، وجاءه عبد الله بن عليّ من فوقه، فواقعاه وهزّماه، ومزّقوا جموعه كُلَّ ممزَّقٍ، وقتلوا منهم ما لا يُحصَى، ثم أذكوا العيون على الأمويّين يقتلون رجالهم ونساءهم، وينبشون عن قبورهم، فيُحرقونهم، فمن ثَمّ سُمّي عبد الله بن عليّ السفّاح وفيه يقول الشاعر: [متقارب].

وكانت أُميّةُ في ملكها   تجولُ وتُظهِرُ طُغيانَها
فلمّا رأى الله أنْ قد طغَتْ   ولم تُطِقِ الأرض عُدْوانَها
رماهم بسفّاحِ آل الرسولْ   فحزّ بكفَّيْه أذقانَها

وفي السنة الثالثة من ولاية أبي العبّاس، انتقض أمرُ بخارا بنجوم شُريك بن شيخ الفِهْريّ في ثلاثين ألفاً من فِلال العرب وسائر الناس، ونقموا على أبي مسلم سَفْكهُ الدِماءَ بغير حقّ، وإسرافه في القتل، فنهض أليهم أبو مسلم وعلى مقدّمته زياد بن صالح وأبو داود خالد بن إبراهيم الذُهْلي، فناجزهم وقتل شريك بن شيخ، وافتتح بخارا[1] والسُغْدَ ثانياً، وأمر ببناء حائط سمرقند ليكون حصناً لهم إن دحمهم عدوٌ، وبعث زياد بن صالح، فافتتح كورَ ما وراء النهر حتّى بلغ طرازاً وأطلخ[2]، فتحرّك أهلُ الصين، وجاؤوا أكثر من مائة ألف وتحصّن سعيد بن حُميد في مدينة الطراز، وأقام أبو مسلم في مُعسكره بسمرقند، واستمدّ العُمّال، وحشر المطوّعة إلى سعيد بن حُميد، فواقعهم دفعاتٍ، وقتل منهم خمسةً وأربعين ألفاً، وأسر خمسة وعشرين ألفاً، وانهزم الباقون، فاستولى المسلمون على عسكرهم، وانصرف إلى بخارا، وبسط يده على ملوك ما وراء النهر، ودهاقينها، فضرب أعناقهم، وسبى ذراريهم، واستصفى أموالهم، وعبر النهر من السبي غير مرّة بخمسين ألفاً وهمّ أبو مسلم بغزو الصين، وهيّأ أُهْبَةً لذلك، فشغله عنه إظهارُ زياد بن صالح كتاباً من أبي العبّاس بولايته على خراسان من غير أن كان لذلك أصلٌ، فعمل أبو مسلم في ذلك حتّى قتل زياداً،

(١) السُّنْد: ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة بين بخارىٰ وسمرقند، وقصبتها سمرقند.

(٢) أطلخ:

وبعث برأسه إلى أبي العبّاس، وكتب إليه يستأذنه في الحجّ، واختار من جلّة رجاله خمسة آلافٍ، فقدّمهم أمامه، وخرج واستخلف على خراسان أبا داود، فلما انتهى إلى الريّ تلقّاه كتاب أبي العبّاس بتخليف من معه من الجنود بالريّ، وأن تقدم عليه في خمس مائة رجل، فكتب إليه، أنّي قد وترْتُ الناسَ ولا آمنُ على نفسي ألاّ أكون في كَنَفٍ قويٍّ، فكتب إليه، أن أقبَلْ في ألفٍ فلما بلغ أبو مسلم الحيرة تلقّاه أبو العبّاس في بني هاشم، وسائر القُوّاد من العرب والموالي، وبالغ في إلطافه وتكرمته، وشكر صنيعه، وأشار أبو جعفر عليه بقتله، فقال أبو العبّاس، يا أخي قد عرفتَ بلاءَه عندنا، وقيامَه بأمرنا، وسابقتَه في دولتنا، قال: إنّ في رأسه، وإنّما بلغ ما بلغ بدولتنا وأيّامنا، فتغدَّ به قبل أن يتعشَّ بك، قال: وكيف الحيلة فيه؟ قال: إذا دخل عليك، فاشغلْه بالكلام حتّى آتيه من ورائه، فأضربُهُ عنقَهُ، قال: دونك فاصنع ما أنت صانع، ودخل أبو مسلم للسلام، فأخذ أبو العبّاس يسأله عن وقائعه وحِيَله إذْ أدركَتْه حالةٌ صرفَتْه عمّا همّ به، فقال لبعض شاكريّته: قُلْ لأبي جعفر لا يفعل ذاك، ثم قال لأبي مسلم: لولا أنّ أبا جعفر ولّي ابنَ أخيه أميراً على الحاجّ لكنتَ أنت، فخرج أبو جعفر وأبو مسلم بتقدمته حتّى إذا بلغ صُفَيْنَةَ موضعاً بين البُستان وذات[1] عِرقٍ بلغه خبر وفاة أبي العبّاس، فسار حتّى حجّ بالناس، وأقبل منصرفاً إلى الحيرة.

خروج عبد الله بن عليّ على أبي جعفر:

ولما مات أبو العبّاس ادّعى الخلافةَ عبدُ الله بن علي، وبايعه أهلُ الشأم والجزيرة، وذلك أنّ أبا العبّاس لمّا ظهر أمرُه، وضع سَيْفاً، وقال: من تقلّد هذا السيف، وسار إلى مروان، فقاتله، فله الخلافة بعدي، فتحاماه الناسُ وقام عبد الله بن عليّ، فتقلّده، وسار فقاتل مروان، فقتله، فلما مات أبو العبّاس قام بالخلافة، وبايعه الناس على ذلك، وكان أَجْلَدهم وأشجعَهم، فهالَ ذلك أبا جعفر، واستشار أبا مسلم، فقال: الرأيُ أن تعاجله ولا تتأنّى به، فانهض أبا مسلم، وجعل له الشأم وما وراءه من الخراسانيّات، فسار أبو مسلم إلى نصيبين وقد وافها عبدُ الله بن علي في مائة ألف مقاتل، ومائة ألف من الفَعَلة وحفر الخندق من جبل نصيبين إلى نهرها، وجعل فيه ما يحتاج إليه من العُدّة والآلة، ونصب

---

(١) ذات عِرْق: مهلّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة، وقيل: عِرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق، وقال الأصمعي: ما ارتفع من بطن الرُّمة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق، وعرق هو الجبل المشرف على ذات عرق.

المجانيق والعرّادات، وبثّ الحسك، وسدّ الطريق على من يقصِدُه من العراق، وجعل الخِصْبَ والقُرَى وراءه، فلما نظر أبو مسلم إلى ذلك وأنّه قد غلب الخِصْبَ والقُرَى والميرة[1] والعُلوفات[2]، وأن لامقامَ للعسكر بإذائه، إحتال في إخراجه، فعدل عن عبد الله، وأخذ في طريق الشام، فخشي عبدُ الله أن يستولى أبو مسلم على الشام، فوجّه أخاه المنصور بن عليّ في جيش عظيم، فهزمهم أبو مسلم، وقتل منهم مقتلةً عظيمة، ومرّ على وجهه يُظهر أنّه يُريد الشام، فخرج عبد الله في أثره كلمّا ارتحل أبو مسلم من منزل نزل عبد الله فيه حتّى علِم أبو مسلم أنه خرج جميعُ عساكره عن الخندق وضيّعوا العورة، عطف أبو مسلم على نصيبين ركضاً، فغلب على الخندق، وصار في يده جميع ما فيه، وأقبل عبد الله حتّى نزل على أربع فراسخ من نصيبين في موضع ليس فيه ماءٌ إلاّ ماءُ الآبار، فبسط الأمان للناس، وبذل الأموال، ثم لم يُمكن عبدُ الله المقامَ، فهرب ليلاً، واستولى أبو مسلم على خزائنه وأمواله وما كان احتواه من نهب بني أميّة وكنوز الشام، ثم أُسر عبد الله بن عليّ، وحُمل إلى أبي جعفر، فخلّده الحبسَ إلى أن مات، وأقام أبو مسلم بنصيبين، واستقامت له أمور الشام، وسرّح أبو جعفر أمناء على الأفياض، والخزائن، وبعث يقطين ابن موسى، وأمره[3] بإحصاء ما في العسكر، فغضِب أبو مسلم، وشتم أبا جعفر وقال: أُمناءُ[4] على الدماء، خَونَةٌ على الأموال، وأقبل من الجزيرة مُجمعاً على الخلاف مُعارضاً بخراسان، وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن، وكتب إلى أبي مسلم بالمصير، فكتب إليه أبو مسلم، أمّا بعد، فإنّه لم يبقَ لأمير المؤمنين عدوٌّ إلاّ أمكنه الله منه، وقد كُنّا نُروى عن ملوك ساسان، إنّ أخوَفَ ما تكون الوزراء إذا سكنت الدهماءُ، فنحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وَفَيْتَ، حَرِيُون بالسمع والطاعة غير أنّهما من بعيد حيثُ يقارنهما السلامةُ، فإن أرضاك ذلك، فأنا أحسنُ عبيدك، وإن أبيت إلاّ أن تُعْطِي نَفْسك إرادتها نقضتُ ما أبرمتُ ضناً بنفسي، فكتب إليه المنصور، قد فهمتُ كتابك، وليست صفتُك صفة أُولئك الوزراء الغششة الذين اضطرابُ حَبْل الدولة إليهم لكثرة جرائمهم، وإنّما راحتهم في انتشار نظام الجماعة، فلِمَ سوَّيْتَ نفسك بهم وأنتَ في طاعتك

(١) الميرة: الطعام من الحَبِّ والتوت.

(٢) العلوفات: العَلوفة: دابة تُعلّف للسُّمن ولا تُرسل للرعي.

(٣) بعث يقطين بن موسىٰ لقبض الخزائن «مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٢».

(٤) قال: أؤتمن علىٰ الدماء ولا أؤتمن علىٰ الأموال «مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٢».

ومُناصحتك واضطلاعك بما حملتَ من أَعْبَاء هذا الأمر بحيث أنت؟ وقد حمَّل أمير المؤمنين رسالةً لتسكن إليها إن أَصغَيْتَ نحوها، فاسأل الله تعالى أن يحولَ بين الشيطان وبين نزغاته منك، ووجّه بجرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البَجَليّ، وكان أوحدَ زمانه في المكر والخِداع والدهاء والتلبيس واللسان، فخدعه بكلامه وسحره بمواعيده، وحلف له أبو جعفر بكلّ عين يحلفُ بها ذوو الأديان من الطَلاق والعتاق والأيمان، وضمِن له عيسى بنُ موسى، وجريرُ بن يزيد بن جرير الوفاءَ من أبي جعفر بالعهد، وكتبوا له، كُتُب الأمان، وكان أبو مسلم، يقول: لأقْتَلَنَّ بأرض الروم، وأقبل منصرفاً من الريّ إلى العراق.

[مقتل أبي مسلم]:

قالوا: ولمّا أخذ أبو مسلم على طريق الجبال من أرض الجزيرة، اشتدّ رُعْبُ أبي جعفر وخشي إن هو سبقه إلى خراسان أن يقاتله بما لا قِبَلَ له به، فاجتمع الرأي وعمل المكائد وهجر النومَ وجعل يَقعدُ وحده، ويخاطب نفسه، وأتاه أبو مسلم وهو بالروميّة في مضاربه، فأمر الناس بتلقّيه وإنزاله وإكرامه غاية الكرامة أيّاماً، ثم أخذ في التجنّي عليه، فهابه أبو مسلم وكان استشار بانَوَيْهِ رجُلاً من أصحابه بالريّ عند ورود الرُسُل عليه، فأشار عليه بالإمتداد إلى خراسان، وضَرْب أعناق الرُسُل، فقال أبو مسلم هوذا أرى يرميني، فما الرأيُ؟ قال: تركت الرأيَ بالريّ، فذهبت مثلاً ولكنّ الحيلة أن تبدأ به فإنّك مقتولٌ، فإذا دخلت عليه فأَعْلِهِ بسيْفَك ونحنُ على الباب، ثم إن أمكنك أن تُدافع عن نفسك إلى أن نَصِلَ إليك، وأجمع أبو جعفر على قتله، وأعدّ من أصحاب الحرس أربعة نفر، فأكمنهم في البيوت، منهم شبيب المروزيُّ، وأبو حنيفة حَرْبُ بن قيس، وقال: إذا أنا صفقتُ بيدي، فشأنكم، وبعث إلى أبي مسلم يدعوه في غير وقتٍ، فجاء إليه باستدعائه عيسى بن موسى، وهو صاحب عهده وذمته، فقال له: عيسى تقدَّمْ وأنا وراءَك، فقال له أبو مسلم: أنا أخافه على نفسي فقال عيسى: أنت في ذّمتي وجِواري، وكيف تظنّ بأمير المؤمنين أن ينقُضَ عهدك؟ وأرسل أبو جعفر إلى عيسى أنْ تخلَّفْ عن المجيء، وجاء أبو مسلم، فقام إليه البوّابُ وقال: ليُعطيني الأميرُ سَيْفَه، قال: ما كان يفعل هذا قبلُ، قال: هذا لا بدّ منه، فأعطاه ودخل، فشكى إلى أبي جعفر ذلك، فقال: ومَنْ أمره ذلك قبّحه الله؟ ثم أقبل عليه يُعاتبه ويذكر عثراته، فممّا عدّ عليه أن قال: أَلَسْتَ[1] الكاتب إليَّ تبدأ بنفسك، ودخلت

(١) «والكاتب إليّ تخطب آسية بنت عليّ وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن العباس، لقد ارتقيت لا أمّ=

إلينا، فقلتَ: أينَ ابنُ الحارثيّة؟ وجعلتَ تخطب آمنةَ بنتَ عليّ بن عبد الله بن العبّاس وتزعم أنّك سَلِيطُ بن عبد الله بن عبّاس، ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير الخِزاعيّ مع أثَره في دعوتنا وسَعْيه في دولتنا قبل أن يدخلك في شيءٍ من هذا الأمر؟ فجعل أبو مسلم يعتذر إليه، ويقبلّ الأرض بين يديه، ويقول: أراد الخلاف عليّ فقتلتُه، فقال أبو جعفر[1]: يَعْصِيكَ وحاله عندنا حاله فتقتُله، وتعصينا فلا نقتلك. قتلني الله إن لم أقتُلك، ثم ضربه بعمود في يده وصفّق، فخرج الحرس، فضربوه بسيوفهم، وهو يستصرخ، ويستأمن ويقول أبو جعفر: ما تريد يا ابن اللخنا[2] إلاّ غيظاً، المقتل قتلكم الله إقتلوه، فقتلوه ولفّوه في بساطٍ ونجّوه ناحيةً، ثم استأذن إسماعيل بن عليّ الهاشميّ، فأذن له، فلما قام قال: إنّي رأيتُ في المنام كأنّك ذبحتَ كبشاً، وإنّي توطّأتُه برِجْلي. قال: صدقت رؤياك قتل الله عزّ وجلّ الفاسقَ، قُمْ فتوطّأْه برُجْلك، وأمر أبو جعفر أن لا يؤذن عليه ونام نومةً، ثم قام وقال: ما تهيّأْتُ للخلافة إلى اليوم، وبانَوَيْه في ثلاثة آلاف من الخراسانيّة وقوف على الباب لا يدرون ما الخبر! فقال أبو جعفر: فرّقوا هؤلاء العلوج عنّي وأنشأ يقول: [سريع].

زعمتَ أنّ الدَّيْنَ لا يُقْتَضَى[3]	فاستوفِ بالكيل أبا مُجْرِم
سُقيتَ[4] كأساً كنتَ تسقي بها	أمَرَّ في الحَلْق من العلقم

وكتب أبو جعفر إلى أبي داود بعهده على خراسان.

خروج سنفاد المجوسيّ:

ولمّا قُتل أبو مُسلم خرج سنفاد المجوسي بنيسابور يزعم أنّه وليُّ أبي مُسلم والطالب بثأره، وسار حتى غلب على الريّ وما وراءَ النهر من النواحي، وقبض خزائن أبي مُسلم وفرّقها في الفروض وبلغت جموعه تسعين ألفاً، فبعث المنصور جمهور العجليَّ في عشرة آلاف، فالتقوا بين همذان، والريّ، فقتَل منهم ستّين ألفاً، وسبي من نسائهم وأولادهم ما الله به عليم، وقُتل سنفاد، فكان بين مقتله ومخرجه سبعون يوماً.

= لك مرتقىً صعباً» «مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٣».

(١) «قتلني الله إن لم أقتلك» «مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٤».

(٢) يا ابن اللخنا: أي يا دنيء الأصل، ويا لئيم الأم.

(٣) في مروج الذهب: لا ينقضي ج ٣ ص ٣٠٤.

(٤) في مروج الذهب: إشرب بكأس ج ٣ ص ٣٠٤.

موت أبي داود خالد بن إبراهيم:

وهمّ أبو داود بالمسير إلى ما وراء النهر، وقاد العساكر إلى مرو، فبينا هو نازلٌ للإستراحة في قصر بكشمهن[1] إذ ثار الجُند ليلاً تشويشاً، فأشرف عليهم أبو داود ليلاً من القصر معتمداً على أَجُرَّةٍ، فزلّت الأجرّة، فسقط أبو داود على رقبته، فانكسر، فولّى المنصور ابنه المهديّ وأمره أن ينزل الريّ ويستعمل على خراسان عبد الجبّار بن عبد الرحمن الحاثيّ.

خروج الرونديّة:

وخرج ناسٌ من أهل خراسان بمدينة الهاشميّة وقالوا قولاً عظيماً، وهو أنّ أبا جعفر إلاهنا يُحيينا ويُميتنا ويُطعمنا ويّسقينا قالوا بتناسخ الأرواح، وأنّ روح آدمّ تحوّلَتْ في عثمان ابن نهيك وأبو الهيثم بن معاوية هو جبريل وجاؤوا إلى قصر أبي جعفر يطوفون به، ويقولون: هذا قصرُ ربّنا، فأنكر ذلك أبو جعفر، وخرجوا إلى الناس يهرجونهم بالسيوف، فخرج المنصور في مواليه، فقتلهم أبرح قتل، فأبْلَى معنُ بن زائدة ذلك اليوم بين يديه بلاءً حسناً.

خروج محمّد وإبراهيم من ولد الحُسين بن عليّ على أبي جعفر: قال: وكان أبو العبّاس ملاطفاً لعبد الله بن الحسن باراً به، فأخرج يوماً سَفَطاً من جوهر، وقاسمه، فأنشأ عبد الله يقول [وافر].

أَلَـمْ تَـرَ حـوشبـاً أمسى يبني ... قصـوراً نفعُهـا لبنـي نُفَيْلَـةْ

يُـؤَمِّلُ أنْ يُعمَّـرَ عُمْـرَ نُـوح ... وأمْـرُ الله ينـزل كـلّ ليلَـةْ

فغضِب أبو العبّاس من قوله، ونفاه إلى المدينة، ثم لمّا ولي أبو جعفر ألحّ في طلب ابنَيْه محمّد وإبراهيم، فتوارى عن الطالبين وتغيّبوا عنه، وحجّ أبو جعفر، وأمر بطلب أبيهما عبد الله بن الحسن وداود وأبراهيم، فأُتى بهم وهم بالرّبذة، فسأله عبد الله بن الحسن وهو شيخٌ كبير أن يأذن له، فلم يأذن، وبسطوا عليهم العذاب حتّى دلّوا على من كان اختفى منهم بجبلَيْ طَيّءٍ، فبعث في طلبهم فأخذوا إثني عشر إنساناً، ورحّلهم كلّهم إلى الكوفة،

---

(١) قصر بكشمهن.

وحبسهم في بيت ضَيّقٍ لا يتمكّن أحدهم من مقعده يبول بعضهم على بعض، ويتغوطّ[1]، لا يدخل عليهم رَوْح الهواء، ولا يخرج عنهم رائحة القَذَر، حتّى ماتوا عن آخرهم، فخرج مُحمّد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة وجمع الجموع وفرض الفروض، وتسمّى بالمهديّ، فبعث إليه أبو جعفر عيسى بن موسى، وحميد[2] بن قحطبة بن شبيب في الخرسانيّة، وحاصروا المدينة أيّاماً، وواقعوهم مراراً، ثم خرج محمّد بن عبد الله، وقال لأهله: إنْ قطرت السماءُ قطرةً، فأحرقوا الديوان، فإنّي مقتول وواقف القومَ. وقال: يا أهل فارِسَ ـ يعني الخرسانيّة ـ إخترتم الدينار والدرهم على ابن رسول الله ﷺ، إنّي أنا محمّد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فانتقضت الخرسانيّة، وخاف عيسى بن موسى الخلافَ، فنادى حميدُ بن قحطبة بن شبيب الطائيُّ، إن كنتَ محمّد بن عبد الله، فأنا حميد بن قحطبة بن شبيب الطائيُّ مُسلمان كُشنْد، فحملوا عليه حملةً واحدةً، فقتلوه، وحزّوا رأسه من أصل رقبته مُعلّقاً به أحشاؤه وما يتّصلُ به وحملوه إلى أبي جعفر قالوا: ولما خرج محمّد بن عبد الله هاجَتْ سحابة، فمطرت فأُحرق الديوانُ.

ثم خروج أخيه أبراهيم بن عبد الله بالبصرة في ثلاثين ألفاً ويقال: في سبعين ألفاً، واشتدّت مخافة أبي جعفر، وأعدّ الرواحل للهَرَب، ونقل ديوانه وأهل بيته إلى دمشق، وبعث عيسى للقاء إبراهيم ويئس أبو جعفر من الأمر، وقال: أترون أنّ هذا الذي بلغنا باطلاً؟ إنّ الأمر لا يزال فينا حتّى تلعب به صبياننا، فقال له سهل: لا بأس، فإنّ الظفر لكم، فلم يلبث أن جاء عيسى برأس إبراهيم فتمثّل أبو جعفر بقول الشاعر: [طويل].

فألقَتْ عصاها واستقرّ بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المُسافرُ

ومن ثَمّ مرّ إدريسُ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب إلى المغرب، فهُمْ بها إلى اليوم.

خروج إستادسيس بخراسان:

قالوا: واجتمع من الغُزّية نحو ثلاثمائة ألف مقاتل من أهل هراة وباذغيس، وكنج[3]

---

(١) يتغوّط: يتبرز أي يقضي حاجته.

(٢) في مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٧: محمد بن قحطبة.

(٣) كنج: مدينة عظيمة وهي مصبة بلاد أرّان، وأهل الأدب يسمونها جنزة، وهي من نواحي لرستان بين خوزستان وأصبهان.

رستاق[1]، وسجستان ونواحيها، ومعهم المرور، والمساحي، والفُؤُوس، ورئيسهم استادسيس وغلبوا على عامة خراسان، فوجّه أبو جعفر خازِمَ بن خزيمة، فقاتلهم قتالاً شديداً، وقتل منهم في المعركة تسعين ألفاً، وهزمهم وفرّق جمعهم وسبي ذراريَهم.

قتل عمر بن حفص بن أبي صُفرة بإفريقية:

كان أبو جعفر ولاّها إيّاه، فخرج عليه أبو عادي، وأبو حاتم الإباضيّانِ في أربع مائة ألف رجل من البربر والمغاربة، منهم ثلاثمائة وخمسة عشر ألفاً رجالاً، وخمسة وثمانون ألفاً فرساناً، فغلبوه وقتلوه، وغلبوا على المغرب، فوجّه أبو جعفر يزيد بن حاتم في خمسين ألفاً، وأنفق على ذلك الجيش ثلاثة وستين ألف ألف درهم يكون بالأوقار ألفي وِقْر، وثمانين وقراً، وكلّ وقر ثلاثون ألفاً، فقُتل أبو عادي، وأبو حاتم، وحُمل رؤُوسهما إليه، واستَوتْ له بلادُ المغرب، وبنى أبو جعفر مدينة بغداد سنة خمس وأربعين ومائة، وبنى قصر الخُلْد سنة سبع وخمسين ومائة، ونقل الأسواق من مدينة السلام[2] إلى باب الكَرْخ[3] وباب المحوَّل، وخندق على الكوفة وسوّرها، وكذلك البصرة خندق عليها، وخلع عيسى بن موسى، وعقد البيعة لابنه مُحمّد المهديّ. ولعيسى بن موسى من بعده ومات أبو جعفر في طريق مكّة ببئر ميمون، وفي أيّامه صار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك سنة ستّين إلى الأندلس، فملكها، ثم ابنه هشام بن عبد الرحمن عشرين سنة، وكان وقوع عبد الرحمن إليها سنة ثمان وثلاثين، فهُم وُلاتُها إلى اليوم.

[خلفاء بني العباس]:

أوّلُهم أبو العبّاس عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، بُويع يوم الجمعة[4] لاثني عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو أبو العبّاس

---

(١) رستاق: مدينة بفارس من ناحية كرمان وربّما جعل من نواحي كرمان.

(٢) مدينة السلام: وهي بغداد.

(٣) باب الكَرْخ: وكرخ بغداد كانت الكرخ أولاً في وسط بغداد والمحالّ حولها، فأما الآن فهي محلة وحدها مفردة في وسط الخراب وحولها محالّ إلا أنها غير مختلطة بها.

(٤) بويع ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء لإحدىٰ عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة. وقيل: في النصف من شهر جمادىٰ الآخرة من هذه السنة.

أمير المؤمنين المرتضى بن مُحمّد بن عليّ السجّاد ذي الثفنات بن عبد الله الحَبْر بن العبّاس ذي الرأي بن عبد المطّلب شيبة الحمد، وأمّ أبي العبّاس رَيْطة بنت عبيد الله بن عبد المدان، ، وهو الذي انتشرت الأخبار بإفضاء الخلافة إليه، وكان أبو العبّاس رجلاً طُوالاً أبيض اللون حسن الوجه وُلد بالشراة في أيّام هشام بن عبد الملك ولمّا قدِم الكوفة نزل بحمام أعيُن في موضع عسكر أبي سلمة فسمّى الهاشميّة، ثم تحوّل من الهاشميّة إلى الحيرة، ثم تحوّل من الحيرة إلى الأنبار، وبنى بها مدينة، ومات سنة ستّ وثلاثين ومائة وكانت ولايته[1] أربع سنين وثمانية أشهر، وكان سنُّه أربعاً وعشرين سنة، وخلّف أربعة أقمصة، وخمس سراويلات، وأربع طيالسة، وثلاث مطارف خزّ ورثاه أبو دُلامة: [كامل].

مَنْ مُجْمِلٌ في الصبر عنك فلم يكن جَزَعي ولا صبري عليك جميلا
يجدون أبدالاً وإنّي عالِمٌ ما عِشتُ دهري ما وجدتُ بديلا
إنّي سألتُ الناسَ بعدك كلّهم فوجدتُ أجْوَدَ مَنْ سألتُ بخيلا

فقالت له إمرأة أبي العبّاس: ما أُصيب به غيري وغيرُك، فقال أبو دُلامة: وكان مزّاحاً ولا سُوء لك منه ولدٌ ولا ولدي منه، وكانت ولدت له مُحمّد بن أبي العبّاس، ودُفن في قصره بالأنبار، وفي تاريخ خُرّزاد، أنه بلغ من السنّ ثلاث وثلاثين سنة، والله أعلم.

وكان يكره الدماءَ، ويُحابي على أهل بيت رسول الله ﷺ، وكان مختصاً بسليمان بن هشام بن عبد الملك، وعبد الله بن الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وكان يقعدُ عبد الله بن الحسن عن يمينه، والأمويُّ عن يساره، فلما أنشده عبد الله، ألَمْ تَرَ حوشباً نفاه إلى المدينة؟ لمّا أنشأ يقول سُدَيْف: [خفيف].

لا يَغُرَّنكَ ما ترى من رجالٍ إنّ تحت الرجال داء دويّا
فضِعِ السَيْفَ وارفَعِ السَوْطَ عنهمْ لا ترى فوق ظهرها أمَوِيّا

ثمّ أمر بسليمان فقُتل.

---

(١) كانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوماً. وكان سنّه ثلاث وثلاثين سنة، وقيل: ابن تسع وعشرين سنة.

[بيعة أبي جعفر المنصور]:

وهو عبدُ الله بن محمّد بن العبّاس سنة[1] سبع وثلاثين ومائة وأُمّه بربريّة يُقال لها سلامةُ، وُلد بأرض الشراة في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان، وكان أكبر من أبي العبّاس بثماني عشرة سنة، وذكروا أنّه كان رجلاً أسمر نحيفاً طويل القامة، قبيح الوجه، دميم الصورة، ذميم الخُلق، أشحّ خَلْقِ الله، وأشدَّه حُبًّا للدينار والدراهم، سفّاكاً للدماء، ختّاراً بالعهود غدّاراً بالمواثيق، كفوراً بالنعم، قليل الرحمة، وكان جال في الأرض وتعرّض للناس، وكتب الحديث، وحدّث في المساجد، وتصرّف في الأعمال الدنيّة والحِرَف الشائنة، وقاد القَوْد لأهلها، وضربه سليمان ابن حبيب بالسياط في الجملة والتفصيل، كان رجلاً دنيئاً خسيساً كريهاً شِرِّيراً، فلمّا أُفضى الأمرُ إليه أمر بتغيير الزيّ وتطويل القلانس، فجعلوا يحتالون لها بالقصب من داخل، فقال أبو دُلامة في هجوه: [طويل].

وكنّا نُرجّي من إمامٍ زيادةً فزاد الإمامُ المصطفى بالقلانس
تراها على هامِ الرجال كأنّها دِيارُ يهودٍ جُلّلَتْ بالبرانس

وأمر بعدد دُور أهل الكوفة، ووظّف خمسة دراهم على كلّ دار، فلما عرف عددهم جباهم أربعين درهماً، فقالوا: [رمل].

يا لقَوْمٍ ما لقِينا من أمير المؤمنينا قسم الخمسة فينا وجبانا أربعينا

وحجّ غير مرّة، وزار القُدْس، وبنى مدينة المصيصة[2]، ومدينة الرافقة[3] بالرّقة على قدر مدينة السلام، ووسّع طُرُق المدينة وأرباضها[4]، وأمر بهَدْم ما شخص عنها، ووسّع المسجد الحرام، وجمع من المال ما لم يجمعه أحدٌ قبله، ولذلك قيل له: أبو الدوانيق[5] وخرج مُحْرِماً بالحجّ فعرض له وَجَعٌ ببئر ميمون هاض له بطنه، ثمّ انقضّ كوكب في أثره

(١) بويع سنة ست وثلاثين ومائة «مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٤».
(٢) مدينة المصيصة: وهي مدينة علىٰ شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس.
(٣) مدينة الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة وهما علىٰ ضفة الفرات، وهي علىٰ هيئة مدينة السلام ولها ربض بينها وبين الرقة وبه أسواقها.
(٤) أرباضها: ربض المدينة: ما حولها. و ـ: الناحية من الشيء (ج) أرباض.
(٥) الدوانيق: الدوانيقي: من يستقصي في الحصاب ويدقق في النفقة، وبه لقّب الخليفة المنصور.

إلى طلوع الشمس، ومات، فحمل إلى مكّة، فدُفن مكشوف الرأس، وخلّف[1] من الصامت تسع مائة ألف ألف درهم، وستّين ألف ألف درهم سِوَى سائر الأصناف، ولم يَرْزوا منها بشيء، وزعم زاعمٌ أنّه وقف عليه أعرابيٌ في طريقه قبل موته بستّ أيّام، فأنشده: [طويل].

أبَا جعفرٍ حانَتْ وفاتُكَ، وانقضَتْ سِنُـوكَ، وأمْـرُ اللهِ لا بُـدّ واقـعُ[2]
أبـا جعفـر، هـل كـاهـنٌ أو مُنَجِّـمٌ بحيلتـه عَنْـكَ المنيّـةَ دافـعُ[3]؟

ويقال: بل هتف به في نومه، ورثاه مروان بن أبي حفصة: [طويل].

أبـا جعفـر صلّـى عليـك إلاهنـا لمـوتـك أمْسَـى أعْظَـمُ الحَـدَثـانِ
بكى الثَقَلانِ الإنْسُ والجنُّ إذْ ثوى ولـم يَبْـكِ ميتـاً قبلـك الثَقَـلانِ

خبر أبي مُسْلم صاحب الدعوة:

اختلف الناس في اسمه وبلده، فأكثرهم على أنّه أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، وُلد بأصبهان، ونشأ عند إدريس بن عيسى جدّ أبي دُلفٍ، فكان مع ولده في المكتب إلى أن حفِظ القرآن، وروى الأشعارَ، وقال بعضهم: هو أبو إسحق إبراهيم بن عثمان، وأمّه وشيلة بنت فلان، وزعم قومٌ أنّه كان من قرية من قُرَى مرو ويقال: بل كان من العرب، وقيل: كان عبداً.

وأمّا أبو دُلامة، فإنّه نسبه إلى الأكراد، حيثُ هجاه وقالوا في حليته وهيئته أنّه كان قصير القامة، أسمر اللون، دقيق البشرة، حُلوَ المنظر، طويل الظهر، قصير الساق، لم يُرَ ضاحكاً ولا ممازحاً، يأتيه الفتوح العظام، فلا يُعرَف بشرهُ في وجهه، وينكب النكبة العظيمة، فلا يُرى مكتئباً لها، قليلُ الرحمة، قاسي القلب سوطُه سَيْفه، قَتل من الأصناف كلّها، بدأ بمُضَر في خراسان، فأفناهم، ثم اليمن، ثم الربيعة، ثم القضاةَ، ثم القُرّاء، ثم الملوك، ثم الدهاقين، والمرازبة، والنصارى، والدماونديّة، والنهاوندية، واليهود وقتل ستمائة ألف ممّن يُعْرف صَبْراً سوى من لا يُعرف، ومن قُتل في الحروب والهيجات، وقُتل، ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا عبداً ولا أمة ولا ديناراً ولا درهماً، وكانت عنده ثلاث نسوةٍ،

---

(١) خلّف أبو جعفر ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار «مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٨».
(٢) في مروج الذهب نازلُ ج ٣ ص ٣١٧.
(٣) في مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٨: -

أبا جعفـر، هل كـاهـن أو منجـم يردُّ قضـاء الله، أم أنـت جاهـل؟

وكان لا يطأ المرأة منهنّ في السنة إلاّ مرّةً واحدةً، ويقول: يكفي الإنسان أن يختن نفسه في السنة مرّةً، وكان من أغْيَر الناس لا يدخل قصره أحدٌ غيره، وفيه كِوىً يُطرح لنسائه منها ما يحتجن إليه قالوا: وليلة زُفَّتْ إليه إمرأتُه أمر بالبرذون الذي ركبَتْه فذُبح وأُحرق سرجُه لئلاّ يركبه ذَكَرٌ بعدها، قال ابن شُبْرمُة: دخلتُ على أبي مسلم ليلاً، فرأيتُ في حجره مُصحفاً، وفي يده سيفاً، فقال: يا آبن شُبْرمة إنّما هما، وأشار إليهما أترهب هذا أم السيف؟ قلتُ: أصلح الله الأمير، مَنْ أشجعُ الناس؟ فقال: كلّ قوم في إقبال دولتهم، وكان أقلّ الناس طمعاً، وأكثرهم طعاماً يُخْبز في مطبخه كلّ يوم ثلاثة آلاف مازف، ويُطبخ مائة شاة سوى البقر والطير وكان له مائة طبّاخ، وآلة المطبخ، تُحمل على ألف ومائتين من الدوابّ، ولمّا حجّ نادى في الناس، برئت الذمّة ممّن أوقد ناراً، فكفى العسكر ومن معه أمر طعامهم وشرابهم في ذهابهم ومُنْصرَفهم، وهربت الأعراب، فلم يبقَ في المناهل منهم أحدٌ لما كانوا سمعوا به من ولوعه بسفك الدماء، وتناشدوا له بيتاً، قال نصرُ بن سيّار: [بسيط].

فمن يكُنْ سائلاً عن دِين قومهِمُ ... فـإنّ دِينَهُـمُ أنْ يَقْتُـلَ العَـرَبـا

وكان مروان بن محمّد، كتب إلى أهل مكّة يهجو أبا مسلم، وأنّه يُحرق المصاحف، ويهدم المساجد، فلمّا سمعوا بقدومه خرجوا ينظرون إليه، فلما بلغ الحرم نزل عن دابّته، وخلع نعليه، ومشى حافئاً على رجليه إعظاماً للبيت، وقضى نُسكاً قلّ ما قضاه أحدٌ من الملوك غيره، فقالوا: ما رأينا سلطاناً أعظم الحرم إعظامه، ووُلد سنة مائة واثنتين وقُتل سنة سبع وثلاثين، وهو ابن خمس وثلاثين سنة وخلّف بنتاً يقال لها: فاطمة بنت أبي مسلم يتولاّها الخُرَّميّة ويزعمون أنّه يخرج من نسلها رجلٌ يستولي على الأرض كلّها ويسلبُ بني العبّاس مُلكهم وفيه يقول: [طويل].

أبـا مُجـرم مـا غيـرّ الله نعمـةً ... علـى عبده حتّـى يُغيّـرهـا العبـدُ
وفي دولة المهديّ حاولتَ غدرةً ... إلا إنّ أهْـلَ الغَـدْرِ آبـاؤك الكُـرْدُ
أبا مجرم خوّبتني الفَتْكَ فانتحي ... عليك بما خوّفتني الأسَدُ الوَرْدُ

[بيعة المهديّ]:

وبويع[1] بعده ابنه المهدي محمّد بن أبي جعفر سنة تسع وخمسين ومائة وصار إليه

---

(١) المهدي: يكنّىٰ أبا عبد الله، وأمه أم موسىٰ بنت منصور بن عبد الله بن ذي سهم بن أبي سرج من ولد=

خاتم الخلافة، وقضيب النبي ﷺ، وبُرْدته، فكان كما سُمّي هادياً مهدياً ردّ المظالم، وشهد الصلوات في جماعة، وفرّق خزائن المنصور في سُبُل الخير وردّ ولاءَ آ ل أبي بكرة إلى رسول الله ﷺ، وردّ ولاء آل زياد من نسبهم إلى أبي سفيان إلى عُبيدٍ من ثقيف، وكتب بذلك إلى المُدْن والأمصار، ووسّع المسجد الحرام، ومسجد المدينة، وفرّق في حجّه بمكّة والمدينة ثلاثين ألف ألف درهم سِوَى ما حُمل إليه من مال مصر واليمن، وحمل إليه مُحمد بن سليمان الثلج من أرض الموصل، ولم يحمله أحدٌ قبله وأمر بنزع المقاصير عن المساجد، وتقصير المنابر إلى الحدّ الذي كان عليه منبر رسول الله ﷺ، ووضع دُور المَرْضَى وأجري على العُميان والمجذمين والضَعْفَى، وأغزى الصائفة ابنَه هارون بن المهديّ في مائة ألف من المسترِقة سوى المطوّعة والأتباع وأهل الأسواق والغُزاة، فقتلوا من الروم خمسة وأربعين ألفاً، وأصابوا من المال ما بِيعَ البرذَوْن بدرهم، والدِرْعُ بدرهم، وعشرون سيفاً وألزموهم الجزية كلّ سنة سبعين ألف دينار، وفيه يقول ابن أبي حفصة: [طويل].

أَطَفْــتَ بقُسطنطينَــة الــروم مُسْنَــداً	إليهـا القفـا حتّـى اكتسى الـذُلَّ سُورُهـا
ومــا رُمتَهــا حتّــى تُفِيـكَ ملـوكُهــا	بجــزيتهــا والعَــرْبُ تَغْلـي قُــدورُهــا

وكثير من الناس يرَوْن ذلك الفتح، الفتح الذي وعد الله به، وفي أيّامه خرج رجلٌ، يقال له: يوسف البرم، واستغوى خلقاً كثيراً، وجمع بَوْشاً[1]، وادّعى النبوّة، فبعث إليه جيشاً، ففضّوا جموعه، فأسروه، فأمر به المهديُّ، فصُلب، وخرج حكيم المقنّع[2]، وقال: بتناسخ الأرواح واتبعه ناس كثير، وكان حكيم هذا رجلاً قصيراً أعْوَرَ من قرية من قرى مرو يقال لها: كَارَه[3]، وكان لا يَسِفرُ عن وجهه لأصحابه فلذلك قيل له: المقنَّع وزعم أنّ روح الله التي كانت في آدم تحوّلت إلى شيث، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، ثم إلى محمد، ثم إلى عليّ، ثم إلى مُحمّد بن الحنفيّة، ثم إليه، وكان يُحْسنُ شَيْئاً من الشعبذة والنيرنجات، فاستغوى أهل العقول الضعيفة،

= ذي رُعين من ملوك حمير. أخذ له البيعة بمكة يوم السبت لستّ خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة «مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٩».

(١) بوشاً: البوش جماعة في كثرة واختلاط.

(٢) المقنّع: المستور وجهه.

(٣) كاره: قرية من قرىٰ بغداد يعود إليها السُعاة ببغداد ويرجعون كل يوم.

فاستمالهم، فبعث المهديُّ في طلبه، فصار إلى ما وراء النهر، وتحصّن في قلعة كش، وجمع فيها من الطعام والعُلوفة، وبثّ الدُعاة في الناس، وادّعى إحياء الموتى، وعِلْمَ الغيب، وألحَّ المهديُّ في طلبه، فُحوصر، فلمّا اشتدّ الحصار عليه سقى نساءَه وغلمانه كلّهم السمَّ، وشرب هو منه، فماتوا عن آخرهم، وحُمل إلى المهديّ وكان وعَدَ أصحابه أن يتحوّلَ روحُه إلى قالبِ رجل أشمط على برذون أشهب، وأنه يعود إليهم بعد كذا سنة، ويملكهم الأرض، فهُم ينتظرونه ويُسمُّون المبيِّضة.

وفي أيامه خرج المحمّرة بخراسان وعليهم رجلٌ يقال له: عبدُ الوهاب، فغلب على خراسان وما يليها، وقتَل خلقاً كثيراً من الناس، فأنهض إليه المهديُّ عَمْرَو بن العلاء، فقتله وفضّ جموعه، وفي أيّامه ظهرت الزنادقة، فقتل المهديُّ بعضَهم واستتاب بعضَها، وعقد البيعة لابنه موسى الهادي، وبعده لأخيه هارون الرشيد، واعتلّ المهديُّ، فحُمل إلى ماسبذان يتروّح إلى ذلك بالهواء، فمات فحُمل على دّرابة إذْ لم يجدوا جنازةً، فجزَّتْ حسنة عبيدها، ولبست المسوح في وصائفها ولم تزل كذلك إلى أن فارقت الدنيا، وكانت من أجمل النساء، فقال أبو العتاهية: [رمل].

رُحْنَ فـي الـوَشْـي وأصبحْـ ـــنَ عليهـــنّ المُســـوحُ
كـــلُّ نطّـــاح وإن عـــا ش، لـــه يـــومٌ نَطُـــوحُ
نُـحْ علـى نفسـك يـا مسـ ـكيـن إنْ كنـتَ تنـوح[1]
لتمـــوتـــنَّ ولـــو عُمـ ـرْتَ مـا عُمّـر نُـوح[2]
بيـــن عينَـــيْ كـــلِّ حـــيٍّ عَلَـــمُ المـــوت يلـــوح
كلُّنـــا فـــي غفلـــة و المـــوتُ يغـــدو ويـــروح

وتوفيّ المهديّ سنة ست[3] وستّين ومائة وكان ابن ثمان وأربعين سنة، وولايته عشر سنين وشهرٌ، وقيل فيه: [طويل].

وأفضـلُ قبـرٍ بعـد قبـر محمـدٍ نبـيّ الهُـدى قبـرٌ بمـا سَبَـذانِ
عجبـتُ لأيـدٍ حَثَـتِ التُـرْبَ فـوقـه غـداةَ فلـم يـرجـع بغيـر بنـانِ

---

(١) في مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٩: فعليْ نفسك نُح إن كنت لا بد تنوح.
(٢) في مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٩: لستَ بالباقي ولو عُمِّرْت ما عُمِّر نوحُ.
(٣) توفي سنة تسع وستين ومائة، وقبض وله ثلاث وأربعون سنة ج ٣ ص ٣١٩.

[بيعة الهادي]:

وتولّى له البيعة هارون وهو بجرجان، فأقبل إلى بغداد على دوابّ البريد، وخرج عليه الحُسين بن علي بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب بالمدينة في الطالبيّين يحيى، وإدريس، وإسماعيل الذي يقال له طباطبا، وعليّ، وعمر الذي يقال له: الأفطس وأخرجوا عامل المدينة، ونهبوا بيت المال، ثم قصد الحُسين بن عليّ مكّة، وبعث الهادي موسى بن عيسى، فأدركه على فرسخ من مكّة، فقتله وحمل رأسه إلى المهديّ، وتفرّق من كان معه من آل أبي طالب، فوقع إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب إلى الأندلس، وغلب عليها، وأخوه يحيى بن عبد الله إلى جبال الدّيْلم، فأمّا إدريس، فولى إلى تلك الناحية وولدهُ إلى اليوم بها، وأمّا يحيى، فإنّه آمنه هارون، وأخرجه ثم غدر به، وبنى على بطنه إسطوانة، وغضب الهادي على موسى بن عيسى في قتل الحُسين بن عليّ من غير موافقةٍ، وتركه أن يقدم به عليه، فيرى فيه رأيَهُ، فُقبض على أمواله وضياعه، وتتبّع الهادي الزنادقة، فقتلهم أبرح قتلٍ، منهم إزديادار كاتب يقطين بن موسى نظر إلى الناس في الطواف يُهرِولُون، فقال: ما أَشْبَهَهُم ببقر تدوس البَيْدر فقال الشاعر فيه: [سريع].

ماذا ترى في رجُل كافر ... يُشبّه الكعبَةَ بالبَيْدر

وقال آخر: [سريع].

قد مات ماني مُنذُ أعصارِ ... وقد بدا إزْدْيادارِ
حجّ إلى البيت أبو خالد ... مخافة القتل أوِ العارِ
ووَدَّ واللهِ أبو خالدٍ ... لو كانت بيتُ الله في النارِ
لا يقتل الحيّات في دينه ... كُفْراً ولا العصفورَ في الدار
وليس يُؤذِي ٱلفأر في حجره ... يقول روح الله في الفأر

فقتله الهادي وصلبه، فسقطت خشبته على رجل من الحاجّ فقتلَتْه وقتلت حمارَه، ومات الهادي بعيسى[1] آباذ سنة سبعين ومائة، وكان بلغ من السنّ ثلاثاً وعشرين سنة، وولى سنةً وشهراً.

---

(١) عيسىٰ آباذ: محلّة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلىٰ عيسىٰ بن المهدي وأمّه وأم الرشيد والهادي الخيزران وبها مات موسىٰ ابن المهدي بن الهادي وبنىٰ بها المهدي قصره الذي سماه قصر السلام.

[بيعة[1] هارون الرشيد]:

يومَ تُوفّي الهادي ووُلد له المأمون، فمات خليفةٌ، وولى خليفةٌ، وولد خليفةٌ، ولمّا بويع الرشيد، ولّى الوزارة يحيى بن خالد بن برمك، وولّى خراسان جعفر بن محمّد بن الأشعث بن قيس، وبذل الأمان للطالبيّين، وأخرج الخُمْس لبني هاشم، وقسم للذكر ألفاً وللأُنثى خمس مائة، وساوَى بين صُلْبيتهم ومواليهم، وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار وعمر طرسوس، وأنزل فيها أبا سليمان الخادم في جماعة من الموالي، وخرج عليه الوليدُ بن طريف الشاري بأرض الجزيرة، واستولى عليها وعلى أرمينية وآذربيجان، وهزم عِدَّةَ جيوش لهارونَ وفتك بهم ويقول: [سريع].

أنا الوليدُ بنُ الطريفِ الشاري ... أخرجني ظُلْمكُمُ من داري

ودامت فتنتُه قريباً من عشر سنين، ثم انتهز بعضُ الأعراب منه الفرصةَ، فقتله غِيلةً، وحمل رأسه إلى هارونَ، فاعتمر شكراً لله عزّ وجلّ على ما أبلاه وكفاه، وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة ورَثَتْهُ أُخته الفارعة بنت الطريف: [طويل].

ألا يا لقومٍ للحيوف وللبلَى ... وللدار لمّا أزمعَتْ بخسوف

وللبَدْرِ من بين الكواكب إذ هَوَى ... وللشمس هَمَّتْ بعده بكسوف

ولِلَّيْث فوق النعش إذ يحملونه ... إلى وَهْدةٍ ملحودة وسُقوف

بكت جُشمٌ لمّا اَستقلّت على العُلَى ... وعن كلّ هولٍ بالرجال مطِيفِ

أيا شجر الخابور ما لك مُورِقاً ... كأنّك لم تجزع على ابن الطريف

فتِى لا يعُدُّ الزادَ إلاّ من التُّقَى ... ولا المال إلاّ من قنىً وسُيوف

وخرج عليه حمزة الشاري بخراسان، فعاش بباذغيس[2]، فأفسد ووثب على عيسى ابن عليّ بن عيسى، ففضّ جموعه، وقتل فيهم أبرح قتل، وانتهت الهزيمة لعيسى إلى كابل

---

(١) بويع هارون الرشيد بن المهدي يوم الجمعة صبيحة الليلة التي مات فيها الهادي بمدينة السلام، وذلك لإثني عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، ومات بطوس بقرية سناباذ سنة ثلاث وتسعين ومائة، فكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر، وقيل: ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً، ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر. «مروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٧».

(٢) باذغيس: ناحية تشتمل علىٰ قرىً من أعمال هراة ومرو الروذ، وهي ذات خير ورخص يكثر فيها شجر الفستق.

وقندهار[1]، فقال أبو العُذافر: [خفيف].

كـــاد عيسـى يكـون ذا القـرنيـن بلـــغ المشـــرقيـــن والمغـــربيـــن
لـــم يَـــدَعْ كـــابـــلاً وزابلستـــا ن ومـا حـولهـا إلـى الـرُّخَّجَيْـنِ[2]

ثم غرِق حمزة في وادٍ بكرمان، وتُسمَّى طائفته الحمزيّة، وخرج أبو الخصيب بنسا، وغلب عليها وعلى أبيوَرْد[3] وطوس وسرخس ونيسابور، وخرّب وأفسد وكثفت جموعه وقوي أمره، فبعث إليه هارون عيسى بن عليّ، فقتله وسبى أهلَه وذراريّه، وحمل إليه رأسه، واستقامت أحوال خراسان، وتحرّكت الخرّمية بأذربيجان، فانتدب لهم عبدُ الله بن مالك، فقتل منهم ثلاثين ألفاً، وسبى نساءَهم وصبيانهم، ووافى بهم هارون بقرميسين، فأمر بقتل الأساري وبَيْع السبي، وخطب الفضل بن يحيى إلى خاقان ابنته، فحنِق لذلك خاقان، وخرجت الخزر من باب الأبواب، وأوقعوا بالمسلمين وأهل الذمّة، وسبوا مائة ألف وأربعين ألف إنسان، وقتلوا من الرجال والنساء والوِلدان ما لا يعلم عددَهم إلاّ الله عزّ وجلّ، وأحرقوا المُدْن والقُرى، وانتهكوا من الإسلام ما لم يُذْكر مِثْلُه قبلَه ولا بعده.

قصّة البرامكة:

قيل: إنّهم كانوا من أهل بيوتات بلخ ممّن يتولّون البهار وبيت النار، فقيل لهم: البرامكةُ على معنى أنّهم سَدَنة البيت وحُجّابه، فأول ما ولّوا من الأعمال في أيّام أبي العبّاس، ولي الخراج خالد بن برمك، ثم صار يدور فيهم إلى أيام الرشيد، فولي الوزارة يحيى بن خالد بن برمك، وولي خراسان وما دون باب بغداد ممّا يليها ابنَه الفضل بن يحيى، وولي ابنُه الآخر جعفر بن يحيى الخاتم قال بعضهم: الوزارة برمكيّة لا بقي منهم بقيّة، ثم سخط عليهم هارون، فأفناهم، واختلفوا في السبب الذي حمله على ذلك، فقال قومٌ: إنهم أرادوا إظهار الزندقة وإفساد المُلك، ونقله إلى عثمان بن نهيك الفاسق، فقتلهم هارون على ذلك، وقال آخَرون: إنّ هارون كان مختصاً بجعفر بن يحيى بن برمك حتّى أمر، فخيط له قيمصٌ ذو جيبَيْن يلبسه هارون وجعفر لثقته به وإختصاصه به، وكان باراً

---

(١) قندهار: مدينة في الإقليم الثالث، وهي من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح.
(٢) الرُّخجين: رخَّج: كورة ومدينة من نواحي كابل.
(٣) أبيورد: مدينة بخراسان بين سرخس ونَسا، وبئَةٍ، رديئة الماء، يكثر فيها خروج العِرق، وفتحت أبيورد علىٰ يد عبد الله بن عامر بن كُريز سنة ٣١. وقيل: فتحت علىٰ يد الأحنف بن قيس التميمي.

بأخته عبّاسة مولعاً بها لا يكادُ يصبر عنها، فزوّجها من جعفر بن يحيى على أن لا يمسَّها ولا يَلُمَّ بها ليكون لها مَحْرماً إذا حضرت المجلسَ، فقضى من القضاء أن حملت منه وولدت[1] توامين، فغضب هارون لذلك، وأمر بضرب عُنُق جعفر بن يحيى، وحبس أخاه الفضل، وأباه بالرّقة حتّى ماتا في الحبس، وأمر بجثّة جعفر ورأسه إلى مدينة السلام، فقُطعت بنصفين، وصُلبت به، ثم أُحرقت بالنار.

وكتب إلى العُمّال في جميع النواحي والبلدان بالقبض على البرامكة وحاشيتهم وأولادهم ومواليهم، فكلّ من هو منهم يُسأل والإستيثاق منهم واجتياح أموالهم، واستصفائها منهم وإذكاء العيون على من اختفى منهم وتغيّب، والإحتيال في القبض عليه حتى إذا علم أنّه قد أحاط بهم، أو بأكثرهم كتب إلى كلّ عامل كتاباً مُدْرجًا مختوماً بأمره أن ينظر فيه يوم كذا من سنة كذا، فيُمْثِلَ ما مُثِلَ له فيه، فوافق قتلهم كلّهم في يوم واحد، ثم أمر بعبّاسة، فحُطّتْ في صندوق، ودُفنت في بئر وهي حيّة وأمر بابنيها كأنّهما لؤلؤتان، فأُحضرا، فنظر إليهما مليّا، وشاور نفسه وبكى، ثم رمى بهما البئر، وطمّها عليهم، وقال الأصمعيّ في البرامكة: [متقارب].

إذا ذُكـر الشِـرْكُ فـي مجلسٍ أنـارَتْ وجـوهُ بنـي بـرمـك
وإن تُلِيَـتْ عنـدهـم سـورةٌ أتـوا بـالأحـاديث مـن بـرمـك

وحجّ هارون بأبنيه محمّد الأمين، وعبد الله المأمون، وكتب كتاباً بالعهد والبيعة للأمين، وبعده للمأمون، وأشهد عليه، وعلقه على الكعبة فقال إبراهيم الموصليُّ: [كامل].

خيـرُ الأُمـور مَغَبَّـةٌ وأحـقُّ أمـرٍ بـالتمـامْ
أمـرٌ قضـى إحكـامـه فـي الكعبـة البيـت الحـرامْ

وكان عقد العهد لمحمّد وسمّاه الأمين، وهو ابن خمس سنين، وذلك في سنة خمس وسبعين ومائة، فقال سلمٌ الخاسرُ: [كامل].

قـد وفّـق الله الخليفـةَ إذْ بَنَـى بيـت الخـلافـة للهجـان الأزهـر
قـد بـايع الثَقَـلانِ فـي مهـد التُقَـى لمحمّـد بـن زُبيـدةَ ٱبْنَـةِ جعفـر

---

(١) وانصرفت العباسة مشتملة منه على حمل، ثم ولدت غلاماً. «مروج الذهب ج ٣ ص ٣٨٦».

وقال أبان بن حميد اللاحقيُّ: [طويل].

وما قصّرتْ سِنٌّ به أنْ ينالها وقد خُصّ عيسى بالنُّبُوَّة في المهد

وفي سنة ستّ وثمانين ومائة أخذ البيعة للقاسم ابنه بولاية العهد بعد المأمون، وسمّاه المؤتمن، فصاروا بعهده ثلاثةٌ الأمين، ثم المأمون، ثم المؤتمن، وخرج رافع بن ليث بن نصر بن سيّار بسمرقند، وغلب على ما وراء النهر، فولّى الرشيدُ هرثمة بن أعين خراسان، واستكفاه أمر رافع، وقدم المأمون إلى مرو، وسار بنفسه، فلما بلغ طوس توفي بها، فدُفن في سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقد بلغ من السنّ سبعاً وأربعين سنةً، وكانت ولايتُه ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وأياماً فرثاه أبو الشيص: [رمل].

غربت في المشرق الشمـ ـسُ فقُلْ للعين تدمع

ما رأينا قطُّ شمساً غربَتْ من حيثُ تطلعْ

فلما مات هارون بايع الناس لولده الثلاثة على الوفاء بالعهد بعضهم لبعض.

[بيعة محمد الأمين]:

فنكث وغدر وولّى ابنه موسى العراق، وهو طِفْل، ولقبه الناطق بالحقّ، وأمر بالدعاء له على المنابر، ونهى عن الدعاء للمأمون، وأمر بإبطال ما ضرب المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان، وأغرى الفضلُ بن الربيع بينه وبين المأمون، وزيّن له بكر بن المعتمر خَلِعَ المأمون، فولّى عليّ بن عيسى بن ماهان الحربَ، وأخذ البيعة لابنه الناطق بالحقّ، وصيّره في حجره، وندبه للقاء المأمون، ودفع إليه قيداً من ذهب، وقال: أوثق المأمون، ولا تقتله حتى تقدم به عليَّ، وأعطاه من الصامت ألفَي ألف دينار سِوى الأثاث والكُراع، وبلغ الخبرُ المأمونَ، فتسمَّى بأمير المؤمنين، وقطع الخراج عن الأمين، وألقى اسمه من الطراز والدراهم والدنانير، وأنهض طاهرَ بن الحسين وهرثمة بن أعين إلى عليّ بن عيسى، فالتقوا بالريّ، وقتلوا جيوشه، واحتوَوا على أمواله، وكتب طاهر بن الحسين إلى الفضل بن سهل وزير المأمون، كتبتُ[1] إليك، ورأسُ عليّ بن عيسى في حجري، وخاتمه في يدي، والحمد لله رب العالمين، فنهض الفضل بن سهل، ودخل على المأمون، وسلّم عليه

(١) أطال الله بقاءك، وكبت أعداءك، كتابي إليك، ورأس علي بن عيسىٰ بين يدي، وخاتمه في إصبعي، والحمد لله ربّ العالمين «مروج الذهب ج ٣ ص ٤٠٠».

بالخلافة، فبعث المأمون إلى طاهر بالهدايا والأموال، وأمدّه بالرجال والقُوّاد، وسمّاه ذا اليمينين[1]، وصاحب خيل الدين، وأمره أن يمضي إلى العراق، فأخذ طاهرٌ على طريق الأهواز، وأخذ هرثمة على طريق حلوان، ورفع المأمون قدرَ الفضل بن سهل، وعقد له على المشرق من جبل همذان إلى جبل سِقين وتُبّت طولاً، ومن بحر فارس والهند إلى بحر جرجان والديلم عرضاً، وعقد له لواءً على سنان ذي شعبتين، وسمّاه ذا الرياستين، رياسة الحرب، ورياسة التدبير، ولما صار طاهرٌ إلى الأهواز، واستولى عليها، ثم امتدّ إلى واسط، وتمكّن هرثمة من حلوان شغب الجندُ على محمّد الأمين، فأعطاهم رزق أربعة وعشرين شهراً، ثم وثبوا عليه، وهو في قصر الخُلد، فأخرجوه وخلعوه وحبسوه مع أمّه وولده في مدينة أبي جعفر، فقال: جاء الخبر من العجب لأحد عشر من رجب، ثم أخرجوه وبايعوه، وكان حبسه يومين، ثم تشوشت الدنيا، فخرج ابن طباطبا العَلَويُّ بالكوفة وبيّض ومعه أعرابيٌّ من بني شيبان. يقال له: أبو السرايا وغلبوا على الكوفة والسواد، ثم مات ابن طباطبا، وهو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين ونقش الخاتم والدراهم. ﴿إنّ الله يُحبُّ الذينَ يقاتلونَ في سبيلِهِ صفًّا كأنّهُمْ بنيانٌ مرصوصٌ﴾ [الصف: ٤]. وفي وسه الفاطميُّ الأصغر، وخرج بالبصرة عليّ بن محمّد بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، فغلب وبيّض، وخرج بمكّة ابن الأفطس الحُسين بن الحُسن بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فغلب، وبيّض وحجّ بالناس سنة مائتين، وخرج بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب سلام الله عليهم، فغلب وبيّض، وخرج باليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد، وغلب وبيّض، وخرج بالشام عليّ بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية يدعو إلى نفسه، وحاصر طاهرٌ وهرثمةُ محمداً الأمين، وجعلا يحاربان أصحابه، سنةً ببغداد، فقُتل أصحابه، وخفّت يدُه من المال، وضُعف أمرُه، وكتب طاهرٌ إلى المأمون يستأمره في قتل مُحمّد، فبعث إليه بقميصٍ غير مُقوّر، فعلِم أنه يأمره بقتله، وخلص الجيشُ إلى قصر محمّد، وأحدقوا به، فوجّه إلى هرثمة يسأله الأمان، فآمنه، وضمن له الوفاء من المسلمين، فجاء طاهرٌ مُسْرِعاً، وحمل على الحرّاقة بالنفط والحجارة، فانكفأتْ بمن فيها، فأمّا هرثمة فإنّه ركب زورقاً قريباً منه، وأمّا محمّد، فسبح حتّى خرج بشطّ البصرة، فأخذه أصحاب طاهر، وجاؤوا به،

---

(١) سُمّي ذا اليمينين؛ لجمعه يديه على السيف «مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٩».

فقتله من ليلته، وبعث برأسه إلى خراسان، وعقد له العهدَ من بعده، وسمّاه الرضا، وزوّجه ابنته أُمّ حبيبة بنت المأمون، وخضّر الثياب واللباس والرايات وأمر بطرح السواد، فشقّ ذلك على بني هاشم، وغضِب بنو العبّاس، وقالوا: يخرج الأمرُ منّا إلى أعدائنا، فخلعوا المأمون، وبايعوا إبراهيم بن المهديّ وسمّوه المبارك، وتوجّه المأمون نحو العراق، فلما بلغ سَرَخسَ قتل الفضل بن سهل في الحمّام غِيلةً، ومات عليّ بن موسى الرضا بطوس، ودُفن عند قبر هارون، واختلفوا في سبب موته، فمن قائل: إنّه سُمَّ، وآخَرُ أنّه أكل عَنَباً، فمات، وجاء المأمون حتّى دخل بغداد، وعليه الخضرة، فأمر بطرحها، وأمر بإعادة السواد، وخلع القاسم المؤتمن، وقُتل محمّد الأمين سنة ثمانٍ وتسعين ومائة وكان سنُّه[1] ثمانٍ وعشرين سنة وأياماً، ولايته أربع سنين وأربعة أشهر وأيّاماً، ويقال: خمس سنين وفيه يقول[2]: [متقارب].

أضاعَ الخِلاَفَةَ غِشُّ الوزير وفِسْقُ الأمير[3] وجهلُ المشير
فبَكْرٌ مُشيرٌ وفضلٌ وزيرٌ يزيدانِ ما فيه حَذْفُ الأمير

وبُويع إبراهيم بن المهديّ سنة اثنتين ومائتين، فخرج إلى الحسن بن سهل، فألحقه بواسط، ثم بايع بغداد المأمون، وكانت أيّام إبراهيم بن المهديّ سنة وإحدىٰ عشر شهراً، ودخل المأمون بغداد سنة أربع ومائتين.

[بيعة عبد الله المأمون]:

وبويع عبد الله[4] المأمون سنة أربع ومائتين، وكانوا بايعوه بمروَ عند ما خلعه أخوه، فأحسن السيرة، وتفقّد أمور الناس، وقعد للقضاء وتولّى الصلاة والخطبة، وخلع أخاه القاسم، وأخذ البيعة لأخيه أبي إسحاق المعتصم من بعده، وكتب الناس من عبد الله المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبي إسحق المعتصم، وأمر بامتحان القُضاة

(١) قُتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وقيل: تسعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر وستة أيام. «مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٦».
(٢) قال في ذلك رجل أعمىٰ من أهل بغداد ويعْرف بعلي بن أبي طالب «مروج الذهب ج ٣ ص ٤٠٥».
(٣) في مروج الذهب ج ٣ ص ٤٠٥: وفسِقُ الإمام ورأي المشير.
(٤) المأمون عبد الله بن هارون الرشيد، وكنيته أبو جعفر، وأمه باذغيسية، واسمها مراجل، وقيل: إن كنيته أبو العباس «مروج الذهب ج ٤ ص ٤».

والمحدّثين، ونادى مُناديه بربث الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير، وفضّله على أحدٍ من الصحابة، وأحيا العِلْم القديم، ونقل إلى لسان العرب، وأظهر عِلْم النجوم والفلسفة، وكان فاضلاً في نفسه فطيناً ذكياً، أبيض البشرة، تعلوه حُمرة، أعيَنَ طويلَ اللحية دقيقها، بخدّه خالٌ أسْودُ، وأمر أبو إسحق باتّخاذ الأتراك للخدمة، وكان يُشترى الواحد منهم بمائة إلف ومائتي ألف وفي أيّامه تحركت الخُرّمية، وادّعى بابك أنّ روح جاويذان دخلت فيه، فبعث إليه المأمون محمّد بن حُميد، فقُتل محمّد بن حميد، وعامّةُ أصحابه، وأصاب الناسَ مجاعةٌ حتّى بلغ المُدّ عشرين ديناراً ورُؤِيَ قَبْلَهُ الكوكبُ ذو الذنب، ثم وقع بعده موتٌ ذريع أفنى كثيراً من الناس، وظفِر المأمون بإبراهيم بن المهديّ في زيّ امرأة يمشي بين امرأتين، فعفا عنه وآمنه ونادمه، فقال إبراهيم: [كامل].

إنّ الذي قَسَمَ المكارم حَازَهَا — من صُلْبِ آدَمَ للإمام السابعِ
فعفوتَ[1] عَمَّن لم يكن عن مثله — عَفْوٌ، ولم يشفعْ إليكَ بشافعِ

وغزا الروم غير مرّة، فافتتح منها حصوناً وقلاعاً، ومات بها فحمُل إلى طرسوس، وقال الشاعرُ: [خفيف].

خلّفوه بعُرْقُوَة[2] طرسوس — مثل ما خَلّفُوا أباه بطُوسْ
هل رأيت النجوم أغْنَتْ عنِ المأ — مونِ أو عن وزيره المألوسِ[3]؟

وتُوفّي سنة ثمان عشرة ومائتين، وكانت خلافته مُنذُ قُتل محمّد عشرين[4] سنة، وعمره ثمانياً وأربعين سنةً، وكانت أُمُّ المأمون باذغيسيّة تُسمّى مراجِل، وكان المأمون ضربه أبوه في شيءٍ، فقال الرقاشيُّ يهجوه: [رمل].

لم تَلِدْهُ أمَةٌ تعـ — ـرف في السُوق التجارا
لا ولا حُدَّ ولا خا — ن ولا في الحكم جارا

---

(١) في مروج الذهب: وعفوت ج ٤ ص ٣٠.

(٢) في مروج الذهب: بعرصي ج ٤ ص ٤٥.

(٣) في مروج الذهب ج ٤ ص ٤٥: ـ هل رأيت النجو أغنت عن المأمون شيئاً وملكه المأنوس والمألوس: إلسه ألساً: غشّه وخانه، و ـ: سرقه، ألس فلان ألساً: اختلط عقله، فهو مألوس.

(٤) كانت خلافته إحدىٰ وعشرين سنة، وهو ابن تسع وأربعين سنة «مروج الذهب ج ٤ ص ٤».

[بيعة أبو إسحق المعتصم بالله]:

وبُويع[1] أبو إسحق المعتصم بالله وهو محمّد بن هارون سنة ثمان عشرة ومائتين فتخرّم[2] كثيرٌ من أهل الجبال من مشاهير همذان وماسبذان ومهرجان وتجمعوا، فبعث إبراهيم بن إسحق بن مُصعب، وقتل منهم ستّين ألفاً وسبي ستّين ألفاً، وهرب الباقون إلى بلاد الروم، وخرج العبّاس بن المأمون، ودعا إلى نفسه، وبايعه كثيرٌ من القُوّاد، فحبسه وأمر بلعنه على المنابر، وسمّاه اللعين، فمات بالحبس وشغب عليه الأتراكُ، فأمر بردّ المقاصير في مساجد الجماعة، ثم مضى بإنزاله إلى سُرَّ من رأى، فابتنى فيها واتّخذها داراً، وقتل بابك الخرّميّ سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

قصة بابك الخُرَّمي:

ذكروا أنه كان لغير رشده، وأنّ أمّه كانت امرأةً عوراءَ فقيرةً من قُرى أذربيجان، فشغُف بها رجلٌ من نبط السواد يقال له: عبد الله، فحملت منه، وقُتل الرجلُ وبابك حمل، فوضعته أمُّه، وجعلت تكتسب عليه إلى أن بلغ مبلغ السعي، وصار غلاماً حَذُوراً، واستأجره أهل قريته على سَرْحِهم بطعام بطنه وكسوة ظهره، فزعموا أنّه أتته ذاتَ يوم بطعامه، وهو قائلٌ في ظلّ حائطٍ، فرأت شعر بدنه قد اقشعرّ يقطر من رأس كلّ شعرة قطرةُ دمٍ، فقالت: إنّ لابني هذا شأناً عظيماً، وكان في تلك الجبال قوم من الخُرّمية، وعليهم رئيسان يتكافحان، ويخالف أحدهُما الآخر يقال لأحدهما: جاويذان، والآخر عمران، فمّر جاويذان في بعض حاجاته بقرية بابك، فرآه، فتفرّس فيه الجلادة، فاستأجره من أُمّه، وحمله إلى ناحيته. قالوا: فمالت إليه امرأةُ جاويذان، وأَفْشَتْ إليه أسرار زوجها، وأطلعته على دفائنه وكنوزه، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتّى وقعت حربٌ بين جاويذان وعمران، فأصابَتْ جاويذان جراحةٌ، فمات منها، فزعَمتِ امرأةُ جاويذان أنّ بابك قد استخلف هذا على أمره، وتحوّلت رؤحه إليه، وإنّ الذي كان وعدكم من الظفر والنُصرة كُلُّه صائرٌ إليكم على يدي هذا، وذلك أن الخرميّة لا يصبحون ولا يُمسون إلاّ على توقُّع الحركة، فأتبعوه قومُه،

---

(١) قيل: بويع سنة تسع عشرة ومائتين «مروج الذهب ج ٤ ص ٤٦».

(٢) تخرّم: الخزم أنف الجبل، المخرم: الثنية بين الجبلين ـ و: الطريق في الجبل. تخرّم: تشقق، و ـ الدهر القوم: استأصلهم.

وصدّقوا المرأة على شهادتها، وأمر بابك أصحابَه من النواحي والقُرى، وكان في قلّة وذلّة، وأعطاهم سيوفاً وخناجر، وأمرهم أن يرجعوا إلى قُراهم ومنازلهم وينتظرون ثُلُثَ الليل الأخير، فإذا كان ذلك الوقت يخرجوا على الناس، فلا يَدَعُون رجلاً ولا امرأة ولا صبياً ولا طِفْلاً من قريب وبعيد إلاّ قطعوه وقتلوه، ففعل القوم ذلك، فأصبح أهلُ تلك القُرى قَتْلَى بأيدي الخرّمية لا يدرون مَنْ أمرَهم بذلك ولا ما السبب فيه، ودخل الناسَ رُعْبٌ شديدٌ وهولٌ عظيم، ثم لم يمهل أنْ بعثهم إلى ما نأى عنه من النواحي، فيقتلون من أصابوا من الناس من أي صنف كان كان صغيراً أو كبيراً، أو مسلماً أو ذِمّياً حتّى مرن القومُ على القتال، وانضوى إليه القُطّاع والحُرّاب والدُعّار وأصحاب الفتن وأرباب النِحَل الزائغة، وتكاثفت جموعُه حتّى بلغ فرسانُ رجاله عشرين ألف فارس سِوى الرجّالة، واحتوى على مُدْنٍ وقُرىً، وأخذ بالتمثيل بالناس، والتحريق بالنار، والإنهاك في الفساد، وقلّة الرحمة والمبالاة، وهَزَم جيوشاً كثيرةً للسُلطان، وقتل عدّة قُوّادٍ له، وذكر في بعض الكتب أنه قتل فيما حُفظ ألف ألف إنسان من بين رجل وامرأة وصبي، وذُكر في التأريخ أنّ جميع منْ قتَل بابك مائتا ألف إنسان، وخمسة وخمسون ألف إنسان، وخمس مائة إنسان، والله أعلم.

فندب المعتصم الأفشين للقاء بابك، وعقد له على الجبال كلّها، ووظف له كلّ يوم يركب فيه عشرة إلف درهم صلَةً، ويوم لا يركب خمسة آلاف درهم سِوى الأرزاق والأنزال والمعاون وما يصل إليه من عمل الجبال، وأجازه عند خروجه بألف ألف درهم، فقاومه الأفشينُ سنةً وانهزم بابك من يديه غيرَ مرّة، وعاوده بابك يلتجيء إلى البذّ[1]، وهي مدينة حصينة، فلما قرُب أجله وضاق أمره، خرج هارباً بأهله وولده إلى أرمينية في زيّ التجار، فعرفه سهل بن سنباط النصرانيُّ أحدُ بطارقة أرمينية، وكان في إسارِه، فافتدى نفسه منه بمال عظيم، فلم يقبل منه بعد ما ركب من أمّه وأُخته وامرأته الفاحشة بين يديه، وكذا كان الملعونُ يفعل بالناس إذا أسرهم مع حرمهم، فقبض عليه وبعثه إلى الأفشين، وكان المعتصم جعل ألفي ألف لمن جاء به حياً، وألف ألف لمن جاء برأسه، فحمل إلى سهل بن سنباط ألفي ألف، وسوّغ له عُمّال ناحيته وحمل الأفشين بابك إلى المعتصم وهو بسُرّ من رأى، فأمر به، فقُطعت يداه ورجلاه، وصُلِب سنةَ ثلاث وعشرين، وزعم قوم أنّ بابك الملعون لمّا قُطعت يدهُ لطخ وجهه بدمه وضحك، يُرى الناسَ أنّه لم يُؤلِمِه القطعُ وأنّ روحَه

---

(١) البذّ: من قرىٰ أصبهان.

ليس تُحسُّ بشيء من ذلك، وكان ذلك من أعظم الفتوح في الإسلام، ويومَ قبِض عليه كان عيداً للمسلمين، وكان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين، فرفع المعتصم قدر الأفشين، وتوّجه وألبسه وشاحَيْن منظومين بالدُرّ والجواهر، وسوّره سِوارَين، ووصله بعشرين ألف ألف درهم، وأمر الشعراء بمدحه، وجعل صِلَتَهم عنده، فممّا قيل فيه: [رمل].

كُــلّ مجــد غيــرَ مــا أثلــه ... لبنــي كــاوُوسَ أولاد العجــمْ
إنَّمــا الأفشيــن سيــفٌ سَلَّــهُ ... قَــدَرُ الله بكــفّ المعتصَــمْ
لــم يــدَعْ فــي البذّ مــن ساكنه ... غيــر أمثــالٍ كــأمثــال إرَمْ

وفي أيامه خرجت الرومُ، فنزلت زبطرة، فتوجّه المعتصم إليهم، وفتح عَمُّوريّة، وقتل ثلاثين ألفاً، وأسر ثلاثين ألفاً وفي ذلك الفتح يقول الطائيُّ: [بسيط].

السيفُ أصْدقُ أنباء من الكُتُبِ

وقال غيره في ذلك: [متقارب].

أقــام الإمــامُ منــارَ الهُــدى ... وأخـرس نـاقـوس عَمُّـورَيَـهْ
فقـد أصبـح الـديـنُ مستـوثِقـاً ... وأَضْحَتْ زِنادُ الهُدى مورِيَهْ

وخرج عليه أبو حرب المبرقع بالشام، فوجه إليه جيشاً، فقتلوا من أصحابه عشرين ألفاً، وحملوه إلى المعتصم، وهو بسُرّ من رأى، وصلبوه وكان يقول: بتناسخ الأرواح، ثم غضِب المعتصم على الأفشين، وذلك أنه كاتب مازيار أصفهبذ طبرستان، وسأله الخلاف والمعصية وأراد أن ينقُل المُلك إلى العجم، فقتله وصلبه باذاء بابك، ووجده بقُلْفته لم يُخْتَن، وأخرجوا من منزله أصناماً، فأحرقوها، ومات المعتصم سنة[1] ست وعشرين ومائتين، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر، وخلّف ثمانية بنين وثماني بنات، وهو الذي امتحن أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه، وضربه بالسياط، وفي أيّامه مات أبراهيم بن المهديّ، وكان عُمر المعتصم ثمانياً وأربعين سنة.

---

(١) وفي سنة سبع وعشرين ومائتين كانت وفاة المعتصم، يوم الخميس لثماني عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول، وقيل: لساعتين من ليلة الخميس «مروج الذهب ج ٤ ص ٦٣».

[بيعة الواثق بالله]:

وبُويع هارون[1] الواثق بالله وهو الذي يقول فيه الطائيُّ: هارون فيه كأنّه هارون ومات، وفي أيّامه انفرد البُحْتريُّ بالرياسة في الشعر، وفي أيّامه أقبلت نار من المشرق فيها دَوِيٌّ كدويّ الريح، فأحاطت ببيوتات، فأحرقت، ثم تبعها ريحٌ عاصفٌ، فهدمت بيوتاً، ومات خلقٌ كثير من الفزع، ومات الواثق سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر[2]، وسنُّه اثنتين وثلاثين سنةً.

[بيعة جعفر بن أبي إسحق]:

وبويع جعفر بن أبي إسحق المتوكل على الله فأخذ البيعة لولده الثلاثة لمحمّد بن جعفر المنتصر بالله، ولإبراهيم بن جعفر المؤيّد بالله، ولأبي عبد الله بن جعفر المعتزّ بالله، وجعل العهد للمنتصر وبعده للمعتزّ، وبعده للمؤيّد، وعقد لكلّ واحد منهم لواءً، وولّى المنتصر العراق والحجاز واليمن، وولّى المعتزّ خراسان والريَّ والجبال، وولّى المؤيّد أجناد الشام، وفي أيّامه امتنع إسحق بن إسماعيل بتفليس، فبعث إليه بُغا الكبير، فقتل إسحق، وأحرق المدينة، وكانت كلّها من خشب الصنوبر، وأحرق أكثر من خمسين ألف إنسان، وهاجت الزلزلة، وتقطّع الجبل الأقرع، وسقط في البحر، فمات أكثر أهل اللاذقية من تلك الهدّة، وتناثرت الكواكب، وأخرج أحمد بن جنبل من الحبس، ووصله وصرفه إلى بغداد، ونفى أحمد بن أبي دؤاد، وقبض على أمواله، فقال أبو العتاهية: [بسيط].

لو كُنْتَ في الرأي منسوباً إلى رَشَدٍ ... وكان عزمُك عزماً فيه توفيقُ
لكان في الفِقْه شُغْلٌ لو قنِعْتَ به ... من أن يُقالَ: كتابُ الله مخلوقُ

وكتب المتوكّل إلى أهل بغداد كتاباً قُرِىء على المنبر بترك الجَدَل في القرآن، وأنّ الذمّة بريئة ممّن يقول بخلق، أو غير خلق، وولّى يحيى بن أكثم قضاء الشرقيّة حسّان بن

(١) بويع هارون بن محمد بن هارون الواثق بالله، ويكنّى بأبي جعفر، وأمه أمّ ولد رومية، وتسمىٰ قراطيس، وذلك في اليوم الذي كانت فيه وفاة المعتصم، وهو يوم الخميس لثماني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين «مروج الذهب ص ٤ ص ٦٥».

(٢) توفي وهو ابن سبع وثلاثين سنة وستة أشهر، وقيل: إنه توفي يوم الأربعاء لستّ بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وهو ابن أربع وثلاثين سنة «مروج الذهب ج ٤ ص ٦٥».

قيس، وكان أعْورَ، وولّى قضاء الغربيّ سوّار بن عبد الله، وكان أعْور، فقال بعض الشعراء: [وافر].

رَأيتُ من الكبائر قاضِيَين ... هما أُحْدوثة في الخافقَيْن
هما اقتسما العَمَى نصفَيْن قسمًا ... كما اقتسما قضاء الجانبَيْن

وفي أيّامه ظهر رجل بسُرّ من رأى، يقال له: محمود بن الفرج النيسابوريّ، وزعم أنّه ذو القرنين[1]، ومعه مُصحف قد ألّف كلاماً وتبعه على ذلك سبعة عشر رجلاً، فقيل له: كيف ذهبتَ إلى ذي القرنين من بين الناس؟ قال: لأنّ رجلين ببغداد يدّعيان النبوّةَ، فكرهتُ أن أكون ثالثهما، فصُفع صفيعات، وتاب هو وأصحابه وبنى المتوكّل المتوكّلية، وتحوّل إليها واتّخذها وطناً، فأغتيل ليلاً وهو ثمِلٌ، فقُتل فقيل فيه: [بسيط].

حانت منيّتُه والعينُ هاجعةٌ ... هلّا أتتْه المنايا والقُنا قَصِدُ؟
هلّا أتتْه أعاديه مهاجرة ... والحربُ تُسْعَرُ والأبطال تجتلدُ؟

وقُتل[2] سنة سبع وأربعين ومائتين، وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة أشهرُ وأيّاماً، وعمره أربعين سنة.

ويقال: أنّ ابنه المنتصر دس لقتله، فعاش بعده ستة أشهر، وروى دِعْبل بن عليّ الخزاعيّ عن الحسن ليلة قُتل فيها المتوكّل، وبُويع المنتصر قائلاً يقول: [بسيط].

خليفةٌ مات لم يأسَفْ له أحدٌ ... وقام آخرُ لم يفرح به أحدُ
فمرّ ذاك، ومرّ الشؤمُ يتبعهُ ... وقام هذا، فقام النحسُ والنَكَدُ

بيعة المنتصر:

ولما بويع المنتصر خلع المعتّز والمؤيّد، ومات بعد ستّة أشهر، وكان ابن أربع[3] وعشرين سنة، ثم بويع أحمد بن محمّد بن المعتصم، فحبس المعتزّ والمؤيّدَ، وأطلق الحسن بن الأفشين وإخوته ومواليه من الحبس، وخلع عليهم، وعقد لمحمّد بن طاهر بن

---

(١) ذو القرنين: لقب الملك الإسكندر الكبير، لأنه بلغ في فتوحاته مشرق الأرض ومغربها.
(٢) قُتل وهو ابن إحدىٰ وأربعين سنة، فكانت خلافته أربع عشر سنة وتسعة أشهر وتسع ليالٍ «مروج الذهب ج ٤ ص ٨٥».
(٣) وهو ابن خمس وعشرين سنة «مروج الذهب ج ٤ ص ١٢٩».

عبد الله على خراسان، فشغب الموالي والشاكريّة، وكسروا باب السجن وأنزلوا المعتزّ، وخلعوا المستعين، وكانت أيّامه سنتين وتسعة أشهر وفي أيّامه خرج الحسن بن زيد بطبرستان.

[بيعة أبو عبد الله المعتز]:

وبويع أبو عبد الله[1] المعتز ثم اجتمعت الأتراك والفراعنة، فخلعوا المعتزّ، وكانت أيّامه أربع سنين وتسعة أشهر.

بيعة المهتدي بالله:

وبويع المهتدي بالله محمّد بن هارون الواثق سنة خمس وخمسين ومائتين، وقُتل سنة ستّ، وكانت ولايته أحدّ عشر شهراً من أيّامه إلى أن تُوفّي المعتزّ بالله، وظهر البرقعيُّ بالبصرة، وجمع الزنج الذين كانوا يَكْنسون السباخ[2] وقوي أمرهُ.

[بيعة المعتمد على الله]:

وبويع[3] المعتمد على الله وهو أحمد بن جعفر المتوكّل سنة ستّ وستّين ومائتين، وبايعه ممّن أبوه خليفةٌ بنو الواثق، وبنو المعتزّ، وبنو المتوكّل، وبنو المنتصر، وبنو المستعين، وبنو المعتصم، وبنو المعتمد، وتُوفّي سنة تسع وسبعين ومائتين، وكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة.

وفي أيّامه قوي أمر الزنج بالبصرة، وغلب الحسن بن زيد على الريّ وجُرجان وطبرستان، وخرج يعقوب بن الليث بسجستان، وغلب أحمد بن عبد الله الخجستانيُّ على خراسان، وخرج سرحب الجمال في إخوته منصور ونعمان، فغلبوا مروَ وسَرَخْسَ، وخرج علويّان بالمدينة اسم أحدهما محمّد، واسم الآخر حسن، وقتلا من أهل المدينة مقتلةً عظيمةً، وطالبوهم بعشرة آلاف دينار، ومات نسوانها وولدانها وضعفاؤها جوعاً، ولم يُصلَّ في مسجد رسول الله ﷺ جُمَعات، ووثب الأعراب على كسوة البيت، فنهبوها، وصاروا

---

(١) المعتز بالله: وهو الزبير بن جعفر المتوكل، وأمه أم ولد يُقَال لها: قبيحة، ويكنّى أبا عبد الله وله يومئذ ثمان عشرة سنة «مروج الذهب ج ٤ ص ١٦٦».

(٢) السباخ: السبخة أرض ذات نزٍّ وملحٍ لا تكاد تُنبتُ (ج) سباخ.

(٣) بويع سنة ست وخمسين ومائتين «مروج الذهب ج ٤ ص ١٩٨».

إلى الزنج بالبصرة، وخرجت فزارة، وقيس، وطيّء على الحاجّ، فانتهبوهم وسبَوْا حرمهم، واستاقوا إبلهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ولم يُفْلِتْ أحدٌ إلاّ بقطع، أو جراحة، وخرج علويٌّ بأذربيجان، وتسمَّى الرافع بالله، وتغلّب عليها، وجمع الأكراد، واستغواهم، وخرج أحمد بن طولون بمصر، واستعصى على السلطان، وعاث رافع بن أعيَن في أقاصي خراسان، وأفسد وصار عبد الله بن الواثق إلى يعقوب بن الليث يستعينه على المعتمد، فذلك الذي أطعمه في قصد بغداد، وكُوتب نصرُ بن أحمد بن أسد شاهان خذاي بولاية ما وراءَ النهر، ولكلّ واحد ممّن ذكرنا قصّةٌ وخبرٌ، وأخذ المعتمد البيعة لابنه جعفر بن أحمد، وسمّاه المفوَّض إلى الله، وجعل وليّ العهد بعده أخاه أبا أحمد الموفّق بالله، فلما توفّي الموفّق خلع المعتمد ابنه المفوَّض إلى الله، وأثبت العهد لأبي العبّاس بن الموفّق، وسمّاه المعتضد بالله وتُوفّي المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين.

[بيعة المعتضد بالله]:

وبويع المعتضد بالله في هذه السنة، ومات[1] سنة ستّ وثمانين ومائتين، فكانت ولايته ستّ سنين، وستّة أشهر، وعشرين يوماً، وفي أيامه خرج زكرويه بن مهرويه في كَلْب على الحاجّ فقتلهم وسباهم، وقصد الكوفة، فأنهض إليه السلطان جيشاً، فمارسهم خمسة أشهر، ثم ظفروا به، فحملوه إلى بغداد على طريق الشهرة والنكال وحُبس، فمات في الحبس، ثم أخرج، فصُلب فسرقه القرامطة عن خشبته.

وبويع المكتفي بالله عليّ بن أحمد، ولّي خمس[2] سنين وسبعة أشهر وأيّاماً، وتُوفّي سنة أربع وتسعين ومائتين، وكنيته أبو محمّد، وبويع المقتدر بالله أبو الفضل جعفر، ولم يلي الخلافة أصغر منه وفي أيّامه فسدَتْ أمورُ الخلافة، وكانت[3] أيّامه خمساً وعشرين سنة. وبويع القاهر بالله وسُملت عيناه، وكانت ولايته عاماً واحداً وستّة أشهر وبويع الراضي

---

(١) وكانت وفاته يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين. «مروج الذهب ج ٤ ص ٢٣١».

(٢) كانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما، وقيل: ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما، وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين «مروج الذهب ج ٤ ص ٢٧٥».

(٣) كانت خلافته أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً «مروج الذهب ج ٤ ص ٢٩٢».

محمّد بن جعفر المقتدر، وكانت[1] ولايته سبع سنين وبويع المتّقي بالله إبراهيم بن جعفر المقتدر، وكان صالحاً. وبويع[2] المستكفي خلع وسُملت عيناه، وبويع[3] المطيع الله لثمان بقين من جمادى الآخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وخلع نفسه يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي القعدة، فلجّ ونزع نفسه غير مكره.

هذا آخر كتاب البدء والتأريخ، والحمد لله وصلواته على سيّدنا محمّد النبيّ وآله وسلم، كتبه العبد الضعيف الفقير الراجي رحمة ربّه اللطيف خليل بن الحُسين الكرديّ الولاشجرضي غفر الله له ولجميع المسلمين في شهور سنة ثلاث وستّين وستمائة والحمد لله وحده والصلاة على محمد وآله.

(١) كانت خلافته ست سنين وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام «مروج الذهب ج ٤ ص ٣٢٢».

(٢) المستكفي بالله: هو أبو القاسم عبد الله بن علي المكتفي «مروج الذهب ج ٤ ص ٣٥٥».

(٣) بويع المطيع لله ـ وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر ـ لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: إنه بويع في جمادىٰ الأولىٰ من هذه السنة «مروج الذهب ج ٤ ص ٣٧٢».

فهرس المحتويات